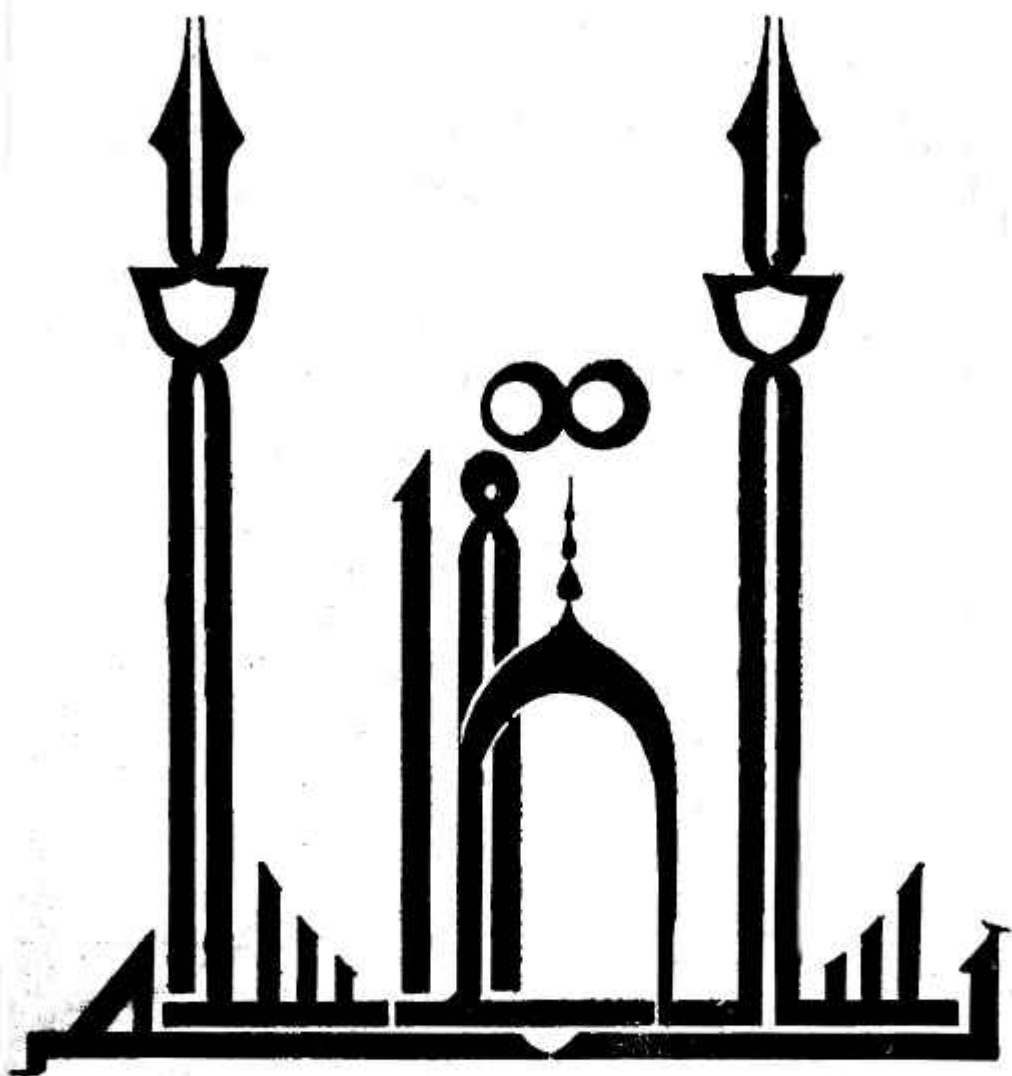




جمادي الاول ١٣٩٢ هـ

العدد (٧ ، ٨)

السنة الخامسة

حزيران ١٩٧٢ م

مطبعة الارشاد - بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة التحرير :

- ٥ الصمود علامة النصر
- ١٢ التفسير والمفسرون
- ٢٦ اسس الدعوة الاسلامية
- ٣٤ البحث العلمي والدراسات العليا
- ٦٥ الرق في الاسلام والانظمة الوضعية
- ٧٥ قيمة القرآن وحقيقته
- ١٠٨ من مفهوم النصر في القرآن الكريم
- ١٢١ خميلة الادب
- ١٣١ ثبات المؤمن
- خير وقاية من اخطر امراض القرن
العشرين ٠٠٠ سلسلة اجناس
- ١٣٥ الدكتور ابراهيم الراوي
- القانون
- ١٣٩ تعريفه ، ضرورته ، انواعه
- من رسائل الخريجين : الخيبة في
في شعر المتنبي
- صوت المرأة المسلمة
- القراء يسألون
- ازمة المتدين في العصر الحديث
- شؤون الجمعية واخبار مؤسساتها

رسالة الاسلام

مجلة فكرية
تعالى بشؤون الفتى والأدب

تصدر عن

كلية أصول الدين

بغداد - الكوفة الشريفة

رئيس التحرير

محمد الساعدي

تضمنت المراسلات :

لشؤون التحرير والترجمة

الى السيد رئيس التحرير

ولشؤون التوزيع والوكالات

الى الشيخ عاي صبيب الله

وللشؤون المالية والاستشارات

الى السيد طه عبد العلي

محاسب الكلية

بدر { داخل العراق : دينار ونصف

استراك { خارج العراق : دينار

للبرقيات الرسمية : دينار

هاتف المجلة الخاص : ٩٨٥٠٥

لكي لا ندخ مسـة حجر مرثيا !

« الراضي بفعل قوم ، كالدخل فيه معهم

وعلى كل داخل في باطل ائمان ؛

ائم العمل به ، وائم الرضا به »

الامام امير المؤمنين

علي بن ابي طالب

« نهج البلاغة »



علامة النصر

الصمود

محمد عبد الساعدي

رئيس التحرير

« والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

- ١ -

حينما تمور الحياة بالحركة ويلفها التحدي ، ويغطي مردودها الرفض ؛
تبرز امام انسان هذه الحياة مشكلات لم يعهدها من قبل .

بعضها نتاج طبيعي تلدها محصلة حركة الحياة (انسان + طبيعة +
زمن) ، وبعضها الآخر نتاج حركة الحياة فيه ، اي حركته في اطار المركبة
الحياتية ذات الاطر الخاصة المفروضة عليه .

وبين هذا وذاك وبسببه ايضا ، يعاني الانسان المسلم المعاصر مشكلات
لا حد لها ولا فاصل حببت اليه الهروب من سوح الحياة ، والسكون عند
نقاط الاندفاع العفوي حينما والابتداع الواعي احيانا ؛ في محاولة عصرية
لتجاوز السلبية والتمعن في الذات والانطواء عليها .

- ٥ -

واذا عرفنا ان المشكلات من النوع الاول طبيعية لانها نتاج « الفعل »
اي العمل ولا باس منها ، وهي تتناسب في حدتها وجوداً وعدماً مع قوة
العمل ودرجة تعقيده ، وعلاقات القوى العاملة ، والقانون الحاكم لهذه
العلاقات . فوجود هذا النوع من المشكلات ليس مشكلاً في حد ذاته ، ذلك
انه حتى الخطأ في تصحيح مشكلات من هذا النوع اذا توافرت له حسن
النية وصفاء الطوية فهو خطأ متسامح فيه ، مرفوع عنه القلم ، كما هو عند
الله عند المجتمع ؛ فالعامل ان اصاب فله اجران ، وان اخطأ فله في عمله
اجر واحد . . . اجر النية ، واجر النتيجة ، فان اصاب ظفر بالأتين وان
اخطأ (وهو يخطئ طبعاً حينما يعدم النتيجة أو يصادر مطلوبها او ما الى
ذلك) فله اجر واحد ، هو اجر النية فقط .

اما اذا كان سيئ النية فهو معتد على حرمان المجتمع من النتيجة عن
قصده وعهده . وعلى هذا الاساس يتوجه له اللوم والعتاب بل ربما العقاب على
مقدار ما تنسبه درجة اعتدائه ، وترتبه مسؤوليته التقصيرية والعقدية
شرعاً وعرفاً وعلى اختلاف في التجريم بين قضية واخرى .

واذن فليس هناك لدى انسان الاسلام في عصرنا المائل حيرة وقلقا ازاء
هذا النوع من المشكلات ، وان كل محاولة لابعاد الانسان المسلم عن علاج
هذا النوع من المشكلات انما هي محاولة متهمة مهما اتخذت من لبوس لانها
تزيد من انغلاق المسلم المعاصر على واقع خامل ، محرج ، وموقف متخاذل ،
وادراك مزور للحياة والوجود ، وهو بالتالي عجز عن مجارات الحياة والتحكم
في حركتها وهو ما يرغبه لنا الاعداء منذ امد طويل . . . !

- ٢ -

اما النوع الثاني من المشكلات فهي مشكلات غير طبيعية ، نتاج
« الافتعال » حيناً و « الانفعال » احياناً . وهي مشكلات تستوعب اكثر من
مجال من مجالات الحياة اليوم ، حيث تضرب بثقلها هموم الحياة اليومية
لدى الانسان المعاصر ، وتفرض من نفسها وسط دوي من علاقات مستوحاة
من واقع الحضارات المرحلة الى بلاد المسلمين ، المفروضة عليه ؛ في طبيعة
عمله حيث يتساوى الانسان هنا والآلة بوصفهما بعضاً من وسائل الانتاج؛

وحيث يكون الانسان وسيلة انتاج في حكم علاقات حضارية لا يتجاوب « داخله » معها ، ولا تتسق مع تكوينه النفسي والفطري بسبب عمليات الفرض من « خارج » ، من خارج حياته . . . طريق اريد له ان يسير فيها ، وهو غير قاصد ، ولا واع ، ولا عارف بمساربه ، ولا متفائل حتى مع نتائجه . . . وهو هو لا يزال انسانا مسلما تتوزعه رغبتان ملحتان : رغبة الحصول على رضا الحياة ، ورغبة الحصول على رضا الله . . . لكنه يصطدم عند الممارسة . . . عند التطبيق !

فالرغبة للعيش تفترق طريقها عنده عما يعهده هو ، في مساره الثاني لقد فرضت عليه الطريقة الاولى ان يتحرك مع الآلة ، بل وان يخدمها حيناً أو يصارع معها احيانا في حلبة لا يسمع فيها صوت يعلو دوي الصناعة والعجلات ! ولا يرفع فيها شعار يقطي شعار العمل والانتاج ! وربما يهون الامر لو كان هو كل ذلك او عنده فقط ، بل ان ذلك يجري وفق خط حضاري ، دعي انسان الآلة والانتاج الى شرط حياة واحد لا بديل عنه ، شرط اذعان ، لا رضائية فيه ، هو ان يتقبله كله أو يرفضه كله ، وان يصير نفسه بحسبه او ان يسير وفق قوانينه وان يصوغ نفسه بصياغته .

من هنا ولدت مشاكله ، ومن هنا صار الخلاص منها مشاكل هي الاخرى تبحث عن علاج !

وفي الجانب الثاني حيث توجهت له هذه الواجهات المتحركة ، وهو في اضعف الايمان . . . اضعف حالات العطاء الحضاري والشخصية العقائدية الفاعلة ، فزاده ذلك مرضا في الوقوف عند نقطة اللا حركة ، والكف عن صنع حاضر حضاري تحت اغفاء ماضٍ حضاري عريق ، بسبب انفصاله في حياته العادية بينه وبين عطاء مثله وحضارته تحت ركام من خرافات وشبهات احاط نفسه بها في فهمه لعقيدته ، وفي مفهوم عقيدته لديه !

فكان طبيعيا والحالة هذه: ان تكون له ثمة مشكلات ثانوية مستعصية، وكان طبيعيا ايضا ان تتفرع عن هذه المشكلات تناقضات جانبية حادة ومتعددة !

وان اية محاولات جادة لتصحيح هذه المشكلات بصرف النظر عن

المشكلة الاساس بين مثله في مفهومها لديه ، وواقع حياته في منظورها عنده
انما هي محاولات مفتعلة هي الاخرى او منفعة حتما . . . كما كانت مشكلاته
الرئيسية كذلك .

- ٣ -

ان عملية تصحيح مشكلات انساننا المسلم المعاصر ، في الزمن الماثل ،
امر يقع ضمن مسؤولية المجتمع الاسلامي ككل وبكافة افراده وفصائله ،
ومؤسساته . وهي مسؤولية حضارية ، وتاريخية ذات طابع شرعي يحتمه
واجب حماية الاسلام من واجهات الجاهلية « المعلمنة » التي اجهزت على
القليل الباقي من آثار التدين لدى انسان الحياة العصرية اليوم .

وبقدر ما يتوجه التصحيح الى واقع التدين الظاهر لدى انساننا اليوم ،
وربطه بحقائق الدين واصوله ، وكشف شبهات الكفار المستعمرين والعملاء
المموهين افرادا ومؤسسات وارتالا . الذين عملوا الكثير الكثير في سبيل
ابعاد الشقة بين الحياة الموجبة ، المتحركة ، وبين واقع حياة انساننا العملية
وتقدم وسائلها في مظاهر حياته النامية ، وتعتقد مطالبيها .

بقدر ما يتوجه التصحيح الى ذلك . . . نستطيع ان نهض بانساننا
المسلم المعاصر ونأخذ بيده الى حيث موضعه الاساس كخليفة لله في ارضه
مريد ، واع ، انشأ الله في الارض ، واستعمره فيها ، ووضع بين يديه
مفاتيح الارض وكنوز الجبال . . . في عملية تسخير طبيعي دعي الانسان
فيها ان يعمل رايه وفكره وارادته وتصميمه .

بقدر ما يوفق المصلحون والمبلغون الى ذلك . . . يزداد وعي جماعة
الناس ويطرّد دورهم الحضاري في اعادة الثقة لانساننا المسلم المعاصر :
في « نفسه » ؛ حيث يتخذ ذلك صورة « ادراك واع » لايمانه بمبادئه
وارتباطها العملي بحياته ومشاكله وآماله ومطامحه .

وفي « اسلامه » حيث يتخذ ذلك صورة « مراجعة واعية » لكثير من
مفاهيم الزهد والرهينة والتصوف وتطليق الدنيا ، وبفض الامارة وطلبها ،
واقرار معاملات الربا والتنازل للجاهليين والجاهليين في كثير من امور

الحياة بدواعي « العصرية » و « الواقعية » والعيش في « الوسط الاجتماعي » وما إليها !

وفي « نصر الله » حيث يتخذ ذلك صوراً عديدة ، جماعها ، الانطلاق نحو العمل والتوفر على أسبابه ، لأن نصر الله لا يتأتى للناس إلا وهم أهل له ، ومالكون لأدواته ، وعتاده .

- ٤ -

ان نتجاوز اغفاء الكلمات وسحر البيان ، وافيون الخطاب ، وان نباشر - جماعات ووجدانا - لغة العمل ولغة العمل فقط . . . فالحقيقة الحضارية لا تولد من فهم الكلمات انما تولد من فهم صانع التاريخ ومهندس الحياة .

لقد صنع الجيل الاول من المسلمين بقيادة رسول الله (ص) حياة حضارية شعارها « حمل العلم للعمل » و« ثارها » التقوى « واداتها » التواصي بالحق والتواصي بالصبر « طأطا التاريخ حتى اليوم رأسه اجلالاً واعظاماً لها في فترة ربما كانت من احلك فترات التاريخ العالمي ، وفي قوم هم يقيناً من اصعب ما يمكن معهم ترويض نفوسهم على اتلاف عادات وتقاليد وجدوا عليها آباءهم من قبل ، والاتلاف مع عادات وتقاليد ارادها الاسلام ان تحتل مكاناً واسعاً من حياتهم لا تتسع الا له .

لقد صنعوا كل ذلك بالوعي والصبر والمعاناة والفداء ، والاتجاه كلية نحو الله ، على انهم كانوا اكثر منا معرفة في صناعة الالفاظ ، واطول باعاً في صرفها وتصريفها مما كان لهم فضل تأسيس سائسه ، وتقعيد معتقده ؛ و اظهار نشاطه ، وتبيان مبينه . . . لكن كل ذلك ما كان عندهم غطاء عن العمل ، وتعلّة للتقصير وذريعة لسد القصور . . . بل كان كل ذلك يجري على خط مواكب للعمل ومرتبطة به دعوتياً وانشائياً . . .

لقد فهموا الصبر موقفاً ايجابياً متحركاً في مواجهة الصعاب « نعنى نفس الانسان كانت ام اعداء خارجيون » لا موقفاً جباناً ، هارباً من الحياة ، كما يفهمه مسلمو العصر المائل .

ان اول ما ينبغي على المصلحين ان يتناولوه بالتغيير هو هذا المفهوم

الناس للصبر الذي كانت من نتائج الوخيمة ليس موقف « الجمود »
و « التخلف » في مجتمعات المسلمين فحسب ؛ بل واقع الجوع وسوء التوزيع
الاقتصادي ونقص الموارد واكل الصبر وحتى اكل ما هو دون ذلك احيانا ؛
علينا جميعاً ان نفهم الصبر فهماً جديداً ٠٠٠ انه عين الموقف الايجابي
في الاستعداد والتهيئة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

- ٥ -

وليس ادلّ على هذا الموقف المعطي ، الثر ، ذي النزعة الايجابية ، انه
سبحانه أعلن في بيان واضح :

« ان الانسان لفي خسر »

ترى اي انسان ! انه الانسان الذي لا يجهل قضية يبايع من اجلها ،
ويعقد ولاه لها ، ولا تستحوذ تفكيره ، اهداف « غائية » يعيش لها ويتطلع
لسيادتها ٠٠٠ انما هو انسان ضائع ، كريشة في مهب الريح لا يقوى على
شيء ويقوى كل شيء على هداه وتحطيمه ! انسان كتب الله عليه
انه « في خسر »

لكنه سبحانه استثنى من هؤلاء اولئك الذين ما هي هويتهم ؟!

انهم « يعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر » .
وهكذا نرسم الآية اربعة شروط ينبغي ان يتدبرها انسان الفكرة من
اجل ان يتجاوز ببصره الموقف السلبي ، الخانع هي :

١ - الايمان ٢ - العمل ٣ - التواصي بالحق ٤ - التواصي بالصبر

والتعبير بالتواصي في مفهوم هذه الآية يعطي للصبر قيمة اجتماعية
ومعطى تغييرياً ويتكرر هذا الاسلوب القرآني في أكثر من موضع !

فمرة يخاطب القرآن الكريم « الامة » ككيان اعتباري اي كشعب منظم
يتمتع بالشخصية القانونية على حد تعبير العلامة « ديجي » الفقيه الدستوري
الوطني :

« واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله »

فهو هنا يعزز فيهم جوانب من الصبر والمصابرة والمراقبة والتقوى
وهي جوانب ايجابية لها آثارها العملية على حركة الأمة وبناء نهضتها .

ومرة اخرى يدعو الجماعة المؤمنة ان تتسلح (بالصبر والصلاة) في
مواجهة تحديات واقعها الداخلي (النفسي والسلوكي) في قوله سبحانه :

« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين »

ولعل خير ما يظهر لنا الجانب الايجابي من الصبر ، حين نتجه الى
الآية الكريمة لنسمع قوله تعالى :

« وكأي من نبي قاتل ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم ، وما
ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » .

فان هذه الآية الكريمة لا تدع مجالاً للشك من ان الصبر هنا ليس
هو مقابلة مصائب الأمة بالسكون والعويل والا حركة انما هو في التحرك
المضاد لمواجهتها ، أو ليس الصبر هنا الا الثبات على القتال والمضي في التسليح
بالقوة ! ويظهر هذا جيداً حين نعي بعمق معنى « قاتل » و « ما وهنوا »
و « ما استكانوا » وغيرها في مفهوم الآية ثم هم مع هذا « صابرين » اي
صامدين ، روضوا انفسهم على الصبر وتحمل المشاق والتعب والنصب
والمخصة . . كل ذلك في سبيل الله وفي سبيله وحده .

اذا استطعنا ان نفهم هذا بهذا ، واذا وفقنا الى الوصول الى اسبابه
كله استكملنا شروط النصر على اعدائنا في كافة المواقف وعلى مختلف
الاصعدة والجهات .

في « وجودنا » حيث نواجه ردات حضارية معتلة باساطين الكفار
وحراب المستعمرين والغامهم !

وفي « ارضنا » حيث تكشف كل يوم نوايا الصليبين وحلفائهم من
الاسرائيليين الغزاة المعتدين .

اخذ الله بناصرنا ، وتقبل عملنا خالصاً لوجهه « وكان حقاً علينا
نصر المؤمنين » .

التفسير والمفسرون

محمد باقر الحكيم

استاذ مساعد في علوم القرآن

١ - التفسير بمعناه اللغوي :

التفسير في اللغة البيان والكشف^(١) في القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى : (ولا تأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً)^(٢) . فتفسير الكلام - اي كلام - معناه الكشف عن مدلوله وبيان المعنى الذي يشير اليه اللفظ .

وعلى هذا الاساس يمكن ان نطرح السؤال التالي : هل ان بيان المعنى الظاهر من اللفظ الذي يتبادر منه يعتبر تفسيراً بحيث يصدق عليه لفظ التفسير بمعناه اللغوي اولا ؟ فهناك اتجاه يقول : ان الكشف والبيان الذي اخذناه في معنى التفسير يستبطن افتراض وجود درجة من الخفاء والغموض في المعنى ليكشف ويزال الغموض عنه بعملية التفسير فلا يصدق التفسير حينئذ الا في حالة الغموض والخفاء . فمن يسمع كلاماً له معنى ظاهر يتبادر من ذلك الكلام فيعلن عن ذلك المعنى لا يكون مفسراً للكلام . لانه لم يكشف عن شيء خفي . وانما يصدق التفسير على الجهد الذي يبذله الشخص في سبيل اكتشاف معنى الكلام المكتشف بشيء من الغموض والخفاء . وتعبير آخر ان من اظهر معنى اللفظ يكون قد فسرّه واما حيث يكون المعنى ظاهراً ومتبادراً بطبيعته فلا اظهار ولا تفسير .

(١) لسان العرب : مادة (فسر) .

(٢) الفرقان : ٣٣ .

وسيرا مع هذا الاتجاه لا يكون من التفسير الا اظهار احد محتملات اللفظ واثبات انه هو المعنى المراد • أو اظهار المعنى الخفي غير المتبادر واثبات انه هو المعنى المراد بدلا عن المعنى الظاهر المتبادر • واما ذكر المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ فلا يكون تفسيراً •

وهذا الاتجاه يمثل الرأي السائد لدى الاصوليين • ولكن الصحيح هو ان ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيراً ايضاً واطهاراً لامر حقيقي كما انه في بعض الحالات الاخرى قد لا يكون تفسيراً لانه يفقد عنصر الخفاء والغموض فلا يكون اظهاراً لامر خفي أو ازالة لغموض •

ومن اجل التعرف على موارد الظهور التي ينطبق عليها (التفسير) والموارد التي لا ينطبق عليها معنى (التفسير) نقسم الظهور الى قسمين :

احدهما - الظهور البسيط : وهو الظهور الواحد المستقل المنفصل عن سائر الظواهر الاخرى •

والآخر - الظهور المعقد : وهو الظهور المتكون نتيجة لمجموعة من الظواهر المتفاعلة •

ولاجل توضيح هذا التقسيم نضرب مثالا لذلك بان يقول شخص لولده : اذهب الى البحر في كل يوم • او يقول له : اذهب الى البحر في كل يوم واستمع الى كلامه • فالنسبة الى القول الاول نعتبر الظهور ظهوراً بسيطاً اذ لا يوجد في الكلام الا صورة واحدة تتبادر الى الذهن وهي : صورة بحر من الماء يطلب الاب من ولده ان يذهب اليه في كل يوم • واما النسبة الى القول الثاني فالظهور معقد لانه مزدوج فهناك نفس الظهور السابق ، اذ يتبادر الى الذهن من كلمة البحر : البحر من الماء يذهب اليه الولد في كل يوم • ويقابله ظهور آخر وهو ظهور الاستماع الى كلام البحر • اذ يتبادر الى الذهن من ذلك : ان البحر ليس بحراً من ماء بل هو

بحر من العلم ، لان بحر الماء لا يستمع الى كلامه لانه ليس له كلام وانما يستمع الى صوت امواجه .

وهكذا نواجه في هذه الحالة ظهورين بسيطين متعارضين • وحين نلاحظ الكلام بصورة كاملة متفاعلة يجب ان ندرس نتيجة التفاعل بين ذينك الظهورين وما ينجم عنهما من ظهور بعد تصفية التناقضات الداخلية بينهما • وهذا الظهور الناجم عن ذلك نسميه : بالظهور المعقد أو المركب •

واذا ميزنا بين الظهور البسيط والظهور المعقد أمكننا ان نعرف ان ابراز الظهور المعقد وتحديد معنى الكلام على اساسه يعتبر تفسيراً • لان تعقيد تركيبه يجعل فيه درجة من الخفاء والغموض جديرة بالكشف والابانة فيصدق عليه اسم : (التفسير) واما الظهور البسيط ففي الغالب لا يعتبر ابراز معنى الكلام على اساسه تفسيراً لان المعنى ظاهر لطبيعته فلا يحتاج الى اظهار • والنتيجة ان في صدق التفسير على بيان المعنى في موارد الظهور اتجاهين :

احدهما القائل : لعدم صدقه مطلقا سواء كان الظهور بسيطا ام معقدا • والآخر - وهو الاتجاه الصحيح - القائل : بان التفسير ليصدق على بيان المعنى في موارد الظهور المعقد دون بعض موارد الظهور البسيط •

٢ - التفسير معنى اضافي او موضوعي ؟

وعلى ضوء الاتجاه الصحيح نعرف : ان التفسير معنى (اضافي) لان التفسير بيان المعنى وايضاحه حتى في مورد ظهور اللفظ • والمعنى الواحد قد يكون بحاجة الى البيان والكشف لضافته الى شخص دون شخص آخر فيكون بيانه بالاضافة الى من يحتاج البيان تفسيراً دون الشخص الآخر • واما اذا اخذنا بالاتجاه الآخر الذي يرى : ان التفسير لا يشمل موارد حمل اللفظ على معناه الظاهر مهما كان الظهور معقداً ، وان التقسيم مختص

يحمل اللفظ على ما لا يكون ظاهرا من اللفظ فبالامكان ان تصور للتفسير معنى (موضوعيا) لا يختلف باختلاف الافراد لاننا نلاحظ عندئذ اللفظة نفسها فان كان المعنى الذي يذكر للفظ هو المعنى الذي يقتضيه الاستعمال اللغوي بطبيعته فلا يكون ذلك تفسيرا حتى اذا كان محاطا بشيء من الخفاء والغموض بالنسبة الى بعض الاشخاص . وان كان المعنى معنى آخر لا يقتضيه الاستعمال اللغوي بطبيعته وانما عيناه بدليل خارجي فهو (تفسير) .

٣ - تفسير اللفظ وتفسير المعنى :

والتفسير على قسمين باعتبار الشيء المفسر (١) تفسير اللفظ (٢) تفسير المعنى . وتفسير اللفظ عبارة عن « بيان معناه لغة » . واما تفسير المعنى فهو تحديد مصداقه الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى .

فحين نسمع شخصا يقول : ان دول الاستعمار الكافر تملك اسلحة ضخمة . تارة : تسأل : ما هو معنى الاسلحة ؟ ، ونجيب عن هذا السؤال : ان الاسلحة هي الاشياء التي يستعين بها صاحبها في قهر عدوه . واخرى تسأل : ما هي نوعية السلاح الذي تملكه تلك الدول ؟ ونجيب : ان سلاحها القنابل الذرية .

ففي المرة الاولى فسرنا اللفظ اذ ذكرنا معناه لغة . وفي المرة الثانية فسرنا المعنى اذ حددنا المصداق الذي ينطبق عليه معنى الجملة ويشير اليه . فنسمي المرحلة الاولى بمرحلة (تفسير اللفظ) او التفسير اللغوي ، وهي مرحلة تحديد المفاهيم . وتسمى المرحلة الثانية : مرحلة (تفسير المعنى) وهي مرحلة تجسيد تلك المفاهيم في صور معينة محددة .

وامثلة ذلك من القرآن الكريم كثيرة فنحن نلاحظ في القرآن ان الله سبحانه يوصف بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ، ونواجه بالنسبة الى هذه الكلمات بحثين :

احدها : البحث عن مفاهيم هذه الكلمات من الناحية اللغوية والآخر
البحث عن تعيين مصداق تلك المفاهيم بالنسبة الى الله تعالى ، فكيف يسمع
سبحانه ؟ وهل يسمع بجارحة اولا وكيف يعلم ؟ وهل يعلم بصورة زائدة •
والاول : يمثل التفسير اللفظي للآية أو تفسير اللفظ والثاني يمثل
التفسير المعنوي أو تفسير المعنى •

ومن امثلة ذلك ايضا قوله تعالى : (وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه)^(١) وقوله : (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد)^(٢) وقوله :
(وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكنناه في الارض)^(٣) فنحن نجد هذه الآيات
تحدث عن اشياء قد انزلت من قبيل : الكتاب والحديد ، والماء وتفسير
اللفظ يعنى بصدد هذه الآيات ان نشرح معنى (النزول) لغة ونحدد مفهوم
كلمة انزلنا الواردة في الآيات الثلاث ونعرف انها تستبطن معنى (الهبوط
من جهة عالية مرتفعة وتفسير المعنى هو ان ندرس حقيقة هذا الانزال ونوع
تلك (الجهة العالية) التي هبط منها الكتاب والحديد والماء ، وهل هي جهة
مادية أو معنوية ؟

اهمية التمييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى :

والتمييز بين تفسير اللفظ على صعيد المفاهيم ، وتفسير المعنى بتجسيده
في صورة محددة على صعيد المصدايق ... يعتبر نقطة جوهرية جدا في تفسير
القرآن الكريم • واداة لحل التناقض الظاهري الذي يبدو بين حقيقتين
قرآنتين وهما :

الحقيقة الاولى : ان القرآن كتاب هداية للبشرية انزله الله سبحانه
لاخراجها من الظلمات الى النور وارشادها الى طريقة الافضل في جوانب

(١) الانعام : ٩٢ •

(٢) الحديد : ٢٧ •

(٣) المؤمنون : ١٨ •

حياتها • وقد وصف نفسه بأنه (هدى للناس)^(١) و (نور مبین)^(٢) و (تيانا لكل شيء)^(٣) • وهذه الحقيقة تفرض ان يجي القرآن ميسر الفهم وان يتاح للانسان استخراج معانيه منه ، اذ لا يحتاج للقرآن ان يحقق اهدافه ويؤدي رسالته لو لم يكن مفهوما من قبل الناس •

والحقيقة الاخرى : ان كثيرا من المواضيع التي يستعرض القرآن أو يشير اليها لا يمكن فهمها بسهولة بل قد تستعصي على الذهن البشري ويتيه في مجال التفكير فيها لدقتها وابتعادها عن مجالات الحس والحياة الاعتيادية التي يعيشها الانسان • وذلك نظير ، ما يتعلق من القرآن بالموح ، والقلم ، والعرش ، والموازين ، والملك ، والشيطان ، وانزال الحديد ، ورجوع البشرية الى الله ، والخزائن ، وملكوت السماء والارض • • وما الى ذلك من مواضيع •

اذن فحقيقة اهداف القرآن الكريم ورسالته تفرض ان يكون ميسر الفهم وواقع بعض مواضيعه يستعصي على الفهم ويتيه فيها الذهن البشري • وحل التناقض الظاهري بين هاتين الحقيقتين انما يكون بالتمييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى ، لان الحقيقة الاولى وحقيقة اهداف القرآن ورسالته انما تفرض ان يكون القرآن ميسر الفهم بوصفه كلاما دالاً على معنى اي بحسب تفسير اللفظ • وهو بهذا الوصف ميسر الفهم سهل على الناس استخراج معانيه • وانما الصعوبة في تحديد الصور الواقعية لمعانيه ومفاهيمه •

فكل الآيات التي استعرضت تلك المواضيع التي اشرنا اليها في الحقيقة

(١) البقرة : ١٨٥ •

(٢) المائدة : ١٥ •

(٣) النحل : ٨٩ •

الثانية تعتبر مفهومة من ناحية لغوية ، ولا صعوبة في التفسير اللفظي لها ،
وانما الصعوبة تكمن في تفسير معنى اللفظ لا تفسير اللفظ نفسه ، لأن تلك
الموضوعات ترتبط بعوالم ارقى من عالم الحس الذي يعيشه الانسان .
فيكون من الطبيعي ان يواجه الانسان صعوبات كبيرة اذا حاول تحديد المعنى
في مصداق معين ، وتجسيد المفهوم في ذهن ضمن واقع خاص .

وقد يتساءل هنا عن الضرورة التي دعت القرآن الكريم الى ان يتعرض
لمثل هذه المعاني التي يستعصي تفسيرها على الذهن البشري ، فيخلق بذلك
صعوبات ومشاكل هو في غنى عنها .

ولكن الواقع ان القرآن الكريم لم يكن بإمكانه ان يتفادى هذه
الصعوبات والمشاكل ، لان القرآن بوصفه كتاب دين يستهدف بصورة رئيسية
ربط البشرية بعالم الغيب ، وتنمية غريزة الايمان بالغيب فيها . ولا يتحقق
ذلك الا عن طريق تلك المواضع التي تنبه الانسان الى صلته بعالم أكبر من
العالم المنظور ، وان كان غير قادر على الاحاطة بجميع اسراره وخصائصه .

التفسير بوصفه علما :

واما التفسير بوصفه علما فهو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم بوصفه
كلاما لله تعالى^(١) . وتوضح ذلك : ان القرآن الكريم له عدة اعتبارات :
فهو تارة يلحظ بوصفه حروفا كتابية ترسم على الورق واخرى يلحظ بوصفه
اصواتا نقرأها ونردددها بلساننا وثالثة يلحظ باعتباره كلاما لله تعالى .

والقرآن الملحوظ باي واحد من هذه الاعتبارات يقع موضوعا لعلم
يتكون من بحوث خاصة به . فالقرآن من حيث انه حروف تكتب موضوع

(١) قارن هذا التعريف بما ذكره الزركشي في البرهان ١٣/١ وما
نقله الذهبي عن بعضهم في التفسير والمفسرون ١٥/١ وما ذكره الزرقاني في
مناهل العرفان ٤٨١/١ .

العلم الرسم القرآني الذي يشرح قواعد كتابة النص القرآني • والقرآن من حيث انه يقرأ موضوع لعلم القراءة وعلم التجويد • والقرآن من حيث انه كلام الله يقع موضوعا لعلم التفسير • فعلم التفسير يشتمل على جميع البحوث المتعلقة بالقرآن بوصفه كلام الله • ولا يدخل في نطاقه البحث في طريقة كتابة الحرف ، أو طريقة النطق بصوته ، لان الكتابة والنطق ليسا من صفات نص القرآن بوصفه كلاما لله • اذ ليس كونه كلاما لله دخلا في كيفية كتابته أو قراءته •

وانما يدخل في علم التفسير على ضوء ما ذكرناه له من تعرضه للبحوث الآتية :

اولا - البحث عن مدلول كل لفظ أو جملة في القرآن الكريم ، لان كون هذا المعنى أو ذاك مدلولاً للفظ القرآني من صفات القرآن بوصفه كلاما لله ، وليس من صفات الحروف أو اصواتها بما هي حروف أو اصوات •

ثانيا - البحث عن اعجاز القرآن والكشف عن مناحي الاعجاز المختلفة فيه فان الاعجاز من اوصاف القرآن باعتباره كلاماً دالاً على المراد •

ثالثا - البحث عن أسباب النزول ، لان الآية حين تدرس سبب نزولها نلاحظها بما هي كلام ، اي بما هي لفظ مفيد دال على معنى • لان ما لا يكون كلاما ولا يدل على معنى ، لا يرتبط بحادثة معينة لتكون سببا لنزولها الآية •

رابعا - البحث عن النسخ والمنسوخ والخاص والعام والمقيد والمطلق ، فان كل ذلك يتناول النص القرآني بوصفه كلاماً دالاً على معنى •

خامسا - البحث عن اثر القرآن في التاريخ ودوره العظيم في بناء الانسانية وهدايتها ، فان اثر القرآن ودوره مردهما الى فعالية القرآن بوصفه كلاما لله لا بوصفه مجرد حروف تكتب أو صوت أو اصوات تقرأ •

الى غير ذلك من البحوث التي ترتبط بالقرآن باعتباره كلاما لله تعالى •

ومن خلال تعريف علم التفسير نحدد موضوعه ايضا وهو (القرآن) من حيث كونه كلاما لله تعالى .

وعلى هذا الضوء نعرف ان اطلاق اسم علم (الناسخ والمنسوخ) أو علم (اسباب النزول) أو علم (اعجاز القرآن) : على البحوث المتعلقة بهذه المواضيع ، لا يعني عدم امكان اندراجها جميعا في نطاق علم واحد باسم علم : (التفسير) فهي في الحقيقة جوانب من هذا العلم لوحظ في كل جانب منها تحقيق هدف خاص يتعلق بالبحث في ناحية خاصة من كلام الله ففي علم (اعجاز القرآن) يدرس كلام الله في القرآن مقارنا بالنتاج البشري او بالامكانيات البشرية ، ليدل على انه فوق تلك الامكانيات وهو معنى الاعجاز . وفي علم (اسباب النزول) يدرس كلام الله في القرآن من حيث ارتباطه بالاحداث والوقائع التي لا يست نزوله . وهكذا الامر في سائر الجوانب الاخرى .

التأويل :

والتأويل كلمة اخرى ظهرت الى صف كلمة : (التفسير) في بحوث القرآن عند المفسرين . واعتبرت - من قبلهم - متفقة بصورة جوهرية مع كلمة التفسير في المعنى . فالكلمتان معا تدلان على بيان معنى اللفظ والكشف عنه قال صاحب القاموس : (أول الكلام تأويلا : دبره وقدره وفسره)^(١) .

والمفسرون الذين كادوا ان يتفقوا على التوافق بين الكلمتين بشكل عام - اختلفوا في تحديد مدى التطابق بين الكلمتين .

ونحن هنا نذكر بعض الاتجاهات والمذاهب في ذلك :

١ - الاتجاه العام لدى قدماء المفسرين الذي يميل الى القول بالترادف بينهما . فكل تفسير تأويل ، والعكس صحيح ايضا وعلى هذا فالنسبة

(١) القاموس : مادة (أول) .

بينهما هي التساوي • ولعل منه قول مجاهد : ان العلماء يعلمون تأويله
وقول ابن جرير الطبري في تفسيره (القول في تأويل قوله كذا ...
واختلف اهل التأويل في الآية ...) •

٢ - الاتجاه العام لدى من تأخر عنهم من المفسرين الذي يميل الى القول
بان التفسير يخالف التأويل في بعض الحدود : اما في طبيعة المجال
المفسر والمؤول • أو في نوع الحكم الذي يصدره المفسر والمؤول •
وفي طبيعة الدليل الذي يعتمد عليه التفسير والتأويل • فهنا مذاهب
نذكر منها ثلاثة :

أ - التمييز بين التفسير والتأويل في طبيعة المجال المفسر • ويقوم
هذا المذهب على اساس القول بان التفسير يخالف التأويل
بالعموم والخصوص • فالتأويل يصدق بالنسبة الى كل كلام
له معنى ظاهر فيحمل على غير ذلك المعنى فيكون هذا الحمل
تأويلا • والتفسير اعم منه لانه بيان مدلول اللفظ مطلقا اعم من
ان يكون هذا المدلول على خلاف المعنى الظاهر اولا •

ب - التمييز بين التفسير والتأويل في نوع الحكم ويقوم هذا المذهب
على اساس القول بان التفسير والتأويل متباينان لان التفسير هو :
القطع بان مراد الله كذا • والتأويل : ترجيح احد الاحتمالات
بدون قطع • وهذا يعني ان المفسر احكامه قطعية والمؤول احكامه
ترجيحية •

ج - التمييز بينهما في طبيعة الدليل : ويقوم هذا المذهب على اساس
القول بان التفسير هو : بيان مدلول اللفظ اعتمادا على دليل
شرعي • والتأويل هو بيان اللفظ اعتمادا على دليل عقلي •

موقفنا من هذه الاتجاهات :

والبحث في تعيين مدلول كلمة التأويل والمقارنة بينها وبين كلمة التفسير يتسع في الحقيقة بقبول كل هذه الوجوه حين يكون بحثا اصطلاحيا يستهدف تحديد معنى مصطلحي لكلمة التأويل في علم التفسير • لأن كل تلك المعاني داخلية في نطاق حاجة المفسر فيمكنه ان يصطلح على التعبير عن اي واحد منها بكلمة التأويل لكي يشير الى مجال خاص أو درجة معينة من الدليل • ولا حرج عليه في ذلك • ولكن الخطر يكمن في اتخاذ المعنى المصطلحي معنى وحيدا للمفرد ، وفهم كلمة (التأويل) على اساسه اذا جاءت في (النص الشرعي) •

ونحن اذا لاحظنا كلمة التأويل وموارد استعمالها في القرآن نجد لها معنى آخر لا يتفق مع ذلك المعنى الاصطلاحي الذي يجعلها بمعنى التفسير ولا يميزها عنه الا في الحدود والتفصيلات فلنكتفي نفهم كلمة التأويل يجب ان تناول اضافة الى معناها الاصطلاحي معناها الذي جاءت به في القرآن الكريم •

وقد جاءت كلمة التأويل في سبع سور من القرآن الكريم احداها سورة آل عمران ففيها قوله تعالى : (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)^(١) والآخرى سورة النساء ففيها قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)^(٢) والثالثة سورة الاعراف ففيها قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(١) آل عمران : ٧ •

(٢) النساء : ٥٩ •

هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله بقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق (٣) والرابعة سورة يونس ففيها قوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (٤) والخامسة سورة يوسف جاء فيها قوله (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) (٥) والسادسة والسابعة سورتا الاسراء والكهف اذ جاءت فيها كلمة التأويل على هذا المنوال ايضا .

وبدراسة هذه الآيات نعرف ان كلمة التأويل لم ترد فيها بمعنى التفسير وبيان مدلول اللفظ ولا يبدو امكانية ورودها بهذا المعنى الا في الآية الاولى فقط لان التأويل في الآية الاولى اضيف الى الآيات المتشابهة ولهذا ذهب كثير من مفسري الآية الى القول بان تأويل الآية المتشابهة هو تفسيرها وبيان مدلولها وتدل الآية عندئذ على عدم جواز تفسير الآية المتشابهة وبالتالي على ان قسما من القرآن يستعصى على الفهم ولا يعلمه الا الله والراسخون في العلم واما ما يتاح للانسان الاعتيادي فهمه وتفسيره ومعرفة معناه من القرآن فهو الآيات المحكمة منه فقط . وهذا الموقف الذي وقفه اولئك المفسرون من هذه الآية الكريمة وحملهم لكلمة التأويل على ضرب من التفسير نتيجة لانسياقهم مع المعنى الاصطلاحي لكلمة التأويل ونحن نراءء موقف من هذا القبيل يجب ان نعرف قبل كل شيء أن المعنى الاصطلاحي هل كان موجودا في عصر القرآن ، وهل جاءت كلمة التأويل بهذا المعنى وقتئذ ولا يكفي مجرد انسياق المعنى الاصطلاحي مع سياق الآية لنحصل كلمة التأويل فيها عليه .

وملاحظة ما عدا الاولى من الآيات التي جاءت فيها كلمة التأويل تدل

(٣) الاعراف : ٥٢ .

(٤) يونس : ٣٩ .

(٥) يوسف : ٦ .

على انها كانت تستعمل في القرآن الكريم بمعنى آخر غير التفسير ولا تملك دليلا على انها استعملت بمعنى التفسير في مورد ما من القرآن •

والمعنى الذي يناسب تلك الآيات هو ان يكون المراد بتأويل الشيء ما يؤول اليه ولهذا اضيف التأويل الى الرد الى الله والرسول تارة ، وإلى الكتاب اخرى ، وإلى الرؤيا وإلى الوزن بالقسطاس المستقيم ، وهذا نفسه هو المراد في اكبر الظن من كلمة التأويل في الآية الاولى التي اضيف فيها التأويل الى الآيات المتشابهة في قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فتأويل الآيات المتشابهة ليس بمعنى بيان مدلولها وتفسير معانيها اللغوية بل هو ما تؤول اليه تلك المعاني لان كل معنى عام حين يريد العقل ان يحدده ويجسده ، ويصوره في صورة معينة فهذه الصورة المعينة هي تأويل ذلك المعنى العام •

وعلى هذا الاساس يكون معنى التأويل في الآية الكريمة هو ما اطلقنا عليه اسم تفسير المعنى لان الذين في قلوبهم زيغ كانوا يحاولون ان يحددوا صورة معينة لمفاهيم الآيات المتشابهة اثارة للفتنة لان كثيرا من الآيات المتشابهة تتعلق معانيها بعوالم الغيب فتكون محاولة تحديد تلك المعاني وتجسيدها في صورة ذهنية خاصة عرضة للخطر والفتنة وتستخلص من ذلك امرين احدهما التأويل جاء في القرآن بمعنى ما يؤول اليه الشيء لا بمعنى التفسير وقد استخدم بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ اي على تجسيد المعنى العام في صورة ذهنية معينة • والآخر ان اختصاص الله سبحانه والراسخين في العلم بالعلم بتأويل الآيات المتشابهة لا يعني ان الآيات المتشابهة ليس لها معنى مفهوم وان الله وحده الذي يعلم بمدلول اللفظ وتفسيره بل يعني ان الله وحده الذي يعلم بالواقع الذي تشير اليه تلك المعاني ويستوعب حدوده وكنهه • واما معنى اللفظ في الآية المتشابهة فهو مفهوم بدليل ان القرآن يتحدث عن اتباع مرضى القلوب للآية المتشابهة فلو لم يكن

لها معنى مفهوم لما صدق لفظ (الاتباع) هنا فما دامت الآية المتشابهة يمكن ان تتبع فمن الطبيعي ان يكون لها معنى مفهوم وكيف لا يكون لها معنى مفهوم وهي جزء من القرآن الذي انزل لهداية الناس وتبيان كل شيء .

والواقع ان عدم التمييز بين تفسير اللفظ وتفسير معنى اللفظ هو الذي ادى الى الاعتقاد بان التأويل المخصوص علمه بالله هو تفسير اللفظ وبالتالي الى القول بان قسما من الآيات ليس لها معنى مفهوم لان تأويلها مخصص بالله . ونحن اذا ميزنا بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى نستطيع ان نعرف ان المخصص بالله هو تأويل الآيات المتشابهة بمعنى تفسير معانيها لا تفسير الفاظها .

وهكذا يمكننا في هذا الضوء ان نضيف الى المعاني الاصطلاحية التي مرت بكلمة التأويل معنى آخر هو : تفسير معنى اللفظ والبحث عن استيعاب ما يؤول اليه المفهوم العام ويتجسد به من صورة .

~~~~~

« واعانه عليه قوم آخرون »

قال تعالى في الرد على شبهات الاعداء :-

« وقال الذين كفروا ، ان هذا الا- فك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الاولين كتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا . قل انزله الذي يعلم السر في السماوات والارض انه كان غفورا رحيمًا » .

~~~~~


رُسُسُ الدِّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

السيد محمد السيد علي

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون • الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون • وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين • وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون •

الآية : ٢١ - ٢٥ [البقرة]

في هذه الآيات الكريمة تضمنت دعوة جميع الناس الى دين الله تعالى الحق كما بينت اصوله واسسه • فالاسس للدين الاسلامي هي :-

١ - التوحيد : الله وحده لا شريك له •

٢ - النبوة : محمد (ص) هو الرسول والمبلغ لدين الحق ومعجزته وآيته القرآن .

٣ - المعاد والجزاء في اليوم الآخر : فالجنة لمن اطاعه . والنار لمن عصاه وسنمر بهذه الجوانب ما وسعنا المقام :

اولا - التوحيد : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

نداء الى كافة البشر من ربهم الذي خلقهم وخلق الدين من قبلهم ربهم الذي تفرد بالخلق . فوجب ان يتفرد بالعبادة . حيث دعا الناس الى عبادته وحده مخلصين له بعبادتهم متقربين اليه باعمالهم . ليكونوا صورة مختارة للانسان الذي عرف الله حق معرفته . وقدر فضله فادى حقه . وبهذا الاخلاص والتوحيد يتقون عذابه ويرجون بها بلوغ غاية الكمال .

ولما ذكر الله عباده الذين دعاهم الى توحيدهم وعدم الاشرار به بنعمة الابدان ونعمة المساواة في المواهب مع الذين سبقهم ، عدد نعمه عليهم الموجبة للعبادة والشكر . فجعل منها خلقهم احياء قادرين على العمل والكسب . ثم خلق الارض مستقرا ومهادا لينتفعوا بخيراتها ويستخرجوا معادنها ونباتها .

(الذي جعل لكم الارض فراشا)

الفراش : المهاد أو الوطأ . والمراد من هذه الفقرة : انه سبحانه وتعالى مهد الارض وجعلها للناس صالحة للاقتراش فيها والاقامة عليها والارتفاق بها . فهو القادر وحده على جلائل الفعال . العظيم الذي يستحق العبادة والاجلال . الجدير باعلى مراتب الشكر فقد جعل الارض بقدرته فراشا لاجل منفعة الانسان .

(والسمااء بناء)

والبناء : وضع شىء على آخر بحيث يتكون من ذلك شىء صورة خاصة • فهو كون السمااء بنظام متماسك كنظام البناء وسوى اجرامها على ما نشاهد وأمسكها بسنة الجاذبية حتى لا تقع على الارض ولا يصطدم بعضها ببعض حتى ياتى اليوم الموعود •

والسمااء ذات علاقة وثيقة بحياة الناس في الارض وبسهولة هذه الحياة وهي بحراراتها وجاذبية اجرامها وتناسقها وسائر النسب بين الارض وبينها تسهد لقيام الحياة على الارض وتعين عليها •

وانما قابل بين البناء وبين الفراش لامرئين :

احدهما - ان بنى البيت سماؤه وهو اعلاه •

والثاني - ان سماء البيت قد يكون بناء أو غير بناء فقد يكون من شعر او وبر أو غيره •

قيل : جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها وكانت المقابلة في الارض والسمااء باحكام هذه بالفرض وتلك بالبناء^(١) •

(وأنزل من السمااء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) •

والمقصود بالماء هنا : المطر • • وهذه الفقرة من الآية تذكر القسم الثالث من النعم التي تفضل الله بها على عباده بنعمة الامداد التي تحفظ بها الاجساد البشرية وهي مادة الغذاء التي بها النمو والبقاء • ان هذا الغذاء الذي نحصل عليه من نبات الارض وشجرها فهو من بركاته سبحانه وتعالى لانه هو الذي انزل من السمااء مطرا يسقى به الزرع ويغذى به النبات فيخرج منه ثمر تأكله وتنتفع به •

(١) التبيان : ١٠٠-١٠١/١ •

والماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسية للأحياء في الأرض جميعاً فمنه تنشأ الحياة بكل أشكالها ودرجاتها سواء أبت الزرع مباشرة حين يختلط بالأرض أو كون الأنهار والبحيرات العذبة أو انساح في طبقات الأرض فتألفت منه المياه الجوفية التي تتفجر عيوناً أو تحفر آباراً أو تجذب بالآلات إلى السطح مرة أخرى^(٢) .

(فلا تجعلوا لله أنداداً)

الند : العدل والمثل .. وفسر في بعض المصادر بالشريك وقيل الضد^(٣) .

وروى عن ابن مسعود وغيره من الصحابة أن معنى الآية : لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله^(٤) .

(وأنتم تعلمون)

والكل متفقون ويعلمون أن لا ند لله ولا شريك فهو الذي خلقهم . والذين من قبلهم ويعلمون أنه جعل لهم الأرض فراشاً والسماء بناءً وانزل من السماء ماءً لرزقكم وأنه وحده أنعم بهذه النعم وتفضل بها فلماذا بعد هذا تدعون غير ذلك وما هذه المزاعم وما هذا الشرك المناقض لعلمكم ومعرفتكم ؟

ثانياً - نبوة محمد (ص) ومعجزته الخالدة :

(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) . وفي هذه الآية الكريمة يتركز الحديث على الأساس الثاني للدعوة الإسلامية وهي نبوة محمد (ص) ومعجزته العظيمة فقد احتج سبحانه لنبيه

(٢) في ظلال القرآن : ١/٥٢ .

(٣) التبيان : ١/١٠١ والمنار : ١/١٨٨ ومجمع البيان : ١/٦١ .

(٤) التبيان : ١/١٠٢ .

محمد (ص) على المشركين من العرب والمنافقين وجميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم لانه سبحانه خاطب اقواما عقلاء في الذروة العليا من الفصاحة والمكانة المعلومة من البلاغة وهم فرسان ميدانها وابطال حليتهم فجاءهم بكلام من جنس كلامهم وجعل عجزهم من مثله حجة عليه ودلالة على قولهم • ان هؤلاء المشككين في صحة نبوة محمد (ص) وصحة رسالته الخالدة ومعجزته العظيمة القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي انزل على ذلك الذي يتشرف بالعبودية لله فان كنتم ايها المشركون والمنافقون على اعتقاد انه من كلام بشر فاتوا بسورة من مثله فهو منزل بلسانكم العربي واتم اعلام الفصاحة والبلاغة • وفي قوله (من مثله) وجهان :

الاول - أن الضمير في مثله للقرآن •

الثاني - ان الضمير يعود الى عبدنا وانه بشر أمي •

قال الشيخ الطوسي : الاول اقوى لانه تعالى قال في سورة أخرى (بسورة مثله) ومعلوم ان السورة ليست محمدا (ص) ولا له بنظير^(٥) •

(وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) •

وفي معنى (شهداءكم) اقوال منها قول ابن عباس بانه أراد أعوانكم على ما اتم عليه ان كنتم صادقين^(٦) •

وتقرر هذه الفقرة : ان يطلب المشركون المنافقون المشككون بصحة نبوة محمد ومعجزته ان يدعوا الذين ينصرونهم ويشهدون لهم من رجال البلاغة والفصاحة ليستعينوا بهم على أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ان كان ذلك ممكن للالسان بقدرته البشرية ان كنتم صادقين بدعواكم •

(٥) التبيان : ١/١٠٤ والمنار : ١/١٩٢ •

(٦) التبيان : ١/١٠٤ •

ان هذا التحدي من الله العلي القدير سيبقى قائما الى اليوم الموعود
وما يزال القرآن يتميز عن كل كلام يقوله البشر تميزا واضحا قاطعا وسيظل
كذلك أبدا وسيظل كذلك تصديقا لقوله تعالى :

(فان لم تفعلوا ولن تفعلوا)

واذا كان هذا الايمان ليس في مقدوركم ولم تأتوا بسورة من مثله
لقصوركم وعجزكم وان تظاهروا انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وظهر
عجزكم وعجز الخلق عنه وعلمتم انه ليس من كلام البشر وقطعا لن تتمكنوا
من الايمان بمثله وان (لن) تنفي على التأيد في المستقبل •

(فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة)

انها الصورة المفرعة التي تصورها الآية لحال جهنم التي يوقد فيها
الناس وكل انواع الحجارة انها النار التي تحرق الناس والحجارة تلك
التي (اعدت للكافرين) •

اولئك الذين لا يستجيبون لدعوة النبي محمد (ص) ولا يؤمنون
بالقرآن الكريم وينحرفون عن أصول الاسلام بعد الاخذ بها ويموتون على
الكفر بعد التمسك بها •

ثالثا - المعاد والجزاء في اليوم الآخر :

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) •

الذين آمنوا بالله وبالنبي وبما جاء به وبالبعث والجزاء وان في اليوم
الموعود حساب على اعمال الانسان ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا يتحقق
الايمان الا باطمئنان القلب وقيام البرهان الذي لا يقبل الشك والارتياب
وافضل البراهين ما أرشد اليه القرآن هؤلاء الذين توفقوا للعمل الصالح
بشرهم بالنعيم الدائم والخير الواسع •

اما الاعمال الصالحة فقد عرفها الكتاب في كثير من آياته الشريفة

منها قوله تعالى : (قد افلح المؤمنون : الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على ازواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاوئلك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) سورة المؤمنون : ١ - ١١ •

(ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار)

بشر سبحانه وتعالى المؤمنين بالبعث والجزاء بدار الخلود في الحياة الاخرى التي اعدّها الله للمتقين من عباده تلك هي الجنة •
(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل وآتوا به متشابها) •

قال الحجة البلاغي : ان مراد الآية ان هؤلاء المتتبعين بالجنة كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا رأوا ذلك من جنس ثمار الدنيا فقالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا والحكمة في كون ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا هو ان ذلك ادعى للرجعة الى نعيم الجنة واحسن وقعا في البشري فان النفوس تهش الى مألوفاتها • ولو ذكر للناس ما لم يروا له نموذجاً في الدنيا لما رغبوا فيه رغبتهم فيما يعرفونه وأتوا برزق الجنة متشابها فيما بينه في الحسن والجودة لم يختلط مع جیده ردى^(٧) • ثم (ولهم فيها ازواج مطهرة) •

ومع ما تقدم للمؤمنين في الجنة ازواج طهرهن الله غاية التطهير فليس فيهن ما يعيب عليه من خبث جسدي مما عليه النساء في الدنيا كالحيض والنفاس أو نفس كالكيّد والمكر وسائر مساوي الاخلاق •

(٧) تفسير المراغي : ١/٦٧ •

(وصحبة الأزواج في الآخرة من الأمور الغيبية التي تؤمن بها كما
أخبر الله ولا نبحث فيما وراء ذلك فاطوار الآخرة أعلى ما في حياتنا الدنيا
فهي سالمة من المنغصات في الطعام والشراب والمباشرة الزوجية)^(٨) .
وهم فيها خالدون .

الخلود : المكث الطويل وفي الشرع الدوام الأبدي^(٩) .
قال شيخنا الطوسي : أي دائمون يبقون بقاء الله لا انقطاع لذلك
ولا نفاد .

~~~~~

# مدارس الأئمة الجواد<sup>عليه السلام</sup> "ع"

ابتدائية - متوسطة - ثانوية

تربية اسلامية هادفة .. تنشئة صالحة

نجاح أكيد .. تحت اشراف اداريين ومربين اكفاء

( القبول محدود )

~~~~~

(٨) تفاسير : المراغي : ١/٦٧ ، المنار : ١/٢٣٤ ، الاية الرحمن :
١/٧٨ .

(٩) البيان : ١/١١٠ .

البحث العلمي والدراسات العليا

الدكتور أحمد حسن الرحيم

كلية الآداب - بغداد

يرجع البحث في بدايته الى زمن سحيق من تاريخ التمدن الانساني ،
فالتمدن لم يبدأ الا حينما نما عقل الانسان وظهر تفريقه بين مزايا الاشياء
وتفكيره بتحسين حالته وذلك بشجب الاخطار وحسن انتفاعه بالاشياء . فقد
هداه تفكيره البسيط الى اتخاذ وسائل للدفاع عن نفسه ووسائل للصيد
واخرى لحماية نفسه من العوارض الطبيعية كالبرد والامطار . وكانت هذه
بداية اعمال الفكر في بناء الحضارة وقد ظهرت في مدنات العالم القديم اعمال
لا يمكن ان تعزى في انجازها الا الى البحث الرصين وايجاد الاسس العلمية
منها الاهرام في مصر والمراصد والجنائن المعلقة في بابل ولا يكر ان استعمال
الاسلوب العلمي في البحث قدما كان مشوبا بالخرافة والاسطورة ولكن هذا
لم يمنع من تشييد الحضارات الانسانية وان عرقل مسيرتها وثبط عزيمتها
احيانا . على ان استعمال الاسلوب العلمي أخذ في الاتساع في بعض اقطار
العالم منذ اواخر القرن الخامس عشر الميلادي واصبح وسيلة معتمدة من
اكتشاف الحقائق والبرهنة على الخطأ والصواب والنافع والضار في اعمال
الانسان . وعلى مر السنين وتطور الحضارة اصبح وسيلة ثقة يلجأ اليها كلما
اعترضت سبيل المدنية ازعاجات ومصاعب كالمجاعات والفيضانات والابوثة
وغيرها فهذه كلها مشكلات تتوصل الى مقاومتها والتغلب عليها باستعمال
اسس البحث والاسلوب العلمي في حل المشكلات . على أن استعمال البحث
في اغراض حربية وتجارية وسياسية واجتماعية قد اتسع كثيرا وانتشر في
انحاء العالم بصورة قوية منذ الحرب العالمية الاولى ولا يزال آخذا بالعمق
والاتساع بصورة مستمرة .

دوافع البحث

١ - الدافع الفطري :

ينزع الانسان بطبيعته الى اكتشاف المجهول ومعرفة الغامض وهو بهذا الدافع الفطري يكشف حجب الطبيعة ويتعرف على اسرارها فيشبع رغبته في التعلم ويزيل مخاوفه مما يحيط به من الظواهر ، فمئذ عرف الانسان أسباب حدوث الرعد والبرق ونزول المطر زالت مخاوفه من هذه الظواهر ، واصبح على علم بمسبباتها بل أخذ يعتمد الى احداث المطر اصطناعيا لمنافعه الخاصة . وعلماء النفس يسمون هذا الدافع الفطري في طلب التعلم والاستزادة من المعرفة « بغريزة حب الاستطلاع » واليها يعزى قسط كبير من نشوء الحضارة الانسانية ومن امثله انا ترى الاطفال منذ سن مبكرة يكثرون الاسئلة عن كل شيء ، ويقومون باعمال كثيرة بعضها يعرضهم للخطر هي بمثابة تجارب مختلفة للتعلم واكتساب الخبرة .

ولعل من اعمال الانسان في طلب المعرفة النظرية البحتة دراسة عمر الارض والكواكب ومعرفة درجة الحرارة في نجم بعيد وغير ذلك من المعرفة التي قد لا يستفيد منها الانسان عمليا ولكنها تروى ظمأ الى التعلم والوقوف على قوانين الطبيعة .

٢ - الدافع العملي :

يطلب الانسان البحث لانه الوسيلة الوحيدة في السيطرة على المحيط . فلو لم يقم الانسان بالبحوث في ميادين الزراعة والعمارة والنسيج والميكانيك وغيرها لما ازدهرت الحضارة ولعاش الانسان عيشة حيوانية طيلة حياته ، ولكننا نطلب القيام بالبحوث ونبدل لها الجهود الواسعة والاموال الوفيرة لانها في حقيقتها جسرها الى حياة أفضل ومعيشة أرغد ومستوى اعلى من السعادة والتمتع بمباهج الطبيعة وذلك باستخدام طاقاتها ومصادرها الميسورة لدينا .

٣ - الدافع الاقتصادي :

يقوم بعض الافراد ببحوث مختلفة في حقول مختلفة وذلك لتتفع بها جهات معينة مقابل اجور عالية ينالها الباحث مقابل ما بذل من جهد فكري وبدني من ذلك الباحثون في التغذية يتوصلون الى تركيبات خاصة في تغذية الحيوانات والطيور يسعونها لشركات تربية الدواجن ومنها ايضا الباحثون في الميكانيك يعملون دائما على تحسين مكائن الطائرات والسيارات والبواخر وغيرها وتصبح اختراعاتهم ذات ملكية شخصية ولا يتازلون عنها الا مقابل ائمان باهظة ينالها اصحاب البحوث او شركاتها * ولا يقتصر هذا على جهود الافراد الباحثين بل ان بعض الدول تتفع كثيرا بما تقوم به من بحوث لدول اخرى فتال على ذلك اجورا عالية^(١) .

انواع البحوث

تقسم البحوث الى نوعين اساسيين من حيث طبيعتها :

١ - النوع الاساسي او الاصلي :

ويقصد به البحوث التي تجرى لاكتشاف قوانين الطبيعة وادراك اسرارها من هذه مثلا البحوث الكيميائية التي تتعرف بها على خواص المواد وكيفية تفاعلها ومنها ايضا قوانين الفيزياء والرياضيات ومعرفة حياة الحيوانات البرية والبحرية والوقوف على طرق واساليب معيشتها وتكاثرها وامراضها وغير ذلك من الاكتشافات التي هي زيادة المجهول واطهار الخفايا * فهي تزيد من فهمنا للعالم لاجابتها عن اسئلة تثير تساؤلنا على الدوام مثل كيف تحصل الفصول الاربعة ؟ لماذا تكسف الشمس ؟ كيف يجرى الدم في

(١) ذكرت مجلة العربي الكويتية في عدد نيسان ١٩٧١ في عرض لكتاب « التعليم العالي في اسرائيل » ان من موارد اسرائيل ما تناله اجورا على ما تقوم به من بحوث لبعض الدول .

البدن ؟ كيف تطير الطيور في الفضاء ؟ ... الخ .

٢ - البحوث التطبيقية :

وهي البحوث التي يعتمد فيها الى استغلال قوانين الطبيعة التي اكتشفها البحوث الأساسية في اوجه ومجالات عملية تتقدم بها الحضارة وتزدهر بها حياة الانسان فعندما اكتشف العلم ان الموجة الصوتية لا تنتقل الى مسافة بعيدة الا اذا حملت على موجة كهربائية امكن استعمال ذلك في الراديو والتلفزيون وصار تطبيقه وسيلة مهمة من وسائل الانتفاع العملي بهذه الحقيقة الطبيعية ، وكذلك عندما درست خواص المغناطيس انتفع منها كثيرا في عديد من الاجهزة منها الاشرطة الصوتية ومولدات الكهرباء .

ومن تركيب معلومات وقوانين رياضية واخرى كهربائية امكن اختراع الآلات الحاسبة والآلات المفكرة الكمبيوتر . وعندما وجدت عجيبة النايلون وهي من اللدائن غير العضوية لانها تصنع من الفحم والماء والهواء فكر العلماء في ما يمكن ان يستفاد منها في مجالات الحياة فاهتدوا الى صنع اشياء كثيرة منها الملابس والاواني ولعب الاطفال وفرش الاسنان وغير ذلك . وفي هذا الصدد فهو استغلال الحقائق العلمية لاغراض حياتية مثمرة يقول الاستاذ وايت هيد (Whitehead) « فلا تكون الحقيقة مجردة ولكنها مستمرة بإمكاناتها وليست هي عبئا على الذاكرة ولكنها تكتسب حيوية شاعرية احلامنا وهندسة اغراضنا »^(١) .

وليس من المضمون دائما ان يستعمل الانسان معرفته العلمية في صالح البشرية وتطويع الحضارة فقد يستعملها احيانا لوسائل شريرة من ذلك الاستعمال الحربي للديناميت الذي اخترعه الفرد نوبل سنة ١٨٦٤ ومنها

(١) Wtitehead, A.N., The Aims of Education, A mentor Book, 1951. P. 97.

استعمال الجرائم والسموم ومنها الغازات سلاحا لتدمير الاعداء وحيازة
النصر في الحروب •

وكثيرا ما استعمل اللصوص وغيرهم من المجرمين وسائل علمية في
فتح الخزانات واحفاء الجرائم • وهذا يدل على أن تطور الانساني العقلي
قد فاق وتجاوز تطوره النفسي والخلقي فالبحوث التطبيقية توجه للمعرفة
العلمية في استعمالات تختلف في غاياتها حسب ما للأفراد او الجماعات من
اغراض • وقد تقسم البحوث الى انواع اخرى من حيث الاختصاص او
الحقول العلمية فيقال بحث تاريخي أو تربوي أو فيزيائي أو من حيث
وسيلة البحث فيقال بحث تجريبي أو احصائي أو استنباطي الى غير ذلك من
التقسيمات المتعددة وقد ينسب البحث الى الناس الذين يجرى عليهم فقد
يجرى على اطفال او مرهقين أو جنود او نساء وغير هؤلاء من الناس •

الاسلوب العلمي في البحث

الاسلوب العلمي او الطريقة العلمية في البحث هذه التي صارت من
مقاييس حضارة الامم وتقدير تقدمها وقوتها ، بسيطة في منطوقها عسيرة في
تطبيقها فهي لا تعدو ثلاثة مراحل من الفكر والعمل هي :-

١ - تحديد طبيعة المشكلة المبحوثة وهذا يعني عزلها عن المشكلات الاخرى
المشتبكة بها وصلها عن كل ما يحيط بها لكي ينصب عليها البحث
وحدها غير مختلطة بشيء او اشياء اخرى •

فتحديد المشكلة او عزلها خطوة اساسية في كل بحث وقد أكد
عليها الفيلسوف الانكليزي فرانسيس بيكون •

٢ - والخطوة الثانية هي اختيار وسيلة البحث الملائمة لطبيعة المشكلة فقد
تكون طريقة تجريبية أو تحليلية أو استنباطية أو غير ذلك من الطرق
المتوقعة على طبيعة المشكلة فطريقة بحثنا في المشكلات الفلسفية غيرها في

المشكلات الاقتصادية او التاريخية ومثل هذا يقال عن المشكلات او
المعضلات الفيزيائية والكيميائية ، وكلما كانت الطريقة محكمة
لا يترسب الشك الى دقتها وقوتها ازدادت ثقتنا بنتائج البحث
واعتمادنا عليه •

٣ - اما الخطوة الثالثة فهي تفسير النتيجة او استخلاص الفرضية • ودليل
صدقها قدرتها على حل المشكلة التي وضعت من اجلها ، لهذا في
الحقول العملية التجريبية اما في الحقول النظرية فقدرتها على التفسير
السليم والاقناع الصحيح • وتبقى الفرضية على الدوام معددة بالتنفيذ
من فرضية اخرى يقوم بها باحث آخر وباحثون آخرون فتتازعان
البقاء تبعاً لدرجتهما من الصدق والكمال • وقد وضعت فرضيات او
تفسيرات قديمة ففسختها فرضيات جديدة واخرجتها من ميدان العلم
الى ميدان الخرافة • من ذلك اعتقاد الكيميائيين قديماً بمادة سميت
بالفلوجستين فاذا احترقت مادة قيل عنها انها فقدت الفلوجستين وقد
بقي هذا الاعتقاد شائعاً حتى سنة ١٧٧٤ حينما اكتشف العالم الانكليزي
جوزيف بريستلي غاز الاوكسجين وعرفت ضرورة وجوده للحياة
والاحتراق • ولا تزال كثير من الخرافات شائعة في المجتمع تنتظر
ما يقهرها من البحوث العلمية ويكشف زيفها وضررها •

اساس الاسلوب العلمي

الاسلوب العلمي في البحث كما يظهر من خطواته وتمحيصاته نظرية
فلسفية تتضمن الايمان بهذا المبدأ وهو ان الحقيقة تعني كل ما يمكن
البرهنة عليه عملياً • وعلى هذا فكل ما لا يستطيع اثباته عملياً فليس
هو من الحقيقة في شيء وقد طبق هذا المبدأ في كثير من العلوم الانسانية

كالفلسفة والدين فأدى الى تغيير معتقدات كثيرة ومع ان الاسلوب العلمي في البحث نتاج فلسفي أو نظرية فكرية من انتاج التفكير المجرد فقد شمل تطبيقه الحقول الفلسفية والاعتقادية فتسلط على محتوياتها سلطا قاهرا في كثير من الاحيان وقد اكتسبت الطريقة العلمية في البحث احتراماً وهيبة فائقة بين العلماء والباحثين وكثر استعمالها بحق وبغير حق فصار بعض الكتاب يكثرون من استعمال البحث العلمي والاستنتاج العلمي والتحليل العلمي والمنطق العلمي الى غير ذلك من الاسماء والصفات لاحتراز التقدير ولو بصورة مصطنعة ولم يجرؤ احد على انتقاد الاسلوب العلمي الا في وقت متأخر عندما تنبه كثير من الباحثين الى ان استعمال الاسلوب العلمي رائع في المجالات المادية كالكيمياء والفيزياء اي حينما يكون تحليل المادة ممكناً الا ان الاسلوب العلمي ناقص التأثير والنفاذ حينما يستعمل في الحقول الانسانية مثل علم النفس والاجتماع . وقد تشددت احدى مدارس علم النفس وهي المدرسة السلوكية القديمة في استعمال الاسلوب العلمي بصورته الجامدة وطبقته بحذافيره على الاطفال والكبار فتوصلت الى نتائج مثيرة ولكنها عرضته للمناقشة وللانكار احيانا فمن نتائجها انكار الذكاء الفطري والروح والعقل الباطن والغرائز وغيرها . ومن اجل هذا فقد اختلف اسلوب البحث في العلوم الانسانية عنه في العلوم الطبيعية .

مزاي الباحث الشخصية :

يحتاج الباحث بجانب ما يناله من التدريب والممارسة الطويلة التي ترفع من كفاءته ومقدرته الخاصة الى عدة مزايا شخصية لا بد منها لكل باحث قدير وهي :-

١ - الرغبة الشديدة في طلب الحقيقة Curiosity

من الناس من وهب رغبة قوية في تحري الحقائق وتفسير الظواهر والوقوف على اسرار الطبيعة لحب شديد في الاستطلاع فقد ذكرت كتب

التأريخ ان ايراطوستين وهو رياضي يوناني قديم حاول قياس قطر الكرة الارضية سنة ٢٠٠ قبل الميلاد عندما اكتشف مصادفة أن اطول يوم في السنة هو (٢١) الحادي والعشرون من شهر حزيران • وقد توصل الى قياس زاوية من اشعة الشمس عند الظهر في مدينة الاسكندرية واستخدام العلوم الهندسية توصل الى تقدير لقطر الارض هو ٧٨٥٠ ميلا وهو رقم يقل عن الرقم الحقيقي لقطر الارض بحوالي ٥٠ ميلا • ومن الرغبة القديدة في حب الاستطلاع ما بذله رجل الماني صاحب معمل حلويات في ألمانيا على حفريات اثرية في تركيا اراد منها التعرف على حروب طروادة ذات الشهرة الواسعة في الادب والتأريخ • ومنها كذلك ما تحمله جارلس دارون في سفرة بحرية امدها خمس سنوات لكي يجمع بها بقايا حيوانات وبشر في كهوف وجزر نائية ليستدل بها على نظريته في التطور مع انها نظرية ليست بذات نفع مادي لمكتشفها • وفي التأريخ الاسلامي نجد ان اسفار البخارى وبهاء الدين العاملي الطويلة الشاقة في طلب العلم وتحصيل المعرفة مثلان على جانب كبير من الدافع الذاتي •

٢ - التكوين أو الانشاء Creativity

وهي قابلية شخصية يستفيد منها في اوجه عديدة من البحث منها استنباط وسيلة فعالة أو وسائل فعالة لاجراء البحث وكيفية السيطرة على العوامل المتداخلة في عمله لكي يبقى العامل الذي تراد دراسته وحيدا في ميدان البحث عرضة للدراسة والتحليل والتأثير المنفرد فاذا لم يوهب الباحث هذه الصفة الشخصية فان وسائله في البحث قد لا تكشف له ما يريد التعرف عليه من العوامل الخفية • ومن نتاج هذه الصفة ما يصنعه العلماء من الاجهزة المختلفة لاجراء تجاربهم منها الاجهزة الفيزيائية التي تحلل الضوء أو تقيس الطاقة الكهربائية ومنها الاجهزة التي يصنعها علماء النفس لوضع الطفل أو الحيوان في موقف نفسي خاص تراد دراسته ومعرفة التصرف فيه •

٣ - التخيل او التصور Imagination

وهو صفة يحتاج اليها الباحث لانه بها يحدثس العوامل الفعالة ويتكهن بالاسباب المؤثرة من ذلك ما أخذ به فرويد في تصويره لاثر العقد النفسية في سلوك الانسان ومنها كذلك تصور قوة الجاذبية التي قال بها نيوتن ثم اثبتها رياضيا . وللتخيل أو التصور قيمة اخرى للباحث هي تمكنه من وضع القوانين العلمية في استخدامات عملية مفيدة كاستخدام قوة البخار في القاطرات واستعمال الاسمدة الكيماوية لزيادة الحاصلات النباتية .

٤ - المقدرة البيانية

وهي مقدرة لغوية يحتاج اليها الباحث لانه بها يعرض على الآخرين ما قام به من خطوات البحث وبها يعرض نتائجه ويبين للمجتمع قيمة ما توصل اليه وبغيرها لا ينقل ما يريد نقلا صحيحا . فالدقة اللغوية ضرورة لا تستغنى عنها البحوث .

٥ - الصدق والشعور الانساني

يحتاج الباحث لانجاز بحوثه صفة خلقية هي الاعتراف بالحق واظهار الصدق في بحوثه وان كان ذلك خلاف فائدته ومصلحته وكذلك من الضروري ان يكون بعيدا عن نوازع الشر لكي يستثمر نتائج بحوثه استثمارا انسانيا لصالح شعبه ولل البشرية جمعاء فاذا تحيز الباحث في بحثه وخالف قول الحق والصدق أفسد بذلك طبيعة البحث وخرج بحثه من حيز العلم الى مجال الكتابات المفرضة والآراء المتحيزة أو الاعمال التخريبية التي تصم صاحبها بالشر والهوان والانحطاط . وصيانة لهاتين الصفتين الضروريتين يجب ان يحمى الباحث من كل ضغط اجتماعي يقوم به افراد او جهات اجتماعية او فئات سياسية لتوجيه بحثه وجهة خاطئة أو استغلاله استغلالا غير

انساني لاغراض اقتصادية أو سياسية • فإذا كان صاحب البحث مدوقا بغاية
التزوير أو التكيل طوعية أو كراهية فسدت طبيعة البحث وابتعدت نتائجه
عن العلم الصحيح • فهاتان الصفتان الخلفتان ضرورة لازمة للبحث العلمي •

الدراسات العليا والبحث

يقصد بالدراسة العليا Graduate Study الدراسة التي تلي دراسة
الكلية • وتخصص لها مدرسة خاصة تسمى « مدرسة الدراسات العليا » •
وهي تعمل على هدفين أساسيين متداخلين : أحدهما تزويد الكليات بالمدرسين
وهذا هدفها الثانوي أما الهدف الأساسي وهو الأهم فهو تزويد المجتمع
بالباحثين •

ويفترض بالمدرس الجامعي ان يجمع بين صفتين هما القدرة على
التعليم والمقدرة على اجراء البحوث •

وجود مدرسة للدراسات العليا في اي قطر من اقطار العالم دليل
ملموس على اهتمام ذلك القطر بالبحوث وحسبانه الغاية العليا التي تنتهي بها
الدراسة •

ولمدرسة الدراسات العليا اسس خاصة في قبول الطالب فيها فهي
تشدد في قبوله ولا قبل انتماءه الى طلبتها الا بعد تحقيق دقيق يستقصى صفات
الطالب العلمية والنفسية والخلقية • على ان هذا الاستقصاء ان كانت نتائجه
في صالح الطالب فلا يعتبر ضمانا للطالب للاستمرار في دراسته لانه يكون
عرضة لاجراجه منها حين تبدو عليه أمارات الضعف في مقدرته العلمية أو
السلوكية •

ومدارس الدراسات العليا تضطلع بواجب اجتماعي كبير لان المجتمع
يطلب عونها حينما يجد نفسه بحاجة الى بحوث في بعض الحقول فالجامعات

اساساً أماكن للتربية وللبحوث وقد ذكر الاستاذ جد (Judd) في كتابه نظام التعليم في أمريكا أن مؤسسات التعليم العالي في أمريكا تقوم بما يقرب من ٢٠٪ من البحوث التي تجرى في الولايات المتحدة الأمريكية كلها^(١) وذكرت دائرة معارف البحوث التربوية أن ما يقرب من ١١٪ من ميزانيات الجامعات خصص لأجراء البحوث فيها سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤^(٢) على أن هذا لا يمنع من وجود مراكز ومؤسسات أخرى فردية وجماعية للبحوث ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ما يزيد على ٦٠٠ مؤسسة تمويل البحوث وتشرف على أبحاثها • ومن المؤلفين أن يكون لبعض الوزارات مثل وزارة الصناعة ووزارة الزراعة والدفاع والداخلية وغيرها مراكزها البحثية الأخرى • وقد دأبت الدول على تخصيص أجزاء من ميزانياتها العامة لأجراء البحوث في حقول متعددة •

اعداد الطالب في الدراسات العليا

تختار مدارس الدراسات العليا طلبتها وفق اعتبارات خاصة في المستوى العلمي والمقدرة الشخصية الخاصة كاللغة والمقدرة على الابتكار وحسن السمعة والتصرف ولها أساليبها الخاصة في تقدير ذلك ثم تعين للطلاب مشرفاً يرعى اختياره للدروس ويوجه استعداداته وقراءاته حتى يستوفي منهجاً معيناً من المواد الدراسية على أن هذه النقطة ليست بذات اعتبار عالمي فالجامعات الانكليزية مثلاً لا تلزم طلبتها بدراسة موضوعات دراسية قبل كتابة البحث لأنها تنظر الى البحث الجامعي نظرة سامية وتعدده المخول الوحيد لمنح الدرجة العلمية ، أما الجامعات الأمريكية فلا تعد البحث إلا جزءاً من متطلبات

(١) Judd, R. The American Educational System New York, 1940 P. 343.

(٢) طبعة ١٩٦٠ ص ٦٠٠ (بالانكليزية)

تحصيل الدرجة العلمية ولا يسمح للطالب بكتابة البحث إلا بعد اجتياز امتحانات الدروس وهي فترة غريبة له قد يتعثر فيها قبل بلوغه التخرج وقد اقترحت مددا زمنية لانتهاء دراسة الماجستير هي في الغالب سنة واحدة أو سنتان في النادر اما المدة الصغرى لانجاز درجة الدكتوراه فهي سنتان مدرستين بعد درجة الماجستير أو أكثر من ذلك ان لزم الامر وتشتراط كثير من الجامعات اقامة داخلية على طلبتها اطمئنانا على مراقبتهم وضبطهم في محيط آمن .

مصاعب البحث

للبحث العلمي عدة مصاعب يتعرض لها الطالب فاذا عجز عن اجتياز احداها حرم من نيل الدرجة العلمية المطلوبة . اما اهم هذه المصاعب فهي :

١ - اختيار الحقل الذي يجرى فيه البحث ثم اختيار الموضوع الموافق من ذلك الحقل باشراف لجنة يعينها له عميد الدراسات العليا . والاختفاق في هذه الخطوة يأتي احيانا من كون الموضوع المختار موضوعا معقدا يحتاج الى مدة زمنية طويلة او يحتاج الى ملكة علمية لا يملكها الطالب المتوجه للبحث فيها أو الى مصاريف باهظة للسفر أو شراء اللوازم والادوات فقد اختار مرة احد الطلبة الاجانب دراسة فقه لغة اجنبية معقدة لينال في ذلك درجة علمية وهذا يستدعيه الماما بأصول تلك اللغة الواسعة وبكيفية تطورها في الاستعمال العلمي والادبي وهو في هذا الحقل الواسع الشائك يتنافس مع طلبة من ابناء تلك اللغة وهم لا يجدون صعوبة في درسه هذا قدر ما يعاني ذلك الطالب الاجنبي الذي اساء اختيار الموضوع من صعوبة . واختار طالب آخر دراسة تأثير شاعر اجنبي في أدب امة اخرى لينال بذلك درجة في الآداب وهذا الموضوع شائك واسع كذلك يحتاج الى استقصاء شامل في دراسة أدب الامة التي يظن ان أدبها تأثر بكتابات ذلك الاديب بصورة مباشرة ام غير مباشرة . ومن انواع هذه الصعوبة ان يكون الموضوع المختار

تأهبا او سطحا أو اكاديميا بحثا لا يمكن الاستفادة منه في مجالات العمل وطبيعي ان اختيار الحفل يستوجب قبل كل شيء اختيار الجامعة والقسم فاذا كان في البلد ما يقرب من ألفي مؤسسة للتعليم العالي كما هي الحال في امريكا فان مسألة الاختيار ليست هينة على ان هذه المشكلة لم تبلغ درجة حادة في العراق فلا تزال مسألة الاختيار هينة لقلّة مؤسسات التعليم العالي كما ان مسألة التمويل والمصاريف في العراق لا تزال ميسورة كذلك فالتعليم العالي مجاني في العراق بل ان الدولة تمنح الطلبة رواتب تشجعا لهم على الانتماء وتمنح الموظفين زمالات دراسية في كل سنة لاكمال تعليمهم العالي . وفي الدراسات العليا عدد وافر من المعيدّين والمعيدات يجمعون بين الوظيفة والدراسة .

٢ - اختيار وتعين مصادر الدراسة والبحث ووسائلهما . يلزم للطالب الباحث ان يقيم المصادر التي يستقي منها معلوماته وان تكون له قدرة على التمييز بين ما هو قيم وتأه أو سطحي . فمصادر البحث تقسم عادة الى مصادر اساسية وهي المصادر التي يعول عليها كثيرا لدقتها وقيمتها العالية وإلى مصادر ثانوية وهي المصادر التي تنقل أو تروى عن المصادر الاساسية ولاستعمال المصادر وكيفية الاستفادة والاقتباس منها قواعد مرعية تدرسها الجامعات لطلبتها في دروس تمهيدية قبل كتابة البحث . والمفروض ان الطالب كان قد تعرف على عدد وافر من المصادر خلال دراسته لنيل درجة البكالوريوس ومن المساعد بهذا الصدد ان فهارس المكتبات قد رتبت بصورة تساعد على العثور على الكتب المطلوبة كما ان دور النشر والمكتبات تنشر دوريات يستعاد منها فائدة جزيلة لهذا الغرض ، ويمد الاساتذة طلبتهم بتوجيهات مستمرة للتعرف على الكتب القيمة وكيفية استعمالها استعمالا صحيحا . ومن البحوث ما تكون مادته ابتكارية فتكون حاجة الطالب الى المصادر قليلة . ومثل أهمية المصادر أهمية اختيار وسائل البحث الأخرى .

كالادوات والاجهزة العلمية ويحدث احيانا ان يصمم او ابتكر الباحث جهازا خاصا يستطيع بواسطته ان يجرى بحثه لان وسائل البحث التقليدية لا تساعده على ذلك وقد تقدم ان من لوازم الباحث الشخصية ان يكون ذا قدرة على الانشاء والتركيب • من هذا ما ابتكره بعض المشتغلين بالبحوث الفيزيائية والطبية من الاجهزة اللازمة لبحوثهم •

٣ - طريقة البحث :

لكل بحث طريقة او طرق خاصة وللباحثين تجارب عديدة ترشد الباحث الناشيء الى كيفية اجراء بحثه وتبصره بعيوب الوسائل التي يستعملها والى كيفية تذليل المصاعب • والمهارة في استعمال طريقة البحث ضرورية للوصول الى نتائج سليمة • وتحسبا لهذه النقطة فان الباحثين لا يبدأون عملهم قبل عرض وسائلهم على ذوى الخبرة من الباحثين للاستفادة من تصويباتهم ونصائحهم • وقد اجريت في علم النفس تجارب على تعلم القطط والكلاب والقرود لسهولة اجراء التجارب عليها ولسهولة التضحية بها وكان الغرض من تلك التجارب فهم طبيعة التعلم البشري بواسطة فهم الطريقة التي تتعلم بها تلك الحيوانات • فاعترض الباحثين على الطريقة التي اجريت بها تلك البحوث محتجا بان عقلية هذه الحيوانات غير عقلية الانسان فالانسان خالق حضارة وصاحب ملكة ابتكار ونطق وتفكير مجرد وليس لهذه الحيوانات شيء مما ذكر فالاختلاف في النوع لا في الدرجة جعل نتائج هذه الطريقة غير مسلم بها • وقد أدت فعلا تلك البحوث بطرقها المختلفة الى نتائج مختلفة مما جعل الاعتراض على طريقة البحث السالفة لا يزال قائما •

٤ - المهارة في وضع الفرضية :

وضع الفرضية او النتيجة مرحلة راقية في البحوث لانها تعني صوغ النتائج في قاعدة عقلية • وصعوبتها تكمن في تحويل الظاهرة الى قاعدة مجردة

وهذا التحويل لا يتم الا بادراك العمليات التي أدت الى ظهور النتائج • وذلك يستدعي عملية عميقة من الاستدلال فالفرضية محاولة يقوم بها الباحث في وضع تعميم عن طبيعة المشكلة المبحوثة وهي قد تكون تفسيرية أي تفسر نشوء المشكلة وقد تكون علاجية أي تحاول حل المشكلة • ومن المعلوم ان الفرضية التفسيرية تكون عمادا للفرضية العلاجية لان معرفة السبب تلقى ضوءا على العلاج المناسب في الغالب والفرضيات على نوعين : فرضيات توحي اليها بها الطريقة الاحصائية وهي فرضيات تكون عرضة للنقض عندما يتغير ما لدينا من نماذج أو عينات استقينها منها احصاءاتنا • اما النوع الثاني من الفرضيات فهو الفرضيات التكوينية وهي اكثر ثباتا لاتنا نكونها من ظواهر البحث • وكل فرضية اثبت التجريب صدقها اصبحت حقيقة ثابتة بين الباحثين وطلبة العلم • ولا يجرؤ الطالب على صوغ فرضياته قبل مرور وقت كاف من الدراسة والتأمل والتعليل فما الفرضية الا لب البحث فاذا اثبت بطلانها فقد انهار كل ما قام به الباحث من عمل •

البحث والتدريس الجامعي

يحتاج التدريس في الجامعة الى مواصلة دائمة للدراسة والاستزادة من العلم والتجربة لكي تبقى خبرة من يقوم بالتدريس حديثة نامية • فالمعارف آخذة في النمو والانتساع يوما بعد يوم ولا يسع الشخص المثقف الا الحرص الشديد على متابعة حقل اختصاصه بكل اهتمام • وقد أخذت الجامعات ودور النشر بتيسير هذه المهمة الشاقة وذلك بنشر خلاصات مفيدة لما ينشر في الحقول العلمية والادبية والفنية لان المعنيين او المهتمين بتلك البحوث ليس لهم من الوقت ما يتفرغون به الى قراءة ما تنتجه المطابع في تلك الاختصاصات • بل لا يستطيعون قراءة عشر ذلك أو اقل منه مهما كان فرع اختصاصهم ضيقا أو جديدا • ولهذا فعلى القارئ المتبع ان يكون دقيق الاختيار لما يقرأ وان يفضل الاهم على المهم في قراءاته • وكما يحتاج عضو

التدريس الجامعي الى تنمية معلوماته وخبرته بالملاحظة والدراسة والتتبع فانه بحاجة الى اجراء البحوث من وقت الى آخر وقد فطنت الجامعات الى هذه الضرورة الماسة فوضعت الترقيات العلمية وسيلة لحفز المشتغلين بالتعليم الجامعي لاستكمال الخبرة ومواصلة النمو والتتبع . ومن المعلوم ان طريقة البحث العلمي ليس طريقة لا ينتفع بها الباحث الا عندما يقوم باجراء البحث، بل انها طريقة قديمة في التفكير والتعامل ، من الضروري ان تتأثر بها كل أوجه الحياة ويظهر اثرها واضحا في حل مشكلاتنا الشخصية والمهنية ، فاذا درست الجامعة طلبتها على استعمال الاسلوب العلمي وظهر ذلك في تفكيرهم وسلوكهم فان ذلك اكبر خدمة ثقافية اجتماعية تقوم بها الجامعة بل انها اكبر خدمة تقوم بها مؤسسة في المجتمع كله . فالمعلومات والمادة العلمية متوفرة في الكتب يستطيع القارئ ان ينالها بكل سهولة كما ان الخبرة العملية متوفرة في المعامل والمصانع بوسع الطالب ان يتعلمها من هناك . ولكن الاسلوب العلمي في التفكير والعمل هو الهدف الاساسي الذي يتوقعه المجتمع من عمل الجامعة ومن مدرسة الدراسات العليا بصورة خاصة . وان عمل الجامعات يلزم ان يوزن ويقدر بهذا المقياس لا بضخامة مكباتها ولا بسعة قاعاتها أو ملاعبها ، بل بما تمد به المجتمع من وقت الى آخر بالعقول النيرة المبدعة وبالمواهب الغزيرة المجددة التي تغني الحضارة بانتاجها وفلسفاتها ومخترعاتها وتجعل من نفسها قدوة مرموقة في مسيرة ثقافية جادة .

بعض عيوب الدراسات العليا

لقد رمز القدماء للمعرفة بالمشعل المنير الذي تسلمه الاجيال واحدا بعد واحد والجامعة خير من يمثل هذا المشعل بما تور من الازدهان والنفوس ولكن هذا لا يعني ان فعاليتها وانتاجاتها لا تقع تحت العين الناقدة والضوء الكاشف فللمجتمع يتوقع اشياء معينة من الجامعة ولا سيما من مدرسة الدراسات العليا فاذا اخفقت في ذلك لامها و اشار الى نقصها وقصورها لكي تتلافى ذلك

وتغلب عليه وقد وجهت الى مدارس الدراسات العليا بعض الانتقادات منها ما يأتي :

١ - ان بعض الجامعات قد تساهلت او تهاونت في مستوى درجاتها العلمية فصارت تمنح درجة الدكتوراه في موضوعات هينة لا تستدعي جهدا مناسباً من التفكير والمهارة العلمية فقد منحت احدى الجامعات درجة الدكتوراه لطالب في موضوع « الاعلان عن الجوارب النسائية » ونال آخرون درجة الدكتوراه في الطبخ وفي الكيمياء نال بعض الطلبة درجة الدكتوراه في تحضير نوع من الاصباغ وهو عمل هين قد يستطيعه كثير من عمال شركات الاصباغ فلا يمنحون عليه درجة علمية حتى في الالعب او المهارات الرياضية الهينة صارت بعض الجامعات تمنح ارقى الدرجات العلمية وكان يكفي ان يمنح اصحاب هذه الموضوعات درجة البكالوريوس أو الماستر وتقتصر درجة الدكتوراه على الموضوعات الراقية التي تخدم العلم وانحاضرة خدمة ممتازة •

٢ - لقد اسرفت بعض مدارس الدراسات العليا في الاعتماد على العمليات الاحصائية فقبلت بحوثاً يسيرة أو متواضعة في قيمتها ونتائجها ولكنها غاصت بالعمليات الاحصائية مثل معاملات الارتباط الرباعية والمتعددة والجزئية أو معامل التوافق من كاً وغير ذلك من الاغترار بالمظاهر دون الاهتمام بالجواهر • ولا شك ان للرياضيات قيمة واضحة في البحوث ولكنها ذات فائدة محدودة لأنها وسيلة لا غاية وحين تنقلب الى غاية فانها تطفئ على القيمة الحقيقية للبحث وقد انجزت بحوث راقية شملت شهرتها ارجاء العالم من دون ان تعتمد على الرياضيات من ذلك نظرية التطور لجارلس دارون ونظرية التحليل النفسي لسكmond فرويد • فمن الضروري الا تبالغ معاهد البحوث في الاعتماد على

الرياضيات او على العمليات الاحصائية بصورة خاصة سيما لا يستوجب البحث الاكثار او الافراط في ذلك • وقد شحنت كثير من البحوث الاعتيادية بجداول احصائية تصعب قراءتها وفهمها حتى على كثير من المختصين • بل صار لهذا التقليد مختصون محترفون يساعدون طلبة البحوث في اعداد الجداول الاحصائية مقابل اجور باهظة • ويضطر الطلبة الى بذل كل ما يطلبون لان هذا التقليد آخذ في القوة والانتشار في بعض الاوساط الدراسية التي تسرف في تقدير اهمية الاحصاء في البحوث •

٣ - تقع احيانا بعض البحوث الانسانية تحت ضغط شديد من التعصب والتحامل فتبتعد عن النزاهة العلمية والتجرد الاكاديمي • وقد ظهرت كثير من البحوث المتسمة بالتيارات السياسية او الدينية ذات التجاوب بين الطالب وبين المشرفين على بحثه فكانت اشبه بمقالات سياسية أو دينية ذات نظرة متحيزة ولهجة قاسية نابية • والمفروض الا يقدم أحد على كتابة بحث ما لم يكن منهيئا له من ناحية عقلية ونفسية ، ومتخلصا الى درجة كبيرة من كل ما في نفسه ومجتمعه من عقد ورواسب مخلة بالبحث العلمي •

٤ - ان بعضا من البحوث قد اعتمد اصحابها اعتمادا مفرطا على بعض البحوث السابقة حتى ليصح ان يقال انها لم تضيف شيئا مهما جديدا الى التراث العلمي أو الادبي ، بل ان كثيرا من البحوث ولا سيما في البلاد النامية ليست الا تقليدا واضحا لبحوث اخرى تجرى في البلاد المتقدمة تظهر عليها سمات تلك البلاد من الترف العقلي في بحث المشكلات الهامشية كان الافضل لو ان اصحاب تلك البحوث قد تلقوا من التوجيه ولفت النظر الى نواحي اخرى من البحث ذات قيمة

اجزل واوسع مما تحتاج اليه بلادهم حاجة آنية تفرضها الظروف
الراهنة .

٥ - صارت بعض الجامعات توجه طلاب بحوثها الى فروع ضيقة جدا من
الاختصاص . وبعد ان يمضي الطالب مدة وافية من الزمن ويبذل
جهدا فكريا ونفسيا في انجاز البحث لا يجد وسيلة ميسورة للعيش
بما اكسب من علم ومهارة في ذلك الاختصاص الضيق . فمن
الضروري للجامعات ومدارس الدراسات العليا الا تنظر الى موضوع
البحث من ناحية اكااديمية ضيقة او ان تهتم بتقديم العلم في زقاق يكاد
يكون مسدودا فاذا اتم الطالب بحثه وسمع قول رئيس الجامعة وهو
يمنحه الدرجة العلمية « انه اصبح أهلا لتيل كل الحقوق والامتيازات
التي تخولها اياه تلك الدرجة » لم يجد من تلك الحقوق والامتيازات
شيئا يقدمه له المجتمع حتى الوظيفة التدريسية اليسيرة قد لا ينالها
الا بصعوبة بالغة وربما بعد اجراء تنازلات مالية واسعة حين تثقل عليه
البطالة وقد يكون عمله الجديد في حقل غير اختصاصه . ان شخصا
مثل هذا ذاق مرارة من البحث قد لا يرجع اليه مرة ثانية الا نادرا .

٦ - ومما يوجه الى مدارس الدراسات العليا من الانتقادات ايضا انها كثيرا
ما تعنى بتدريب الباحث وتخريج العالم وتضع نصب عينها مستواه
العلمي ومقدرته على التوصل الى النتائج المقنعة في بحثه وهي في
اهتمامها الضيق هذا جارية بصورة مستمرة ، من دون ان تهتم اهتماما
كافيا في تدريبه على المهارة في التعليم وقدرته على نقل خبرته وآرائه
الى الآخرين من طلبته لتشتتهم في ميادين البحث . فمن الضروري
للعالم ان يقوم بالبحوث ومن الضروري ايضا ان يعمل على تعليم فئة
من الباحثين الناشئين تتولى البحث من بعد جيل الباحثين القدامى .

ولكننا كثيرا ما نجد علماء كبارا في حقول مهمة ولكنهم اساتذة اصف فاشلين او فاشلون في التعليم لا يحسنون القدرة على التفهيم والتوضيح ولا يجيدون قيادة الطلبة في حقول البحث والارتياد الفكري . وليس لهم من الصبر والناة ما يساعدهم على ذلك العمل . فمن الضروري ان تعنى مدارس الدراسات العليا بهذه الناحية ولو من يريدون ان يتخذوا التعليم في الكليات او الجامعات مهنة من طلبتها .

٧ - في المشاريع العلمية الضخمة مثل صناعة الصواريخ والتركبات الفضائية وهي المشاريع التي يعمل فيها ما يزيد على ستة آلاف بين عالم وعامل فني ظهر ان بعض الباحثين والعلماء لم يتعلموا في تدريبهم الجامعي ما يؤهلهم الى الاشتراك مع الآخرين اشتراكا شامرا ولم يتعودوا بعد على كيفية التعاون والتناسق في العمل مع الآخرين لفقرهم الى المقدرة على التكيف في العمل الجماعي والى الرغبة في الانسجام مع مجموعة كبيرة تعمل متآزرة في انجاز مشروع ذي اطراف عديدة مترابطة .

اقتراحات في تنمية البحوث وتوسيع نطاقها واهميتها :

من الممكن لمراكز البحوث وللجامعات بصورة عامة ولمدارس الدراسات العليا بصورة خاصة ان تحسن عملها وان ترفع من مقدرتها في البحث والانتاج عند اتباع ما يساعد على ذلك من الأسس والمبادئ العلمية والاجتماعية وهذه طائفة منها متأثرة في وضعها بحالة الدراسات العليا في العراق بصورة خاصة وبالعالم العربي بصورة عامة .

١ - يوجه مقدار واف من الاهتمام بالاحصاءات الضرورية في المدارس والمستشفيات والدوائر الحكومية والاهلية الاخرى للحصول على معلومات وافية دقيقة عن احوال الناس ففي المدارس مثلا تدون معلومات

وافية عن الطلبة من حيث الاعمار والتقدم او التخلف الدراسي والهوايات والالعب وغيرها من المعلومات التي يحتاج اليها الباحث التربوي وكذلك تدون معلومات وافية عن اعضاء الهيئات التدريسية يرجع اليها الباحث عند الحاجة الى معلومات تتعلق بمقدرة الشخص العلمية أو مؤهلاته لعمل من الاعمال المنهجية او اللامنهجية . فالاحصاء عن التعليم والامراض والولادات والوفيات وعدد الجرائم وانواعها وانواع المحصولات الزراعية وكمياتها ومساحة الارض المزروعة ومن حوادث اصطدام السيارات وانقلابها وعدد الضحايا واسباب الحوادث وغير ذلك من المعلومات شيء ضروري يعتبر المادة الخام لكثير من البحوث ومن دونه لا يمكن الوصول الى نتائج سليمة في البحث . وفي البلاد الراقية يجرى احصاء حتى لعدد الاشجار في البساتين ولاعمارها ولكمية ما تنتج من الاثمار وما تستهلك من الاسمدة وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

٢ - لا يكفي ان ينشأ مركز للبحوث ثم تعين له واجبات جسيمة في بحث مشكلات تربوية واسعة في التعليم الابتدائي والثانوي والعالي خصوصا ان كان مجهزا بعدد قليل من الباحثين ليسوا جميعا على مستوى واف من الخبرة في البحث ومحتويا على شيء يسير من العدد والاجهزة وان تنمية البحوث واتساع نطاقها تتطلب ان تنشأ مراكز بحوث متعددة يتخصص كل منها في مجال من مجالات التعليم بشرط ان تكون مأهولة بعدد واف من رجال الادارة ومديرى البحوث ومن الباحثين والمساعدين ومستعينة بالاجهزة والعدد اللازمة . فكلما كثرت البحوث واتسعت اعمال الباحثين صار اجراء المزيد من البحوث اقن وايسر وصار عمل مراكز البحوث مرموقا يقصده طالبو المعرفة والاستشارات العلمية .

٣ - من الضروري ان يكون للجامعات او لمدارس الدراسات العليا في الاقل مطابع حديثة خاصة بها تطبع بها بحوثها وكل ما تحتاج اليه من الكتب والمجلات والاختبارات وغير ذلك من الاعمال الطباعة فقد اثبتت التجربة ان طبع الكتب العلمية في المطابع التجارية قد هبط بقيمتها لضعف الرقابة العلمية والفنية في تلك المطابع لأن كثيرا من عمالها على درجة غير وافية من المهارة والاتقان فقد انجزت كثيرا من الكتب وهي زاخرة بالاطعاء المطبعية وبالتشويه غير المقصود في الصور والخطوط البيانية والرسوم التوضيحية . فاذا استقلت الجامعة او مدرسة الدراسات العليا بمطبعتها امكن انجاز الكتب وغيرها من المواد الطباعة على درجة عالية من الدقة والاتقان .

٤ - من الضروري للجامعة ان تهتم اهتماما فائقا بالطلبة المبتدئين وذلك بتدريبهم على روح البحث وطلب الحقيقة والتأكيد على التدقيق والتمحيص والاطلاع على أكبر قدر ممكن من المواد العلمية او الادبية الضرورية لشخصية الطالب الجامعي . وبغير هذا الاهتمام لا تفلح مدارس الدراسات العليا لان طلبة الكليات هم الرافد الذي يصب في الدراسات العليا وهم باحثو المستقبل وعلماؤه ومبدعوه ومخترعوه فليس من المفيد كثيرا ان تهتم اهتماما متأخرا بطلاب الدراسات العليا بعد ان فاتته كثير من الاستفادة العلمية او الادبية في سني الدراسة وهو في مرحلة الشهادة الجامعية الاولى . فالمفروض للطلاب في هذه المرحلة ان تبدأ في نفسه جذوة البحث الجاد وان يطلع على مقدار واف من المصادر القيمة وان يلم المامة مفيدة بأصول البحث والتحقيق وذلك بما يكلف به من كتابة التقارير وما يتعرض له من المناقشات والاختبارات . بل يلزم ان نبدأ بذلك على مستوى اقل منذ الدراسة الثانوية والابتدائية حين يوجه اهتمام الطالب الى التأمل والتفكير ببعض

المسائل العلمية والادبية الملائمة لمرحلة العقلية والنفسية • وكما تقدم الطالب في دراسته ازداد نضجا ومهارة في هذا المضمار • ان كلياتنا تخرج الوفا من الطلبة والطالبات في كل عام ولكن نسبة المبدعين وذوى الاصالة في التفكير لا تزال ضئيلة بينهم مما يحتمل ان يكونوا على مستوى ضعيف في الاعداد • ومن الضروري لهذا الغرض ان تنشئ الكليات والمعاهد العالية قواعد خاصة بكل كلية أو معهد لتقييم الطلبة قبل قبولهم فيها وان تهي لهم كل ما يشجع المواهب والابداع وينمي المقدرات والآراء الاصلية وفي العراق قبل كثير من الطلبة اضطرابا في فروع علمية او ادبية لم يرغبوا فيها أو لم يؤهلوا لها وكانت النتيجة ان استولى عليهم الملل والضجر واتسموا بالكسل العقلي والاستعداد للتهرب من الدروس في كل فرصة سانحة • وكان تحصيل الشهادة هدفهم المنشود يتوصلون اليه بأقل جهد ممكن وهم يقولون ذلك علانية ولا يمارون فيه •

٥ - من الضروري للجامعة كذلك ان تقوم بنظرات تقييمية لما تدرس من مناهج وان تهتم اهتماما تجديداً بـمحتوياتها لتزويدها بكل جديد قيم لكي تكون مسابقة لروح العصر وقد لوحظ في بعض البلاد التي وقفت فيها الجامعات موقفاً متزمناً ان المجتمع هو الذي اثر في الجامعة وطور البيئة الجامعية دفعاً وكرهاً • بل ان بعض نواحي المجتمع قد سبقت الجامعة في قيادة التطور وزيادة الجديد النافع فانشئت معاهد ومهارات علمية غير متوفرة في الجامعة واستعملت في ذلك من الاجهزة والاساليب الحديثة ما لم يزل غير متيسر في مناهج واجهزة الجامعة وذلك لطغيان الاتجاه الاكاديمي في الدراسات الجامعية الذي أدى الى فصل المعرفة عن العمل فطلبة الفيزياء مثلاً يدرسون بأسهاب عن الصوت والكهرباء ولكنهم يعجزون عن اصلاح جهاز راديو ذي

خلل بسيط فضلا عن التلفزيون • ومنل هذا يقال عن حقول اخرى •
والموقع من الاوساط الدراسية في الكليات ان يوحى مظهرها بطبيعة
عملها وان تكون سماتها دالة عليها فكلية الطب مثلا مظهر يحتذى في
النظافة واتباع الاصول الطبية وكلية الآداب ولا سيما الاقسام اللغوية
سمة تدل على اتقان الطلبة لتلك اللغات الى درجة ملحوظة تميزهم
عن غيرهم من فئات الطلبة • ولكن هذه السمات لا تزال غير واضحة
تماما في الجامعات العراقية بل ان بعض كلياتها واقسامها يمكن ان
يعتبر امتدادا للتعليم الثانوي في مادته وسلوكه • ولعل هذا راجع
لحدائث العهد بالتعليم العالي في العراق ولان مجالاته آخذة بالتوسع
 بصورة مستمرة حتى طغت الكمية على النوعية • فمتى حصل الانتقاء
الدقيق للطلبة واحتوت المناهج على كل جديد قيم في حقول المعرفة
 واتسعت امكانات ومستويات التدريس والمكتبات والاختبارات ازداد
 ما يعود به التعليم العالي على البلاد من ازدهار علمي وفني في مجال
 الحياة المختلفة •

٦ - للبحوث التجريبية اهمية بارزة في التقدير العلمي لانها بحوث معززة
 بالينة الملموسة تستدعي الثقة والاطمئنان ولأن التجريب اسلوب العلم
 الذي احرز به التقدم الباهر على مر الزمان • فاذا اريد من الدراسات
 العليا خدمة المجتمع خدمة مضمونة النتائج فمن الضروري ان يزداد
 اهتماما بالبحوث التجريبية في الطب والزراعة وعلم النفس مثلا وقد
 تكون حاجة الاقطار النامية الى البحوث التجريبية حاجة ماسة تلزم ان
 تقوم من اجلها بتضحيات مالية كبيرة لسد هذا النقص الخطير • ومن
 الغريب ان كلية التربية المدمجة الآن في كلية الآداب ببغداد وهي دار
 المعلمين العالية سابقا ، دأبت على تدريس التربية وعلم النفس منذ
 ما يقرب من نصف قرن وقد خرجت الوفا غفيرة من المدرسين

والمدرسات ولكنها الى الآن لا تملك مختبرا واحدا لعلم النفس التجريبي يدرس فيها نظريا كما يدرس التاريخ والأدب • من دون استعمال اجهزة ولو وجد فيها مختبر لعلم النفس لتمكن الطلبة ان يمدوا تطبيق ما يدرسون من تجارب في التعلم او الانفعالات مثلا بل ربما قاموا بتجارب جديدة في هذا الحقل • كما ان هذه الكلية لا تملك مختبرا تربويا في اللغة مثلا أو معملا لصنع وسائل الايضاح يستطيع ان يصنع فيه طلبتها وسائل ايضاح لتدريسهم قبل ذهابهم الى التطبيق التعليمي في الأقل وليكون مصنعا يمد المدارس المتوسطة والثانوية بوسائل الايضاح الضرورية ولإديرية الشؤون الفنية ببغداد معمل لصنع وسائل الايضاح ولكنه مقصور في عمله على اشغالها الخاصة • ولو امكن ان ينشأ مختبر لعلم النفس وللغة ومعمل لوسائل الايضاح لأستفاد منها طلبة الدراسات الأولية والدراسات العالية ولا يمكن ان يتخصص فيها بعض من طلبة قسم التربية وعلم النفس بالإضافة الى فائدتها الثقافية العامة للطلبة جميعا • ولقد كان مختبر علم النفس فقد توجه اغلب طلبة الدراسات العليا الى الاستعانة بالبحوث الاستثنائية فظهرت نسبتها بين البحوث النفسية والتربوية بصورة مفرطة والبحوث الاستثنائية بحوث تفرسية تختلف نتائجها من وقت الى آخر عند اختلاف المسؤول أو تغير اسئلة البحث • وقد انعكس ضعف وسائل البحث في العراق حتى في مجلات الكليات ومنشوراتها فالبحوث النظرية الاكاديمية والتحقيقات التراثية في موضوعات قد اشيعت بحثا وتمحيصا منذ قرون كالشعر الجاهلي مثلا لا تزال تعاد بعد قليل من الصقل كما قالها القدماء من دون ضرورة ملحة لذلك • في الوقت الذي ظهرت فيه الحاجة الى البحوث الحديثة في نظريات الادب والشعر والابداع الفني •

٧ - لا تزال الحاجة ماسة الى المزيد من البعثات العلمية الى الجامعات الاوربية والامريكية وذلك لتقص مقدرة جامعاتنا في الاعداد العلمي أو الادبي الرفيع في الوقت الحاضر ، هذا من جهة الاجهزة والمستوى ومن جهة اخرى فإن جامعاتنا بحاجة الى المزيد من الاساتذة من حملة الدرجات العلمية العالية لاشغال وظائف التدريس فيها بعد ان يكونوا قد أكملوا دراستهم في بلدان اجنبية فنظروا الى موضوعاتهم الدراسية نظرة موضوعية متحررة من تأثيرات ورواسب الوسط المحلي الذي المحلي الذي يعاني منه طلبة الدراسات الادبية والاجتماعية في العراق وقد يكون ذلك التأثير قويا فتتسم دراساتهم بالتعصب او بالنظرة الضيقة احيانا . هذا بالإضافة الى ان الدراسة الخارجية تساعد الطالب على اتقان احدى اللغات الاوربية التي اصبحت لنا نحن الشرفيين ضرورة ثقافية وحضارية ماسة . وقد اصبحت اللغة الاجنبية شرطا شكليا لطلبة الدراسات العليا في بغداد حسب ما اعلم بل ان بعض الاقسام قد اهملتها او استغنت عنها بصورة واضحة كما ان الحياة في بلد متحضر لها مردود في سلوك الطالب وذوقه وليست الثقافة الشخصية محصلا للدراسة فقط فللاختلاط الاجتماعي تأثير تربوي واجتماعي ايضا . اتنا نكتسب كثيرا من الصفات الشخصية كالنظام وتقدير المصلحة العامة واحترام القانون وغيرها ممن يحيط بنا من المواطنين وليس من المفيد فائدة وافية ان نستقدم اساتذة اجانب الى بلادنا الا عند الضرورة لانهم حين يكونون في جامعاتنا يضطرون الى التكيف لظروفنا واطباعنا الخاصة ويسايروننا في ما لدينا من عادات وتقاليد ونواقص في الاعداد العلمي وهكذا تضع الفائدة أو تضعف من استفادتهم اليها .

٨ - ان طالب الدراسات العليا في العراق يضع نصب عينيه غالبا ان تمكنه درجته العلمية من تحصيل وظيفة دراسية وهذا الهدف المائل يجعله

يكيف دراسته وتحصيله الثقافي لهذه الغاية وقد سبق لي ان قلت ان بعض القائمين بالتدريس في الجامعة لا يحسنون التدريس من وجهة مهنية الى مستوى كاف بل ان بعضهم لا يؤمنون بالتربية نهائيا وهم بحاجة الى الالمام بقواعد التربية وعلم النفس لتغزر فائدة طلبتهم منهم ، ولكن هذه نقطة ثانية . وهي ان التدريس الجامعي أصبح مطمحا لنظر ذوي الشهادات العالية وذلك لأن للتدريس الجامعي بعض المزايا الجذابة التي قد لا يجدها حامل الشهادة العالية في وظيفة خارج الجامعة في الوقت الحاضر . فاذا زاد اهتمامنا بالمصانع والمراكز المهنية التي تحتاج الى خبرة علمية أو فنية عالية وصارت هذه تجتذب اليها اصحاب التخصص العالي بما تبذل لهم من الامتيازات فان ذلك يساعد بصورة واسعة على تطوير البلد وتنمية البحوث العلمية فليست الجامعة وحدها وبامكاناتها المحدودة بمستطعية على انشاء الحضارة وخلق الازدهار العلمي والفني في قطر ما ، ما لم ينتشر حملة شهاداتها العالية في المختبرات والمراكز الصناعية والزراعية ومصانع الجيش ووزارة الصناعة والاقتصاد وغيرها ويجدون هنالك من الاعمال ما يدعو الى التطوير والنمو والتقدم بما يقومون به من تجارب وبحوث لا تشغلهم عنها مهنة التعليم بما فيها من اتعاب ومشاكل معروفة . كما ان قيامهم في هذه المؤسسات الخارجية وعملهم فيها على تطويرها وتحسينها يعتبر دعاية فعالة لاهمية العلم في المجتمع ووسيلة قيمة لتوعية الجماهير باهمية البحث العلمي . فلا يمكن ان يغزر الانتاج او تحسن الصناعة ما لم نسلك اليها الوسائل العلمية الفعالة . بل ان العراق قادم على افق واسع من المتعلمين القادرين على الادارة الحكيمة والانتاج العلمي في مجالاته المختلفة وبصورة تفرغ تام .

٩ - يحتاج اساتذة الجامعة وطلبة الدراسات العليا بصورة خاصة الى

الاطلاع على كل جديد في حقول اختصاصاتهم المتنوعة فلا بد من التبع المستمر لأن نمو العلم والفنون لا يتوقف في سلم أو حرب • بل من الممكن ان يقال ان الشعوب في حالة شديدة من التافس في ميادين العلوم والفنون وهي لذلك توجه انظارها الى كل جديد نافع في كل حقل من الحقول بغية اقتباسه وتطويره اما الشعوب التي لا تتمتع بهذه اليقظة الفكرية ولا تكثر لما تنتج الشعوب المتقدمة في ميادين العلوم والفنون فانها تتقهقر عن ركب الحضارة العالمية ويسدل عليها التخلف استاره • فمن اجل مواكبة التحضر والاطلاع على مسيرة التقدم العلمي والفني في انحاء العالم يصبح من الضروري ان تزود مكبات الجامعات ولا سيما مكبات الدراسات العليا بكل جديد وقيم من الكتب والدوريات وكذلك انشاء مجلات ودوريات تهتم بالبحوث وتعرض اوجه التطور لا سيما في البلاد المتقدمة التي اصبحت قدوة حضارية لغيرها من الشعوب • ومن الضروري لهذا الغرض الجسيم تبادل البحوث بين الجامعات بقصد الاطلاع والتشجيع واثارة الانتباه الى المجالات المهمة في الاستقصاء والتحرى • فالانتفاع العلمي لا يمنعه اختلاف في وجهات النظر السياسية أو في اختلاف العقيدة الدينية •

١٠- من الضروري للجامعات في البلاد العربية والعراقية بصورة خاصة ان تهنيء للدارسين بعضا من الدروس المسائية أو النهارية التي لا تؤدي الى نيل درجة علمية وانما يراد بها التثقيف وزيادة الخبرة والمهارة في موضوع ما كالجبر أو الكيمياء أو تربية الطفل أو طريقة التدريس لموضوع معين • وهذا طبعا لا يحدث أو لا يزداد الا بعد القيام بتقدير واسع للبحوث في المجتمع ان كثيرا من ذوى الهوايات العلمية في الفيزياء أو الرياضيات أو علم النفس وغيرها يرغبون في الاستفادة العلمية في هذه الموضوعات من دون ان تقود دراساتهم فيها الى درجة

علمية معينة بل رائدهم الولع والاستفادة الخاصة • وكثيرا ما ظهر من بين هؤلاء الهواة افراد منتجون مبدعون فاذا سمحت الجامعة لهم بالحضور مع طلبتها في اوقات معينة عملية او نظرية حسب اجور خاصة فقد فتحت مجالا للنمو العلمي والفني في المجتمع بين طبقة كبيرة من الرجال والنساء وقد يخف الازدحام عن التعليم الجامعي الاهلي الذي يضطر فيه الطلبة الى دفع اجور باهظة والذي اصبح عبئا ثقيلا تنوء به مؤسسات التعليم العالي الاهلية • ولا شك ان السماح لهواة الثقافة الخاصة بالتزود من الدراسة الجامعية من افضل وسائل نشر الثقافة وتشجيع البحوث العلمية •

« انما يخشى الله من عباده العلماء »

قرآن كريم

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

حديث شريف

مصادر البحث العربية

- (١) تشونسى ، هنري ، ترجمة ليلى لبابيدى ، احاديث عن التعليم في امريكا ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة (تاريخ صدور الكتاب بالانكليزية ١٩٦٣) .
- (٢) حمدي ، محمد مظلوم ، طرق الاحصاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- (٣) خليفة ، احمد محمد ، المنهج العلمي والاشتراكية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (سنة الطبع غير مذكورة) .
- (٤) خيري ، السيد محمد ، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية مطبعة دار التأليف ، ط٣ ، ١٩٦٣ .
- (٥) رابورت ، صموئيل ، ترجمة محمد احمد بنونة ، مراجعة كامل منصور ، العلم معنى وطريقة ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- (٦) الرحيم ، احمد حسن ، صلة المدرسة بالمجتمع ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، ١٩٦٧ .
- (٧) عبدالدائم ، عبدالله ، التربية التجريبية والبحث التربوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- (٨) عفيفي ، محمد عبدالهادي ، في أصول التربية ، المكتبة الانجلو مصرية القاهرة ، ١٩٧٠ .
- (٩) فرجارا ، وليم ، ترجمة سيد رمضان هدارة ومحمد صابر سليم ، كنوز العلم ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ .

مصادر البحث الانكليزية

- (1) Best, John, W., Research in Education, Prentice—Hall Inc., 1964.
- (2) Green, H., H., The Universities, Hazel Watson, and Voney Ltd., London, 1969.
- (3) Judd, Russell, The American Educational System, Houghton Mifflin Co., New York, 1940.
- (4) Thomson, Arthur, Riddles of Science, A Premier Book, New York, 1958.
- (5) Vaizey, John The Control of Education, Faber and Faber, London, 1963.
- (6) Whitehead, A., N., Aims of Education, Amentor Book, New York, 1951.
- (7) Whitney, F., L., The Elements of Research, Prentice—Hall Inc., New York, 1951.

General References

- (1) Chambers's Encyclopedia, V. XI, XIV. 1959.
- (2) Encyclopedia of Educational Research, (Research) 1960.
- (3) The World Book Encyclopedia " Research, University ", 1967.

العرف في الإسلام

والأنظمة الوضعية

جاسب فالح الربيعي

« السنة الثانية »

مقدمة :

ان ادراك الاسلام العتيد للواقع الانساني وغوره اسرار الطبيعة البشرية هي خصيصة مميزة له تقف عندها التقديرات والتشخيصات الارضية وتنحصر امام عظمة هذا لبناء وتقديره للواقع ... ولا غرابة في ذلك فان شموخ تعاليم السماء لا تلحقها ذليلة التراب وان العارف المحيط بدقائق الامور والعالم بما تنطوي عليه النفس قادر على ان يصنع نظاما يتلائم وحاجات الجسد والروح وبالتالي حل جميع المشاكل التي يتعرض لها هذا الكائن ووضع الحلول العملية التي تناسب والفطرة التي فطر عليها ...

وعندما فتح عينه انسان الجاهلية وجد نفسه امام ضياء التعاليم السماوية الجديدة التي تريد ان تبني منه انسانا جديدا يسير نحو مسارب النور بخطى ثابتة وفي دقة متناهية توصله في سيره التكاملي هذا الى شاطيء الكرامة ... ولم تكن هذه اللمسات النورانية متتمة عند الشكل بل تعدته الى المضمون وكان واقعا نظريا أخذا وعمليا مغيرا، وحينما يعنى بهذه المهام الخطيرة وفي ذلك المجتمع المتمزق سلوكيا والمتردي ذهنيا اندمج منذ لحظاته الاولى اندماجا عضويا وتلاحم تلاحما طبيعيا بانسانه أخذا سمات المحيط الاجتماعي وما عليه من انحلال محولا اياها الى غرسات طيبة ماحقا رذائله موافقا فضائله ... وترى الآيات المخططة والواضحة لمعالم الطريق الجديد والمهادفة لبناء امة جديدة ذات منعة ومناعة فينزل الدستور - سواء مرة

واحدة - على سبيل الاجمال (في قول بعضهم) .. أو نزولا تدريجيا على سبيل التفصيل ، ويقوم بعملية التغير الكامل الشامل وينفث في روح انسان الجاهلية وغيره وعقله القوة والحصانة والصلاح ... وتدرج معالجة الامور وما استعصى منها بشكل تدريجي ينسجم وتلكم الذهنيات التي تغلفت وتغلقت على مفاهيم قديمة ، فبحري بالمعلم الاول انطلاقا من مرتكز الحكمة والدستور ان يجتث جذور الجاهلية ورواسبها بشكل تدريجي منظم ، واستمر البناء على هذه الشاكلة حتى استطاع في نهاية المطاف ان يقضي عليها أو ان يحد منها بشكل قاربها الى الاضمحلال والتلاشي مراعيًا بذلك قوة وعلاقة تلك العادات بالذهنيات والاعراف السائدة آنذاك . وقد اقتضت الحكمة الالهية ان يأتي التحريم مراعيًا الظروف والزمان ، وما قصة تحريم الخمرة بشكل تدريجي الا مثالا لهذه المسيرة ، وهناك امثلة كثيرة عالجهما القرآن المجيد بفترة طويلة ... وهناك سبب آخر اقتضته المصلحة في ذلك . اضافة الى ان الفترة الزمنية التي قضاه الرسول الكريم ربما لم تستوعب القضاء على بعض المشاكل كما حصل لمشكلة (الرق) مثلا ... وهنا يطرح السؤال نفسه ... لِمَ ينزل النص في تحريم الخمرة ولم ينزل مثل هذا في موضوع (الرق) ؟

وطالما اثر مثل هذا السؤال المغلف بشبهة ، الغرض منه النيل من الاسلام وبنائه المتكامل ... والرد على هذا السؤال سيأتي انشاء الله في هذا البحث ... وقبل الدخول في خوض تفاصيل موضوع (الرق) الحيوي والخطير لا بد من القول ... من ان ظاهرة (الرق) قد يتوهم البعض بها حينما يتصورون من انها قريبة العهد بالمجتمع البشري وانها حديثة الوجود ولربما حدى بهم الى مثل هذا التصور الخاطئ هو معاشتهم لهذه الحالة وتردد اخبارها من اقصى المعمورة وبروز معاملها بشكل جلي واضح على موجات الاثير والتي تصف معاملة الانسان الابيض لاخيه الاسود دونما رادع

من ضمير أو وجدان ، وانا لنعطي شيئاً من المرونة لهؤلاء المتقولين لهذه الظاهرة الظلامية في زمننا هذا نظراً لتعاضدها واطرادها طردياً مع التقدم التكنولوجي في مضامير الحياة عند دعاة التمدين والحضارة المادية ... إضافة الى سبب آخر يدفعهم الى القول هو الضباب الذي يحجب الرؤيا الذي احاط المستعمرون به التعاليم الاسلامية وكرسوا جل اهتمامهم لتصعيد مثل هذه الشبهات وجعلها كيانا عضويًا مرتبطًا بالاسلام لغرض وضع عصاً في عجلة المبدأ العالمي الذي جاء رحمةً للعالمين .. مما حدى هؤلاء ان يصوروا مشكلة الرق وتاريخ ظهورها ملازماً لظهور الاسلام وينفوا عمق جذورها في مجتمعات التاريخ القديم ولقد ذكر الكثير من المستشرقين هذه الظاهرة في كتبهم وعلقوا عليها ووصموا الاسلام من انه (سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح)^(١) . واعتقد الآخرون جهلاً أو تعمدًا من ان الاسلام لم يقم صرحه الا بقوة السيف وبالتالي استرقاق الآلاف المؤلفة من ضحايا الحرب والمذابح ... ولقد فات هؤلاء ان كانوا جهلاء من ان الاسلام لم يكن الباديء بالحرب ، بل كان يتقي شرور اعدائه ويحاول بل ويهدف الى اىصال النور الى تلك العقول التي عاشت على اعتاب الضحالة والظلام ليشهدوا ميلاد فجره الاغر ... وغايته القصوى تحرير الفرد روحياً وفكرياً وانتشاله من مصاف حياة البهائم والعبودية ...

وما : (الجهاد الا اعلان عام لتحرير الانسان من العبودية للعباد ، وتقرير الوهية الله وحده وربوبته للعالمين ، وتحطيم مملكة الهوى البشري في الارض واقامة مملكة الشريعة الالهية في عالم الانسان)^(٢) .

لقد سبق استرقاق الانسان لاختيه الانسان عصر الاسلام احقاباً طويلة

(١) لطفى ليفوينان .

(٢) سيد قطب « معالم في الطريق » .

وامتدت جذوره منذ ولادة الانسان على الارض وتوحيجه بالخلافة ... وانطلقت المشكلة من عقالها وسباتها العميق حينما احس الانسان من انسه مشدود الى التراب ولا يستطيع ان يوسع دائرة عمله ويتحرك بحرية واسعة الا بمعونة الجماعة الذين اصبحوا بعد تنوع حاجاته وكثرة متطلباته ركيزة مهمة يستند عليها فطفق انطلاقا من غرائزه التملكية وانانيته وحبه للسيطرة والغلبة والبقاء الى تعديل ظروفه المعاشية وحالته الاجتماعية ، فانسعت آفاق المشكلة وبرزت ابعادها بوضوح واتضح رؤيتها وصار الاقبال عليها يتعاظم ويشتد وخاصة عندما لمس انسان السيطرة حصيلة اتعاب الآخرين ووجد اللذة في هضمها دون عناء او كدر من جانبه سيما وان طابع المجتمع آنذاك زراعيا رعويا وكان امرا طبيعيا ان يسرق القوي الضعيف ويصنع الحروب والغزوات للحصول على أيادي جديدة كادحة • ونستخلص من ذلك ونتيجة لهذا البعد الزمني السحيق لا جدوى من (وضع تاريخ عام وشامل ينطبق على جميع الانظمة والمجتمعات ذات الطابع العبودي الاسترقاقي القديمة ، بل علينا دراسة العبودية في كل بلد بشكل حسي محدد واكتشاف السمات (قوى الانتاج ، علائق الانتاج) المميزة للعبودية في البلد المختص ، وقد ذهبت جميع جهود العلماء في محاولة وضع حدود زمنية عامة لبداية ونهاية المجتمع العبودي ، ادراج الرياح) (٣) ...

وقد اكدت هذا المعنى ما جاءت به الدراسات الحديثة للمجتمعات منذ بزوغ فجر الانسان وشخصه بكيانه المستقل ، اكدت هذه الدراسات عمومية النظام العبودي في العصور القديمة واعتبرت النظام الاجتماعي الذي ساد الشرق القديم هو شكل آخر من اشكال العبودية !! •

وحصيلة الحاصل انه ما دامت المشكلة بعيدة الاغوار بعد التاريخ

(٣) بنبستون « مقدمة التاريخ القديم » •

البشري انتهى - وشواهد تلك الدراسات - اقترانها او رواجها بظهور الاسلام وان الكل متفق من ان التعامل بها لم يكن مستهجناً أو شاذاً في مجالات التعامل بين الافراد بل ربما نظر الى العكس بحكم استفحالها وتدليلها ... لذا سأخوض في البحث انشاء الله ما تمكنت من عرض الظاهرة تاريخياً مع المقارنة والتدليل بالشواهد والبراهين الحاصلة لدي مبنياً الفارق الكبير بل البون الشاسع لهذه المشكلة قبل الاسلام وفي الاسلام وبعده . واختتم هذه المقدمة بقول الفيلسوف الانكليزي (برنادشو) :-

(ان نطاق الرق في الاسلام كان احسن حالا واقل سيئات من نظام العمل والعمال في العصر الحديث ، لان السيد كان مسؤولاً امام المجتمع عما ملكت يده من الرجال والنساء ، في حين ان اصحاب الاموال والرأسماليين في ايامنا هذه لا يهتمون بعمالهم ، أعاشوا ... او ماتوا ... ما داموا يعطونهم اجورهم ، كثر هذه الاجور ام قلت ...)

واخيراً كان هذا النظام المقيت متفشيًا بشكل فضيع وظالم وكان يشمل كل الضعفاء والمساكين والجائعين ... وما الاسواق القديمة المكتظة بهذا الزخم البشري المعذب الا ساحات لعرض المئات بل الآلاف على مختلف اعمارهم واجناسهم ، وما تلك الاصوات المحشجة المقيتة الا دليلاً على احتراف المئات من النخاسين لهذه المهنة القذرة والتاجر بها ، وما تتبع انباء الحروب والغزوات والتعامل اللا انساني مع القادة والمستفيدين من اوزار هذه الحروب وتجارها الا دليلاً آخر يقدم الظاهرة واصالتها في تلك المجتمعات ، وقد ظهر أشدها شيوعاً عند اليونان والرومان القدامى ، والصينيين والهنود والفرس وقدماء المصريين ، وفي اوروبا قبل ظهور المسيحية وفيها وبعدها ... !!

لذلك بوبت بحثي هذا الى فصلين تناولت في الاول (الرق قديماً) مبتدأً في (المجتمع اليوناني) وما تمليه عليه اعرافه وفي (العرف الروماني)

و (العرف اليهودي) و (العرف الهندي) • ثم في (نظر الاسلام) •
(والعرف المصري) و (العرف الفارسي) اما الفصل الثاني فقد تكلمت فيه
عن (الرق حديثاً) مسلطاً الضوء على تبجحات دعاة القرن التاسع عشر
والعشرين مبتدأ بـ (رق امريكا) زعيمة الاستعمار العالمي ما قبل (ابراهيم
لنكولن) الى اللحظة التي نعيشها الآن ثم (الرق في العرف الفرنسي) ثم
الرق وتجارته في (بريطانيا) خلال القرن الثامن عشر واخيرا مشكلة التمييز
(العنصري في جنوب افريقيا) •

الفصل الاول

لم تظهر ظاهرة (الرق) في المجتمع اليوناني اعتباطاً بل كانت لها
جوانب اقتصادية واخرى تقيمية تدلل على مكانة السيد ومنزله في المجتمع
ويتعاطف شأنه بعدد امائه واسراه لذا سادت هذه الظاهرة بشكل منظم
مقنن وكأنها من مستلزمات ذلك المجتمع ولبنية في بنائه التكويني ، ويذهب
الكثير منهم من ان اصلاح المجتمع اليوناني وسيادته وديمومة بقائه مقرون
بتفشي الاسترقاق ... ! فالكل مفتون بها واخص الاقوياء منهم وذو المنزلة
لذا نرى كثيراً من النصوص قد وردت على السنة حكمائهم وفلاسفتهم في
صدد اشاعة العبودية وبراهاها واخص بالذكر ما تضمنه كاتب المدينة الفاضلة
وحماسه وتطرفه لايجاد المجتمع الفاضل ! ، حيث كان يدعو في ذلك الوقت
الى حرمان العبيد من حق (المواطنة) ويقضي باجبارهم على الطاعة لاسيادهم
ويرتب الاحكام الجائرة على كل من يخالف اوامر سيده ! ولم ينته هذا بل
جاء تلميذه فاتم الحلقة اللاانسانية وقد ورد عن - ارسطو - معرفا الرقيق ،
هم آلة ذات روح او متاع قائمة به الحياة ... ! ثم قسم الناس الى صنفين ،
صنف اعطاه الله العقل والارادة وخصصهم من انهم اليونانيون واطهرهم على
شكل قويم ليكونوا خلفائه في الارض ! وسادة على خلقه !!

والصنف الآخر وهم العبيد الذين حرّموا من نعمة العقل والارادة بل أعطيت قوى بدنية تمكنها من اذلال الصعاب وليكونوا في خدمة الاشراف النبلاء ذوي العقول والارادة من اليونانيين ، . . . ومن هذه المفاهيم اللاانسانية وعلى لسان فلاسفتهم ومحركي مجتمعهم حيث يتجرأ على الاله وعدالته وتحجم الالفاظ ويغلف المفهوم وتصبح مثل هذه التقولات الصادرة من الذهنيات المتقرحة قانوناً يسود الجميع واي خروج عليه معناه تقويضاً للدين ومروقاً على الجماعة .

مصادر الرق :

١ - الخطف والقرصنة البحرية :

لما كانت الطبقة الممنوحة على لسان مفكري وقادة المجتمع اليوناني العقل والارادة حرياً بها ان تصدر اعمال القرصنة والاختطاف لتبرهن للمجتمع من انها وحدها سيدة الموقف وسيما وانها المتمكنة لجأزة الشيء مادياً والمالكة فاصبحت والحال هذه مدفوعة بدافع الكبرياء والفخر او بدافع مادي الى هذا اللون من الغصب وقد برزت هذه الاعمال بشكل واضح بين الاشراف والعظماء وبعض الاقوياء وكانت تثير الاعجاب بالنسبة للآخرين .

ب - المدين الذي يعجز عن ايفاء دينه :

وتسبب لهذه الفوضى واللا اخلاقية التي تسود المجتمع آنذاك تظهر الجوانب اللا انسانية الاخرى بشكل ملحوظ لتكمل حلقة الرذائل هناك ، وعندها تنشط المعاملة بالربا وافواج المرايين تزاحم التخاسين أو ان التخاس يحمل الصفتين الذميتين وترسب على اثر هذه المعاملات الربوية والاسترقاقية ان يعجز كثير من المدينين الفقراء الذين استقرضوا مالا لسد بعض حاجاتهم المعاشية يعجزوا من ان يعيدوا ما بذمتهم الى الدائن الجشع الذي استرد

ماله اضعافاً فيبدأ حين عجز هذا الانسان المسحوق من ايفاء ديونه الى رفع القضية الى القضاء حيث ينتظره الموت ، فيعمد المدين الى اهون الشرين بان يبيع ولده او ابنته او زوجته ... ! لغرض الخلاص من القيد الذي برقبته ... !

ج - بيع الدراي من اجل لقمة العيش :

ولما كان المجتمع اليوناني مجتمعاً طبقياً حاداً يتمثل في الاغنياء والموسرين من جهة والمعدمين المسحوقين العبيد من الجهة الاخرى وأن هذا التفاوت المقيت اوجده النظام الاجتماعي القائم آنذاك على اساس التقسيم الوارد ظلماً كما اسلفنا فيعمد الكثير من هؤلاء الفقراء والمعوذين الى بيع اطفالهم ونسائهم في سوق النخاسة بل في اسواقها المنتشرة هنا وهناك والحصول على لقمة العيش وسد حاجياتهم المعاشية ولو بصورة وقية ما دامت الثروة والجاه حكراً بيد اصحاب العقل والارادة !!

لذا ورد في الاحصائيات من ان عدد الارقاء في المجتمع اليوناني وفي فترة معينة بلغ اضعاف الاحرار ! ففي (اسبرطة) وحدها بلغ الرقيق (٦) اضعاف الاحرار وفي (اثينا) بلغ الارقاء (٢٠٠.٠٠٠) ألف والاحرار لا يربوا على (٢٠.٠٠٠) ألف .

معاملة الارقاء :

١ - الرجال : لما كانت هذه الظاهرة مشاعة الى حد الفضاة ، والنخاس هو الآخر قد تجرد من اسانيته واصبح همه الوحيد جمع المال والحصول على الاكثر من الرجال والاماء ، يحق له في ذلك العرف ان يتصرف كيفما يشاء وفي اي وقت ومكان لا تحده بذلك سلطة ولا يحاسبه رادع من ضمير فالعبد عند سيده اشبه بالآلة الصماء ، او قطعة من اثاث

بيته يتصرف بها متى شاء ، وما على العبد الا اطاعة سيده ، والاجابة له محققاً
كان ام مبطلا ! واذا ما حصلت معارضة - وقلما تحدث - يكون نصيب هذا
الانسان التعذيب النفساني على يد سيده وكذا الجسدي واخيرا القتل !
كما عليه ان يكون مطوعا في حالة بيعه او رهنه او اعارته او تأجيره او
استخدامه بأي عمل حتى ولو كان شائناً !!

٢ - الاماء : الامة في نظر العرف اليوناني سلعة رخيصة لا حول ولا
قوة لها ، بل مبتذلة حقيرة ومن حق سيدها ان يضاجعها في اي وقت ولحظة
او ان يهديها أو يؤجرها لغيره ... وقد ذهب معظم الاسياد الى اجبار الاماء
الى امتنان حرفة البغاء للحصول على المال خلال وجودها عنده ولم يكن
هذا على مستوى الافراد بل شمل الجميع وازفت عليه الدولة صفة
المشروعية بتدوينه رسمياً في قانون البلاد مما حدى بالكثير من النخاسين
والمرايين الى شراء العشرات بل المئات من الايامى وفتح لهن دور للبغاء
ما دامت الدولة نفسها اشرفت على هذه المهمة ، ويحدثنا التاريخ من ان احد
الامراء المدعو (صولون) اشترى الكثير من الاماء ووزعهن على البيوت
ليمارسن البغاء وتتولى الدولة جمع الاجور التي تعطى لهن^(٤) ... !

والادهي من ذلك وأمر كانوا يرغمون الايامى على مزاوله البغاء
داخل الكنائس والاديرة وفي معابد الاله حيث يتبرع اسيادهم بقسم من
المبلغ الى صندوق المبد على سبيل العبادة والتقرب الى الاله ، وهكذا توجر
باسم الدين القائم آنذاك وأخضع الى تلكم الاعراف الفاسدة ... !

نظرة الدولة الى العبد المعتوق :

واذا ما اعتق حر عبده لاسباب اجملنا بعضها كان فك برقبته بدفعه
المال له او احسن اليه بتخليصه من موت محقق او حالة وفاة صاحبه بأن

(٤) الاسلام روح المدنية - محطفي الغلاييني - *

أوصى بعثته قبل وفاته فإن الدولة تنظر إليه نظرة المذنب الذي عقى سيده
واساء إليه !!

وانه حينما أصبح حراً كأنما انفرط من عقد العيد وزاحم اصحاب
القوة والعقل والارادة فسنت بذلك قانونا يحرم عتق العبد بآية حالة من
الاحوال ... !

هذا عرضا سريعا ومقتضبا لحالة العبيد في المجتمع اليوناني وسأتابع
البحث لعرض صورة مساوية اخرى لما يعانيه انساننا القديم على يد اخيه
الانسان وسأتعرض الى حالة الرقيق في (العرف الروماني) انشاء الله .

جاسب فالح الربيعي

كلية اصول الدين

« السنة الثانية »

للمبحث صلة

« مفهومان عن الحرية »

*** لا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حراً**

علي بن ابي طالب (ع)

*** متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا**

عمر بن الخطاب (رض)

قيمة القرآن وحقيقته

محمد يحيى الثعالبي

- ٢ -

رغم ان ذلك اللفظ بارجاع مصدرية القرآن الى الله شائع منتشر فإن الواقع يثبت انه غير واضح أو مفهوم • القرآن يعتبر كتابا تحيط به الجهالات من كل جوانبه فلا يعرف قيمته الا القلة القليلة لان اعطاء القرآن قيمة أو اهمية لن يتم الا بمعرفة مصدره ومنزله •

يلاحظ المرء انه لو اخبر بأن رسالة قد اتته من عزيز أو قريب فإنه لن يقرّ الا اذا عرف ما فيها • وقد سبب اندفاعه لقرأتها حبه لمسلها وشوقه اليه • واذن بالنسبة للقرآن لن تتوقع اندفاعا في معرفته لانعدام المعرفة بمنزله أو بكلمة اخرى أنعدام المعرفة بالله - تعالى - عند الاغلبية من الناس •

قد تبدو تلك الكلمة غريبة غير متوقعة وهي تتضمن الانهزام بالتقصير في المهمة الاساسية للانسان وينبغي ان نعترف بها ونواجهها • انها موجودة تعلن من نفسها بالآثار الناشئة منها والتي كانت نتيجة لها •

كل الابتعاد عن شرع الله في الحياة البشرية عامة • وكل الشقوة المنتشرة في انحاء الارض • وكل التطاحن والتكالب على صعيد الامم او الشعوب او الافراد • كل الظلم الضارب باطناب في المشرق والمغرب • كل ذلك علامة واضحة كبيرة تجبر حتى من يرفض الرؤية ان يراها • وتلك علامة عدم وجود معرفة خالق هذا الوجود وبإديء هذه الحياة فيه ومصور الانسان بجنسه •

نتوقع الآن توقعاً أكيدا ان لا توجد المعرفة بكتاب الله ما دامت المعرفة بالله - سبحانه نفسه - غير موجودة بصورتها الصحيحة وبالتقدير الادنى الذي يؤثر في الحياة واساليبها وفي الافكار واتجاهاتها •

ان الاستغراب ناتج من سماع الرأي السابق يعود اصله الى ان المسلمين بمفهومهم مؤمنين بالله - تعالى - بدرجة من الدرجات ولذلك ينبغي توضيح معنى عدم وجود معرفة بالله عز وجل بالتقدير الادنى المؤدي الى اختياره موجهها للسلوك أمرا ناهيا •

الايان الموجود بالله - تعالى - عند المسلمين هو ايمان بوجوده فقط فالمسلم متيقن من وجود ذات اسمها (الله) • واما المفقود من الايمان والمعرفة فهو المعرفة بصفات الله تعالى المؤثرة الفاعلة في الوجود كله من أسه الى رأسه • التي تجعله قريبا الى الانسان اكثر من جبل وريده •

المعرفة بأن الله هو الرازق لا الفلاح ولا الخباز ولا البقال وهو الذي اعطى الخباز الملح والنار واعطى البقال العقل والتدبير • المعرفة بأن الله هو القوي الذي تقوم بقوته كل هذه الموجودات التي قد ترهب الانسان بضخامتها من الشمس الى السماء الى البحار الواسعة والاراضي الشائعة •

المعرفة بأن الله هو العليم الخبير الذي يسمع دبيب النمل على الارض والذي ما يكون نجوى ثلاثة الا وهو رابعهم ولا خمسة الا وهو سادسهم • كل تلك الصفات المؤثرة في حياة الانسان ، الاساسية في حياته القربية منه لانها تؤثر فيه هو بنفسه مفعول عنها • والناس في واد واهم شيء يجب معرفته في واد آخر •

وحتى يستطيع الانسان ان يقدر اهمية المعرفة بصفات الله فان له ان يتصور ان رجلا جاهلا بكل ما وصلته المدنية من تقدم علمي وحضاري قد جلب من باديته أو غابته ووضعت امامه شحنة ذرية أو قبيلة نووية واخبر

بأن اسم هذه الكتلة المعدنية « قنبلة ذرية » ان صاحبنا هذا لن يعير تلك القنبلة اهتماما اكثر من اهتمامه بتحصيل علف لناقته • فما له والقنابل • انه وان يتقن من وجودها لكنه لا يعرف من صفاتها ما يجعله يتأثر منها • وسيبان عنده اعرف بوجودها أم لم يعرف • فهو لن يرتب اي أثر في حياته من جراء معرفته الساذجة تلك •

ولكن لتصور أن متقنا دارسا عرض لنفس الموقف • أنه سهرتجف وقد يصقع عندما يقف أمامها ويلمسها بيده لانه يعرف ان من شأنها اذا انفجرت في لحظتها تلك ان تفتيه وكل المدينة او القطر وتسوه الملايين من البشر • انه يعرف بوجودها وكذلك يعرف من صفاتها قدرا ضخما ولولا معرفته بصفاتها لما جزع أو وجل •

اذا كان لهذا الفعل مهمة فهي أن يعرض من صفات الله المؤثرة في حياة كل انسان صغيرا كان ام كبيرا غنيا أم فقيرا جاهلا أم عالما ما يسد جزءا من الهوة التي توصل بين المعرفة الحقة اللازمة لايجاد الشعور بالاسلام والخضوع لله وبين المعرفة الغامضة المحاطة بظلال الاساطير المكبوتة بالفقلة أو التغافل والتي تكاد تكون وحدها هي النوع الشائع المنتشر •

وما على المتشوق الذي يجد في نفسه وفي اعماق تلك المضخة التي نسميها قلبا ، اندفاعا وحاجة لان يعرف شيئا حقيقيا صحيحا عن ربه الذي ما برح يسمع بأسمه منذ نعومة اظفاره بدون أن تتاح له فرصة لان يجد شيئا حقيقيا مؤثرا في ذاته • شيئا يدفعه ويخلق فيه تطلعات جديدة سامية • ما على ذلك الانسان الا ان ينعم النظر فيما سيرد من آيات الله التي ترسم بحروفها الابعاد الحقيقية لصفات الله عز وجل وتوضح موقف الانسان الأمثل اتجاه ربه •

الله - جل جلاله - انزل القرآن تبياناً لكل شيء • ولذا نرى القرآن

يتطرق الى كل مجال تكون معرفته لازمة ومهمة للانسان ولا ريب ان من اهم المجالات التي بحثت في القرآن هو تعريف الناس بربهم .

ولابد والحال ذلك ان نجد في آيات الكتاب العزيز الصورة التامة لمبتغانا من المعرفة بمنزل القرآن ومصدره .

ومما يتميز به القرآن انه يعرضه لتلك الحقيقة يبلغ درجة من الايضاح والتبيين بحيث يترك اعمق الآثار في القلب الذي يتوجه اليه ويسمعه حق السماع .

انه يتسلسل في رسم مشاهد من هذا الوجود ضخمة في ذاتها . وفي دلالتها . مشاهد واسعة شاملة لكل انواع الموجودات وبكافة ابعادها ومن ثم يربطها بوشيجة دلالتها على الله ويقدمها برهاناً جلياً بعد ذلك للمتطلع .

انه يخاطب في الانسان فطرته التي فطره عليها خالقه ولا يكلفه عبثاً سوى التوجه والسمع . والحقيقة عند ذلك ستأخذ بتلايب الانسان اخذاً لنقول له أنا الحقيقة ... فهلا رأيتني !!

وما احلى الانسان عندما يعرف ربه . انه كان يتخطف في قلبه اشواقاً للمجهول وما كان ليعرف كيف يشبعها ولكنه عندما يعرف ربه سيقر ويرتاح لأنه وجد الله الرحمن الرحيم .

لولا - الله - لما وجد البشر . ولما وجدت أنت بالذات وهذه العين التي تنتقل على الاسطر بدورها ما كانت لتوجد لولا الله .

حقيقة ضخمة ان الله هو سبب الوجود . وبقدر ضخامتها هي واسعة لا تشمل الانسان فحسب بل هي مرئية في كل صغيرة وكبيرة في هذا الوجود من الذرة الى المنظومة الشمسية . من النطفة المهينة الى الانسان السوي . من السماء الى الارض . من الظلام الى النور .
فالحمد لله الذي خلق وصدق الله اذ قال :

« الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الفلكمات والنور
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » •

انه الواسع الذي كون هذا الوجود الكبير بكامله • وبعد ان أوجده
كان هذا المورد تصدر منه القوة والحركة واستمرارية الوجود •

انه (القيوم) الذي به تقوم الاشياء كلها جميعا ، وهو وحده الغني
وسواه محتاج اليه •

وفي ايقاعات مجللة يعلمنا الله قيسومته ، وملكه لكل شيء •
الله :-

لا اله الا هو • الحي • القيوم • الذي لا تأخذه سنة ولا نوم

له ما في السموات وما في الارض

البقرة : ٢٥٥

سيطرته وملكه شمل السموات والارض لذلك قال :-

« وسع كرسيه السموات والارض ولا يشوده حفظهما وهو العلي
العظيم » •

كل شيء يسير عليه ولذلك فهو لا يتعب ولا ينصب في حفظ ملكه
وادامته •

وعندما يريد ان يحتاج في انه هو القوي حقا المسيطر حقا فان الحقائق
تأتي متوافقة مترابطة •

ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا •

ان امسكهما احد من بعده • انه كان حليما غفورا •

انه يمسك الوجود بنظامه البديع هذا • ويديمه في حركة دقيقة لا مجال فيها لادنى اختلال • وحتى نستطيع ان ندرك معنى « ان الله يمسك السموات والارض » علينا ان نعرف ان شمسنا التي تشرق يوميا علينا اقل بمليون مرة من الارض التي نعيش عليها ونموت ولا نؤمل ان نراها أو ان نحيط بسعتها ووزنها • وشمسنا رغم عظمتها الهائلة ليست ثابتة بل هي تسير وبسرعة غاية في الكبر متجه نحو نجم بعيد •

• واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون • والشمس

تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم •

وذلك كله يجري بيد القدرة الربانية لا يشذ منه شيء عن علمه تعالى •

هذا الكون الرحيب الذي نسميه سماء يضم فيما يضم مجاميع من النجوم اسمها المجرات • وكل مجرة تشبه ان تكون جزيرة من الشمس عائمة في فراغ الكون اللامتناهي • وقد علم ان متوسط عدد الشمس في المجرة الواحدة هو مئة مليون واحدة • واذا اضفنا الى ذلك ان هناك عددا من المجرات في الوجود •

اذا عرفنا كل ذلك كنا جديرين ان نحس ونستشعر ان الله مطلق القوة مطلق العلم •

ان الانسان ليرتجف عندما يتصور ان هذا الكون يمتد ويمتد بدون نهاية يستطيع ان يدركها أو حد يقف عنده •

وانه ليرتجش عندما يدرك مدى ضآلته نسبة لكل هذا الوجود الهائل المرعب بامتداداته اللانهائية •

وهو حري بأن يرتجف عندما يقرأ •

(الحمد لله فاطر السموات والارض •)

ولن يكون هناك سوى جانب واحد للذي يسأل لمن الوجود
(قل لمن ما في السموات والارض قل لله) الانعام ١٢

واضافة الى انه خلق السموات والارض اللتين تمثلان اضمخ ما يمكن
للانسان ان يدركه ، فإن الله يحدثنا انه خلق البشر وخلق الاحياء على هذه
الارض جميعا بدون استثناء • فهو لطيف خير عليم •

ان الخلية الحية التي لا ترى بالعين المجردة تمثل علما قائما بذاته عالم
كبير عجيب تجري فيه فعاليات مذهشة • تلك هي فعاليات الحياة • هناك
تغذير وبناء وهدم وتنفس وحس وتكاثر وكل شيء في شيء دقيق لا يرى •
ليس من المبالغة القول بأن الخلية الواحدة اعقد من مصنع كامل • لار
المصنع جامد لا يتحرك الا عندما تديره عقول البشر اما وحدة الكائنات الحية
وهي الخلية فانها تتحرك وتمضي قدما في طريق الحياة بصمت وهدوء وبنفس
الوقت في عظمة يقف امامها ذهن الانسان مشلولا عاجزا عن الاحاطة بعلم
وقوة خالق تلك الخلية •

البشر بطبيعتهم يعجبون من المخترعات البشرية فهم لو رأوا جهاز
يسير بصورة اوتوماتيكية لعجبوا منه وبهروا وعلة ذلك الانبهار والانشداد
هو ندرة وغرابة ما يرونه فهم بسبب الفهم على جوانب ادعى للعجب
لا يتأثرون •

والا فكم طفلاً يولد يومياً ؟ بلا شك كثير • افلا تسأل من اين جاء
هذا العدد من البشر ؟ ان الآباء والامهات لهم دور ضئيل في عملية الوجود
الانساني • ويكفي دليلاً على ذلك جهلهم بما يجري للخلية أو النطفة التي
ستصبح فيما بعد انساناً •

النطفة البشرية معجزة • • خارقة • • اسمى في دلائلها من الخلية
الواحدة المجردة البسيطة •

انها واحدة ولكنها تضم أنسانا في داخلها لانها ستقسم وتنقسم بسرعة
ودقة غريبة وتسير كل خلية في وظيفتها كأنها تعقل وتبدأ كل مجموعة من
الخلايا بالتخصص لتصنع جهازا • ولا يمكن ان تضل الخلايا المتكونة
طريقها لتكون عينا مكان الفم أو عظما مكان اللحم أو شعرا مكان العظم أو
معدة مكان الرئة •

كل شيء يسير بدقة •

وكل حركة تتم باتساق

وكل جديد له اصل

وكل صغير له أثر

عظمة • جلال • كمال • يتجلى في حركة الخلية من كونها لا ترى
الى كونها انسانا •

(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين • ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فبارك الله احسن
الخالقين) •
المؤمنون : ١٢ - ١٤

ذلك الحادث في ميزان البشر تافه لشدة جهلهم وكثافة (الذي) على
قلوبهم • ان احدهم لو وجد قطعة ذهب في جيبه لسأل عن مصدرها اما اذا
تكرر وجدانه لقطع الذهب في جيبه فإنه سيمسك الناس الذين من حوله
تساؤلاً ودهشة واستغراباً وضجة كل ذلك لانه وجد شيئاً ولم يعرف
موجده •

والله تعالى يخلق يوميا المئات من البشر والملايين من اصناف الخلق ثم لا يكلف احدا من البشر نفسه ان يتساءل من الموجد ؟

ولكي ينبه الله الغافلين عن تديره الى انه هو لا غيره يخلق ويوجد فانه يسأل :-

(أفرايتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ؟ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم بما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لا تذكرون) •

الواقعة : ٥٨ - ٦٢

ويواجه البشر بأنه هو الذي منحهم نعمة السمع والبصر والعقل (قل هو الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) •

تبارك : ٢٣

فان انكروا ذلك فهو يسأل •

(قل أرايتم ان اخذ الله سميعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيك به ؟؟) الانعام : ٤٦

يعوزنا ادراك الشمولية التي يتصف بها الله في خلقه وتبريره فهو وحده الذي يفعل ويغير ويحرك في كل ما حولنا •

هو الذي جعل الشمس تشرق وتغرب

هو يجعل المطر ينزل

(الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء ماء ومن الجبال فيها برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء • يكاد سنى البرق يذهب

بالابصار يقلب الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار)

النور : ٤٣ - ٤٤

هو الذي يحي ويميت ويفلق الحب والنوى •

(ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون)

(فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا ذلك تقدير العزيز العليم)
الانعام : ٩٥ - ٩٦

هو الذي يخرج نبات كل شيء ، كل شيء بدون استثناء

« وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دافية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير مشتبها انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » •
الانعام : ٩٩

هو الذي يرزق

« وكأني من دابة لا تحمل رزقها • الله يرزقها واياكم »

الغنكبوت : ٦

« وما من دابة على الارض الا على الله رزقها »

هود : ٦

هو الذي سوى وهدى •

« سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى »

والذي اخرج المرعى فجعله غناء احوى •
الاعلى : ١-٥

هو الذي جعل الليل والنهار ويرسل الرياح •

« ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ؟ ثم قبضناه اليها قبضاً يسيراً • وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً وهو الذي ارسل الرياح بشراً بين يدي رحمته • وانزلنا من السماء ماءً طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا انعاماً واناسي كثيراً »
الفرقان : ٤٥ - ٤٩

« وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات »
« وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين • يغشي الليل النهار ان في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون »
الرعد : ٢

وتعاد تلك الحقيقة في اماكن اخرى من القرآن • ويرجع كل شيء •
وكل حركة وكل مخلوق وكل ساكن وكل حي وكل جامد يرجع الجميع الى اصل الوجود ... الى الله •

(وهو الذي انزل من السماء ماءً لكل منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والاعناب ومن كل الثمرات • ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون •

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون •

وما ذراً لكم في الارض مختلف الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون •
والقى في الارض رواسي ان تמיד وانهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون)

النحل : ١٥ - ١٠

تعرف مما سبق ان اول صفات الله انه الخالق لكل شيء في الوجود وله

مقاليد السموات والارض وبأمره يحدث كل شيء فلا حركة ولا سكون
الابقوته • انه مطلق القدرة وتام الملك والسيطرة •

الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل • له مقاليد السموات
والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون •

الرعد : ٦٣

انه يعلم :-

كما رأينا واحسنا في تطلعنا وبحثنا عن الآيات التي تقدر أوحديّة الله
في المخالقية وقدرته غير المحدودة في الانشاء والادامة • وانما عشنا شمول
كل شيء بتلك القيمومة والملكية • نرى في الآيات التي تصف علم الله ذات
الطابع نفس السمة •

ليس هناك حدود لعلم الله كما ألف البشر ان يكون لعلمهم حدود ،
وما يوجد في الوجود حد يقف عنده علم الله وسمعه وبصره فكل شيء امامه
يخبره ويعلم به ويذكره ولا ينساه •

لا يقف امام الله حواجز طبيعية كظلمات الارحام واغشية الجلود فهو
يعلم حتى ما في الارحام •

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى • وما تفيض الارحام وما تزداد
وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) الرعد : ٩

وعلمه غير محدود بواحدة أو اثنتين من الاناث أو بالاناث من جنس
الانسان بل انه محيط بكل انثى • هكذا ! في اطلاق مرهب وتعميم مؤثر •
ويستمر في التبيين وتثبيت ذلك المعنى ليقول :

(سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار) •

فكلكم سواء امام العين التي لا تغفل والرقابة التي لا تبي • والله الذي
لا تأخذه سنة ولا نوم •

وفي آيات اخرى يصور لنا العزيز سعة علمه واحاطته ومشاهد
نحسها ونراها • انه لا يقول « انا اعلم كل شيء » وكفى « بل يزيد الامر
جلاء بقوله :

(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو • ويعلم ما في البر وما في
البحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين) • الانعام : ٥٩

وكم تسقط من ورقة ؟ وكم من مكان يحصل فيه ذلك ؟ وكم من
حبة صغيرة تافهة موجودة في زاوية من زوايا النسيان في هذه الارض ؟
وكم تلف الظلمات من رطب ويابس ؟ وكم من حي وميت ؟ وكم ؟ وكم ؟
انها الروعة ... التي تأخذ القلب من أقطاره • ولا تدع له مجالاً
ليتلفت لغير هذا العليم • الذي فاق بعلمه كل عليم •

واذا كانت تلك الآيات قد اعطت حقيقة بعلم الله بكل ما على وجه
البسيطة فان الله شؤونا في غيرها وبينها في القرآن كذلك •

(هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم^(٣) هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم أستوى على العرش يعلم ما يلج في
الارض وما يخرج منها ما ينزل من السماء ما يعرج فيها وهو معكم اين

ما كنتم والله بما تعلمون بصير • له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور

الحديد : ٦

وفيما يتعلق بالبشر ، لابد ان تبلغ المعرفة برقابة الله وحضوره الدرجة القصوى ولا بد ان ترسخ في اعماق قلوبهم تلك الحساسة يكون هناك مشاهد لكل ما يدور منهم ويصدر عنهم •

ونرى في القرآن لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه ونحس بمدى حرصه على ان يُثبت في حسه تلك الحقيقة الضخمة :-

(يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأتي بها الله ان الله لطيف خبير) لقمان : ١٦
وهكذا تستمر الآيات تنتقل من مجال الى آخر من السماء الى الارض ، من الظلمات الى النور ، من السر الى الجهر ، من ما يجري على اللسان الى ما تكنه القلوب وتخفيه خفايا الصدور •

(وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) الانعام : ٣

(ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور)

فاطر : ٣٨

اعلموا يا بني الانسان حقيقة ما يجري حولكم في عالم الغيب • ليس هناك فراغ أو نسيان أو ضياع لما يحدث ويجري في الارض • وليست النتائج التي تظهر الآن هي كل شيء في الموضوع أو نهاية لما يترتب عليها

ان هذا ما نحسه بمداركنا القاصرة وآلات حسنا المحدودة • اما الحديثة فهي شيء • آخر اكبر بكثير وأضخم • اتنا نعتقد الا اخفى واستر من مضمرات القلوب ما نحدث به انفسنا سرا ونعتقد ان ذلك سيقبها سرا الى الابد ينطوي بأنطوائنا • ولكن هلموا هذا هو الواقع ؟ ••

كلا •••

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ١٦ (ق) •

والبشر قد يجتمعون ويتفنون في الابتعاد عن الاعين والاختفاء عن الانظار وطرق قبيح ما يعملون في زوايا النسيان ومرور الاوقات والايام وهم انفسهم قد ينسون ما صنعوا اذا تقادم عليهم الزمان وعمرؤا طويلا ولكن هل معنى ذلك ان اعمالهم ذهبت ونسيت •

كلا •••

(يوم يبعثهم جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد (٦)) الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض • ما يكون من نجوى ثلاثة الا وهو رابعهم ولا خمسة الا وهو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا أكثر الا وهو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم •

المجادلة : ٧

وبعد كل ما سبق ذكره نكون قد وعينا شيئاً عن حقيقة علم الله وشموله وتماحه • وتكون قد ادركنا سعته شيئاً ما • فلنستمع الى آيتين تصوران تلك السعة والشمولية •

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) •

الكهف : ٢٠٩

(ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمد من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله) • لقمان : ٢٧

والكون يسجد له :

ربنا الله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى • شمل الوجود برحمته
وعنايته • وأفاض الحياة والحركة على جميع الموجودات • وما دام الحال
كذلك فإن تلك الموجودات تتجه له جميعا بالطاعة والاعانت • وتغنو بين
يديه خاضعة مستسلمة • ويضج الوجود حمدا وشكرا لله اعترافا بنعمته •

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون) • الروم : ١٨

في تلك الآية نجد الاشارة واضحة الى ان السموات والارض ومن
فيهن يسبحن بحمد الله في جميع الاوقات • ومهما كان هذا الانسان مشغولا
ناسيا الله تعالى جاهلا بما يدور حوله ، فإن التسبيح يستمر ولا ينقطع ولا
يتأثر بحالة الانسان •

والكون بعد ذلك قانت • وقنوته لا يشترط ان يكون كقنوت المصلي
في صلاته بل يحتمل ان يكون بصورة غيبة لا تعرفها وذلك العلم المتعلق
بكيفية قنوت الكون وسجوده غير مهم ولا لازم انما المهم ان نعلم ان رابطة
المبودية والتوجه لله يربط بين هذه الموجودات ويوحدها ويوجهها وجهة
واحدة •

(وله ما في السموات والارض كل له قانتون) • الروم : ٢٦

ويصور الله لنا (كيف) ان كل من في السموات العظيمة الشاسعة
الواسعة الممتدة بدون نهاية ندركها أو نراها كل اولئك يسجدون طوعا أو
كرها وتسجد معهم ظلالهم له فقط ويسجدون في اوقات متميزة يحس بها
الانسان وينفتح قلبه فيها للاتصال بسبب الوجود •

• ولله يسجد من في السموات طوعا وكرها •

الرعد : ١٥

وظلالهم بالغد والآصال

فعند تشرق الشمس تبدأ الحركة بداية العبودية الخالصة وعندما تغيب يختم اليوم بسجود الله • وكأن الله أراد أن ينسق بين الانهيار والكون فأمر بالصلاة قبل شروق الشمس وبعد الغروب وليوقع في حضن الانسان طاعة الكون لله وسيره بأمره •

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن • وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) •

الاسراء : ٤٤

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) •

الجمعة : ١

وبعد ذلك يدعو الله البشر ان ينظروا ويروا ما حولهم ويتفحصوا الكون ليروا مدى تسليمه لله وانقياده له وليدركوا عظمته من خلال تحسبهم بعظمة مخلوقاته •

(ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجيال والشجر والدواب وكثير من الناس) •

الحج : ١٨

(أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون (٤٨) والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة وهم لا يستكبرون) •

النحل : ٤٩

(ألم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صفات كل قد علم صلاته وتسبيحه • والله عليم بما يفعلون) •

النور : ٤١

ان المؤمن بالله مدعو بصريح نص الآيات لان ينظر ويميد النظر في
ارجاء وجنات الكون الواسعة الهائلة الابعاد حتى يصل ايمانه لدرجة
المعرفة الحقبة بخالق هذا الوجود .

وحقيقة ان الكون يسبح لله ويسجد له ويقنت تحمل من الحياة ومن
التأثير اضعاف ما كان يوجد لو علمنا ان هذا الكون مخلوق جامد لا حس
فيه ولا حراك . وشتان بين انسان يسير على الارض وينظر الى الاشجار
ويمدُ بصره الى الجبال ويتذكر بعد ذلك ان كل ما رآه كان غارقا في بحر
التوحيد والتوجه الى الله حيا نابضا بالحركة التي لا تحس بالحواس ولكنها
موجودة في عالم الغيب مسبحا خاشعا وبين انسان يسير معتقدا بجمود وموت
ما حوله .

ان الكون ينقلب عند ذلك مخلوقا حيا يأنس به المؤمن ويجد فيه
اوسع الطرق واوضح السبل للوصول الى معرفة الله وصفاته الفاعلة
المؤثرة .

واذا عرفنا ما سبق ووعينا شيئا من علم الله وعزته ورحمته نكون قد
حصلنا رصيذا يكفي لان نتواجه مع القرآن الكريم وندرك معنى كونه من
الله ووزن تلك الحقيقة .

★ ★ ★

آيات تعين مصداقية القرآن

اورد الله في محكم كتابه العزيز الكثير من الآيات التي تعين صدور
القرآن عنه . واذا كانت تلك الآيات ستورد هنا فلغرض القرب من القرآن
والعيش مع نصوصه والاستئناس بطريقته الفذة المنفردة في اقرار الحقائق .
وذلك القصد مهم في حد ذاته اذ أننا نعتقد القرب من كتاب الله بالدرجة
الصحيحة .

قال الله تعالى ..

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب • قابل التوب
شديد العقاب • ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير) • غافر : ١

لنستشعر الثقل في تلك الآيات التي تغور بمعانيها ووقع الفاظها عميقا
بعيدا في القلب • ولنحاول ان نقرب الى الله بادراك كلامه وهو يعرف بنفسه
وجبروته وهيئته على البشر •

وفي آيات أخرى يقرر الله انه هو الذي يوحى الى الرسول وهو العزيز
الحكيم الذي تكاد تشق من خشيته السموات •

(حم • عسق • كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم • تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض
الا ان الله هو الغفور الرحيم) • الشورى : ١-٥

ويذكر الله الليلة التي انزل منها القرآن فيعظم من شأنها ويصف القرآن
بانه رحمة منه ويعرف بنفسه كونه هو الذي يحي ويميت ويمسك بزمام
الخلايق كلها • وما اعظمها من صفات وما اجدنا بالخشوع والرهبة عندما
نرى القرآن ونحن نعلم انه صدر عن الله •

(حم والكتاب المبين • انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها
يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو
السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله
الا هو يحي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين) •

وهكذا تستمر الآيات توضح وتجلي من تلك الحقيقة •

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الاحقاف : ١-٢

(الله الذي انزل الكتاب بالحق) • الشورى : ١٧

الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) •

الرعد : ٢٣

وقد قال الذين كفروا الكثير عن القرآن لكثرة ما راه على قلوبهم
ولتعصبهم واتباعهم لما افوا عليه اباءهم فنزلت آيات من القرآن تنزلهم
وتردعهم وتخبرهم بأن الله الذي انزل القرآن بنفسه يعلم كل ما يضمرون
ويعلمون •

(وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون
فقد جاءوا ظلما وزورا • وقالوا اساطير الاولين كتبها فهي تلى عليه بكرة
واصيلا • قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا
رحيما) • الفرقان : ٤-٦

وقال الله مخاطبا الرسول :

(فلاتك في مريه منه • انه الحق من ربك) • هود : ١٧

ومن ضمن الاسباب التي توجب ان يكون الحمد والثناء لله انه
سبحانه انزل الكتاب :

(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) •

كهف : ١

وقد يغفل المؤمنون عن مصدرية القرآن وينسون حقيقته وتقل قيمته
في اعينهم ولكن الله لا يريد ذلك ولذا تقرأ :

(قد جاءكم من الله (لا من غيره) نور وكتاب مبين يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه

ويهديهم الى صراط مستقيم) • المائدة : ١٥-١٦

● الم • الله لا اله الا هو الحي القيوم • نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه • الاعراف : ١-٢

● تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعبيد • آل عمران : ١٠٧

● وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل لله عليك عظيما • النساء : ١٣

● لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون • هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون • هو الله الخالق البادي المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم •

الحشر : ٢١-٢٤

منهجة الموضوع

- س : من اين يمكن ان نعرف علة نزول القرآن ؟ واثره على الانسان ؟
- ج : تلك المعرفة بالقرآن يجب ان تؤخذ منه • فالله الذي انزل القرآن هو الاولى بأن تأخذ منه حقيقة ما انزل وعلاقته بنا •
- ماذا في القرآن عن علة نزوله ؟؟
- توجد آيات خلاصتها ان علة انزال القرآن هي :
- أ - بالنسبة لعموم البشر •

يعلمهم بأنفسهم وبخالقهم وبما حولهم ويوضح لهم مصيرهم
ومن ثم يطالبهم بالاسلام لله وعبادته وحده .

(يعطي اعتقادات)

ب - بالنسبة للمؤمنين من البشر .

يعطيهم المعرفة بالكيفيات التي يريد الله ان يسيروا عليها في
سلوكهم كأفراد وكأعضاء مجتمع . وتلك المعرفة يصطلح عليها
بأسم دين أو نظام (يعطي احكام) اضافة الى الاحكام فهو
بالنسبة للمؤمنين هدى ورحمة وبشسري ونور كيف ثبت
ذلك ؟

- الانسان بمعرفته يقيم حياته كلها افكارا وسلوكا .

- المعرفة مختلفة المصادر فاما مصدرها انسان وأما الله .

- الانسان جاهل . محدود . والله عالم . كامل . ولذا فمعرفة الله
كاملة عكس معرفة الانسان .

- القرآن هو مجموع المعارف الالهية . واذن هو سبب لاسعاد الانسان .

(القرآن هبة من الله لتحقيق سعادة الانسان)

عرفنا عن القرآن الكريم انه كتاب منزل من جهة هي اعظم واكبر
وأقوى واعلم ما في هذا الوجود . وكان ذلك أول اعتبار يجعلنا نهتم بالقرآن
وننظر اليه علما انه شيء له وزن وقيمة وعلينا ان نتوجه اليه لنعرفه معرفة
كلية .

وحقيقة في هذا القرآن وثيقة العلاقة بما علمناه عن مصدره هي انه
انزل ليحقق سعادة الانسان . وان الله تعالى لم ينزله عبثاً ولم ينزله لتلوه
مجاميع من القراء ايام الجمع والمناسبات !! وسعادة الانسان يقصد بها

المعيشة الفضلى له التي تضمن راحته وفائدته طالما هو موجود في الدنيا والآخرة وكيفما هو موجود فردا أو عضوا في المجتمع • ومهما كان جنسه أو لونه أو عمره أو منزلته الاجتماعية •

ولو تيسر لنا ان نستعين من تلك الحقيقة لكأنت - والصدق يقال - اعتبارا يجعلنا تنهيب عند نظرنا الى القرآن لانتا تصور ان سبب كمال البشر مودع فيه • وان كل ما يسود العالم من تطاحن وغبن وظلم وفقر يعود سببه لكون ترك القرآن وابعاده عن توجيه البشر في حياتهم الاجتماعية وذلك ضخم جدا •

وعندما نفرغ ان شاء الله من تقرير تلك الحقيقة نكون قد اضعنا الى معرفتنا بالقرآن شيئا جديدا ومهما بعد ان عرفنا مصدره كنقطة اولى وذلك الشيء هو علاقة القرآن بالبشر وحياتهم وواقعهم الذي يعيشون فعلا • علاقته بالفقير والبائس والتعس والمظلوم وغيرهم من المعذنين في الارض سواء في اجسادهم أم في أنفسهم وعلاقته بالانظمة التي تحكم بين الانسان والاتجاهات الفكرية التي تلعب بأفكار ومعيشة الناس ونكون قد خلصنا الى ان القرآن انزل لتحقيق خيره ونفعه واضعا اعتبارا جديدا في قيمة القرآن •

★ ★ ★

سؤال نسأله : من هو الذي يملك الحق في ان يعين ويحدد علة انزال القرآن الى البشر ؟ ومن هو الذي سيكون جوابه صحيحا كاملا ؟

لا ريب ان الذي انزل القرآن اعلم بما فيه وما يحتويه وهو اذن عندما يقول شيئا بهذا الشأن يكون كلامه هو الفعل •

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات متعلقة بذلك الشأن اخبرنا فيها الله - سبحانه - بغايته من انزال القرآن ومن جملته تلك الآيات :

● فأنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون • الدخان : ٥٨

- حم والكتاب المبين • انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون •

الزخرف : ٣-١

- ان هو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم ان يستقيم •

التكوير : ٢٧-٢٨

فالقُرآن بالنسبة للبشر عموما دعوة من الله لهم كي يتذكروا ويفكروا ويعقلوا في جملة من الحقائق تشمل كل الوجود يقدمها لهم وينبئهم عليها •

- ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ لعلهم يتذكرون •

الزمر : ٢٧

- ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء • النحل : ٨٩

الله تعالى يعرف البشر بأنفسهم وبكونهم مخلوقين له ويعرفهم بنفسه وصفاته ومن ثم يحدد نوع العلاقة بينه وبينهم بالجملة فهو يقدم (اعتقادات) للبشر ليؤمنوا بها كخطوة أولى •

فمن تلك الاعتقادات

انه سبحانه الاله وحده لا شريك له

- (هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولو الالباب) • ابراهيم : ٥٢

وان هناك دارا يسير اليها الانسان حينما فيها ثواب وعقاب •

- (الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كتب فيه ايدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) •

الكهف : ١-٤

وانه سبحانه الا حق بأن يشرع ويعبد ويطاع •

- تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين) • الزمر : ١-٢

اما الثانية التي تعقب الخطوة الاولى التي كانت تقديم اعتقادات وحقائق للبشر ليؤمنوا بها بعد التفكير والتعقل ويصلوا منها الى نتيجة :^٤

لا اله الا الله وانه هو وحده مستحق للعبادة بمعناها الشامل الذي يتناول حياة الانسان كلها بجميع مظاهرها ونواحيها •

الخطوة الثانية هي انزال احكام وتشريعات للذين اعتقدوا بحاكمية الله وحقه في التشريع لهم • والاحكام تلك ستزل على مجموعة الذين اعتقدوا بالوهمية الله أو ستزل على المجتمع المسلم الذي آمن بان عليه أن يسلم زمامه لله ليوجهه كيفما يريد وحسبما يشاء • وستكون هي نظامه ودينه الذي يسير عليه ويبني وفقه •

ومع الاحكام ستكون مهمة القرآن تثبيت المؤمنين على القيام بمهمة عبادة الله والاستمرار عليهم رغم ما يواجهه من يتجه تلك الوجهة من مصاعب وشدائد من مختلف الجهات •

- ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين • النحل : ٨٩

- كل نزل روح القدس ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين • النحل : ١٠١

- ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين • الاسراء : ٩

- ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا • الاسراء : ٨٢

● وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة • كذلك لتثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً •

● يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من بكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين • (قل بفضل الله ورحمته فليفرحوا هو خير مما يجمعون) •
يونس : ٥٧-٥٨

القرآن الكريم مهمته كما نستشف من نصوص هي :-
تعيد الانسان لله عن طريق اعتقاده بالله وبالأخرة والنبوة أولاً ومن ثم الاسلام لحكم الله وتشريعه ونظامه في كل ما يتعلق بحياة الانسان الفردية والاجتماعية ، النفسية والعملية •

وعندما يتم ذلك ويطيع الانسان توجيهات الله السابقة كلها فيؤمن ويسلم ويعبد الله مخلصاً له الدين بتوجيه القرآن المباشر كونه الحاوي على العقيدة وعلى الاحكام الشرعية للحياة • وقتئذ يكون قد رزق الى الوجود مجتمع رباني قام على الاوامر والمعارف الالهية ونشأ عليها • ويكون ذلك المجتمع ممثلاً لابرز ما في الانسان من خصائص من مثل واردة وخلق • ويكون ذلك المجتمع الذي لا يمكن للبشر ان يقيموه بمعارفهم واعتقاداتهم المحدودة بطبيعتهم الانسانية وما يكتنفها من ضيق في الافق وقصر في النظر •

وعن ذلك النتائج الباهرة ليحقق الله ويربطه بأنزال القرآن • فيقول :
● هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم •
الحديد : ٩

● الرر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد •
ابراهيم : ١

● فأتقوا الله يا اولو الالباب الذين آمنوا • وقد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا

الصالحات من الظلمات الى النور • الطلاق : ٩-١٠

واخيرا يصف الله القرآن بأنه نور يهدي به الله المؤمنين الى السلام •

● قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم • المائدة : ١٥-١٦

فالصفة الاولى للقرآن في ما سبق من آيات هي انه يخرج المؤمنين من الظلمات الى النور ولا يوجد تعبير اوفى واوسع واقوى على تصوير النفع العيم والخير الوفير الذي يتحقق للبشر عن طريق القرآن من قوله تعالى :

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله

من اتبع رضوانه سبل السلام

السلام هو النتيجة وليس سلاما مفردا • انما هناك سبل كثيرة للسلام يوصل اليها القرآن •

• سلام في الضمير والقلب والعقل •

• سلام في المجتمع بنظامه المتكامل الصحيح •

• سلام في العلاقات البشرية مع كل شيء •

كيف اصبح القرآن سبب السعادة الحقّة للانسان ؟ ...

يرى الناظر في حياة البشر على اختلاف شعوبهم وحضاراتهم ان الذي يحركهم ويدفعهم الى انواع السلوك المختلفة التي يقومون بها هو المعرفة التي يحملونها عن الاشياء التي تحيط بهم •

وتلك الحقيقة عن البشر يمكن ان تدرك اذا تأملنا في حوادث من حياتهم اليومية • فالطالب يذهب لمدرسته لمعرفة بفائدتها له وضرورة دوامه

فيها • والموظف يعمل لانه يعرف ان تحصيل رزقه متوقف على عمله والسائق يوقف سيارته عندما يقفز امامها طفل لانه يعرف آثار دهسه لذلك الطفل من توقيف وغرامة والذي لا يعرف السباحة لا يتقرب للشاطئ العميق لانه يعرف ما يترتب على سقوطه في الدجة •

اذن المعرفة بالاشياء هي اساس اتخاذ المواقف العملية تجاهها • والمعرفة تسع وتشمل كل تفرعات حياة الانسان من صغيرها الى كبيرها وتبدأ بالتحكم في فعالياته اليومية كالاكل والشرب والنوم وفي علاقته مع الآخرين سواء اكانوا اهلاً أم اصدقاء أم زملاء • فالفرد من الناس يأكل بطريقة معينة لانه تلك الطريقة من عائلته ويتحدث بلغة عرفها من مجتمعه وهكذا نستمر بأرجاع كافة التصرفات الى معارف مكتسبة من المجتمع •

وهناك نوع آخر من المعارف لا تؤثر في حياة الناس كأفراد انما يتعدى أثرها الحدود الفردية ليصبح مؤثراً على صعيد المجتمع ككل • فالأنظمة الاجتماعية كالديمقراطية والاشتراكية هي في جوهرها معارف من صنع البشر تتناول تعيين شكل لبناء المجتمع وعلاقات أفراده • ونأخذ قسطاً كبيراً في انشاء حضارة مجتمع معين •

ان المعرفة الانسانية يمكن ان تقسم قسمين رئيسيين متميزين :
الاول - هو النظرة الى الوجود والانسان وحياته وارتباطات تلك الاطراف وعلاقاتها • وبعبارة اخرى التفسير الفلسفي للوجود • وهذا ما نطلق عليه اسم العقيدة أو التصور الاعتقادي •

وبالنسبة للعقيدة أو التصور توجد انواع كثيرة مختلفة من العقائد تبني اعطاء تفسير للوجود والانسان والله وعلاقات تلك الاطراف • ويمكن ان نجمل نقاط العقيدة بـ :

١ - معرفة حقيقة الانسان • مبدأه ومصيره •

٢ - معرفة حقيقة الكون والحياة •

٣ - معرفة موجد الكون والحياة والانسان والعلاقة به •

الثاني - المعرفة الثانية هي المعرفة بالمواقف العملية تجاه مختلف مفردات الوجود التي يتعامل معها الانسان سواء كان فردا أو عضوا في مجتمع وهذا النوع من المعارف الذي يحدد للانسان سلوكه يمكن ان نسميه نظاما فرديا واجتماعيا أو طريقه في الحياة وملة فيها أو بتقريب اشمل وادق ديناً • وهناك كثير من الاديان في الارض • ولكل شعب وفوم دين متميز •

ان مجموع المعارف البشرية من النوعين السابقين الذكر يجتمعان فيكونان حضارة • فالحضارة حسب تحديدنا وتعريفنا الآن هي المعارف التي يتبناها البشر كعقيدة أو كدين أو نظام يتوجهون به في كافة اعمالهم ونتائجهم الحياتية وهي مجموع المظاهر الحياتية القائمة على اساس تلك المعرفة • نحاول الآن ان نعرف مصادر المعرفة البشرية التي كونت مختلف الحضارات على مر الدهور • اننا نستطيع ان نحكم ان المعارف التي كونت الحضارات والتي سirt البشر • وانتجت الى الوجود أشكالاً مختلفة من النشاطات الاجتماعية البشرية كانت تناج التفكير البشري واشتغال العقل الانساني •

ونحاول الآن ان نعرف رأي البشر انفسهم في مختلف اشكال حضاراتهم^(١) التي وجدت على مر الازمان وخصوصا الحضارة الصناعية القائمة في العالم في زماننا الحاضر هذا والتي تعد ارقى ما وصلت اليه البشرية ومحصلة كل ما سبق من جهود ومتاعب من اجدادنا السابقين •

ان حضارتهم اليوم لم تفلح في تحقيق سعادة الانسان وراحته كما نعيش نحن ونرى ونحس بانفسنا في مجتمعنا • وكما نسمع عن المجتمعات الاخرى التي تسمى متقدمة •

(١) حضارتهم : الصحيحة هي الحضارات •

فتلك هي امريكا المعدودة من ارفع الدول وارسخها تحضرا • تقدم
جيلا من البشر • ضعيفا في ارادته • محدودا في تفكيره • خاضعا لشهواته •
حتى يعترف رئيس الولايات المتحدة الامريكية السابق كندي : « ان شباب
اميركا غير قادرين على تحمل عبء الامور والمسؤوليات المناطة بهم » •

وتلك هي السويد الاعلى في مستوى المعيشة ترتفع فيها نسبة الانتحار
والجنون والامراض النفسية والقتل والطلاق وغير ذلك من علامات وظواهر
الامراض الاجتماعية •

وها هو العالم ككل يضح من الحروب التي تعمه وتفني شبابه والتي
تدل على طفولة في طبيعة الافكار التي توجه قاداته •

اتنا لا نستطيع ان نلم في هذه العجالة بطبيعة الحضارة القائمة الآن
وبمدى آثارها التخريبية في جنس الانسان وهناك كتب كاملة في هذا الشأن
لا بد ان تراجع لتحصيل معرفة كافية في هذا الشأن نذكر منها كتاب (الاسلام
ومشكلات الحضارة لسيد قطب) وكتاب الانسان ذلك المجهول لالكسيس
كاريل •

ما دما قد حكمنا على الحضارات القائمة الآن بالفشل في اسعاد الانسان
وتوفير افضل وارقي فرصة للمعيشة له فأتنا نكون قد حكمنا على المعارف التي
كونت تلك الحضارات كما حددنا ما هي الا ترجمة حية لمعارف معينة •

ان المعرفة البشرية ستبقى قاصرة فيما لو بقيت وحدها في ان نجد
تفسيرا كاملا صحيحا للوجود أولا وفي اعطاء ووجدان نظام حياتي متكامل
وصحيح للانسان يتناوله بالتربية منذ يولد حتى يموت وحتى ما بعد الموت
ويعمه بالتوجيه في مختلف حالاته • ويقدم له الاحكام الصحيحة لحياته
الاجتماعية الكفيلة بأن يعيش كأنسان لا كآلة أو بهيمة •

وكمثال على الحكم السابق نأخذ حقيقة الآخرة التي سيقبل عليها

الانسان بعد موته • ان جميع الحضارات أو لنقل معظمها لا تخطط للانسان أو تعدد لحياة اخرى • وانما تحاول ان تعدد للحياة الدنيا فقط وبهذا تكون قد بخست الانسان حقه وأوقعته في تهلكة • وما ذلك التقصير في النظام الا نتيجة لتقصير في المعرفة بحقيقة الانسان وبحقيقة مساره ومداه وابعاده •

ان جميع المعارف البشرية المتعلقة بالعقيدة أو الديق تتميز بالنقص وبالخطأ ذلك ان الانسان محدود في تفكيره بالتركة التي يرثها من مجتمعه ومحدود بالزمان والمكان ومحدود برغائبه وشهواته ولذا فهو غير قادر على ان يعرف المعرفة الكاملة التي يمكن ان يعتمد عليها في انشاء حياة للبشر •

وقد اجمع عقلاء البشر قداماؤهم ومحدثوهم على انهم لن يعرفوا المعرفة الكاملة •

قال الكسيس كاريل :- وواقع الامر ان جهلنا مطبق •

وقال اينشتاين :- وواقع الامر ان جهلنا مطبق •

وقال موريس :- وواقع الامر ان جهلنا مطبق •

وقال نيتشه :- وواقع الامر ان جهلنا مطبق •

وقال نيوتن :- وواقع الامر ان جهلنا مطبق •

نسأل انفسنا الآن :- من هو الذي يعرف معرفة كاملة وصحيحة وحقيقة الوجود وحقيقة انفسنا ومسارنا ومصيرنا • ومن هو الذي يملك ان يقدم لنا المعرفة الصحيحة بخالق هذا الوجود وعلاقته بنا أو :-

من هو الذي يملك ويستطيع ان يعطينا العقيدة الحققة ؟؟؟ ونسأل انفسنا • من هو الذي يملك الحق بأن يطاع ويتبع امره ونهيه في كل مناحي الحياة وتفرعاتها • ومن هو الذي يملك ان يقدم النظام الاكمل والاصح الذي ينشأ الحياة السعيدة • ومن هو العالم بما يصلحنا وينفعنا أو من هو الذي

يملك ان يعطينا الدين الحق ؟؟؟ •

لا يوجد سوى جواب واحد •

ان خالق الكون والانسان والحياة هو القادر على ان يوفر للبشر المعرفة الصحيحة سواء اكانت عقيدة ام كانت نظاما ودينا لأنه هو الخالق فهو بلا ريب العالم الخبير الحاكم •

نستطيع الآن ان نقرر بثقة ان المعرفة الالهية الاكيدة صدور عن الله والتي ستفهم الانسان حقيقته وغاية وجوده ومآل حياته وصفاته خالقه • وتعلمه بالطريقة التي عليه ان يتبعها في اعماله وحياته • ان تلك المعرفة هي وحدها يمكن ان تسعد الانسان • لانها ستشفي حياته وتقيمها بشكل جديد يختلف عن كل ما عهده البشر في معارف البشر من اشكال الحياة والحضارة • اي ان المعرفة الالهية هي سر سعادة الانسان •

والآن جاء دور القرآن وايضاح حقيقته :-

القرآن الكريم هو المعرفة الالهية الاكيدة صدورها عن الله وعدم احتلاطها بأي شيء من افكار البشر ومعارفهم • وهو الذي يحتوي التفسير الكامل للوجود وللانسان وللحياة ويحتوي التعريف بخالق الوجود أي بالله تعالى وصفاته وعلاقته مع البشر وما يريد منهم فهو يحتوي على المعتقدات الحقبة الصحيحة •

وهو يحتوي كذلك النظام أو الدين الذي يمكن ان تقوم عليه حياة الانسان بأفضل صورها • اذ ان الله وضع تشريعه للانسان وحياته في القرآن • ولذلك نجد في القرآن احكاما شرعية اجتماعية تشمل كل نواحي حياة المجتمع • وتحدد علاقات البشر فيما بينهم فنجد في القرآن النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ونظام الاسرة والنظم الاخلاقية وقت السلم والحرب •

واذن القرآن الكريم هو الذي يحتوي سر سعادة البشرية بين دفتيه
ولذلك وصفه الله تعالى بأنه نور وشفاء ورحمة ووصفه بأنه يهدي الى سبيل
السلام • اذ انه يخرج البشر من دياجير معارفهم الناقصة واناها المدمرة على
صعيد حياتهم العملية • وينجيهم من الظلام الدامس لتصوراتهم الناقصة
ونظمهم الفاسدة وطرق حياتهم المنحرفة • يخرجهم من تلك الظلمات الى
نور وضعه الله الرؤوف الرحيم العالم لنفع عباده وخيرهم •

وصدق الله العظيم اذ قال :

● قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم •
المائدة ١٥-١٦

● هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور
وان الله بكم لرؤوف رحيم •
الحديد : ٩

● ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين •
التحل : ٨٩

● ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم •
الاسراء : ٩

شروط النصر

« ان تنصروا الله ، ينصركم ، ويثبت اقدامكم »

« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »

مِنْ مَفْهُومِ النِّصْرَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ

كأصغر الزيدية

ماجستير في الآداب (الدراسات القرآنية)

- ٢ -

(ب) وأما كونه نصراً غير محدود بحدود العدد :

فلأنه مستمر لا ينقطع مدده عن المؤمنين المجاهدين ، بل انهم
ليستمدونه من ربهم كلما احتاجوا اليه في نصرة دينه واعزاز رسالته ،
وبالشروط التي شرطها عليهم ربهم لتحقيق هذا النصر واخرازه . ولذلك
نجد القرآن يذكر المؤمنين بتعدد هذا النصر الالهي وكثرته قائلاً :
« لقد نصركم الله في مواطن كثيرة » (٣٥) .

فهو يصف مواطن النصر بالكثرة ، وهي كثيرة حقاً ، كبدر وأحد ،
قبل الهزيمة ، والخندق وخيبر وغيرها . وفي رواية عن الامام جعفر الصادق
عليه السلام أنها ثمانون موضعاً .

ولقد بين القرآن أنه كلما عاد المشركون لمحاربتهم عاد الله سبحانه
لنصرتهم : « وان تعودوا بعد ولن تقني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله
مع المؤمنين » (٣٦) .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان عدد المقاتلين لا قيمة له أصلاً في

(٣٥) التوبة : ٢٦ .

(٣٦) الأنفال : ١٩ .

تحقيق النصر ما زال مستمداً من الله العزيز الحكيم ، فلو كان الكافرون أكثر نفراً لم يفتحهم ذلك شيئاً ما زال الله خاذلهم وناصر المؤمنين عليهم ، وهو ما تبينه أيضاً من الآية التي ذكرناها آنفاً اذ تقول في مخاطبة الكافرين ، أعداء الدين : « ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين » . وقد أدرك المؤمنون المقاتلون من أهل الأديان السابقة هذه الحقيقة ، حين التقوا بقيادة « طالوت » الملك المؤمن بجيش « جالوت » الملك الباغي ، فلم يعباوا بكثرة ، حين قال لهم قوم منهم مشفقين خائفين :

« لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » (٣٧) .

بل أجابوهم بروح من الإيمان الراسخ ، والوعي الكامل لأبعاد المعركة وحقيقتها ، قائلين :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » (٣٨) .

فكان النصر في المعركة حليفهم والخذلان لأعدائهم . وانتهت المعركة بقتل « جالوت » ، قتله داود - وكان في جيش « طالوت » ، ثم آناه الله الملك والحكمة ، كما يذكر ذلك القرآن .

بل ان كثرة المؤمنين أنفسهم لم تغنهم شيئاً في إحدى معاركهم ، حين زهوا بأنفسهم ، وأعجبوا بكثرتهم ، وتلك هي معركة « حنين » (*) ، التي بلغ فيها عدد المسلمين اثني عشر ألفاً فيما هو مشهور (٣٩) . ومع ذلك فقد انهزموا بين يدي الكفار ، ولم يثبت منهم مع رسول الله (ص) إلا تسعة نفر

(٣٧) البقرة : ٢٤٩ .

(٣٨) الآية نفسها .

(*) كانت غزوة حنين عقب فتح مكة سنة ثمان للهجرة .

(٣٩) وقيل عشرة آلاف ، وقيل ثمانية : (انظر الطوسي : التبيان في

تفسير القرآن ١٩٧/٥ أسفل) ، طبعة النجف .

من بني هاشم وأيمن بن أم أيمن والعباس بن المطلب وأبو سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب في آخرين ، فأخذ النبي (ص) كفاً من الحصباء ورمى به المشركين وهو يقول كلمته المشهورة « شأته الوجوه » ، فانهزم المشركون عندئذ بنصر من الله بعد أن ثبت للمعركة رسول الله ومن معه من المقاتلين (٤٠) ...

وقد أنزل الله سبحانه ملائكة في هذه المعركة أيضاً ، قاتلت مع المؤمنين . وذكر أبو علي الجبائي ، وهو من مفسري المعتزلة المشهورين ، أن الملائكة لم تنزل للقتال الا في بدر خاصة ، وإنما نزلت في معركة حنين لتثيت المؤمنين وحملهم على الا يجبنوا ، وتقوية قلوبهم وتقوسهم في ساحة القتال ، فلم تقاتل معهم كما فعلت في بدر .

وهذا الذي ذكره الجبائي تخصيص من غير مخصص ، إذ أن ظاهر الآية لا يدل عليه . وبخاصة أنه ورد في صدرها ما يدل على بث الله السكينة والهدوء والثبات في قلوب المؤمنين ، ثم عطف عليه انزال الملائكة بعد ذلك ، وهذا يقتضي أنهم أنزلوا لمهمة تتجاوز التثيت والتهدة والتقوية المعنوية ، الى التدخل المادي لاحتراز النصر ومساعدة المؤمنين ، بدليل العطف نفسه في الآية الكريمة .

فلنتظر في هذه الآيات البيّنات التي تصف ما حدث في معركة حنين من الهزيمة ثم النصر ، إذ تقول :

« لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكنته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين

(٤٠) انظر المصدر نفسه : ١٩٧/٥ - ١٩٨ .

كفروا وذلك جزاء الكافرين • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم « (٤١) » .

ولقد أثار الآيات الكريمة لدى الشيخ الطوسي تأملاً عقلياً عبر عنه بطريقة « الفنقلة » اذ قال :

« فان قيل : كيف أنه نصرهم في مواطن كثيرة ، والمؤمنون منصورون في جميع الأحوال ؟ • قلنا عنه جوابان :

أحدهما : أن ذلك اخبار بأنه نصرهم دفعات كثيرة ولا يدل على أنه لم نصرهم في موضع آخر •

والثاني : لأنهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين ، وكان ذلك منهم خطأ ، وان وقع مكفراً « (٤٢) » .

وأود أن أضيف الى ما ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله شيئاً ثالثاً ، لعله أبين مما ذكر ، وهو أنهم لم يكونوا منصورين في جميع المواطن قبل حين أيضاً • اذ قد هزموا في أحد كما أنبأ القرآن عن ذلك ، وله في هذا البحث حديث خاص ، ومن هنا كان قوله تعالى : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة » ، معبرا عن واقع حال المسلمين ، ونتائج المعارك التي خاضوها • وهي نتائج اتسم اكثرها بالنصر والغلبة على المشركين ...

ولكي يشب القرآن المؤمنين في القتال ، مع قلة عددهم ، وكثرة عدوهم ، فإنه قد وضع لهم قانوناً عديداً يتصل بالمعركة في أول عهدهم بالقتال ، فبعد أن بين لأعدائهم على وجه الاجمال أن كثرتهم لا تفيدهم شيئاً ان أرادوا قتال المؤمنين ، بقوله لهم : « ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت وأت الله

(٤١) التوبة : ٢٦ - ٢٨ •

(٤٢) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ١٩٨/٥ •

مع المؤمنين ، ، كما مر علينا من قبل ، عاد فخطب المؤمنين أنفسهم هذه المرة مبنياً لهم بتفصيل واضح تلك الحقيقة ، وهي أن عدداً قليلاً من المؤمنين ، يبلغ العشرين ، ان صبروا في المعركة ونبتوا للكافرين ، يغلبوا منهم مائتين ، وأن مئة يغلبون ألفاً .

وهي نسبة توحى بقوة المؤمنين ، وقدرتهم العالية على القتال ، اذ صار الواحد منهم ينبت لعشرة من الكافرين .

وقد علل القرآن ذلك بأن الكافرين جاهلون ، لا يقاتلون قتال الواعين ، الذين لهم هدف خير سليم . بخلاف المؤمنين الذين يقاتلون بوعي ودراك سليم لحقيقة المعركة وأهدافها الخيرة المعطاءة التي تتصل باعزاز الدين ، ونيل ثواب رب العالمين ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى :

« يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (٤٣) .

والآية بعد هذا كله دالة على الجهد الكبير الذي كان يبذله المؤمنون في أول عهدهم بالقتال ، من أجل الثبات في وجه العدو ، ثم احراز النصر ، اذ أن قوله تعالى : « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » ، وان كان بلفظ الخبر ، الا أن المراد به الأمر ، كما ذكر ذلك الشيخ الطوسي في التبيان ، واستدل عليه بقوله تعالى بعد ذلك : « الآن خفف الله عنكم » ، فقال « لأن التخفيف لا يكون الا بعد المشقة » (٤٤) .

ومن هنا نجد أن الحكم قد تغير بعد ذلك ، وأن النسبة العددية للقتال

(٤٣) الأنفال : ٦٥ .

(٤٤) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن : ١٥٣/٥ طبعة النجف .

قد اتخذت شكلاً جديداً ، بعد أن خفف الله عن المؤمنين ، وعلم أن فيهم ضعفاً ، فصار الواحد يثبت للآخرين ، والمئة للمئتين والألف للألفين .. ويدل عليه قوله تعالى :

« الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » (٤٥) .

وعبارة « بإذن الله » توحى بالأثر الرباني في تحقيق النصر وإحرازه ، مع وجود هذه النسبة العددية ، الدالة على عدم التكافؤ بين الفريقين المتقاتلين ، فريق المؤمنين وفريق الكافرين ، فإذا رد الأمر إلى العون الإلهي والمشينة الربانية ، زال كل خلاف في ذلك ، وتجلي سبب النصر بوضوح .

وأيضاً فإن عبارة « والله مع الصابرين » توحى بالشرط الذي يتم به النصر ويتحقق ، وهو الثبات للعدو عند نشوب القتال . والمفسرون مجمعون على أن الآية الأولى منسوخة ، نسختها الآية التالية لها المخففة عن المؤمنين ، وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد والسدي وعطاء والبلخي والجبائي والرماني وغيرهم (٤٦) ...

٥ - إن هذا النصر الرباني لا يعدم أثراً من آثار العون المادي في المعركة ، بل إنه ليكون مصحوباً في مواطن الشدة والضيق ، بقوى « الطبيعة وما وراء الطبيعة » ، التي تخفف لنجدة المؤمنين بإذن رب العالمين .

فالملائكة الذين هم جند الله في السماء ، يستنزلون وقت المعركة ، ليكونوا بجانب المؤمنين ، جند الله في الأرض ، وذلك ما تم في بدر وحنين والخندق . إذ شاركت الملائكة المؤمنين في دحر الكافرين .

(٤٥) الأنفال : ٦٦ .

(٤٦) ينظر : الطوسي : التبيان ١٥٤/٥ . أسفل .

وظواهر الطبيعة من أمطار ورياح وعواصف ، تسخر باذن الله ،
إما لاغثة المقاتلين من المؤمنين ، كالذي كان في معركة بدر ، اذ انهمر ماء
السماء بعد ان عدم المسلمون الماء •

واما أن تسخر تلك الظواهر لأرهاب جيش الكافرين الذي يريد
النيل من المؤمنين كالذي كان في غزوة الخندق ؛ اذ صارت الرياح العاصفة
جزءاً من القوى المادية التي ساهمت في هزيمة المشركين •

ففي معركة بدر الفاصلة ، التي حدثت في شهر رمضان المبارك لتكون
مأثرة تضاف الى مآثر هذا الشهر الكريم ، كان المدد الرباني قد بلغ مبلغاً
مكن المسلمين من احراز النصر ، وهم يومئذ قلة أذلة ، كما أخبر القرآن
الكريم بقوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأتمم أذلة »^(٤٧) ، وقد نزلوا في
كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام ، وليس لهم من ماء يغسلون به ، فيزيلوا ما
ألم بهم من أوضار الجناية ، لأن المشركين كانوا قد سيطروا على الماء ، فلم
يعدلهم اليه سيل • وعندئذ وسوس لهم الشيطان ، بأنهم لو كانوا على الحق
لما صار الماء بأيدي أعدائهم ، الذين قد يسوقونهم الى الموت بعد أن يأخذ منهم
العطش مأخذه ، فكان ذلك مدعاة لحزنهم الشديد واغتمامهم ، في ذلك الموقف
العصيب •

ولم يطل الأمر كثيراً ، فقد أغاثهم ربهم بماء منهمر من السماء ، جرى
به الوادي ، واتخذ رسول الله (ص) والمسلمون الحياض على عدوة ذلك
الوادي ، ثم سقوا ركبهم ، واغتسلوا وتوضأوا وشربوا ، وتلبد الرمل الذي
كان بينهم وبين عدوهم ، فثبتت أقدامهم ، واطمأنت نفوسهم ، وذهب ما كان
يفشاهم من الهم والغم^(٤٨) ، بعد أن توفر لديهم الماء ، الذي هو من أهم

(٤٧) آل عمران : ١٢٣ •

(٤٨) انظر الزمخشري : الكشف ٧/٢ - ٨ من طبعة القاهرة ١٩٤٨ •
والطوسي : التبيان ٤٨/٥ من طبعة النجف •

ما يحتاج اليه الجندي في المعركة •

ثم كان بعد ذلك العون الاوفى ، الذي بدأت ارهاصاته بانهمار ماء السماء ، اذ ارسل الله لنصرتههم أولاً ألفاً من الملائكة متتابعين يتبع بعضهم بعضاً في النصر والمد للاجهاز على الكافرين ، وقتل رؤوس الكفر ، ثم صار الألف ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف ، حين أقبل الكفار واحتلّمت المعركة • كما ذكر ذلك في سورة آل عمران : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون • اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين • وما جعله الله الا بشئ لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (٤٩) •

وواضح أن الامداد الأخير بالآلاف الخمسة من الملائكة مشروط بشرطين واضحين بينهما مطلع الآية الكريمة الثالثة من الآيات الأربع المذكورة آنفاً ، وهما : الصبر على لقاء الاعداء ، وتقوى الله وطاعته بالانتماء بأمره والانتهاز عن نهيه ، وذلك قوله :

« بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » •

وهو شرط هام ينبغي الالتزام به ، لكل من يرجو نصر ربه ، عند لقاء عدوه •

وفي سورة الانفال يروي القرآن قصة ذلك النصر الالهي المؤزر ببدر وما أصاب المسلمين من محنة وعسر قبله فيقول :

(٤٩) آل عمران : ١٢٣ - ١٢٦ •

• اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين • وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم • اذ يغشيكم النعاس أمنة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام • اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنات ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب» (٥٠) •

وتثبت الأقدام هنا قد يكون كناية عن الربط المعنوي على نفوس المقاتلين ، وتقويتهم على الثبات أمام المشركين ، وهو المروي عن أبي عبيدة والزجاج (٥١) • واختاره أبو حيان الاندلسي في تفسيره الكبير « البحر المحيط » •

وقد يراد به التعبير عن حقيقة ، وهي تثبيت أقدام المؤمنين ، بعد تلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو عند نزول الغيث • وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين (٥٢) ، ويدل عليه ظاهر كلام الزمخشري في الكشف •

وقد ذكر الوجهين الشيخ الطوسي ولم يرجح واحداً منهما (٥٣) • وبعد هذه الآيات التي أفصحت عن النصر الالهي بيدر ، أراد القرآن أن يوضح مسألة هامة في هذا المجال ، مجال الحرب ، وما ينبغي للمسلم

(٥٠) الأنفال : ٩ - ١٣ •

(٥١) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن : ٨٧/٥ •

(٥٢) المصدر نفسه : ٨٦/٥ - ٨٧ •

(٥٣) المصدر نفسه : المكان نفسه •

أن يكون عليه عند نشوبها ، من ثبات في مواجهة الأعداء ، وعدم انهزام منهم خوفاً ورعباً فقال :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الكفار زحفاً فلا تولوهم الأدبار » (٥٤) .

ثم بين قيمة المنهزم أو مكاتته بين المقاتلين ، فجعله بائياً بغضب من الله ، لأنه اضعف بهزيمته جانب المسلمين ، وقوى صف الكافرين . ثم استثنى من هؤلاء المنهزمين رجلين :

أحدهما : المنضم الى فئة من فئات المسلمين ، أو صف من صفوفهم فهذا لا تريب عليه ، لأنه لم يشأ بهزيمته أن يترك المعركة ، فيضعف المؤمنين .

والثاني : الذي ينهزم في الظاهر ، ولكنه في الحقيقة يريد الانعطاف على الكافرين ، والالتفات حولهم ، بعد أن يموء عليهم ويستدرجهم الى حيث يوقع بهم . وهو ما تقوم به الجيوش الحديثة اليوم ، اذ قد تتظاهر بالانسحاب من جانب ، لتهاجم عدوها من جانب آخر . فهذا أيضا لا تريب عليه . نقرأ ذلك في قوله تعالى :

« ومن يولهم يومئذ دبره - الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة - فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٥٥) .

وقد ذكر السيوطي (٥٦) أن ذلك مخصوص فيما اذا لم يزد الكفار على الضعف ، ويبدو أن الدليل لديه في ذلك الآية (٦٦) من سورة الأنفال نفسها ، وهي آية التخفيف عن المقاتلين ، بثبات الواحد للآخرين ، التي بينا أن

(٥٤) الأنفال : ١٥ .

(٥٥) الأنفال : ١٦ .

(٥٦) تفسير الجلالين : الآية ١٦ من الأنفال .

المفسرين مجمعون على أنها ناسخة للآية التي قبلها ، الأمرة بثبات الواحد للعشرة ، والا فان ظاهر الآية الأمرة بعدم الانهزام لا يدل على ذلك ، بل يدل على الاطلاق فليس فيها المخصص الذي ذكره .

وفي سورة « الاحزاب » تكرر التذكير بالمدد الرباني وانعون السماوي ، برسال الملائكة المقاتلين مع المؤمنين في جبهة واحدة متماسكة ، تحيط بالكافرين من كل مكان . وذلك حين جندت قريش نفسها لمحاربة النبي (ص) بعد وقعة أحد ، وحرضت من أجل ذلك قبيلتين من القبائل المجاورة واستعدتهما ، وهما غطفان وبنو قريضة^(٥٧) ، في تحزب حاقد مخرب ، كان يريد القضاء على الدعوة في موطن حمايتها وهجرتها المدينة . مما حمل المسلمين بعد تشاور بينهم على حفر الخندق ليحتموا وراءه من هجمات الكفر والشرك . واذا أحاط بهم المشركون من أعلى الوادي وأسفله ، من المشرق والمغرب ، صارت العيون تحديق في خوف ووجل بالعدو العادي المحيط ، وبلغ الخوف مبلغه من المسلمين حتى ان القرآن صورة بصورة معبرة وكنتي عنه بكناية مينة فقال : « واذا بلغت القلوب الحناجر » ، فكأن القلوب قد انطلقت من الصدور لتصعد خائفة الى الحناجر ، كأنها تريد ان تغادر أجساد أصحابها ! . وحتى صار المسلمون يرددون بدعاء خاشع ذليل : « اللهم استر عورتنا وآمن روعتنا » ، وكان رسول الله (ص) قد علمهم ذلك الدعاء بعد أن سأله شيئاً يقولونه في هذا الموقف الهلوع^(٥٨) .

ثم ان هذا الموقف المضطرب بكل ملابساته وما أحاط به من مظاهر الخوف والحيرة ، لم يترك عدداً من النفوس دون أن تظن بالله الظنون ، ودون أن يستحوذ عليها الوسواس .. وقد روي عن الحسن أن المؤمنين

(٥٧) الطوسي : التبيان ٣١٩/٨ .

(٥٨) الطوسي : التبيان : ٣٢٠/٨ .

ظنوا بان الله سينصر وأن المنافقين ظنوا بأنه سيستأصل (٥٩) .

ولابد أن يكون الامر كما قال الحسن ، فإن المؤمن لا يظن بربه الا خيراً ، وأما المنافق فهو الذي يضطرب فكره لأدنى بارقة ، ويعضد ذلك قوله تعالى بعد ذلك : « اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله لا غروراً » (٦٠) .

فهو اذن ظن المنافقين لا ظن المؤمنين ...

في هذا التحزب البغيض لم تستطع الاحزاب ان تحقق شيئاً مما بعت ، فقد اشتركت الطبيعة وما وراء الطبيعة في نقض ما ابرمت وتشتت ما جمعت ؛ اذهبت عليهم ريح صرصر عاتية « استقبلتهم ورمت في أعينهم الحصباء وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم وقلعت بيوتهم وأطنا بهم وأرسل الله عليهم « جنوداً » من الملائكة نصرة للمؤمنين » (٦١) .

فكان العون الالهي في هذه المعركة ، معركة الخندق ، مما سجله القرآن وذكر به المؤمنين مبيناً لهم عناية الله بهم وانقاذه اياهم مما كانوا فيه يوم الاحزاب من غم وخوف . فقال :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً اذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً » (٦٢) .

(٥٩) المصدر نفسه : المكان نفسه .

(٦٠) الاحزاب : ١٢ .

(٦١) الطوسي : التبيان : ٣٢٠/٨ .

(٦٢) الاحزاب : ٩ - ١٢ .

وفي قوله قوله تعالى : « وزلزلوا زلزالاً شديداً » ، تصوير لشدة ما أصابهم من خوف واضطراب .

ولقد بين القرآن فضل الله على المؤمنين برد الكفار من الأحزاب خائبين لم يهيبوا مفعماً أو ينالوا من المسلمين منالاً ، وكيف انه كفى المؤمنين قتالهم برجوعهم عند هبوب الرياح العاتية منهزمين . ثم مقاتلة الملائكة وحدها اياهم اذ لم يقاتل من المسلمين الا الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حين برز لعمر بن عبد ود الذي تحدى المسلمين وعبر الخندق وطلب البراز . فكان مصيره القتل بضربة من علي عليه السلام ، بحيث نادى المسلمون فرحين مستبشرين « لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي » . ثم ان القرآن بين لهم أن الله قوي لا يغالب ، وعزيز لا يقهر ، فقال :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » (٦٣) .

ولم تقف حدود النصر على الكافرين عند هزيمة المشركين فحسب ، بل تعدتها الى الذين عاضدوهم من أهل الكتاب ، وهم يهود بني قريضة ، الذين كانوا يسكنون المدينة ، فقد صاروا غنمة بيد المسلمين بعد انضمامهم الى صفوف المشركين ، وقذف الله في نفوسهم الخوف ، فمنهم من قتل ، ومنهم من أسر ، ثم أورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم ، كما أورثهم أرض خيبر بعد ذلك . فكان نصراً مبنياً ، وفتحاً عظيماً ، مكن الله به لدينه ، ونصر به رسوله ومن معه من المؤمنين ؛ فالقرآن يقول :

« وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً » (٦٤) .

(٦٣) الأحزاب : ٢٥ .

(٦٤) الأحزاب : ٢٦ .

(للبحث بقية)



فحميد الأروى

« النغم الثائر »

يا شبيب التوحيد أما وجدنا ، في منايا اعماقنا اي وهن
أو راينا الطريق ينفث رعباً ، لتلويب الآمال في كل جفن
أو راينا جحافل الليل تسطو ، في جنون على الضحى المطمئن
فدماء الحسين عبر الليالي ، نغم ثائر على كل سجن

★ ★ ★

نغم يكحل المآقي بنور المجد ، من مرود الهدى الوضاء
وينير الطريق للجيل أما تذيب الصبح مدية الظلماء
ولئن تجرح الرجولة يوماً ، فدماء الحسين خير دواء
والصحارى اذا سقتها الأضاحي ، سوف تغدو كجنة عصماء

★ ★ ★

نغم تترع الحياة نهرًا ، من ينابيعه فتسمو انطلاقا
وعلى سحره الحصى شب زهواً ، فهو والنجم يسرعان استباقا
ولكم نجمة تمت خلودا ، مثل حصباء كربلا وانعتاقا
هكذا تبدع الدماء نشيداً ، يرقص المجد في رؤاه اشتياقا

★ ★ ★

لنم لم يزل يتيماً يروي ، من سنا فجره ضمير الوجود
حيث نادى الحسين لست بمعطر دون خرط القتاد كف العبيد
واذا الجيل خدرته الأسايل ، ولم ينتفض لفصم القيود
فدمي يملأ الضمائر نورا ، يلهم الشائرين روح الصمود

* * *

أيها الظالمون مهما تماديتم على البغي كي ينجن العذاب
فورا الأفق الملمع بالليل - وان طال - فجرنا الوثاب
ان للحق والفضيلة شمساً ، ليس تخفى مهما اثر الضباب
فدمي في الحياة أدوع فجر ، لبست ضوءه الربى والشعاب

* * *

ثودتي هزت الضمائر حتى غرست في النفوس روح الآباء
بدماء سالت نجيعاً لتروي ، غصص المجد في ثرى كربلاء
وضحايا كانت على البغي موجة ، من لهيب في ثورة حمراء
تتعدى العواصف الهوج مهما ، زعزعت كربلاء رياح الفناء

* * *

يا شباب التوحيد ، امتنا الزهراء عاشت في حمأة الصمت دهرأ
صفعت وجهها سياط ضلال ، بيد جاهلية الزند حمراء
وباجفانها غدا اليأس يعوى ، حين سند الطريق شوكة وجمرا
فاستجارت بصارم الحق يجلو ، غيهب الظلم حين يسطع فجرا

* * *

فاني يقطع الفيافي مغداً ، بلواء يرف فتحاً ونصراً
ساحباً مئزره فوق جباه النجم ، يفلو الحياة حباً وطهراً
قال : من يلتحق بركبي فاني ، في ثرى كربلاء اقتل حراً
والذي منكم تخلف عنا ، لم ينل في الحياة فتحاً اغراً^(١)

* * *

(١) اشارة الى قول الامام الحسين -ع- : « من لحق بنا منكم استشهد
ومن تخلف لم يبلغ الفتح »

موته ابدع الحياة لشعب خدعته بوارق من وعود
حينما رددت حناجر تلك اليد الحانه كقصف الرعود
كل تكبرة على الدرب فتح يتهادى ملفعا بالخلود
خط للثائرين درب الاماني بفداء متوج بالصمود

★ ★ ★

يا شباب التوحيد هيا لنحيا ، هدف السبط لا البكا والعويل
نستعيد الذكرى لتبعث فينا ، عزيمة حرة وصبرا جميلا
ليطل الصباح يزخر بالنور ، فيبنى على العقيدة جيلا
ويعود الاسلام غصنا نديا ، ملهما يوقف الشعور النبيل

★ ★ ★

يا شباب التوحيد نجواي ماتت ، في شفاهي فترجمتها دموعي
شبح الانحراف يغفر شذقيه ، وانيابه ارتوت بالنجيع
وعلى الأفق للنهاويل والارزاء ليل ملفع بالخضوع
بردوا فحمة الظلام بوعي من هدى وحينا الندي البديع

★ ★ ★

بددوا موجة الخرافات عنا ، لنعيش الحسين وحي انطلاق
« لا طبولا » ملء الشوارع تدوي ، وخيولا قد هيات للسباق
وسيوف صقيلة الحد سللت ، لضراب في هامنا وانفلاق
كل هذا نقيمه دون وعي ، بقلوب مليئة بالنفاق

★ ★ ★

كل هذا نقيمه وحسين ، كان من اجلنا طويل البكاء
قائلا ايها الجموع افيقي ، اين اهداف ثورتي وفدائي
انا حاربت منكرا وانحرافا ، وسقيت التوحيد فيض دمائي
لا تضيفوا لثورتي ما اردتم ، من احاديث بدعة وافتراء

★ ★ ★

«الخبرة وكر السبيل»

على امتداد الشارع الطويل حيث تريض على جانبيه أشجار الزينة العالية فتعانق أغصانها مكونة أقواساً خضراء تغرد على أفنانها العنادل •

وعلى ضفاف شط العرب حيث المياه الرقراقة تداعب خطرات النسيم امواجها ، والشمس تميل نحو الأصيل فتتكسر حمرتها على صفحات المياه الجارية ، والطيور بأجنحتها الفضية تنساب فوق الامواج وكأنها عرائس المروج •

في مثل ذلك الجو الشاعري وبين محاريب الطبيعة الصامتة الناطقة ، حيث الابداع والجمال تتجلى فيه يد القدرة الحكيمة ، فيخشع لها قلب المؤمن ويسبح بحمد مبدعها ؛ وقف ذلك العالم الديني تعلوه الهبة ويلفه الوقار ، وهو يمسك بيده مسبحة سوداء راح يدير خرزاتها بيده ، وتحرك شفتاه بتلاوة دعاء يستخير الله ان يرشده الى البيت الذي سيحل ضيفا على أهله • فأصدقاؤه كثيرون • ولا بد أن يختار أحدهم ليشرفه بضيافته ؛ والخبرة في مثل هذه الاحوال مرشد الحائر ودليل الحيران •

واستمر يدير خرزات مسبحته ويقرأ حتى أتى على اصدقائه واحدا واحدا ، والخبرة - في كل مرة - تنهائهم عن النزول في أي بيت من بيوت الأصدقاء •

وفكر ملياً • ترى أين يذهب والشمس تميل نحو المغيب ملقية على

السماء رداءً من الشفق الوردي ، سرعان ما يرخي الليل عليه سدوله •
وفي بحر أفكاره وحيرته مرت به لحظات انفعال حاد بين ايمانه بصحة
النهي الذي تفرضه الخيرة وبين حيرته •

ترى أين يذهب ؟؟؟

أيذهب الى « دور البغاء » !!!

وخطرت له خاطرة ، أذن فليجرب الخيرة !

ودار المسبحة وقرأ الدعاء ونفسه تتلهف الى معرفة النتيجة ؛ وكم
كانت دهشته غريبة ان الخيرة تأمره بالذهاب الى هناك ، وأعاد الاستخارة
مرة أخرى واذا بالخيرة تؤكد صحة الذهاب أيضاً •

حينذاك وقف مذهولاً متعجباً •

أين يذهب !!؟

الى دور البغاء !!

كيف يذهب !!

وكيف تحمله قدماء الى مكان ما عرفت نفسه اليه سيلاً !!
ومرت لحظات أقشعر لها بدنه ، وتصبب جبينه عرقاً ، وجاشت في
نفسه خواطر وأفكار ؛ الخيرة لا يمكن أن تخطأ مطلقاً ، فقد جربها منذ
عشرين عاماً انصرفت فما أرشدته الا لخير ، وما حذرته الا عن شر
- والخيرة دعاء يتوجه العبد به الى الله - سبحانه - طالباً منه الهداية الى سلوك
السبيل الذي يحقق مصلحة دينية أو دنيوية أو يجنبه ضرر مع اقتران
برضى الله •

أجل الخيرة لا يمكن أن تخطأ ! ان سرّاً يكمن وراء ذلك دون ريب ،

ولابد من اكتشاف ذلك السر ، وكشف الحجاب عن ذلك الحدث المجهول .

وعزم على الذهاب وتوجه تلقاء الشارع ينتظر سيارة تقله الى هناك ، وأشار بيده الى سيارة سرعان ما نزل سائقها وفتح الباب الخلفي مرحباً بالشيخ سائلاً اياه - بلطف - عن المكان الذي يروم الذهاب اليه ، عندئذ أخبره عن مكان لا يبعد سوى خطوات عن دور البغاء .

وسارت السيارة وكانت سرعتها تتناسب طردياً مع سرعة ضربات قلب الشيخ ، اذ بعد لحظات سيدخل في عالم مجهول اتخذه الشيطان قاعدة لالقاء شباكه وبث سمومه ، فالبغاء لطخة عار في جبين الانسان المنحرف .

ترى كيف ارتضى الانسان لنفسه أن ينحدر الى مستقع الرذيلة !!
وأن يعيش على المستوى الغرائزي !!

كيف !!

وهو الذي يحمل بين جنبيه نفحة سماوية ترتقي به الى مدارج الرقي ؛ ولكن يبدو أن تلك النفحة قد خبا توهجها تحت ركام ثقل من الذنوب والآثام ، فبات انسان دور البغاء حيوانا تحركه غرائزه .

ووقفت السيارة .

وما أن نزل منها حتى اتجه الى أقرب مسجد أدى فيه صلاة المغرب فقد حان مياعداها ؛ ثم خرج من المسجد تعلو وجهه استسامة ما زجها شعور من الألم فالمسجد بيت الله وعلى بعد خطوات منه دور للبغاء !! وكر للشيطان !!
أي تناقض عجيب هذا !!

وانسل تحت جناح الضوء الخافت الذي كانت تبعه مصابيح الشارع المؤدي الى وكر الشيطان ، وكانت تراءى له تلك المصابيح - التي اوشك ضوؤها أن ينطفئ - كقلوب البغايا التي نضبت من الايمان فبات كمصابيح نضب زيتها .

واسرع الخطى وكأنه على موعد مع حدث مجهول . ووقف على عتبة دار بدت لعينه كأنها باب من ابواب جهنم ، وتردد قليلاً ثم طرق الباب ، وإذا به وجهاً لوجه امام امرأة أطلت برأس كرأس أفعى سامة ، وراحت تحديق في وجهه بعينين قد خبا فيهما نور البراءة والعفة ، وتوهج فيهما لهب الحقد والانانية والأثم ، وفطرت فمها بشفتين ضمختا باللون الأحمر القاني وكأنهما تشيران الى دماء الضحايا التي وقعت في شباكها وبوجه طليت حفره وأخاديده بمساحيق امتصت آخر قطرة من قطرات الحياة .

وانفرجت شفتاها عن قهقهة ساخرة ، وفتحت الباب على مصراعيه فولج الشيخ الدار وهو يستعيد من الشيطان الرجيم .

وفي غرفة من غرفه جلس ليسترريح برهة ، وما أن استقر به المقام حتى مثلت أمامه تلك المرأة اللعوب ، وقهقهت مرة أخرى بصوت صاخب ، وهي تقف أمامه ، عندئذ زجرها بقوله :

أسمعي يا هذه . اني لست من رواد « دور البغاء » ولست من صرعى الشهوات والرذائل ؛ بل أني من الذين سحقوا الشهوة المحرمة والمتاع الدنس ؛ فقد أدبنا القرآن الكريم فأحسن تأديبنا ، ونهانا عن الزنا بقوله - تعالى - : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » .

ثم أخبرها أن تأتبه بامرأة ليعقد معها صيغة الزواج الموقت ، وبذلك يتخلص من هذه الجريمة النكراء .

وبينما هو جالس وقد أطرق برأسه الى الارض يفكر ، اذ جاءته فتاة تمشي على أستحياء تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، لم تطلأ قدمها وكر الشيطان الا منذ ليلتين خلت ، وقد ارتدت عباءة سوداء أرخت طرفها العلوي على وجهها .

فتاة في ميعة الصبا ، وغفوان الشباب ، عذراء لم تدنس أذيالها

بفاحشة ، تبدو على قسَمات وجهها الشاحِب امارات الدلال ، وعلامات الشرف ، وقد عصف بها الحياء ؛ فارتجفت لذلك اوصالها ، واصفر لونها ، فأَمست كورقة خريف عصف بها الرياح .

وجلست في زاوية من زوايا الغرفة ، وقد علمت بوجود انسان جاء ليعتدي عليها ؛ ليسلبها أغلى شيء تملكه في الحياة .. عفتها .. شرفها .. كرامتها .. ؛ وقد اطلقت لدموعها العان .

ثم حانت منها التفاتة ، أبصرت خلالها الشيخ بملابسه البيضاء ، وقد علاه الوقار ، ولفه الصمت فهذا وجيب قلبها ؛ ثم فكرت .

ماذا ترى ؟!

ملك رحمة جاء لانقاذها !!

ام شيطان نقمة تزيأ بهذا الزري ليستر جريمته !!

وساد الجو لحظات صمت ثقيلة ، مزقها صوت الفتاة وهي تبكي بكاء حاراً وقد علا نسيجها .

عندئذ توجه الشيخ اليها مستوضحاً الخبر ، فأخبرته بالفاظ اضطربت مخارجها انها عذراء ، شريفة ؛ والدها معروف بالكرم والشهامة بين قومه . ولكن ظروفاً قاسية اوقعتها في وكر الشيطان ؛ وراحت تسرد اليه قصتها .. فقد توفيت والدتها وتزوج والدها امرأة ساء العذاب ، وباتت تخشى منها الاتهام بخيانة .. فاضطرت الى الهرب .. وماذا يكون مصير فتاة هاربة غير الوقوع في الرذيلة .

حينذاك سجد الشيخ لله شكراً ، وقد عرف سر الخيرة في هذه اللحظات ، وان العناية الالهية ساقته لانقاذ هذه الفتاة العذراء .

ووقفت المرأة اللعوب امام هذا المشهد - فقد أخبرها الشيخ أنه سيأخذ

هذه الفتاة الى اهلها - وهكذا شاهدت بأمر عينيها كيف تمتد يد العناية الالهية
فتنقذ هذه الفتاة البريئة وتخلصها من مخالب الرذيلة •

أجل وقفت امام هذا المشهد ، وغرقت في دوامة من التفكير في ماضيها ،
وحاضرها ، ومستقبلها •

وفي تلك اللحظات الحاسمة شعر الشيخ بمسؤوليته امام الله - سبحانه -
في افراغ وسعه ، وبذل جهده في محاولة لهداية هذه المرأة ، فراح يشرح
- بما أوتي من قدرة بلاغية ومنطق فصيح - جريمة الزنا وأبعادها التدميرية
في مجال الفرد والمجتمع والانسانية •

وما أن أنهى حديثه حتى تحركت الفطرة الانسانية تحت ركام ثقل
من الذنوب والآثام تبحث عن طريق للمخلاص بعد سنين عجاف عانت فيها
عذاب الضمير وتأنيبه ، وانطلقت النفس الانسانية من أعماق أعماق تلك
المرأة لتغير ما بها من شر وفساد « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم » •

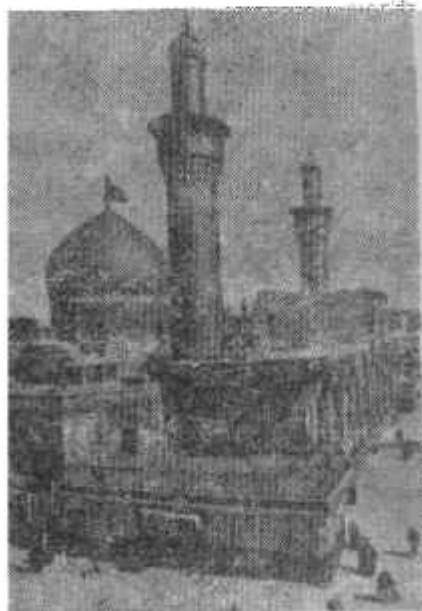
أجل انطلقت محطة قيود العبودية ؛ عبودية الشهوات ، ممزقة أبواب
الرذيلة ، وانهمرت الدموع من عينيها بغزارة ، دموع التوبة والندم ، وكأنها
السحب البيضاء التي تحمل الماء الطهور لتغسل ما ران على الارض من خبث •
ودموع التوبة النصوح ، والانابة الخالصة قادرة على غسل النفس
الانسانية وتطهيرها من الذنوب والآثام •

وجئت على ركبتيها امام الشيخ تحدثه عن اموال جمعتها من عمل
الفاحشة ، فأخبرها أن طريق التوبة والاستغفار يستلزم تطهير النفس من
المتاع الحرام ، وأخبرته أن لديها نقودا تحتفظ بها لم يسرب اليها درهم
من حرام •

ومع تدفق حزم الفجر الفضية كان الشيخ والفتاة يغادران وكر الشيطان
منجهين نحو بيت الوالد المفجوع بشرفه ليمسحا عن وجهه ظلال العار
والكآبة •

وفي الصباح ومع اشراق الشمس كانت المرأة الثابتة تغادر وكر الشيطان
- هي الأخرى - مخلفة ثروتها المحرمة ، متجهة نحو الشمس المشرقة
حيث الحياة الطاهرة السعيدة •

مجيد حميد الثامر



نبذة المؤمن

ترجمة واقتباس الاستاذ علي الشكرجي
بكالوريوس آداب

بينما كنت اسير في صحراء هذا العالم اهدتني الى مكان فيه « كهف »
فاضطجعت فيه لاناام وحينما غلبني النوم رأيت حلماً ، رأيت رجلاً رث
الثياب واقفاً وفي يده كتاب وعلى ظهره حمل عظيم ثم رأيت يفتح الكتاب
فيقرأ فيه وحينما قرأ بكى وارتعد ولم يستطع ان يتمالك نفسه ، انطلقت منه
صرخة نواح وهو يقول « ماذا افعل ؟ » •

رجع الى بيته مهموما وانطوى على نفسه ما استطاع الى ذلك سبيلا
حتى ان زوجته واولاده لم يتمكنوا بأن يدركوا مصيبته غير انه لم يستطع
ان يصمت طويلا لان اضطرابه كان يتزايد • فصارح زوجته واولاده بقوله :
« زوجتي العزيزة واتم يا اولادي فلذة كبدي ، اني - وليكم الحميم - قد
اعيانني الحمل الثقيل الجائئ عليّ ، وفوق هذا ، اني قد نبئت يقيناً ان مدينتنا
ستحترق بنار من السماء ويشمل رعبها كلنا انا وانت يا زوجتي واتسم
يا اولادي الملاح ستهلكون هلاكاً تفساً الا اذا وجد طريق النجاة ، الذي
لم اهتمد اليه حتى الآن ، حينذاك يمكننا ان نسلم » •

اندهشوا لكلامه ايما اندهاش لا لأنهم اعتقدوا بصدق ما قال لهم بل
لأنهم اعتقدوا أنه اصابته نوبة جنون • لذلك ، حينما دنا الليل اسرعوا به الى
الفراش آملين ان يعود اليه عقله بعد نومه غير ان الليل كان له منغصاً كالنهار
فقد قضى ليله بالتأوه والدموع ولم يغمض له جفن •

اسفر الصباح وعلموا من حاله ما هو أسوأ من أمسه ورأوه

بعد كلامه ثانية فصار لينهم له شدة عليه واجمعوا ان يبعدوا جنونه بغلظة
فأضحوا يهزأون به حيناً ويعنفونه آناً ومرة يتجاهلونه تماماً •

فاعتزلهم واعتكف في غرفته داعياً لهم مستعطفاً عليهم ملطفاً بؤسه ،
وكان أيضاً يخرج وحيداً الى الحقول أحياناً يقرأ وأحياناً يصني وهكذا قضى
بضعة ايام على هذا الحال •

ثم رأته يوماً وهو يسير في الحقول وحيداً كعادته يقرأ في كتاب
مضطرب البال وبينما هو يقرأ ينفجر باكياً صارخاً : « ماذا أفعل لاسلم » •

ورأته أيضاً ينظر الى هذا الطريق ثم الى ذلك كأنه يريد الفرار ومع
ذلك لا يزال مشدوداً الى مكانه لانه كما ادركت لم يستطع ان يختار الطريق
الذي يسلك •

ثم نظرت فرأيت رجلاً اسمه واعظ يتقدم اليه ويسأله : « لماذا تبكي »
فيجيب « يا شيخ ادركت من هذا الكتاب الذي في يدي ان قد حكم عليّ
بالموت • ثم ابعث لأحكام ، واجدني لا احب الموت ولا اطيق المحاكمة » •

فقال له واعظ : « لماذا تكره الموت ما دامت الحياة مشوبة بالمتاعب
والشرور وهي الى جانب ذلك فانية ؟ » •

اجاب الرجل « اخشى من الحمل الذي عليّ ان يشتد ضغط القبر
عليّ ، واني ، ايها الشيخ ، ان كنت غير مستعد للذهاب الى السجن فلسن
بمستعد يقيناً ان أحاكم ويصب علي العذاب الاليم ، ان تفكر في هذه
الامور يجعلني ابكي » •

فقال له واعظ : « اذا كان هذا حالك فلماذا تقف هكذا لا تتحرك ؟ » •
اجاب الرجل : « لاني لا اعرف اين اذهب » •

حينذاك اعطاه واعظ صحيفة مكتوباً فيها « اهرب من الغضب الآتي » •

قرأها الرجل وصدق في واعظ ثم قال : « الى أين اهرب ؟ » .

اجاب واعظ مشيراً باصبعه الى حقل جد عريض : « ألا ترى ذلك الباب الصغير . هنالك ؟ » قال الرجل : « لا » فقال له واعظ الا ترى ذلك النور المتألق هنالك ؟ اجاب الرجل « أنني أراه » فقال له واعظ : « اجعل النور امام عينيك وسر اليه حتى تصل الباب اطرق الباب تخبر عما يستعمله » .

فرايت في منامي الرجل قد انطلق راكضاً وما ذهب بعيداً حتى علمت زوجته واولاده بالامر فخرجوا ينادونه ليعود الا ان الرجل وضع اصبعه في اذنيه وواصل ركضه صارخاً : « الحياة ! الحياة ! الحياة الخالدة » ولم يلتفت .

وقد خرج الجيران لمشاهدوه وهو يركض فبعضهم اخذوا يهزأون به وآخرون يتوعدونه والبعض الآخر ينادونه ليعود .

من هؤلاء جميعاً رجلان ضمما ان يرداه بالقوة ، كان اسم احدهما « عنيداً » والآخر « سمحاً » وكان امامهما الى الرجل مسافة كبيرة لكنهما عزموا على ملاحقته فواصل السير السريع حتى ادركاه فقال لهما الرجل : « يا جاري لماذا أتيتما ؟ » فاجابا : « لنقنمك ان ترجع معنا » الا ان الرجل قال : « هذا ما لا يمكن ان يحدث ، انما تسكنان مدينة الدمار حيث ستموتان فيها ويضغط عليكما القبر ثم تحرقان بالنار وتفيدان بالاغلال والاصفاد شرا بكم ماء يشوي الوجوه وطعامكم ضريع يوخز الحلق ويقطع الاحشاء ، اقتنعوا بما اقول يا جاري العزيزين ، وصاحباني » .

قال عنيد « ماذا تقول ؟! أتترك اصدقاءنا ونهجر ملذاتنا ؟! »

اجاب مؤمن (وهو اسم الرجل) : « نعم ان جميع ما تتركان لا يساوي شيئاً يسيراً بجانب ما اطلب من نعيم ، وان تبعثاني وصمدت ما ستجزيان كما اجزي لان هنالك ما يكفي بل يزيد ، تعالا ، وتحققا مما قولي » .

عنيد : « ما انت طالب ، وقد هجرت الدنيا كلها ، ان تناله ؟ » •
مؤمن : اني اطلب ما لا يبلى ولا يفنى ولا يفسد انه في السماء محفوظ
لنا ليقدم ، في يوم معلوم ، الى الذين سمعوا اليه حق السمي ، اقرأ ذلك ان
شئت في كتابي » •

عنيد : « افـ !! دعنا من كتابك ، اترجع معنا ام لا ترجع ؟ »
مؤمن : « لا ، لا ارجع فقد وضعت يدي على المحررات » •

- يتبع -



عِلْمٌ وَامَانٌ

سلسلة أبحاث

الدكتور إبراهيم البراق

مكشوف في الطب والبراعة

خير وقاية من اخطر امراض المدنية في القرن العشرين :

كانت مجاميع الامراض البشرية الخطيرة في العهود السالفة ترجع الى قلة الغذاء وفقر وجبات الطعام من العناصر الرئيسية التي يحتاجها الجسم البشري ومن سوء التغذية الشديد والحرمان المزمّن للغذاء . وما ان يمر على المجتمع الانساني دهر الاّ وينعكس فيه الامر فتدر الارض خيراتها والسماء كنوزها حتى يصاب الانسان بالشره والاسراف فيتناول اكثر مما يحتاجه جسمه من عناصر الغذاء . ان اخطر الامراض التي ظهرت في عصرنا الحديث بسبب الاسراف في تناول الطعام هي مرض تصلب الشرايين الذي يسبب تشحم القلب والسكتة القلبية والشلل النصفي ، وامراض المفاصل ، . . . وداء البول السكري الذي عجز العلم الحديث في علاجه الاّ بالصيام ، وداء السمّة المفرطة وتشحم الاعضاء ، ومرض ضغط الدم العالي . والاسلام العظيم عندما منع الاسراف في تناول الطعام من غذاء جاف او سائل (كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين) وأمر بالصيام السنوي لمدة شهر انما اراد بذلك ان ينبه الازهان الى خطر الاسراف في وجبات الطعام على سلامة وكيان الاجهزة والاعضاء في جسم لانسان . لقد اثبت العلم الحديث ان هذه الامراض الخطيرة لها علاقة وثقى بالتغذية الخاطئة ، كما ترجع عواملها الرئيسية الى الاسراف المفرط في تناول الاغذية المركزة بالسعرات الحرارية وفوق ما يحتاجه الجسم البشري من عناصر الغذاء .

قانون التغذية في القرآن يقي من السكتة القلبية ونزيف المخ :

لقد كانت امراض العصور القديمة الخطيرة التي يسببها الجوع والحرمان من الغذاء هي داء التدرن الرئوي او (مرض السل) (Pulmoner Tuberculosis) وداء فقر الدم ونقص الكريات الدموية والضعف العام والنحافة المرضية وضعف المناعة الجسيمة لمقاومة الامراض الجرثومية الهدامة . اما امراض العصر الحديث التي يسببها الافراط في تناول وجبات الطعام المركزة فهي أكثر خطورة من سالقتها لكونها لا ينفع معها العلاج ولا شفاء بعد الاصابة بها . وقد ظهر في قائمة الامراض الحديثة اصابات مرضية تولد السكتة القلبية ونزيف المخ بسبب الاسراف الذي يكون خارجا عن قانون الطبيعة الالهية فيمنع الاسراف كما يمنع التقير (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) .

لقد دلت التجارب العلمية الحديثة على أن الصيام الاسلامي يسبب انخفاض شديد في مادة الكوليستيرول (Cholesterol) الموجودة في الدم والتي يؤدي ارتفاعها الى الاصابة بتصلب الشرايين نتيجة ترسب هذه المادة على شكل طبقة دهنية بين انسجة الجدران الشريانية لفقدائها مطاطيتها وحيويتها في التقلص والانبساط . ان اخطر ما تتعرض له جدران الشرايين من التصلب في منطقة القلب ، حيث ان شرايين العضلة القلبية المسماة بالشرايين التاجية (Arteria Coronaria) عندما تصاب بالتصلب يتعرض الجسم البشري في هذه الحالة الى خطر السكتة القلبية ، كما ان انخفاض نسبة مادة الكوليستيرول في الدم بسبب الصيام الاسلامي يحافظ على حيوية وسلامة الشرايين الدماغية لحماية الجدران الشريانية من التصدع والانفجار الذي يسبب نزيف المخ لأحداث الشلل النصفي وفقدان القابليات العقلية والعضلية وشلل عضلات اللسان المسبب لصعوبة النطق . ان نزيف المخ البطيء يؤدي الى الشلل التدريجي ، اما النزيف الشديد في انسجة

الدماغ فانه يسبب الشلل العام والسكتة الدماغية التي تحدث الموت المفاجي .
(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) .

النظام الصحي في القرآن ... وامراض القلب :

ان عضلة القلب اذا ما اصبحت بالاضطراب الوظيفي الذي يزيد في سرعة ضربات القلب (Cardial Tachicardy) فانها سرعان ما تتعرض للإجهاد والتعب العضوي الذي يؤدي الى فقدان القلب لقوته الاحتياطية في زمن مبكر من العمر . وان الاسباب التي تؤدي الى هذا الاضطراب في سرعة دقات القلب عديدة ترجع الى عدة عوامل كاضطراب هورمونات الغدة الدرقية أو الاضطرابات العصبية والتغيرات النفسية الشديدة (Psychoneurotic Disfunctions) أو امراض الصمامات القلبية او التشوهات القلبية الولادية أو المكتسبة أو الاشتراك الدموي الشرياني الوريدي (Anephrisma) تسبب هذه الحالات الى اضطراب القلب الوظيفي او المرضي محدثة ازيادا ملموسا في سرعة دقاته ، الامر الذي يضطره الى مضاعفة جهده فوق ما يطبق ليفقد بصورة بطيئة او سريعة قوته الاحتياطية حسب شدة العوامل المساعدة لذلك . وان اخطر الامور التي تؤدي بالقلب الى فقدان قوته الاحتياطية بسرعة والتعرض لخطر الموت هي (الاجهاد) ، وان اخطر انواع التعب التي تؤدي عضلة القلب هي الاجهاد العضلي والاجهاد الهضمي . ولقد اثبتت الدراسات الطبية الحديثة على أن المريض بأصابات القلب يستطيع ان يعيش طويلاً بعيداً عن المضاعفات المرضية الخطيرة اذا ما حافظ على الهدوء والاعتدال في تناول الغذاء والاقتصار على الاطعمة الخفيفة السهلة الهضم القليلة الكمية . ويلاحظ المصابون بأمراض القلب بتحسين ملموس في حالتهم الصحية عندما يتعدوا عن الاسراف في الطعام ويعيشوا صائمين فلا يأكلوا حتى يجوعوا ، واذا اكلوا فانهم يتركوا الطعام قبل ان يشعروا بالشبع والامتلاء ، ان هذ القانون الالهي الذي لقنه الاسلام للبشرية كافة على لسان

طبيب الانسانية وهادياها الى حياة افضل محمد العظيم عليه الصلاة والسلام كان ان يكون ارواح الاجرامات الطيبة لحماية الاجسام المريضة والسليمة على حد سواء من ويلات الخطر (يا ايها الذين آمنوا كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المرففين) ، (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا اكنا لا نشبع) .

ان الاسلام - مبدأ النظام السماوي - نجح بتفوق عال في ميدان التدريب الصحي الذي فرض تعاليمه على بني الانسان لیسعدوا به ، وان اهم ما يجب له العلماء اليوم هو النظام الاسلامي في الغذاء ، حيث ان الجهاز الهضمي يعود على تنظيم وظائفه اليومية فيقبل الطعام في فترات معينة من ساعات الحياة اليومية عند تطبيقه لقانون الاسلام ، وينصح علماء الطب الوقائي الحديث بني الانسان الذين يرغبون العيش الرغيد والمحافظة على سلامة ابدانهم ووقاية الجهاز الهضمي من الاضطراب الوظيفي والمرض ان يعودوا على تنظيم وجبات الطعام فلا يتناولوا شيئاً بين الوجبات ولا يغيروا مواعيدهم اليومية التي فرضها الاسلام . والانسان يختلف عن بقية المخلوقات في تركيبه العضوي والفزيولوجي حيث يضره ويسقمه الطعام اذا ما تناوله في كل لحظة كما تفعل بقية المخلوقات لأن القدرة الالهية ارادت لهذا المخلوق (النظام) ففرضت عليه المرض ان خالف هذا القانون الذي سنه الله في الطبيعة البشرية (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) .

ان اهم عضو يتأثر بالنظام الغذائي هو القلب ، لأن عملية الهضم تلزم القلب ان يشاركها اتعابها بأضعاف المرات ويكرس جهده في انجاز هذه المهمة الصعبة ، خصوصاً اذا ما حدثت البعثة في وجبات الطعام فلا يعود للقلب ان تسنى له فرصة ليجدد فيها نشاطه ويستعيد حيويته ، لأن اضطراب الهضم بسبب عدم تنظيم وجبات الطعام يؤدي الى اضطراب حتمي للقلب والدورة الدموية (Physiological Disfunction) « ان الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا) .

القانون

تعريفه ، ضروريته ، انواعه

محمد عبد الحليم الشبوط

اولاً - القانون :

القانون أو النظام ، لدى المشتغلين بالعلوم القانونية ، هو : « مجموعة من القواعد التي تنظم العيش في جماعة ، والتي يجب على الكافة احترامها ، احتراماً تكفله السلطة العامة ، بالقوة عند الضرورة » (١) .

أما القاعدة القانونية فهي : « الوحدة القانونية التي تضع حلاً لعلاقة قانونية معينة ، أو لجانب من هذه العلاقة » . وهي بالنسبة للنظام القانوني كالفرد بالنسبة للمجتمع ، أو كالرقم بالنسبة للعدد المركب ، (٢) . وعلى هذا ، فمن الممكن أن نقول أن القاعدة القانونية تمتاز بما يلي :

١ - أنها لا توجد إلا إذا وجدت الجماعة ، لأن الغاية منها هي تنظيم العيش في الجماعة .

٢ - أنها قاعدة مجردة ، والمقصود بذلك أنها تولد لتسري على كل من تتوافر فيه شروط انطباقها من كافة أفراد المجتمع ، دون تحديد لذاتية

(١) نظرية القانون ، ص ٨ ، د . عبد الفتاح عبد الباقي .

(٢) المدخل لدراسة القانون ، ص ١٤ ، د . مالك دوهان الحسن .

من تسري عليه • فهي تتسم بالتجريد ، اي بعدم تعلقها بشخص
محدودين بالذات ، ولا بوقائع معينة بنفسها • وهذا ما يضيف عليها
عموميتها •

٣ - انها تحكم السلوك الخارجي للانسان فقط ، فهي لا تُعنى بالمشاعر
والاحساسات والعواطف والمفاهيم والأفكار التي يحملها رعايا
القانون •

٤ - وتميز ، أخيراً ، بانها ملزمة ، وبأن الالتزام فيها يأتي من السلطة
العامة ، التي تكفل احترامها ، بتوقيع الجزاء المادي الدنيوي على من
يخالفها^(٣) •

ثانياً - القانون والحياة الاجتماعية :

١ - القانون وغريزة حب الذات :

لكي نفهم علاقه القانون بغريزة حب الذات ، يجب ان نعرف شيئاً
عن هذه الغريزة • ولست أجد غير الله ، خالق الانسان ، من يحدثنا عنها
بوضوح • قال تعالى : « ان الانسان خلق هلوعاً »^(٤) وقال : « ان الانسان
لظلوم كفار »^(٥) وقال : « ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى »^(٦) وقال :
« ... انه كان ظلوماً جهولاً »^(٧) • بهذه الآيات الرائعة يقدم القرآن
الكريم تحليله العميق للنفس الانسانية ودراسته المركزة لها ، بكل ما فيها
من غرائز وميول وشهوات • ومن تركيز الآيات السابقة وإشاراتنا المكثفة ،
يمكن ان نلاحظ ان غريزة حب الذات هي أهم الغرائز الموجهة للسلوك

(٣) انظر نظرية القانون ، ص ١١ - ١٤ •

(٤) سورة المعارج ، الآية ١٩ •

(٥) سورة ابراهيم ، الآية ٣٤ •

(٦) سورة العلق ، الآية ٧ •

(٧) سورة الاحزاب ، الآية ٧٢ •

الانساني ، في النفس الانسانية . وعلى هذا ، فان غريزة حب الذات هي ، كما يقول السيد محمد باقر الصدر في « فلسفتنا » ص ٣٥ : « الغريزة التي لا نعرف غريزة اعم منها واقدم ، فكل الغرائز فروع هذه الغرائز وشعبها » . ويقول جون ساليسبوري في كتابه السياسة : « ... فان الانسان السدي لا يستهويه الطغيان اما نادر او غير موجود »^(٨) . والطغيان ، أو الظلم بتعبير القرآن ، هو الناتج الاساس لغريزة حب الذات .

وبدفع من هذه الغريزة ، جرى الانسان ، منذ القدم ، على استخدام جميع الامكانيات والطاقات التي هيئها الله له في الطبيعة . وهكذا أخذ في استخدام المادة وتسخيرها من أجل تحقيق مصلحته ؛ واستخدام النبات والحيوان ، كلاً حسب ما يستطيع ان يقدمه له من منفعة ، وبحدود قدرة الانسان الذاتية على تسخير طاقات الآخرين واستثمارها .

وبدفع من هذه الغريزة ، انطلق الانسان يستغل أخاه الانسان بما لديه من طاقات علمية وفكرية ، ويتصرف بوجود مَنْ - حوله ، ويسخرهم من أجل تحقيق منفعة الذاتية .

ومن البديهي ، ان الانسان المقابل يملك نفس الغرائز والموجهات ؛ يملك غريزة حب الذات ، ويريد ان يشبع مصلحته الخاصة .

ومن هنا ، نشأ التناقض المستقطب بين أفراد الكائن الاجتماعي ، وهو المجتمع . فان كل فرد فيه يريد ان يستغل الآخرين لمصلحته ، ولما كانت المصالح مختلفة ، فان حصول الصدام مع أبناء المجتمع اصبح أمراً محتماً .

ان غريزة حب الذات والاستخدام في الانسان من جهة ؛ والتناقض الطبيعي بين مصالح أبناء المجتمع من جهة أخرى ؛ وتفاوت مستويات السلطة

(٨) السياسة بين الأمم ، ج ١ ، ص ٦٢ ، هانز ج . مورجنتاو .

والنفوذ لدى كل واحد منهم من جهة ثالثة ؟ كل هذا يجعل الاتجاه الى ضرب العدل الاجتماعي قضية ماثلة للعيان . وهذا مما يؤدي الى احتدام الصراع ، وتفكك المجتمع ، ومضاعفات خطيرة اخرى تهدد وجود الانسان نفسه ، فضلا عن تقدمه ورفيه وسعادته .

وهذا ما جعل اللجوء الى التشريع الذي يسن القوانين والانظمة التي توازن بين مصالح ابناء المجتمع ، وترفع الاختلاف والتناقض بينهم ، أمرا ضروريا ، لضمان سلامة واستمرارية وتقدم البناء الاجتماعي .

فلا يوجد انسان بلا غريزة حب الذات ، ولا يوجد مجتمع انساني يخلو من تناقض مصالح ابنائه ، ولا يرتفع هذا الصراع والاختلاف الا بالقوانين التي تنظم الحياة الاجتماعية^(٩) .

يقول ابن خلدون في مقدمته ص ٤٣ : « ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر ... فلا بد من وازع يدفعهم بعضهم عن بعض ، لما في طبائعهم الحيوانية من الصراع والظلم » .

وهكذا قدر للقانون ان يصبح ذا دور خطير ازاء غريزة حب الذات ، فكان حقيقة « هو ما تُعدّل به ارادات الناس وأعمالهم ، برفع التزاحم والتمايع من بينهم ، بتحديداتها »^(١٠) .

ب - القانون والتنظيم الاجتماعي :

من الملاحظ ، ان الانسان في عيشه منفردا يختلف عنه لو كان ضمن جماعة . ففي الحياة الجمعية لا بد ان تنشأ علاقات متعددة وروابط مختلفة بين ابناء المجتمع .

(٩) لتفصيل مفهوم القرآن عن غريزة حب الذات ، راجع : الميزان في تفسير القرآن ، ج ٢ ، تأليف العلامة محمد حسين الطباطبائي .
(١٠) الميزان في تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

فهناك الروابط الاسرية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية . . الخ ، وكل هذه العلاقات المتعددة ، المختلفة الطبيعة ، نشأت كنتيجة طبيعية للاحتكاك الذي يحصل بين بني الانسان في ظل الحياة الاجتماعية .

وهذه حالة طبيعية ؛ نظرا لتشابك المصالح والعلاقات . فان الانسان لا يستطيع ان يستمر في حياته دون أن ينال مساعدة الآخرين ، ولا يستطيع ان يحقق « اشباع » حاجاته دون التعامل مع حاجات الآخرين . ومن هنا كان الاجتماع الانساني ضرورياً (١١) .

يقول الدكتور مصطفى الخشاب في كتابه « علم الاجتماع ومدارسه » ج ٢ ، ص ٢٠٠ : « لا يعيش الافراد في المجتمع منزولين ومتباعدين ؛ ولكنهم يرتبطون بعلاقات وروابط لا حصر لها تنشأ من طبيعة اجتماعهم ومن تفاعل رغباتهم ومن احتكاك بعضهم ببعض الآخر . وهذا التفاعل والاحتكاك عبارة عن عمليات اجتماعية تقوم بين الافراد في المجتمع . وتنطوي كل عملية اجتماعية Social Process على تقرير طائفة من العلاقات والروابط التي يخضع لها الافراد » .

والحقيقة : ان المجتمع ، كما يقول علماء الاجتماع ، لا يوجد الا حينما تسلك الكائنات الاجتماعية فيما بينها سلوكاً يصح ادراك كل منها للآخر ، ونحن نطلق على العلاقات التي تحدد بهذه الكيفية بالاسم العريض : العلاقات الاجتماعية Social relation (١٢) .

ان تنظيم هذه العلاقات ، من أجل خلق مجتمع يحيا العدالة الاجتماعية ، وتحفظ فيه حقوق الآخرين ، وتسان كراماتهم ، هو من أهم أغراض القانون ؛ فان الذي لا شك فيه ، ان ضرورة القواعد القانونية تنبع من كونها

(١١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤١ .

(١٢) المجتمع ، ج ١ ، ص ١٧ ، تأليف ماكيفر وبيج .

السياج الذي يحمي مصالح الآخرين ، ولولاها لأصبح الأمر فوضى ، ولكانت الغلبة للقوي ، ولعم الاضطراب . وبدون هذه القواعد القانونية لا يستتب الأمن ، أو يقوم النظام في المجتمع . فالقانون ، إذن ، ضرورة تفرضها الحياة الاجتماعية ، ولهذا قيل : « يوجد القانون حيثما يوجد المجتمع » (١٣) .

ان تعدد وتنوع العلاقات والمصالح الاجتماعية هو الذي ادى الى تنوع واختلاف فروع القانون ، فمنها القانون العام والخاص ، ومنها القانون الدستوري ، والقانون الاداري ، والقانون المالي ... الخ .

كل هذا يعطينا صورة واضحة بايجاز لمدى لزوم القانون للمجتمع . فاذا كان العيش ضمن الجماعة من ضروريات معيشة الانسان ، فان القانون هو من ضروريات استمرار هذه الجماعة وتقديمها ورقيها .

ان النظام الاجتماعي - وهو : « الاساس السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يقوم عليه كيان المجتمع » - لا يتحقق وجوده الا بظل قواعد قانونية ملزمة ، وآداب اجتماعية محددة ، وانماط سلوكية خاصة .

ج - اغراض القانون :

بعد هذا الشرح الموجز والعرض السريع لعلاقة القانون بالحياة الاجتماعية ، من زاوية علاقته بغريزة حب الذات الفطرية عند الانسان ، اولاً ؛ ومن زاوية علاقته بتنظيم العلاقات الاجتماعية ، ثانياً ، يمكن ان نوجز أهم أغراض القانون بالنقاط التالية :

١ - التوفيق بين المصالح المتنازع عليها بين الأفراد و الجماعات ، ورفع

(١٣) المدخل للعلوم القانونية ، ص ١٣ - ١٤ ، د عبد المنعم البدر اوي .

الاختلاف بين مقاصد ابناء المجتمع ، المترتب على غريزة حب الذات •

٢ - تحقيق العدالة الاجتماعية ، أو ما يسمى بالمصالح الاجتماعية ،
التي يكفلها النظام الاجتماعي للإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً يرتبط بعلاقات
مع الآخرين •

٣ - تحقيق التوازن بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية بصورة
تكفل حقوق الأفراد والمجتمع على حد سواء •

٤ - صيانة النظام الاجتماعي الذي يجد فيه الناس الأمن والطمأنينة
واشباع غريزتهم الفطرية التي تدفعهم الى العيش في الجماعة والعمل على
تماسك هذه الجماعة وتقديمها ورفقها على وجه مطرد •

٥ - تنظيم مؤسسات المجتمع ، واعطاؤه الصورة المميزة له ، وتحديد
السمات العامة لشخصيته : الفكرية ، والعاطفية ، والسلوكية •

د - ويجب ان نقرر الآن ، انه لما كانت مهمة القانون في المجتمع
متشعبة وعميقة فان تقدم المجتمع يعتمد على نجاح القانون في تحقيق اهدافه
وانجاز اغراضه •

وبعبارة أخرى ، ان تماسك الجماعة وتقديمها ورفقها يعتمد على صلاحية
القانون • فكلما كان القانون بمستوى البناء الاجتماعي ، كان هذا البناء
سليماً ، محققاً سعادة الانسان وتقدمه ورفقه •

يقول السيد محمد باقر الصدر في كتابه (فلسفتنا) ص ١٢ :

« ان العلاقات التي تكونت تحقيقاً لمتطلبات الفطرة والطبيعة في حاجة
بطبيعة الحال الى توجيه وتنظيم ، وعلى مدى انسجام هذا التنظيم مع الواقع
الانساني ومصالحه يتوقف استقرار المجتمع وسعادته » •

وقد حاول الانسان - منذ القدم - ان يتوصل الى القانون الصحيح

والنظام الامثل الذي ينظم بموجبه حياته الاجتماعية . وقد قدم الفكر الانساني عطاءات ثرة في هذا المجال ، ممثلة بشرائعه الوضعية الموعلة في القدم ، بغض النظر عن مدى انسجام هذه الانظمة مع « الواقع الانساني » . فكانت شريعة حمورابي ومن سبقه من مشرعي البابليين ، وشريعة مصر القديمة ، وشريعة الاغريق ، وشريعة الرومان مبتدئين من الالواح الاثني عشر الى المصنوع العديدة التي تلت ذلك العصر .

ثالثاً - انواع القوانين :

أ - قلنا ان الانسان قدم شرائع عديدة لتنظيم حياته ، فظهر ما سميناه بالقوانين الوضعية . غير ان الاهم من ذلك ، ان الله ، سبحانه وتعالى ، لم يترك الانسان سدى ، انما اعتنى بتعليمه وتربيته وتنظيم حياته منذ ان خلقه ، قال تعالى : « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . . » (١٤) ، فظهرت بذلك النظم الالهية .

وهكذا برز لنا اساسيان من القوانين ، لا احسب ان ثمة ثالثاً لهما :

النوع الاول ، القانون الالهي ، وهي التشريعات التي سنّها الله لعباده « الاديان السماوية » ، وانزلها لهم عن طريق سفرائه « الانبياء » عن طريق « طريق الوحي » ، كاليهودية والنصرانية ، واخيراً الاسلام ، خاتماً لما سبق من الاديان ، ومهيماً على الدين كله ، الى يوم القيامة .

النوع الثاني ، القانون الوضعي ، وهو تلك الشرائع الوضعية ، أو الدنيوية ، التي وضعها البشر ، أو على الاصح ابتكرتها بعض العقول النيرة للمشرعين (١٥) .

(١٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٣ .

(١٥) مبادئ القانون المقارن ، ص ٤٥ ، عبدالرحمن البراز .

ومن هذا التعريف ، نستخلص بعض الملاحظات عن القانون الوضعي :

اولا - انه قانون وضعه الانسان أو الهيئة الاجتماعية .

ثانيا - انه قانون ينظم الحياة الدنيوية المادية للانسان فقط .

ثالثا - انه انعكاس لواقع الانسان في المشرع : الذاتي ،

والاجتماعي ، والطبيعي .

ب - وأما القوانين الوضعية ، فهناك انواع عدة منها . وهناك طرق

عدة لتصنيف القوانين الوضعية الى انواعها المختلفة . ادقها التقسيم المذهبي

أو العقائدي ، الذي قال به العلامة دافيد في كتابه « بحث في القانون المقارن » .

وهذا التقسيم ينظر الى الغاية التي تحققها النظم القانونية لكل مجتمع من

المجتمعات وكذلك الأفكار السياسية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية

والدينية التي تسود المجتمع^(١٦) .

وعلى ضوء هذا المنهج في التقسيم ، يمكن ان نقول انه في عالمنا اليوم

يوجد نظامان وضعيان ، يتصارعان من أجل ان تكون الغلبة لاحدهما على

الآخر ، وهما يحكمان أجزاء واسعة من الارض . وهذان النظامان

الوضعيان هما :

اولاً - النظام الديمقراطي الرأسمالي ، الذي يتخذ من الديمقراطية

الرأسمالية والحرية الاقتصادية قاعدة فكرية ارتكازية لبناء الحياة الاجتماعية .

وقد تبلور هذا النظام مع نجاح الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، والثورة

الأمريكية ، والاصلاحات الدستورية التي حدثت في اوروبا بصورة عامة بعد

الثورة الصناعية .

ثانياً - النظام الاشتراكي ، الذي يشكل مرحلة انتقال الى النظام

الشيوعي والذي بشر به ووضع اسسه ماركس وانجلز وحققه لينين في ثورة

اكتوبر ١٩١٧ ، والذي يتخذ من « الاشتراكية العلمية » قاعدة فكرية له .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

محمد عبدالجبار الشبوط

المسرح ومبنى نعيمة

عبد السلام إبراهيم الزبيدي

بعد ان وقفنا على آراء السيد نعيمة في الدعوة الى العامة وعدم الاهتمام باللغة نقف مرة اخرى عند حديثه على التمثيلية لتعرف مدى اهميتها عنده في رفع الادب الى مكانه الممتاز ، اذ يقول : (اذا شئنا ان نرفع آدابنا من المستنقعات التي تترع فيها فعلينا ان نسعى من الآن لوضع اساس متين للمسرح العربي بتربية اذواقنا التمثيلية وتعزيز الرواية الوطنية حتى اذا نهضنا كانت نهضتنا نهضة جبار افاق من نوم طويل لا نهضة عاجز فتح عينيه ليرى الموت امامه)^(١) .

ما هكذا تورد يا سعد الابل »^(٢) .

رفقا يا نعيمة بالفاظك حين تتحدث وارائك حين تبوح بها ، متى كان موضع الآداب العربية في المستنقعات حتى بُعثت ترفعها انت بالتمثيلية ؟

ألم تكن الكتب والمؤلفات التي وضعها العرب هي امهات التراث الانساني المعتمد عليها ومن بينها الكتب الادبية ؟ لا بقولي ولا بقولك ولا بقول الآخرين من العرب وانما بقول من اعتمد ادبهم على التمثيلية واعني بهم الغربيين . ارجو ان لا تكون بضاعتك على العربية بهذا الشكل المؤسف منشورة هنا وهناك تارة تدعو الى التقليل من اهمية اللغة واخرى تسمى رجال الادب القدامى بالضفادع وثالثة تدعو الى العامة ورابعة تختار المستنقعات موضعا لادبنا العربي الرفيع .

هل تعلم يا سيد نعيمة ان من يستقرئ كتبك ويقف على اقوالك التي

هي شاهد^(١) عليك بلسانين كما تقول لا يخرج الا نتيجة واحدة وهي انك داعية هدام تعمل بوحى من الاجنبي •

نحن لا نكر ما للتمثيلية من فضل على النهضة الادبية فظهورها لا يعني غير سد حاجة اجتماعية تطلبها التطور العام شأنها شأن الاغراض الادبية الاخرى بدليل ان الاغراض المعروفة الآن ما ظهرت دفعة واحدة وانما كان ظهورها تباعا خلال الزمن الطويل كلما مست الحاجة وتبعاً لتطور الناس وتبدل العلائق بينهم على اساس من تفاعل هذا التطور والاختلاط ويصح الاستسهاد بكل غرض منها هنا وابرزها الموشحات الاندلسية ؛ اذن فتأخرها كان لانعدام الحاجة اليها •

ولكن لا يعني عدم وجودها في امة ما ان ادب تلك الامة من الضعة والضمول ليكون موضعه المستنقعات كما تقول فلو كان الامر على ما تدعى فكيف استطاع العرب ان يأخذوا بزمام المبادأة في بحث المعلوم والآداب بصرف النظر عن الدوافع اليها تشهد بذلك آثارهم التي خلفوها للعالم وجعل منها الغرب اساساً لحضارته اليوم • فكم من رجالهم قال قولة حق في تلك الآثار الفكرية مع ان الادب المسرحي لم تعرفه العرب • بالشكل الاوربي ؟

أليس هذا دليل بين على المكائنة المرموقة التي تبوأها ادبنا القديم لا كما وضعه نعيمه حيث يريد انتشاله منه بوساطة الادب المسرحي ، لا ادري بعد هذا ما اقوله للمسيد نعيمه ولكنها كما ارى : انها الحمى التي تأتي من الرجلين • ان ما ادعاه صيدح في كتابه « ادبنا وادباؤنا » ان نعيمه عالج الادب المسرحي في رواية الالباء والبنون فابعد حلاً لمشكلة اللغة المسرحية بجعل الحوار باللغة الفصحى للاشخاص المتعلمين وبالعامية لغير المتعلمين •

نقول لصيدح : ان هذا الاجراء ليس بالحل الصحيح ولن يكونه وانما هي دعوة ساخرة الى العامة التي اوضحنا^(٢) رأينا فيها والا فما هو موقفه

من شخص أو اشخاص اعاجم يكون لهم نصيب في الرواية ؟ أيتحدث هؤلاء بلفتهم ام ماذا ؟ واذا تحدثوا بلفتهم كما يقتضى منطق نعيمه بالقياس عليه فما هو موقف الجمهور من هذه الرطانة التي ستضيع عليهم ولا شك حلقة من القصة ربما كانت هي العين فيها ولتكن ما تكون ؟

فاذا انكر عليهم التكلم بلفتهم الا يكون من باب اولى ان ينكر على الرجل غير المتعلم التحدث بالعامية لان الغرض من الرواية هو رفع المستوى اللغوي عند الجمهور بالاضافة الى الاغراض الاخرى التي تعالجها التمثيلية لا أن ينزل المتعلمون الى مستوى العامة والسواد ويكونوا زيادة على ذلك دعاة لتحييب العامية في نفوس المشاهدين .

المصادر :

- (١) ميخائيل نعيمة : الفربال ، مصر سنة ١٩٤٦ ص ٢٩ .
- (٢) الميداني : مجمع الامثال ، مصر ، سنة ١٩٥٩ ، ط ٢ ، ج ٢ ص ٣٦٤ .
- (٣) ميخائيل نعيمة : كرم على درب ، مصر ، سنة ١٩٤٦ ، ص ٦٦ .
- (٤) عبدالسلام الربيعي : مجلة رسالة الاسلام ، بغداد ، سنة ١٩٧١ ، السنة الخامسة ، العدد الاول والثاني ص ١٨٦ .

من رسائل الخزي مجيب

الخبيّة في شعر المتنبي

يحيى جودي حسين
خريج كلية اصول الدين

قبس من حياته :

هو أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الجعفي الشاعر المعروف ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة^(١) . امتاز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، محباً للعلم والادب^(٢) ، فخرج نادرة الزمان وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر^(٣) .

نشأ وسط اضطرابات سياسية قومية لم يبق للخلافة فيها من رونق تحت نفوذ الحكم البويهّي في فارس^(٤) .

(١) الانباري ، نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيق الدكتور السامرائي ، ص ٢٠٣ ، بغداد ١٩٥٩ .

(٢) الواحدي ، شرح الديوان ، ص ٥ ، طبعة برلين ١٨٩١ م .

(٣) الشعالي ، اليتيمة ، ج ١ ، ص ٩٠ ، طبعة اولى ، ١٩٣٤ .

(٤) المقدسي ، امراء الشعر في العصر العباسي ، ص ٣٢٧ ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

تجول شاعرنا بين البادية والحاضرة فأكسبه هذا التجوال تجارب وخبرات جعلت منه رجلاً قوي الصلابة والنزعة البدوية من الأولى ، وثقفاً معلوماً وثقافة عصره من الثانية ، حيث كان المموّن الحقيقي لهذه الثقافة هو ملازمته للوراقين^(٥) .

ادعائه للنبوة :

والحق أن الآراء قد تضاربت في تهمة هذه ، فمنهم من أثبتها كالأنباري في نزّهته ، والشيخ البديعي في صبحه ، والخطيب البغدادي ، تأريخه ، ومنهم من نفاه عنها كابني منصور الثعالبي وهو ممن عاصروا المتنبي وكذلك ابن جنّي^(٦) .

ويذهب الأستاذ عزام إلى نفيها عنه بعدّة أمور وهو الراجح ، وهي :

١ - أن المتنبي لم يذكر - في قصيدته التي بعث بها إلى والي من سجنه والتي يستعطفه فيها - التنبؤ ، بل ذكر اتهامه من قبل الناس بالعدوان على العالمين وانهم قالوا بأنني أردت وما قالوا أنني فعلت ، وقوله خير شاهد^(٧) :

وقيلَ عدوتَ على العالمين بين ولادي وبين القعودِ

وكنَ فارقاً بين دعوى أردتُ ودعوى فعلتُ بشأورٍ بعيدِ

٢ - أن ابن الأثير وغيره ممن رَوّأ أخبار المتنبي لم يذكروا دعوى نبوة أبي الطيب^(٨) .

(٥) البديعي ، الصبح المبني ، ص ٢٠ ، مطبعة دار المعارف بمصر

١٩٦٣ م .

(٦) عزام ، ذكرى أبي الطيب ، ص ٧٢ ، بغداد ، ١٩٣٦ م .

(٧) نفس المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٨) نفس المصدر السابق .

٣ - انه كان ينكر التنبؤ حين يفتريه عليه اعداؤه كما في روايه الخطيب وابن خالويه النحوي في مجلس سيف الدولة^(٩) .

اما سبب تسميته بالمتنبى ذلك لانه شبه نفسه بالانبياء مرتين في قصيدة واحدة قالها في صباه ، فلقبه بعض حساده بالمتنبى ، فوضع ما وضع ، واحتاجت النبوة الى قرآن ، فرووا له قرآناً . واليتان هما :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كـمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في نمود^(١٠)
حول طرفه شطر الملك واستهواه التربع على العرش أو ليس
فؤاده فؤاد ملك وان كان لسانه لسان شاعر :

فأزم بي ما اردت فاني أسد القلب آدمي الرداء
وفؤادي من الملوك وان كان لسانى يرى من الشعراء
وعاش شاعرنا نتيجة لهذا الهوى متقللاً لا يعرف له استقرار فحيل بينه وبين امنيته الجامعة في السلطان ، فخرج خائباً نادياً حظه المسكين ناقماً على المجتمع وذلك في ليلة عيد الاضحى المبارك وهو يقول دالته المشهورة :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى ام لا امر فيك تجديد

نهايته :

قتل بعد عودته من عضد الدولة وابن العميد في الصافية وابنه محمد
وغلامه مفلح من قبل فاتك بن ابي الجهل الاسدي الذي هجاه شاعرنا هجاء
مرّاً بقصيدة مطلعها :

(٩) نفس المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(١٠) اليازجي شرح الديوان ، ص ١٦ ، ١٨ ، م ، بيروت ، ١٩٠٧ .

ما اصف القوم ضبّه وأمه الطرطيه

وذلك لست ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ٣٥٤هـ^(١١) .

الغيبة في اللغة :

جاء في اللسان : « خاب يخيب خيبة : حُرِم ولم ينل ما طلب »
والغيبة : « الحرمان والخسران »^(١٢) .

نموذج منها :

١ - قوله في صباه :

ضاق صدري وطال في طلب
الرزق قيامي وقلّ عنه قعودي

أبدأ أقطع البلاد ونجمي
في نحوسٍ وهمني في سُمودٍ^(١٣)

٢ - قوله في قصيدته الدينارية^(١٤) :

كيف الرجاء من الخطوب تخلّصاً
من بعدٍ ما أثنى في مخالبا

ونصبتني غرض الرماة تصيني
محَنٌ أحدٌ من السيوف مضاربا

(١١) الانباري ، نزهة الالباء ، ص ٢٠٧ .

(١٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « خيب » .

(١٣) اليازجي ، شرح الديوان ، ص ١٦ .

(١٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

أضمتي الدنيا فلما جثها
مستقيماً مطرت علي مصائباً

٣ - قوله في هجاء كافور^(١٥) :

يا ساقبي أخمر^١ في كؤوسكما
أم في كؤوسكما هم وتهميد^٢
أصخرة أنا مالي لا تحركني
هذي المدام ولا هذي الاغريد^٣
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبته^٤
أنني بما أنا شاك منه محسود^٥

٤ - قوله بعد خيبته من كافور ذاكرأ فضل سيف الدولة^(١٦) :

بسم التعلل لا أهل ولا وطن^٦
ولا نديم ولا كأس ولا سكن^٧
أريد من زمني ذا أن يبلغي^٨
ماليس يبلغه من نفسه الزمن^٩
فما يدوم سرور ما سررت به^{١٠}
ولا يرد عليك الفاتت الحزن^{١١}

٥ - قوله عندما أصابته الحمى في مصر^(١٧) :

(١٥) اليازجي ، شرح الديوان ، ص ٥٤٨ .

(١٦) نفس المصدر ، ص ٥٠٨ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٥٢٣ .

أُبتُ الدهرَ عندي كلُّ بنتٍ
فكيف وصلتِ إليَّ من الزحامي

قليلٌ عائدٍ سقمٌ فؤادي
كثيرٌ حاسدي صعبٌ مرامي

٦ - قوله من قصيدةٍ قالها في مصر حيث الخيبة والتشاؤم واليأس
الشامل^(١٨) :

صَحِبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عانا

وتولّوا بغضه كلهم من
هـ وإن سرَّ بعضهم أحيانا

رُبما تحسِنُ الصنيعَ لياليه
هـ ولكن تكدرُ الأحسانا

٧ - قوله من قصيدة مدح بها سيف الدولة^(١٩) :

دِمنٌ تكاثرتِ الهمومُ عليَّ في
عرصاتها كتكاثرتِ اللّوام

اسبابها :

- (١) الشعور بالتفوق .
- (٢) رغبته الملحة في السلطان .
- (٣) سوء سياسته .

(١٨) اليازجي ، شرح الديوان ، ص ٥١١ .

(١٩) نفس المصدر السابق ، ص ٤٥٢ .

نتائجها : الفخر

١ - الشعور بالتفوق :

عاش شاعرنا متعالياً على الناس شديد الاعتداد بنفسه لا يعتد بما هو
فوقه ؟

إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَمُعْجِبٌ عَجِيبٌ
لم يجد فوق نفسه من فرائد^(٢٠)

وهذا الإعجاب صادر من رجل عجيب لا يجد لاحد مزية عليه . فيقول :

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأْنِمَا
فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي^(٢١)

ومن شعوره بالتفوق أنه كان يخاطب الملوك والأمراء مخاطبة الصديق
والمحبيب ، وهو مذهب تفرّد به ، رفعاً لنفسه عن درجة الشعراء^(٢٢) .

ومن تعاطفه بنفسه وشعوره بالتفوق هو أنه كان لا ينشد سيف الدولة
والآ وهو قاعد ، وأنه لا يقبل الأرض بين يديه ، ولهذا كان سيف الدولة
في بعض الأحيان يفتاظ من تعاطفه هذا^(٢٣) .

ومن شعوره بالتفوق قوله في صباه :

مَا مَقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمَقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ^(٢٤)
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارِكُهَا الدُّهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ

(٢٠) اليازجي ، شرح الديوان ، ص ١٧ .

(٢١) نفس المصدر السابق ، ص ٦٩٦ .

(٢٢) المقدسي ، امراء الشعر ، ص ٣٤١ .

(٢٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

(٢٤) اليازجي ، شرح الديوان ، ص ١٦ و ١٨ .

أنا ترب' الندى ورب' القوافي وسيمام' العدى وغيظ' الحمود
وافرط' صاحبنا بشعوره هذا حتى أنه لم يعد يجد المحل اللائق به
أو الشخص الذي يستحق ان يتقيه فيقول :

أيّ محلٍ أرتقي أيّ عظيمٍ اتقي
وكلّ ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقرٌ في همّي كشعرةٍ في مرقّي^(٢٥)

وحيث الغلو فيقول :

وإني لمن قومٍ كأنّ نفوسهم
بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظم^(٢٦)

٢ - رغبته الملحة في السلطان :

قدم شاعرنا حيث العين في الجوزاء والاماني لا يؤديها لفظ ، متسلحاً
بصبرٍ جميل وهمّة وثابة •

رغب السلطان وجاهد في سبيله مما أدى الى خوف الرؤساء والملوك
منه ، عندما وجدوه لا يقف عند حدّ المال والشهرة فحسب ، بل جعلهما
وسيلةً للتوصل الى غايته ... وطالما حلم بهذه الغايات ، ولكنها كانت
اضغاث احلام حيث لم يكن لها أي صدى في الواقع فيقول :

إذا أردتُ كميّة اللون صافيةً
وجدتها وحيبُ النفس مفقود^(٢٧)

(٢٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٥ •

(٢٦) نفس المصدر السابق ، ص ١٧٩ •

(٢٧) نفس المصدر السابق ، ص ٥٤٩ •

أما كافور وإكرامه وضيافته كل هذا لم يكن شيئاً فينال رغبته بل تجاوزته الى السلطان حيث يقول :

إذا لم تُنطِ بي ضيعةً أو ولايةً
فجودك يكسوني وشغلك يسلب^(٢٨)

ويذكر لنا البرقوقى في هذا الصدد قصةً ظريفة : وهو ان كافوراً قال للمتنبى بعدما ذكر الولاية :

« أنت في حال الفقر وسوء الحال سمت نفسك الى النبوة ، فان أصبت ولايةً وصار لك اتباع فمن يطيقك »^(٢٩) .

ويعقب الاستاذ عزّام على هذا القول بقوله : لست اصدق ان كافوراً قال هذا للشاعر ولكن كان في نفسه هذا المعنى^(٣٠) . وهو الأرجح .

وقال من قصيدة من قصيدة يعاتب بها كافوراً على عدم منحه الولاية والسلطان :

ولي عند هذا الدهر حق يلعنه
وقد قلّ اعتاب وطال عتاب
أرى لي قربي منك عيناً قريبة
وإن كان قرباً بالبعد يُشاب
وهل نأفمي ان ترفع الحجب بيننا
ودون الذي أملت منك حجاب

(٢٨) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠٥ .

(٢٩) البرقوقى ، شرح الديوان ، ج ١ ص ٢ - ١ ، ١٩٣٨ م .

(٣٠) غرام ، ذكرى ابي الطيب ، ص ١٧٤ .

أَقِيلُ سَلامِي حُبُّ مَا خَفَ عَنْكُمْ
وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابُ

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ
سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخُطَابُ (٣١)

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا أَبَا الْعَشَائِرِ الْحَمْدَانِي :

فَسِرَّتْ أَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي
وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ (٣٢)

وَلَمْ يَنْحَصِرْ طَلَبُهُ لِلْمَوْلَايَةِ عَلَى كَافُورٍ فَحَسَبَ بَلْ طَلَبُهُ حَتَّى مِنْ سَيْفِ
الدَّوْلَةِ وَلَعَلَّهُ يُشِيرُ إِلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ عِنْدَمَا أَرَادَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ قَصْدَ «خَرَشْتَةِ» :

أَهْمُ بَشْيٍ وَالْيَالِي كَأَنَّهَا
تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ

وَحِيدٌ مِنَ الْخِلَائِنِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ (٣٣)

٣ - سَوْءُ سِيَاسَتِهِ :

نَظَرَ شَاعِرُنَا إِلَى الْأُمُورِ - بَعْدَ ذِيُوعِ صَيْتِهِ وَاتِّشَارِهِ - نَظَرَةَ الْمُتَكَبِّرِ ،
نَظَرَةَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ ، فَلَمْ يَمْدَحْ غَيْرَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، ذَهَاباً بِنَفْسِهِ وَعُلُوّاً ،
بَيْنَمَا كَانَ فِي صَبَاهُ وَشَبَابِهِ يَمْدَحُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ . وَهَذَا السَّيْرُ فِي الْحَقِيقَةِ
خَاطِئٌ أَدَّى بِهِ إِلَى عَزُوفِ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ كَأَبِي عَلِيٍّ

(٣١) الْيَازْجِي ، شَرْحُ الدِّيَوَانِ ، ص ٥١٩ .

(٣٢) نَفْسُ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ، ص ٢٥١ .

(٣٣) نَفْسُ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ، ص ٣٢٧ .

الفارسي وغيره^(٣٤) . ومن شواهد ذلك ما جرى له مع وزير كافور ومع
الوزير المهلبى والصاحب ابن عباد وغيرهم^(٣٥) .

ويحدثنا المقدسي أنه ترفع عن مدح المهلبى لما قدم شاعرنا من مصر
الى بغداد ، تعاضماً بنفسه عن مدح غير الملوك ، فشق ذلك على المهلبى مما
أدى به الى ان يغري بعض شعراء بغداد لذمه والنيل من عرضه^(٣٦) .
فهجاء من هجاء من شعراء اهل العراق :

أيُّ فضلٍ لشاعرٍ يطلب الفضل
سل من الناس بكرةً وعشياً
عاشَ حيناً يبيع بالكوفة الما
و حيناً يبيع ماءً المحيا

ولما بلغ هذا القول الحسن بن لنكك بالبصرة وهو من شعرائها البارعين
الماجنين وكان كارهاً حاسداً لشاعرنا فقال :

ما أوقع المتبسي فيما حكى وادعاه
إن كان ذاك نبياً فالجائليق اله^(٣٧)

نعم كان صاحبنا سيئ الرأي ، وسوء رأيه هذا هو الذي اخرجه من
بلاط سيف الدولة ، وان الحسد وحده لم يكن السبب الوحيد في عداوة
ادباء حلب او بغداد له ، ولو كان على شيء من اللطف لما وصل ما وصل
اليه ، ففي طبعه غلظة كما قال ابن رشيق^(٣٨) .

(٣٤) المقدسي ، امراء الشعر ، ص ٣٤٠ .

(٣٥) نفس المصدر السابق .

(٣٦) نفس المصدر السابق .

(٣٧) البديعي ، الصبح المنبي ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣٨) المقدسي ، امراء الشعر ، ص ١٤١ .

وعند رجوع صاحبنا من مصر الى مدينة السلام التحف رداء الكبر
ونأى بجانبه استكباراً ، فكان لا يلاقي أحداً الا اعرض عنه تهاً وخيلاً
ظاناً ان الشعر بحر لم يَرِدْ نَمِيرَ مائه غيرُهُ ، الى ان نُقِلَتْ وِطَانُهُ
على كثيرٍ ممن وشم نفسه بميسم الادب (٣٩) .

نتائجها - الفخر :

لم تستطع الخيبة التي المّت بشاعرنا الطامح - ذي النفس الجامحة
والتفكير العميق - أن تذلل من كبريائه وطموحه ، أو تقعد به عند بلوغ
غايته ، بل هو عند كل مصيبة يجدد عزيمته وشعاره عند كل نكبة قوله :

ترِيدِينَ لِقَانَا المَعَالِي رَخِيصَةً

وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النُّحْلِ (٤٠)

فاحتقر الموت ورضي بالالم .

ولعل الفخر يكون رَدَّ الفعل القوي لخيته هذه ففاخرَ بنفسه
وبشعره ، حتى اصبح فخره وسيفياته واسطة عقد الشعر العربي في كل
زمان ومكان .

نماذج من الفخر في نفسه :

١ - هو داحي الارض :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الارضَ مِنْ خَبْرَتِي بِهَا

كَأَنِّي بَنَيْتُ الاسْكَندَرُ السِّدَّ مِنْ عِزْمِي (٤١)

(٣٩) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٤٠) اليازجي ، شرح الديوان ، ص ٥٦٠ .

(٤١) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

وهو مصدر الشرف لقومه بالرغم من انهم فخر العرب :

لا بقومي شرفْتُ بل شَرَفُوا بي

وبنفسى فخرتُ لا بجدودي^(٤٢)

وبهم فخرُ من نطق الضا

دَ وعودُ الجاني وعودُ الفلريد

وهو الدرّ حين خاطب السجن :

لو كانَ سكنايَ فيكَ منقصةً

لم يكن الدرُّ ساكنَ الصدفِ^(٤٣)

وهو خير من تسمى به قدم :

سيعلمُ الجمعُ ممّن ضمّ مجلسنا

بأنّي خيرُ من تسمى به قدم^(٤٤)

وهو الكامل :

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ

فهي الشهادةُ لي بأنّي كامل^(٤٥)

فخره بشعره :

ثم فخر بشعره حتى جعل الدهر راوياً لقصائده^(٤٦) :

(٤٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٧

(٤٣) نفس المصدر السابق ، ص ٤٧

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٣٤٢

(٤٥) المصدر السابق ، ص ١٨٤

(٤٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣٨٨

وما الدهر إلا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
وانه ملك^(٤٧) :

إن هذا الشعر في الشعر ملك سار فهو الشمس والدنيا فلك
وهو الذي نظر الاعمى الى ادبه :

أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم^(٤٨)

وهو الهزير الباسل :

لا تجسر الفصحاء تشد ههنا

بيتاً ولكني الهزير الباسل
ما نال اهل الجاهلية كلمهم

شعري ولا سمعت بسحري بابل^(٤٩)

وبعد ...

الخاتمة :

فقد عشنا بعض الوقت مع شاعر حكيم ، اوتي عبقرية فذة لا تزال
ثمراتها يانعة حتى عصرنا الحاضر .

رجل غره سراب الدنيا فسعى وراءه وطوى في ذلك السعي شبابه
ورجوليته ، فاذا الدنيا سراب واذا السعي وراء الباطل باطل ، على أننا لنحمد
الاقدار ، على هذا السراب وهذا الباطل فلولاهما لما كان شاعر الحكمة الكبير ،
ولما انحدر اليانا منه هذا التراث الادبي الخالد^(٥٠) .

هذا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٤٧) نفس المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

(٤٨) نفس المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

(٤٩) نفس المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٥٠) المقدسي ، امراء الشعر ، ص ٣٦٤ .

الفراغ للمتدبرين

جاءنا من الاخ محمود كريم السؤال التالي :

« لماذا يعيش المسلم المتدين ازمة الفراغ .. وهل من علاج .. ؟ »

ج : المتدين - كأي انسان آخر - يمكن أن تصيبه الازمات .. كما تصيب غيره .. ولكن الفارق بينه وبين الانسان العادي .. انه محصن ضد الاصابة - في الاغلب الاعم - بالموجات المرضية التي تمس صميم دينه .. !
والانسان المتدين .. يشبه بندول الساعة .. قد يتأثر باسطة الامور وينظر اليها بمنظار يختلف عما ينظر اليه من خلاله المجتمع .. بل ان حساسيته هذه قد تعينه على رفض ما يعارض دينه وتقبل ما لا يتعارض معه .. وان كان شيئاً اسمه « الفراغ » .

وهذا ناتج - بطبيعة الحال - عن سوء تقييم لمشكلة الفراغ . وقد لا ينظر البعض اليها بمنظار الازمة ابداً .. بل يراها مجرد حاجة طبيعية لابد ان يعاني منها الامرين اي انسان .

ولابد أن يكون مفهوماً .. اننا لا نروم التعبير في هذا الجواب عن الفراغ الزمني فحسب .. فراغ دقائق وساعات .. بل الفراغ كخط حياتي عام .

اذن المتدين .. مرشح للفرق في حومة الفراغ .. ولكن ما هي
مبررات الترشيح ؟ ..

لا بد من الرجوع .. الى حياة هذا الانسان قبل التدين .. ومقارنتها
بحياته بعد التدين .. لتحديد الاجابة بشكل واضح وجلي .

أ - الانسان قبل التدين :

لم يكن المتدين أكثر من انسان اعتيادي يزاول اعماله .. ويمارس
هواياته .. له اصدقاء الذين يلتقي بهم ويلتقون به .. في المتجر والمصنع ..
في الحقل والمدرسة في المقهى والنادي .. كان يمارس علاقاته بحرية ..
وربما كانت تصل الحرية بعضهم الى الدرجة المطلقة .. فلا يردعهم رادع
ولا يقف في وجهه انسان .. خاصة اذا كان محطاً لطوق قيمومية الاهل ..
اذا لم تكن هناك مباركة وتأيد واسناد وارتياح - مباشرة او ضمناً - مع
التشجيع لتصرفاته .. ومهما تكن صورته قبل التدين .. فهي
لا تخرج عن كونها صورة كونها لنفسه وساعده المحيط بتوزيع الظلال
والرتوش .. فبدت له .. وكأنها متكاملة .

ب - بعد التدين :

المتدينون الذين عاصروه وساعدوه على الهداية .. اوضحوا له بجملاء
ان الصورة التي يحملها عن نفسه تحتاج الى بعض الرتوش .. وتغييرات في
بعض الجوانب .. والغاء لبعضها الآخر .

استجاب انساننا - وتأتي استجابته كنتيجة طبيعية لرحلته التي يبحث
فيها عن فلسفة حياة .. ايماناً منه بان ذلك سيعوض عليه بعض الحلقات
المفقودة في سلسلة تكامله .

اذن .. المتدين .. سيجد نفسه شيئاً فشيئاً امام نوب جديد احدى
الوانه الهدفية .. اي وضع حد للمخطوات العابثة .. ولونه الآخر التغيير ..

فبدرك ان تغيير الآخرين ينطلق من تغيير النفس « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .. وهكذا يصنع واقعه الجديد .. امام مستحبات ومكروهات .. واجبات ومحرمات .. قيود موضوعية ومنهجية .. ويجد نفسه انه قد انزل عن رفاق السوء .. وانحسر ظله عن معظم المجالات والمؤسسات الاجتماعية التي كان يرتادها .

وقارن بين الصورتين .. صورته الجاهلية .. وصورته الاسلامية .. فوجد ان معظم السمات الاساسية قد تغيرت وتبدلت .. وانه - بشكل عام - اخذ بيدي اعجابه وارتياحه لصورته الجديدة .

وقد يتصور بعض الاخوة من المتدينين الواعين .. ان بعض المجتمعات الاسلامية « وحدها » هي التي جسدت هذا التغيير .. وارست قواعده .. فالفراغ الذي ينتج من الوضع الجديد يمكن اشغاله بهذه المجالات .. ويأتي المتدين الى هذه المجالات فيجدها لا تمتص من فراغه الا سويغات في اليوم - ان كانت هناك في الاصل مجالات - هنا تبدأ خيوط الفراغ بالظهور .. فيأخذ في التفكير بالرجوع الى بعض المجالات الاجتماعية التي اهتمها .. فلا يجد من نفسه مطاوعة او تشجيعا .. هنا تحدث الازمة .. والتي جاءت من تذبذبه بين تيارين .. الماضي وما يحمل عنه من صور .. ومتطلبات الحاضر الصورة .. اخذت تتوضح .. والمتدين اخذ يعيش الازمة بابعاد اوضح .. انه يجد صعوبة - ما - في تكيف حياته للوضع الجديد .. وقد لا يتمكن البعض من ادراك كنه هذه المعادلة .. ولا يتحمل هذا الكابوس الثقيل .. فيسقط من قافلة الاسلام .. دون أن يجد - اسفاً - بسيطاً يدفعه لثمن سقوطه - ان لم يكن لديه شعور بان نجى من « الموت البطي » باعجوبة - .. !

والآن .. هل هناك من فرصة تتيح للانسان التغلب على هذه المشكلة .. ؟

ان معرفة الخيوط الاولى للمشكلة تعيننا - الى حد بعيد - على معرفة نقاط القوة والضعف فيها .. فيمكن للمتدين الباحث التسلسل من هذه الثغور والنفوذ الى الاسباب الرئيسية التي خلقت واقع الفراغ الجديد .. !

النوع الاول من الخيوط الاولى تجمعت من خلال النظرة الخاطئة التي أخذ ينظر المتدين من خلالها الى بعض المجالات التغييرية على انها مجالات يمكن له التعويض عن مجالات اجتماعية كثيرة .. خسرنا في عملية انسحابه من مواقفه الاجتماعية السابقة .. وبديهي .. ان أي مجال مهما كانت قيمته الاجتماعية .. لا يقدر له « وحده » اشباع خلايا الفراغ في حياة المتدين الجديد .. لان ذلك المجال في - اقوى الايمان - لا يعدو أكثر من ورشة اجتماعية مهمتها صياغة الذهنيات .. وعلى المتدين .. - بعد صياغة ذهنية - ان يعيد لغة التصرف الاجتماعي .. كيف يعمل .. كيف يفكر .. كيف يطرق الابواب .. واي الابواب يطرق .. !

والنوع الثاني من الخيوط .. تجمعت من خلال تمردنا على محيطه الاجتماعي السابق .. نمرداً كان في بعض المستويات جملة وتفصيلاً .. وهنا حدث خطأ « بسيط » .. اذ من قال بان ما كان عليه الانسان .. قبل تدنيه الواعي « كله » يحتاج الى تبديل ؟

ان المجالات « المشروعة » للانسان يجب الا يخسر اي شيء منها .. بل لا بد أن ينظر اليها بمنظار جديد .. ومن خلال معايير ومحطات مختلفة .. وفقدان حاسة التمييز هذه .. تعتبر من افدح الاخطاء التي يجنيها المتدين .. لا على نفسه فحسب .. انما على العمل الاسلامي ايضاً .

فالنادي الرياضي مثلاً - بحد ذاته - .. يعتبر مؤسسة اجتماعية مشروعة .. ولكننا كنا ننظر الى النادي نظرة رياضية عسرة .. فلتكن النظرة الجديدة بانه مجال اجتماعي خصب .

والنوع الثالث : جاء من الهبوط الفجائي .. في المنحنى الروحي لهذا الانسان .. حيث كان سابقاً ينظر الى الاسلام من خلال جانبه الروحي فقط .. اما بعد وعيه .. قلل من موازنه الروحية .. نتيجة تغير نظره حولها .. بعد أن علم بان الجانب الروحي وما يحويه .. هو جزء من الاسلام وليس كل الاسلام .

والنوع الرابع .. هو استمرار الشعور بذلة الفرد .. إذ غم شعور جديد بعزة الجماعة .. لان قوى الجاهلية لا تزال اقوى من المتدينين .. وان ذلة الفرد يمكن النظر الى نتائجها بمنظار الشعور بالفراغ القاتل .. الا يعني الفراغ - في احدى نتائج مدلولاته - الشعور بمواجهة واقع ما بانفراد .. ؟

ولا نروح الخوض في غمار البحث عن الخيوط كثيرا .. فالخيوط الاربعة .. قد تكون اساسية ويمكن اشتقاق ما تبقى منها على ضوءها .. !

الفراغ .. كيف نطعم انفسنا ضده .. النقاط التالية يمكن أن توضح لنا الخطوط العامة للموقاة من ازمة الفراغ :

١ - تنويع مجالات التثقيف : البعض يركز على جانب ثقافي دون آخر .. فمن يهتم بالسياسة يهمل الفكر .. ومن يهتم بالفلسفة يهمل الاقتصاد .. وهكذا .. فالمفروض بالانسان ان يلم بكافة الجوانب الثقافية .. فكما أن الفلسفة مهمة فالسياسة مهمة أيضاً .. وكذلك الدراسات التي تعتمد على علم النفس والاجتماع فأكثريه العلوم الاجتماعية يمكن أن يستعين بها الانسان مرتفعاً بشخصيته نحو التكامل .

٢ - ارياد المجالات الاجتماعية : الجامع والمدرسة .. الحرم المقدس والديوان .. المقهى والنادي الرياضي ... الخ .. كلها مجالات مشروعة وطيبة .. ورغم تعدد طوابعها .. فهي على أي حال مجالات اجتماعية حية ..

فعلية يجب عدم الاقتصار على مجال دون آخر .. فهي كل لا يتجزء ..

٣ - المتدين لكل الامة : وهذا يعني بان الطالب يجب ان لا ينظر الى نفسه بانه طالب وكفى .. فهو لم يخلق للطلبة وحدهم .. صحيح انه لابد أن يكون ابن مجاله .. لكن هذا لا يمنع من أن يكون له مع طبقات الامة الاخرى جسور ممتدة ..

٤ - القيام بالبحوث كل حسب اختصاصه : ولتكن هذه المهمة من المهام التي تستحق اعطاء الاولوية لها .. وممارسة هواية البحث .. بالاضافة لامتناعها قدرا لا بأس به من الفراغ فانها سيكون خير مساعد لمسيره المتدين في امور كثيرة لا غنى عنها ..

النقاط التي ذكرت في الحقل الوقائي يمكن أن تكون نقاط ذات صلة بالجانب الخارجي لشخصية الانسان .. أكثر من علاقتها بالجانب الذاتي .. ولهذا لابد ان يكون الجانب الذاتي من نفس الانسان .. المجال الارحب للعلاج .. طالما تملك الذات الواعية ارادة التمرد الايجابي على الفراغ .. ولا بأس أن نستعين بالسلوك الرسالي للانبياء والمصلحين .. علنا نستشعر العلاج من خلاله .. طالما هناك وحده عمل .. بين المتدين الواعي ورسالة الانبياء ..

* ان ابراهيم كان امة .. لابد أن تكون لنا مع الآية الكريمة .. وقفة تأمل واستطاق .. فالامة : هي الجماعة التي تبني فكرة .. اذن كيف يمكن ان يكون ابراهيم (ع) امة .. ؟

ويبدو ان ابراهيم (ع) حقاً كان امة .. لانه كان داعية لدينه .. من هنا يصح التأكيد القائل .. بان المتدين لابد أن يكون صاحب مدرسة واعية قائمة بذاتها ..

ومعنى ان ابراهيم كان امة - على الصعيد الاجتماعي - انه (ع) كان لا يبعد فرقاً بينه وبين الامة .. من شدة اندكاكه بكيانها وشمورها وافكارها ..

ووصلت درجة اندكائه حدا أصبح لا يرى فرقا بينه وبين الامة .. فمن
« يعيش » آمال الامة .. يتناسى آلام ذاته .. ومن « يعيش » آمال الامة ..
لا يملك وقتاً كافياً للانشغال بآماله .

ومعنى ان ابراهيم كان امة - على الصعيد الروحي انه لم يشعر بالوحدة
والفراغ .. طالما كان قد بنى مع الله سبحانه امتن العلاقات .. وهكذا نجد
علاج الفراغ .. توثيق العلاقة بالله اولاً .. وبالمجتمع ثانياً .. فلهذه « وحدة »
هو الباقي .. ولا يعدو الانسان أكثر من ممثل على خشبة مسرح الحياة ..
ينتهي عند انتهاء المشهد .. ولا يمثل إلا من ذاته .

فالانسان .. عندما يوثق علاقته بخالق الجماعة .. بخالق العمر ..
بخالق المسرح وممثليه .. الا يعني بانه أصبح امة .. ؟ ولا يشعر المتدين
بانه أصبح امة .. ما لم يشعر بانه أصبح صاحب علاقة خاصة بالله سبحانه ..
وليس هذا امراً غريباً .. فاصحاب العلاقات الخاصة كثيرون .. كالانبياء
والرسل والائمة (ع) .. والصحابه المؤمنين ومن هذا حذوهم .. وما
« ان اكرمكم عند الله اتقاكم » الا تصريح واضح بإمكانية تكريس العلاقات
الخاصة مع الله سبحانه .. فالعبد اذا اقترب من الباري شبرا .. اقترب الله
منه امتار .. وهكذا نجد ان المتدين الواعي يمكن أن يكون امة معالجاً فراغه
بذلك متى ما وثق علاقته بالله والمجتمع .. وتوثيق العلاقة بالله .. لا تتم
الا بدوام الذكر قياماً وقعوداً .. وتذكره في كل خطوة يخطوها وعودته كأنه
يراه .. وتلاوة القرآن اعتماداً على الكيف دون الكم فاستنطاق آية واحدة ..
والتأمل في مدلولها خير من قراءة حزب واحد أو عدة احزاب دون أن يعي
ما يتلو .. كذلك المحافظة على الصلاة في اوقاتها وفي المساجد والحسينيات ..
وعيش معانيها بدقة وتأمل .. وزيارة المراقدة المقدسة بذهنية مجدد العهد مع
الامام ومبدئه .. وتلاوة الادعية والاذكار .. كلها توثق العلاقة بالله
- سبحانه - ولا ندري - بعد كل هذا - اين يجد المتدين الواعي الفراغ
ليشعر به .. ؟ « وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين » .

حول العالم الاسي لامي

ريودي أورو (الصحراء المغربية)

بقلم

عباس فاضل السعدي

ماجستير آداب (جغرافية)

+ منطقة مغربية تحت النفوذ الاسباني تكون من اقليمين : الشمالي ويسمى بالساقية الحمراء ، والجنوبي ويدعى بوادي الذهب • ويطلق على المنطقة اسم الصحراء الاسبانية Span Sahara أو ريودي أورو Rio de Oro ، ولعل (الصحراء المغربية) هي التسمية الصحيحة •

x تقع هذه المنطقة العربية في شمال غربي افريقيا على ساحل المحيط الاطلسي الذي يحدها من الغرب • في حين يحدها المغرب من الشمال ، وموريتانيا من الجنوب والشرق • وتمتد بين رأس بلانكو ، وبوجادور ، وجوبي •

x المساحة : وردت تقديرات كثيرة حول مساحة المنطقة ، يمكن ذكرها فيما يأتي :

التقدير الاول ٧٣٣٦٢ ميل مربع^(١) ، والثاني ١٠٢٧٠٣ ميل مربع^(٢) (حوالي ٢٦٣٠٠٠ كم^٢) ، أما التقدير الثالث فهو ٢٦٦٠٠٠ كم^٢^(٣) ، والرابع ٢٨٠٠٠٠ كم^٢^(٤) . في حين بلغ التقدير الخامس ٢٨٠٠٠٠ كم^٢ (١٢٥٠٠٠٠ ميل مربع)^(٥) .

× السكان : بلغ عدد السكان حسب احصاء ١٩٥٠ (١٣٦٢٧) نسمة ، وازداد في احصاء ١٩٦٦ الى ٢٣٧٩٣ نسمة^(٦) . وقدّر العدد ايضاً سنة ١٩٦٣ بحوالي (٢٤٠٠٠) نسمة^(٧) ، منهم ٢٢٢٠٠ مسلم أي نسبة ٩٣٪ من مجموع السكان^(٨) . وبموجب تقديرات ٦٣ - ١٩٦٥ بلغ العدد ٢٥٠٠٠ نسمة^(٩) ، وفي تقدير آخر وصل العدد الى ٢٦٠٠٠ نسمة^(١٠) .

(1) Britannica World Language Dictionary, Vol. 2, Part I, Edition of Funk & Wagnalis Standard, P. 1086.

(2) Encyclopaedia Britannica, Vol. I, P. 308.

(3) Atlas International of Ency. Brit., P. 208.

(٤) عبد الباري عبدالرزاق النجم ، جمهورية موريتانية الاسلامية ، ط ١ ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ ، هامش ص ١٥ .

(٥) سعيد الصباغ ، الاطلس العام ، ط ٥ ، ميلانو ، ١٩٦٣ ، ص (ج) .

(6) Atlas International, OP. Cit., P. 208.

(7) The Europa year Book, 1964, Vol. 11, P. 1040.

(٧) ومحمود طه ابو العلا ، دراسات في جغرافية العالم الاسلامي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٦ .

(8) Hazard, H.W., Atlas of Islam History, U.S.A., 1951, P. 5.

(١٠) الاطلس العام ، ص (ج) .

- x تبلغ كثافة السكان حوالي شخص واحد لكل عشرة كيلومترات مربعة .
- x يشكل السكان الاصليون ٧٧٪ ، والاوربيون ٢٢٪ (بموجب احصاء ١٩٦٠) . ومعظم السكان من البدو ، مساكنهم متناثرة ، يعملون في الرعي ونقل البضائع . ومن قبائلهم الرقيات .
- x المدن المهمة : العاصمة (فيلا سيسنيروس) بلغ عدد سكانها بموجب احصاء ١٩٦٠ (١٩٦١) نسمة . أما مدينة (ألون) فقد بلغ عدد سكانها ٥٢٥١ نسمة حسب الاحصاء السابق . واعتبرها الأطلس العالمي لدائرة المعارف البريطانية انها العاصمة . وما المدن الاخرى : الميون ، وسمارة ، وبوكراغ .
- x العملة المستعملة « بيسيتا » Peseta ، وهي عملة اسبانية كانت قيمتها تعادل سنة ١٩٦٠/٦٠ (٠.٠٠٥٩٥ ر) من الجنيه الاسترليني ، و (٠.١٦٦٧ ر) من الدولار الامريكي .
- x قيمة مجموع الصادرات سنة ١٩٦٠ (٨٥٠٠٠٠) بيسيتا ، وقيمة مجموع الواردات ١٥٤٨٧٠٠٠ بيسيتا ، اي ان قيمة مجموع التجارة الخارجية (١٥٤٨٧٠٠٠) بيسيتا ، وهي تنحصر بالدرجة الاولى مع اسبانيا^(١١) .
- x تتألف الصادرات من المواد المعدنية الخام ، والمواد الغذائية . أما الواردات فتكون من انواع اخرى من المواد المعدنية الخام ، والمواد الغذائية ، بالإضافة الى البضائع المصنوعة .
- x اهم المحاصيل الزراعية : الشعير ، والتمور ، والتين . أما الثروة الحيوانية فتشمل : الجمال ، والماعز ، والاغنام . وبلغت قيمة الثروة

(11) Atlas Inter., Op. Cit., P. 208.

- السمكية البحرية سنة ١٩٦١ (٢١٥ و ٣٥) يسيتا^(١٣) .
- x التربية (سنة ١٩٦٠) : بلغ عدد المدارس الابتدائية ٣٣ مدرسة ،
وعدد تلاميذها ١٢٩٢ تلميذ^(١٣) .
- x الصحة (سنة ١٩٦٠) : في الاقليم (تسع) مستشفيات ومؤسسات
صحية و (ثمانية) اطباء .

« حكاية للعاملين »

« لئن يفلق راسي راسين ، خير من ان يمسخ وجهي وجهين »
ترجمها للحياة
ميثم التمار
من على خشبة الصلب في الكوفة

(12) Ibid, P. 208.

(13) Ibid, P. 208.

مُناجاة

الهي ، ما اهون الصعاب في سبيلك وما اروع العذاب من اجلك ، الهي
ما ايسر العسير في طريقك وما احلى المر في الوصول اليك ..
هانت يا سيدي دمة لا تذرف من اجلك وبعدت عيناى غاية لا تؤول
اليك .. الهي ، ان تظافرت في حياتي طرق الشقاء فان لي من طريقي اليك
سعادة لا تدرك ، وان اطبقت عليَّ سماء الدنيا فان لي في ذكرك افقا ارحب
واوسع .

الهي ، ما اروع ان اسعى اليك فاحجب عنك فتطلق اليك روحي من
قيود اسرها وتهرب اليك نفسي من ثقل حديدتها .. الهي ما عدت ارغب الا
في رضاك ولا اطمع الا في عفوك ولا اسعى الا الى فنائك الهي ، ان ضاقت
عليَّ قيود دنياى فخذقتني صابرة فان ندائي يصل اليك هامسا حادا متدفقا
صادقا الهي ، فاسمع وجيب قلبي اذ يهفو اليك ، وانظر دموع مقلتي اذ ترنو
اليك ، وقبل دعوتي اذ تنطلق اليك ... الهي ، ما الدنيا الا ساعة شوق

الى لقاءك وما الحياة الا ممر درب الى فناءك ، وما العمر الا لحظات اراح
من اجلك وفي سبيلك ، فاجعل حياتي يا رب كله رضا ، واجعل اعمالني
يا الهي ساعة جهاد ، واجعل روحي يا سيدي خفقة امل ورجاء ، ترنو الى
عفوك وتشتاق الى رفدك وتحن الى لقاءك .

الهي ، ما باتت الصعاب تقربني الا اليك وما طفقت الدموع تنطلق الا
في سبيلك ، لعلك ربي ترضى فما احوجني الى رضاك ؟ وما افقرني الى عفوك
وما اسعدني بالعذاب فيك .

سأحتسب كل شيء في سبيلك يا رب .. كل طريق سأبذل فيه شجرة
ايمان مهما ادلهمت مسالكه ، كل عمل سأرتل فيه اسمك الحبيب مهما تعالت
صيحات الضلال .. كل درب سأسلكه اليك مهما نبتت فيه الاشواك ومهما
سدت فيه المسالك ومهما اقيمت فيه العوارض .. سأجعله يا رب مفروشا
بالزهور فذكرك عطر حياتي ، سأجعله يا رب واسعا مهما فاسمك مفرج
كرباتي ، سأجعله يا مولاي منبسطا سهلا لينا فطاعتك سر وجودي ، لك
العقبى يا رب حتى ترضى دانت كما اريد فاجعني كما تريد .



كل الدنيا ...

ايه يا نفس ... اراك على غير عادتك هذا الصباح ... ما هذا الانقباض الذي انت عليه ؟ ارى جنباتك مظلمة بالرغم من بزوغ الشمس - عجباً ما هذه المقلتان المغرورقتان بالدموع ؟ لاجل من كل هذا ؟ هل هو من اجل معصية قمت بها ؟ ام من اجل مكرمة سبقك اليها غيرك من الناس ؟ ام من اجل ماذا ؟؟
أجيبني فانك لعزيزة علي ... انطقي وقولي ما جرى لك وعلام كآبتك هذه ؟

ايه يا نفس ... انا التي روضتك لأني اعلم انك كالطفل ان تركته شب على حب الرضاع وان فطمته ينفطم ... ففطمتك يا نفس فلم هذا الانين ؟
أجيبني يرحمك الله ... امن اجل دنيا وما عهدتك هكذا يا نفس او ما علمت يا اغر النفوس لدي ان الدنيا دار بالبلاء محفوفة وبالفدر معروفة ، لا تدوم احوالها ولا يسلم نزالها ، وانها تفر وتضر وتمر ... ؟

ايه يا نفس ... امن اجل دنيا عزها وفخرها الى انقطاع ... ودمينها ونعيمها الى زوال وضراؤها وبؤسها الى نفاذ تأملين وتؤلمين ... أو ما علمت ان كل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى انقضاء امن اجل حية لين مسها قاتل سمها تتأوهين ؟

ايه يا نفس ... فاعلمي ان الدنيا دار دول فما كان منها لك انساك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ونحن فيها كركب يسار بنا ونحن نيام وعند الصباح يحمد القوم السرى .

ايه يا نفس ... ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة
الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وانها دار مجاز والآخرة دار قرار ..
فارتدعي يا نفس .. فاني ان لم امنعك عن كثير مما تحين مشيت بي الاهواء
الى كثير من الضرر ..

ايه يا نفس ... متى تكوني كما اريدك فاني انما اروضك لتأمني الفرع
الاكبر ، ولكن لا ... لا تسبي الدنيا فما هي التي غرتك ولكن بها
اغتررت ... او ما علمت انها دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها
ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها ... لا اريدك يا نفس ان
تكبرهي الدنيا فانها مسجد اُحباء الله ومصلى ملائكته ومهبط وجيه ولكن
ازهدي فيها حتى يبصرك الله عوراتها ..





هل رأيت هذه الشجرة الطيبة التي تسمى بشجرة البن تارة وشجرة
الجمال اخرى ؟ ان جذورها لتمتد في الارض راسخة ثابتة وفروعها الخضراء
ترتفع في هدوئي لتهب في لونها المشرق معنى الامل الى النفوس ثم ماذا ؟؟
هل يقف عطاؤها الخير عند هذا فقط ؟ لا ، فان ورودا بيضاء نقية تبدأ تتوج
غصونها وكأنها اكاليل غار فتزاحم تلك الوردود وتتقارب في حنور • واشفاق
يشد بعضها بعضا ، ومن هنا تبدأ محاولة هذه الشجرة الطيبة لان تكون في
مجموعها عطاء ورواء للآخرين ، نعم انها عطاء ، فهي تشر لمن يرميها بحجر
مجموعة من زهور فاذا رماها الرامي بحصاة اهتزت شفقة عليه وخفقت
اغصانها حنوا لاجله ثم •• امطرته بوابل من زهورها البيضاء تكلل رأسه بها
وتشرها امام قدميه ، تفرش بها طريقه وتعطر باريجها الهواء الذي يهب
عليه ، فهل رأيت هذه الشجرة الخيرة ؟؟ وهل فكرت في مثل لها ؟ ان
الانسان المؤمن هذا الذي نذر حياته لله وفي سبيل الله فهو حينما يرمى بحصاة
يجيب عن ذلك بعضات ودعوات صالحات ، وهو حينما تمتد اليه يد بحجر
يود لو يحتظن تلك اليد ليضع بين اصابعها بدلا من الحجر مشعلا من نور ،
وهو يرتجف اشفاقا وحنوا بدل ان يرتعد غيضا وحقا ، انه يتألم من اجل
الرامي ولا يتألم منه ، انه يحاول ان يجمع من امامه الاحجار وينثر بدلا
منها اغصانا من زيتون ليجنبه مؤونة الرمي بحجر قد يثقل على يديه أو قد

يخدشها حال الرمي ، وذلك لأن الإنسان المسلم المؤمن بطبيعته عطاء وحب واشفاق فما هي الصورة المتكاملة التي ترسم لنا شخصية هذا الإنسان المسلم ؟؟
انها صورة الرسول الأعظم المسلم الأول والمعلم الأول ، كم تألم هذا الرسول الخالد وما أكثر ما توجهت نحوه من سهام واحجار ، وما أكثر ما أصيب من قبل الآخرين بطعنات وصدمات ولم يك ليزيد عن ان يدعو الله قائلا اللهم اهدي قومي انهم لا يعلمون .. ربنا اجعلنا من السائرين على خطى الرسول المؤمنين العاملين برسالته - ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة .

« ثم بث فيهم المعلمين »

... واتبع الموعظة ؛ فانه اقوى لهم على العمل

بما يحب الله ، ثم بث فيهم المعلمين ، واعبد الله

الذي اليه ترجع ، ولا تخف في الله ، لومة لائم

من وصية النبي (ص) الى معاذ بن جبل

لما بعثه الى اليمن

كَلْبَةُ خُصُولِ الدِّينِ

اولا - القبول :

سيكون القبول للعام الدراسي القادم حسب شروط معينة من اهمها اجراء امتحان لجميع الراغبين في الانخراط في هذه الكلية بموضوعين احدهما في اللغة العربية والآخر في العلوم الدينية، ثم تجرى للناجحين في الامتحانين المذكورين مقابلة . اما الشروط الاخرى فتتضمن في ان المتقدم لهذه الكلية يجب ان يكون مسلما وان يكون من حملة الشهادة الثانوية العراقية او ما يعادلها من الشهادات المعترف بها من قبل وزارة التربية العراقية .

ثانيا - الانخراط في البعثات العلمية :

دأب عدد من خريجي هذه الكلية على السفر الى خارج العراق لاكمال دراستهم العلمية ، وقد عاد الرعيل الاول منهم وعلى رأسهم الدكتور عبدالامير الاعسم الذي حاز على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبرج الانكليزية .

وسيافر الشيخ محمد حسين الصغير الشاعر المعروف للحصول على درجة الدكتوراه في علم النحو في جامعة درم في انكلترا . وقد تسلم الشيخ الصغير القبول من هيئة الدراسات العليا في الجامعة المذكورة . وسيلتحق في الجامعة فتمنى له النجاح والموفقية والعود الاحمد . وسيافر السيد مذخور راضي الى الخارج للالتحاق بأحدى الجامعات الانكليزية أو الامريكية ، وقد علمنا انه ينوي دراسة احد مواضيع اللغة العربية . نرجو له التوفيق والعود الاحمد .

ثالثا - تنوي جمعية الصندوق الخيري الاسلامي المشرقة على كلية أصول الدين ، بناء جناح جديد للكلية ومصلى يليق بمقام الكلية . والنية متجهة الى تضمين الجناح المذكور قاعة للمحاضرات وما الى ذلك من اقسام ضرورية للكلية .

مدارس الإمام البخاري

- أجريت دورة رياضية ثانوية الامام الجواد (ع) بين الصفوف الاولى والثانية والثالثة وقد استمرت لمدة اسبوعين • وكانت النتيجة أن فاز الصف الثالث شعبة (ب) بكأس الدورة في المرتبة الاولى ، واحتل الصف الثالث (أ) المرتبة الثانية • والصف الاول بالمرتبة الثالثة • وقد وزعت الكؤوس على الفائزين •
- قام طلاب طلاب ثانوية الامام الجواد (ع) بسفرة مدرسية عامة الى خاتقين باشراف الادارة والهيئة التدريسية كما وقد رافق الطلاب البعض من خريجي مدارسنا وقد كان ذلك يوم الجمعة ١٠/٣/٩٧٢ ، وقد تخلل السفرة بعض الالعاب الرياضية والالعاب المسلية والمسابقات •
- زار سماحة العلامة المجاهد السيد محمد الباقر الحكيم ثانوية الامام الجواد (ع) لمشاهدة المطبقين من طلاب كلية اصول الدين وقد صرح سماحته عن ارتياحه وسروره من المستوى العلمي الذي عليه الاخوة المطبقون واللياقة التي تؤهلهم ليكونوا خير حملة لرسالة العلم والايمان •
- أقيم لطلاب ثانوية الامام الجواد (ع) دروس اضافية في اللغة الانكليزية والرياضيات والفيزياء لتقوية طلبة الصفوف الثالثة ليتهيئوا لامتحان نهاية العام الدراسي •
- وقد بدأت الدروس الاضافية في النصف الثاني من العام الدراسي وانتهت قبل الامتحان الوزاري بشهر واحد •

● أقامت مدرستا الامام الجواد (ع) الثانوية والابتدائية عدة احتفالات بولادات الائمة ووفياتهم • منها الاحتفال بذكرى وفاة الامام الصادق (ع) وولادة الامام الحسن العسكري (ع) ٠٠٠ وقد شارك فيها نخبة من الطلبة واستاذ التربية الاسلامية ، باشراف الادارة •

(في صباح الخميس ٢٠ ربيع الاول ١٣٩٢ هـ - المصادف ٤/٥/٩٧٢م)
أقيم في مدرسة الامام الجواد (ع) الابتدائية الاهلية احتفال كبير بمناسبة مولد رسول الله (ص) وحفيده الامام الصادق (ع) وقد بدت المدرسة في أبهى مظاهر الزينة والابتهاج حيث علقت معالم الزينة والعبارات الخاصة بالمناسبتين في ممرات المدرسة وصفوفها وساحاتها ، وفي الساعة التاسعة صباحا افتتح الحفل بتلاوة مباركة من القرآن الكريم رتلها الطالب علي الزبيدي من الصف السادس - ثم ألقى الاستاذ الحاج عبدالحسين الراضي معاون مدير المدرسة كلمة افتتاح الحفل وكانت كلمة قيمة أحاطت ببعض الجوانب من حياة الرسول الكريم (ص) والامام الصادق (ع) ، ثم قدمت فرقة النشيد المدرسية نشيد المولد الذي نال الاعجاب والهبّ الاكف بالتصفيق ، وبعد النشيد القى الأستاذ سهيل العلي كلمة عن حياة الامام الصادق (ع) وجهاده المتواصل في سبيل الله ونشر علوم الاسلام وبعد هذه الكلمة ، قدمت فرقة المحاورات والتمثيل محاورة اسلامية من سبعة فصول ألفت خصيصاً للمناسبة وعنوانها (مولد الهدى) وتلا المحاورة توزيع مصاحف كريمة من القطع الصغير على الطلاب الأوائل في امتحانات شهر نيسان من جميع الصفوف وقد وزع المصاحف الاستاذ حمزة الزبيدي ، ثم اختتم الحفل بكلمة لجنة التوجيه الديني ألقاها الشيخ رشيد الصفار معلم التربية الاسلامية وشكر فيها

ادارة المدرسة لاناة العرسه لاقامه الحفل وشكر المعلمين والطلاب جميعا
ودعا الطلاب الى المواظبه على الدراسه ليجتمعوا النجاح وما طلبت منهم الا
من آمال *

وبعد انتهاء الحفل وزعت الحلويات على طلبة المدرسة والمعلمين *

في مساء الجمعة ٧ ربيع الاول ١٣٩٢ هـ الموافق ٢١/٤/١٩٧٢ اقامت
مكتبة الجوادين في الصحن الكاظمي الشريف حفلاً تأييداً بمناسبة مرور
عامين على وفاة استاذنا الراحل (أحمد أمين) أحد اساتذة كليتنا ، واشتمل
الحفل على تلاوة من القرآن الكريم وكلمة المكتبة وبعض الكلمات والقصائد
كما اذيعت في الحفل تسجيل آخر محاضرة القاها الفقيه قبل وفاته وختم
الحفل بكلمة شكر من قبل أسرة الفقيه *

● وفي ايام الامتحانات النهائية ، تفضل السادة اعضاء الهيئة الادارية بمعية
السيد مدير المدارس وتفقدوا سير الامتحانات في مدارس البنين كافة
فسروا لما وجدوه من نظام وحسن ادارة ونهؤ علمي لدى ابنائنا الطلبة
الامر الذي سيطر على مشاعر الفرحه لدى الاستاذ الكبير الحاج فرحان
الغبان رئيس الجمعية ، فراح يدغدغ عواطف التلاميذ بالفلاح ،
ويهدد طلبتهم ومرادهم بالنجاح ، في عرفانية فرحانية ، اختص بها ،
وخص بها ناشئة الجواد (ع) منذ أول تأسيسها حتى اليوم *

● وبمناسبة انتهاء العام الدراسي ١٩٧٢/٧١ الذي كان - بالنسبة
لمدارسنا - عاماً حافلاً بالجدية والتوعية على مفاهيم التربية الاسلامية
من اجل تنشئة الطالب المؤمن بالله وبوطنه ، المحارب لاعداء دينه ووطنه
من الكفار المستعمرين ، متسلحاً بالعلم والايمان وحب العلماء والانقياد
لهم من دون الناس ، فقد وجه الاستاذ مدير المدارس كتب الشكر
للاستاذ محمد حسين عبدالكريم وكيل ادارة الثانوية على حسن ادائه

لواجهه واخلاصه لأهداف المدارس والتزامه بنظامها ، وعلى ما نسسه الجميع من اسلوبه الاداري الناجح في مواجهه مردودات التربية المضادة ، والى الاستاذ صبيح حمود التميمي مدير المدرسة الابتدائية ومعاونه الحاج عبدالحسين الراضي على مجمل الجهود المنتجة التي قاما بها من اجل تحقيق المستوى العلمي والاسلامي التربوي فيها ، وتوجيه اسرتها المجاهدة ، بما يحقق انبل رسالة تربوية تقوم بها مدارسنا بكوادرها ومناهجها ونتائجها في مجتمع عمنس فيه ظلم الجاهلية وفساد الاخلاق •

● ومن اجل دعم الغاية الاساس من انتظام كافة اعضاء الاسر التعليمية والمحاضرين في مدارسنا في وحدة عمل وجهة صمود وتلاحم ، من اجل البناء والتشاور والمشاركة الاجتماعية في حمل هموم المدارس ، وتجاوز مشكلات العمل ، وتعيد الانسان لله ، وتركع المسلم له ، فقد دعى السيد مدير المدارس السادة اعضاء الهيئات التعليمية في مدارسنا الابتدائية والثانوية الى اجتماع موسع ، مفتوح ، مارس فيه الجميع حواراً تربوياً ، ومكاشفة صريحة عما يختلج في خواطرهم وما تحصل لهم خلال المسيرة من ملاحظات واقتراحات من اجل التقدم بالمدارس الى صف افضل واكمل وقد نظمت هذه الحلقة المفتوحة تحت شعار :

« لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها »

وكان قد افتتح الجلسة الشيخ رشيد الصفار بآيات مرتلة من لآلى الذكر الحكيم ثم تقدم السيد مدير المدارس فاستعرض في طاقة من المخططات التربوية ، خاطرت عملية كمنهج لسير المدارس ، معلماً على ابرز المشكلات التي صاحبت السير ، ما كان طبيعياً ، وما جاء مفتعلاً ، وما وجدته منفعلاً والحلول التي توجهت لكل ذلك والايمان

الذي غدى مسيرتها فقد كان دائماً لهذا البيت ربه يحميه ، وعين
تحرسه ، وقلوب تحمل همه ، ثم دار النقاش حول ما ينتظر الجميع
عمله ، كل في حدود واجباته الرسمية ضمن خطة السنة القادمة . ثم
اعتقه بالحديث مدراء المدارس ومعاونوهم وبعد ان تقدم فضيلة العلامة
الشيخ عبدالجبار البصري مدرس التربية الاسلامية في الثانوية ورئيس
اللجنة الدينية وامام الصلاة فيها حيث القى على مسامع الجميع تقريره
حول دور الصلاة جماعة في شد الطالب الى فلسفة المدرسة وتركيز
مقولاتها العلمية والتربوية الامر الذي يدعو الى العناية بهذا الدرس
التطبيقي واعداد المكان اللائق به كمصلى طلابي تهيأ له وسائل التهوية
والتبريد صيفاً والدفئة شتاء .

واعتماد اداء الصلاة والحفاظ عليها في شروط القبول الخاصة جنبا الى
جنب مع المعدل العلمي العالي المطلوب من الطالب الجديد . كما أكد
الجميع على ضرورة تبني مجالس المعلمين والآباء كصيغة ~~للمساهمة~~ للتعاون
بين المدرسة والبيت .

كما درس المجلس نتائج الاجتماع الذي ضم ممثلي المدارس الاهلية
الذي عقد في قاعة نقابة المعلمين - المركز العام وحضره ممثلون عن
وزارة المالية والتربية والداخلية لدراسة تعديل قانون التقاعد الاهلي
وحقوق وواجبات المعلم الاهلي على ضوء التقرير الذي قدمه الزميل
الاستاذ كاظم سلوم الخفاجي ممثل مدارسنا في الاجتماع وعضو
الارتباط بين النقابة واعضاء الهيئات التعليمية في المدارس وقد أقر
الجميع ضرورة اعتماد الاستاذ الخفاجي كممثل لمعلمي ومدرسي
مدارسنا في قضايا الدفاع عن حقوق المعلمين وتبني مطالبهم الاصولية
والتوسط في حل مشاكلهم بما يخدم المعلم والمدرسة والطالب معاً .

جمعية خيرية أكتسبت صفة « النفع العام » بقرار مجلس الوزراء المرقم ٥٨٣ في ١٠/٢/١٩٦٢ المبلغ اليها بكتاب وزارة الداخلية المرقم ج/٤٠٣ في ١٨/٢/١٩٦٢ للمرة الثانية •

- جمعية خيرية أكتسبت صفة « النفع العام » بقرار مجلس الوزراء المرقم ٥٨٣ في ١٠/٢/١٩٦٢ المبلغ اليها بكتاب وزارة الداخلية المرقم ج/٤٠٣ في ١٨/٢/١٩٦٢ للمرة الثانية •
- تجمع طاقات الشيوخ والشباب من علماء وعارفين وخصائيين في وجوه النفع والخير في كافة مجالات الخدمة التعليمية والانسانية والصحية والعلمية •
- تبني فتح مدارس لمكافحة الامية ومدارس اخرى اسلامية للبنين والبنات لنشر التعاليم الاسلامية وتركيز مفاهيمها بالكلمة المكتوبة ، أو المقروءة او المسموعة ، وبالدعم الواقعي والعملية في مساعدة المحتاجين والفقراء وتصحيح اخطاء الجاهلين وتكليفهم على حب الناس لله واخوتهم في الله متجاوزين عنفات الجاهلية والعرقية والقبلية وغيرها •
- نظامها الداخلي يقيد بها بالالتزام باحكام الشريعة الاسلامية في كافة اوجه نشاطاتها فكل عمل خلاف ذلك ملغي عندها شرعا ونظاما •
- تقوم بتأسيس رياض للاطفال والمعاهد والمدارس من ابتدائية وثانوية والكليات على اختلاف انواعها بعد استحصال موافقة الجهات المختصة (وزارة التربية ، وزارة الداخلية ، وزارة التعليم العالي) •
- تبني - في جملة اغراضها - انشاء ملاجئ للعجزة ممن لا مأوى لهم وتأمين راحتهم ومد يد المساعدة الى بعض البيوت الفقيرة والارامل من النساء •
- تسمى - فيما تسمى اليه - لفتح دور للتييمات على غرار الايتام لتعليمهن

الاخلاق والعلم والادب مع ما يلزمهم من الصناعة كالحياطة والحياسة
وتدبير المنزل •

● تهتم اشد الاهتمام بامور رجال العلم والادب ومد يد المساعدة لهم بقدر
ما تقتضيه الحاجة والمصلحة قدر الامكان وكذلك بشؤون المرضى
والغرباء •

● تسعى لمساعدة الفقراء والارامل والايام وتجهيز وتكفين من لا مال
له وتفسير المتكلمين الى اهليهم ومساعدة الطلاب الفقراء ورجال العلم
والادب والدين •

● تقوم بتنظيم حلقات ودورات ثقافية ودراسية واقامة الحفلات والمراسيم
الدينية والثقافية •

● تقوم بتأسيس مطابع لطبع ونشر الكتب والصحف والموسوعات الفقهية
والكتب النادرة والنافعة على نفقة الصندوق خدمة للعلم والدين
ويخصص ريعها للمسلمين •

● فتحت مستوصفات خيرية مجانية لطب الباطنية والعيون ووزعت النظارات
الطبية مجاناً للفقراء والمستحقين في مبادرة اجتماعية وانسانية كانت
الاولى من نوعها في تاريخ العراق •

● منحت طلاب الخليج وبعض الطلبة الفقراء واعضاء الهيئات التعليمية
في مدارسها منحاً دراسية للدراسة والسكن لنيل شهادة البكالوريوس
في علوم القرآن واللغة العربية من كلية اصول الدين ابل اطروحة
ولدتها الجمعية في مجالها الثقافي •

● خصصت سنوياً ولا تزال أكثر من الف دينار كقطاع انساني لمساعدة
الطلاب الفقراء الذين يتلقون الدراسة في الكلية •

١ خصصت زمالتان لطلبة مدارس الازهر الثانوية وبلغ بها الازهر رسمياً في عام ١٩٦٩ في رسالة سلمها السيد رئيس التحرير الى سيادة مدير جامعة الازهر .

٢ وضعت الحجر الاساسي لمشروع مستشفى تعليمي وتطبيبي في الكرادة الشرقية على القطعة التي تبرع بها المحسن السيد محمد علي زلزلة .

٣ ساهم اعضاؤها وانصارها من أهل الخير في تغطية حالات زواج لكثير ممن ترهقهم مطالب الحياة مادياً .

٤ ارسلت احد طلابها الاذكياء الشاب المجد السيد عبدالامير الاعسم للدراسة - بمساعدة مالية - في جامعة كمبرج في بريطانيا ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة الاسلامية والمقارنة وهو الآن في طريقه ليأخذ مكانه في احدى جامعات العراق ، وهي جادة لاستحصال قبول لآثنين من خريجيها في جامعة السوربون في فرنسا للدراسة العالية .

٥ ساهمت مادياً وادبياً واعلامياً في دعم المنظمات الفدائية الفلسطينية وقد شهدت الكلية عدة لقاءات ودية مع ممثلي الفدائيين منذ حرب حزيران .

٦ ساهمت مادياً ومضوياً في حملات مكافحة الامية وانتشال ابناء البلد من داء الامية اتخذ ذلك صوراً عديدة من المساهمات بالجهد والامكانيات وفتح المراكز مجاناً للبنين والبنات في انحاء العراق .

٧ تلقى السيد رئيس تحرير هذه المجلة عدة دعوات من مؤسسات دينية وعلمية وجامعية داخل القطر وخارجه لالقاء محاضرات في موضوعات مختلفة وتبادل الزيارات الاعلامية وتغطية اخبار المؤتمرات الاسلامية وقد اعتذر عن حضور اغلبها بدواعي كثرة الاعمال .



صورة تمثل السيد محمد حسين عبدالكريم معاون الادارة
عند توزيعه الجوائز على الفائزين
طلاب ثانوية الامام الجواد (ع)



الاستاذ محمد حسين عبدالكريم وكيل ادارة الثانوية
يوزع الجوائز على المتفوقين في الامتحانات النهائية

« انا لله وانا اليه راجعون »

سيف المنايا مرهف الحد يردي ولا نقوى على الرد

بقلوب تشعشع لنور الله ، وعيون
تستدمع حزن الماء ، لياخذ من خلود
المؤمنين ، اخايد ، تجرى عليها دموع
الحزن ...



في يوم قمطرير من معاشنا ، افل
فيه نجم سفير هداية ، وطالب عناية
ورباني وآية ..

كان ذلك في ٢٧/٥/ من عام ١٩٧٢
حيث خرج المؤمنون في الكرازة الشرقية على صوت الناعي ، بعلمائهم
وشيوخهم وشبابهم ، يعلوهم صوت واحد مردوده : « انا لله وانا اليه
راجعون » .

ويغطي جنازهم شعور اخاء ، دونه اخاء النسب وارومة العرق
والوصب .

اخوة في الله ، والله ، وفي سبيل الله ، يغذيها الايمان ، ويقويها
على سوق ؛ وصل الجامع والحسينية والمرقد ، ويشدها الى جدر ؛
الحب والحقيقة ، فرع الكلمة الطيبة ، والبراءة من الجاهلية ، والعزوف
ابداً عن التلبس بمذلهفات ثيابها .

وتدافع الصادقون ، الصالحون ، الذين صدقهم في دعواه ،
وصادقهم في شهادتهم وغائبهم ، وصادقوه على ذلك في حياته ومماته ،
في اذكاره وذكره ، وذكره ... تدافع الاخوة المحزونون لفقدته ،
الحافظون حضوره ، يرتلون القرآن ويهدون ثواب آياته الى روح
انشاها القرآن وانشأ لها سير حياة كان الموت منها في مفهومه حقاً
يصلى عنده الناعي .

وفي تدرع بالصبر ومواجهة المصيبة الشابة في المزيد من ذكر
الله ، والتقرب اليه راح الكثيرون من عارفي رشاد بن الحاج مجيد بن
الحاج عبدالرضا المدحجي لا يملكون السيطرة على حواسهم بعد ان
ملكوا بالذكر الكريم قياد قلوبهم فرثاء بالبكاء ، وبكاء للثرثاء ! ونشيد
حزن هدهد لمساة الاخلاص للطيب .. ولكل الطيبين الذين كانوا
وردة الى وردة ، فاذا هي اضمامة عبقة ، ربا شذاها .

فلنا جميعاً مواقع الصبر ومنازل الصابرين ، وله من الله منازل
النبيين والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

فرضني الله عنه ، وارضاه ، وانعم عليه واعطاه .

نبذة عنه - رحمه الله -

* هو رشاد بن الحاج مجيد بن الحاج عبدالرضا المدحجي

* ولد في يوم ٢٦/٤/١٩٥٤

* انهى دراسته الابتدائية سنة ٦٥/٦٦ في مدرسة الجزائر بالعظيفية

* انهى دراسته المتوسطة في ٧٠/٧١ في متوسطة العرفان بالكرادة
الشرقية

* اخواله فاروق وعلي وعدنان اولاد المرحوم محمد بن العلامة
الشيخ علي النجفي

* اخوال والدته الحاج جواد والحاج حسين وعبدالصاحب اولاد
المرحوم الحاج محمد الشاكري

* كان قد تهيأ للامتحانات النهائية للدراسة الاعدادية فوافته المنية
وهو على عتبة القاعة الامتحانية في يوم ٢٧/٥/١٩٧٢ .

امطره الله بشباب رحمة ورضوانه وانجح طلبته في امتحان
الصراف . « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » .



صورة تمثل صلاة الجماعة التي تقام في ثانوية الامام الجواد (ع) يومياً
حيث يبدو في الصورة سماحة العلامة الشيخ عبد الجبار البصري
يؤم الطلاب ظهر كل يوم جماعة



صورة اخرى تمثل جانباً آخر من صلاة الجماعة لطلاب
ثانوية الامام الجواد (ع)



صورة تمثل جانباً من المباراة النهائية بين طلاب ثانوية الامام الجواد (ع)
التي جرت تحت شعار :
« المسلم القوي خير من المسلم الضعيف »
« الاسبوع الرياضي »



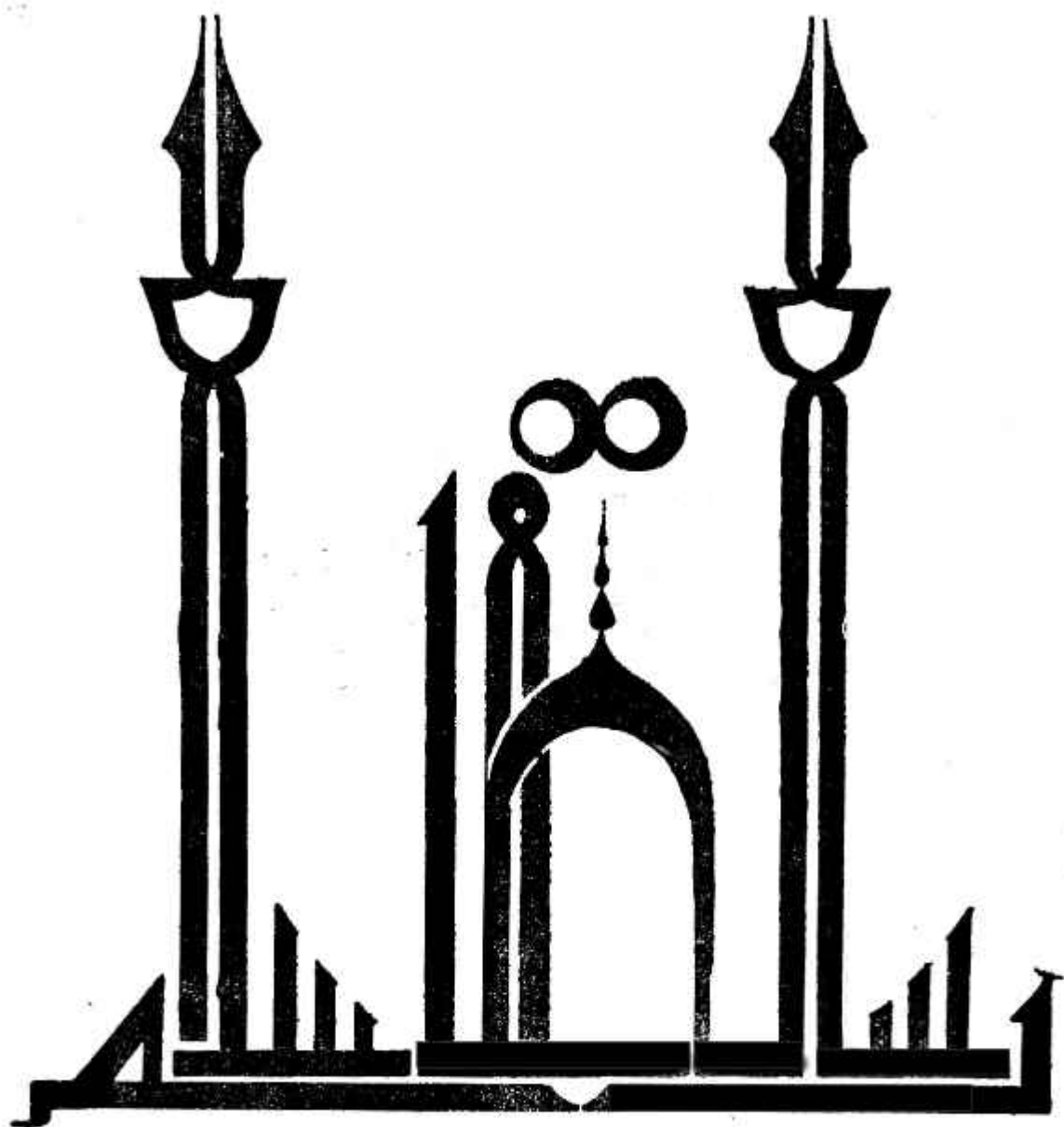
صورة تمثل بعض اعضاء الهيئة التدريسية وقسم من الطلاب المشجعين



صورة تمثل اعضاء الاسرة التعليمية في مدرسة الامام الجواد (ع)
الابتدائية في سفرة مدرسية الى سامراء



جانب آخر من مشهد عبادي يظهر فيه ملاك مدرسة
الامام الجواد (ع) الابتدائية بين يدي الله في مرقد
الامامين العسكريين عليهما السلام
رقم الايداع في المكتبة الوطنية بغداد ٣٦٨ لسنة ١٩٧٢
١٩٧٢/٦/٢٠/٢٠٠٠/٦



السنة الخامسة العدد (٩ ٠ ١) رجب الحرام ١٣٩٢ هـ
ايلول ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من موضوعات العدد

- كلمة هيئة التحرير
 ٥ خمس سنوات تصرمت
 ٧ المفسر
 ١٢ من مفهوم النصر في القرآن الكريم
 ٢٧ المعرفة والسلوك
 ٤٤ مقدمة في الغريب
 ٥٢ هل القرآن كتاب تاريخي ؟
 جنيئة الشعر :
 رسالة الى حاطب بن ابي بلنتعة
 ٦٨ « القصة التي الى القاع هوت »
 تحية الرسالة
 ٧٠ « مهدة الى قلم التحرير »
 قصة قصيرة :
 ٧١ سمية
 وقفة مع فهرس المخطوطات المصورة
 ٧٦ من دروس المناقشة
 تعريف الدين
 ٩١ الرق في الاسلام والانظمة الوضعية
 ١٠٩ سلسلة ابحاث الدكتور ابراهيم الراوي
 ١٣٧ كتب جديدة في الميزان
 منهج تحليلي جديد في دراسة
 ١٤٤ الاعجاز
 موقف القضاء الاسلامي من شهادة
 ١٩٠ غير المسلم
 ٢٥٦ وموضوعات اخرى —————

رسالة الاسلام

مجلة فكرية

عن نشرون الفتى والأدب

تصدر عن

كلية أصول الدين

بغداد - ذكرادة الشرقية

رئيس التحرير السؤل

محمد الساعدي

تضمن المراسلات :

لشؤون التحرير والترجمة

الى السيد رئيس التحرير

ولشؤون التوزيع والوكالات

الى الشيخ علي صيب الله

وللشؤون المالية والاشتراكات

الى السيد محمد طنجي عبود العلياوي

محاسب الكلية

بذلك : داخل العراق : دينار ونصف

الاشتراكات : خارج العراق : دينار اربع

للبرقيات الرسمية : دينار اربع

هاتف المجلة الخاص : ٩٨٥٠٥

لكي لا ندرخ من حجر مرين !

وبقي رجال غصّ ابصارهم ذكر المرجع ، وارق دموعهم خوف المحشر ،
فهم بين شريد ناد ، وخائف مغموع ، وساكنت مكبوم ، وناح مخلص ،
وثكلان مواجع ، قد اخملتهم التقية ، وشملتهم الدلة ... فانظروا بمن كان
قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة ، فانها رفضت من
كان اشفق بها منكم !!

« نهج البلاغة لامير المؤمنين علي (ع) »

خمس سنوات تَصَرَّمْتُ بقلم صبيّة الخرب

أخي المشترك ، أخي الكاتب ، أخي القارئ
سلام عليك ورحمة الله

تصرمت خمس سنوات من اللقاء الفكري والعطاء الثقافي بينك وبين رسالتك ، رسالة الاسلام ، مداد قلمك حروف درسك ومحادثتك .
أخي القارئ خمس سنوات عشتهن مع الرسالة « الاسلام » والتوجيه « الإصلاح » والاقتراب نحو « الحسنی » قارنا ونصيرا ، ومراقبا .
ومع سيل من رسائلك نقلت إلينا مشاعرك ، ودنوت منا في عواطفك ، وشاركتنا الدعاء في تفاؤلك وتطلعاتك .
وبقيتنا أنك اسهمت معنا في تبديل عنوان ، أو تطوير اخراج أو تبلور مضمون ...

ولعلك أكثر ما رميت في رسائلك ، مدح الخطئة ، والثناء على المنهج حيث كان عربي الحرف ، قرآني التعريف ، عاهدنا الله ، على السير فيه ، حتى آخر شوط ، ما دام فينا ثبات إيمان على وعي المسار ، وثبوت حرص الفناء على مدى المسير .

وعلى ذات المساحة التي تعاطفت مشاعرك وتلاقت افكارك عليها في السنوات الخمسة الماضية من عمر مجلتك قارئ الكريم ، سوف نلتقي سادسة ، كاقوى ما يكون اللقاء واحسن ما يكون التعاطف والعطاء .

* * *

ومع اضمائة هذا العدد تودع معنا عاما وتستقبل معنا آخر ربما

يكون عبئه الثقل وموازين عماره اخف حيث تجمعت لدى انساننا المعاصر لغة جديدة ، جماعها كلمات منقولة عن لغة المستعمرين ولكن بحروف عربية على الطريقة الصوتية الاعجمية ، او كلمات ترجمت له كبضاعة جاهزة ، طرحت له كبديل عن كلمات الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى يوم باعدت ظروف نفسية واجتماعية بينه وبين الجذر الفاعل لتلك الصحف ...

ان مهمة الرسالة (الاسلام) في مثل هذا الجو الفكري ، ليست مهمة سهلة ، يقدر صعوبتها العاملون في صناعة الحرف الصالح واللغة السليمة .

على ان نجاح الرسالة في مهمتها ليست متوقفة على جهد وجهاد القلم والفكر والقرطاس بقدر ما هي متوقفة على خلوص التعامل مع الله * وتوجيه الحرف لما يحب ويرضى ، ومتى كان الامر كذلك كان نيل المطلب ونجح الطلبة ، لان نصر الله دائما يأتي اكبر من العمل انه لا يتكافأ مع العمل هكذا قال لنا الربانيون وهكذا لمسنا ذلك من خلال مسيرة الصمت ، مسيرة التحرير *

* * *

خمس سنوات من عمر المجلة ليس قصيرا في عمر مجالات كمجلة رسالة الاسلام ، واكبتها قارئ الكريم ، وعرفت مسيرتها وقيمتها حرفا وحياة فكرية وتوجيها مخلصا ، فضع يدك بيدنا وبارك خطونا واعنا على ذلك بكلمة ترسلها ، وبذل اشتراك تدفعه واكليل فخر تلبسه ، ثم ارفع يدك معنا في الدعوات الصالحات ، لله ان يقوي عزمنا ، ويثبت اقدامنا ويجعل كل ذلك في سبيله ، فهو المقصد والغاية *

« ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يغيب عن الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين » صلى الله العظيم *

~~~~~

قالت الضفدع قولاً صدقته الحكماء

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء ؟!

~~~~~

المفسر

محمد باقر الحكيم

استاذ مساعد في علوم القرآن

الشروط التي يجب توفرها في المفسر :

والتفسير بوصفه علما تتوقف ممارسته على شروط كثيرة لا يمكن بدونها ان ينجح البحث في اقرآن ويوفق المفسر في مهمته ويمكن ان نلخص تلك الشروط في الامور الاربعة التالية :

١ - يجب على المفسر ان يدرس القرآن ويفسره بذهنية : (اسلامية) أي ضمن الاطار الاسلامي للتفكير فيقيم بحوثه دائما على أساس ان القرآن كتاب الهي : انزل للهداية وبناء الانسانية بأفضل طريقة ممكنة . ولا يخضع للعوامل والظروف والمؤثرات التي يخضع لها النتاج البشري في مختلف حقول المعرفة الانسانية . فان هذا الأساس هو الأساس الوحيد لاماكان فهم القرآن وتفسير ظواهره بطريقة صحيحة .

واما حين يستعمل المفسر في دراسة القرآن نفس المقاييس التي يدرس على ضوئها أي كتاب دعوة أخرى أو أي نتاج بشري ، فهو يقع نتيجة لذلك في أخطاء كبيرة واستنتاجات خاطئة ، كما يتفق ذلك لبحوث

المستشرقين الذين يدرسون القرآن على ضوء نفس المقاييس التي يدرسون بها أو ظاهرة من ظواهر المجتمع التي تنشأ في داخله وترتبط بمؤثراته وعوامله وتكيف بموجبها •

وهذا الشرط تفرضه طبيعة الموقف العلمي لان المفهوم الذي يكونه المفسر عن القرآن ككل يشكل القاعدة الاساسية لفهم تفصيلاته ، ودرس مختلف جوانبه ، فلا بد ان يبنى التفسير على قاعدة سليمة ومفهوم صحيح عن القرآن ، يتفق مع الاطار الاسلامي للتفكير ، لكي يتجه اتجاها صحيحا في الشرح والتحليل • واما اذا اقيم التفسير على أساس تقييم خاطئ • للقرآن ومفهوم غير صحيح عنه ، فسوف ينعكس انحراف القاعدة على التفصيلات ويفرض على اتجاه البحث انحرافا في التحليل والاستنتاج •

وفيما يلي نذكر بعض الامثلة التي يتجلى فيها مدى الفرق في الاتجاه بين دراسة القرآن بوصفه كتابا الهيا للهداية ودراسته بوصفه ظاهرة في مجتمع تتأثر به وتتفاعل مع عوامله ومؤثراته وكيف تعكس القاعدة التي يقام على أساسها التفسير في التفصيلات وطريقة التحليل والاستنتاج •

١ - ففي اقرار القرآن لعدد من الاعراف وألوان من السلوك التي كانت سائدة بين العرب قبل بزوغ نور الرسالة الجديدة قد يخيل لمن ينطلق من قاعدة خاطئة ويحاول ان يفسر القرآن بمقاييس غيره من منتجات الارض ان ذلك الاقرار يعبر عن تأثير القرآن بالمجتمع الذي وجد فيه ، ولكن هذا التفسير لا معنى له حين نطلق من القاعدة الصحيحة ونفهم القرآن الكريم بوصفه كتابا الهيا للهداية وبناء الانسانية ، بالصورة التي تعيد اليها فطرتها النقية وتوجهها نحو أهدافها الحقيقية الكبرى •

بل نستطيع على أساس هذه القاعدة الصحيحة ان نفهم ذلك الاقرار من القرآن فهما صحيحا اذ ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا

القبيل ان يشجب كل الوضع الذي كانت الانسانية عليه قبله لان الانسانية مهما تفسد وتحرف عن طريق الفطرة والاهداف الحقيقية الكبرى فهي لا تفسد كلها بل تبقى في العادة جوانب صالحة في حياة الانسانية تمثل فطرة الانسان أو تجاربه الخيرة فمن الطبيعي للقرآن ان يقر بعض الجوانب ويشجب اكثر الجوانب في عملية التغير العظيم التي مارسها وحتى هذا الذي أقره وضعه في اطاره الخاص وربطه بأصوله وقطع صلته بالجاهلية وجذورها •

ب - وفي تدرج القرآن الكريم في التشريع قد يعجز لمن ينطلق من القاعدة الخاطئة التي تقول بشرية القرآن يرتبط بطبيعة عملية البناء التي يمارسها القرآن لان القرآن لم ينزل ليكون كتابا علميا يدرسه العلماء وانما نزل لتغير الانسانية وبنائها من جديد على أفضل الأسس وعملية التغير تتطلب التدرج •

ج - وفي القرآن الكريم نجد كثيرا من التشريعات والمفاهيم الحضارية التي كانت متبناة من قبل الشرائع السماوية الاخرى كاليهودية والنصرانية • وقد يعجز لمن يدرس القرآن على أساس القاعدة الخاطئة بان القرآن قد تأثر في ذلك بهذه الاديان فانعكس هذا الانفصال بالتالي على القرآن نفسه •

ولكن الواقع - وعلى أساس المفهوم الصحيح - ان القرآن يمثل الاسلام الذي هو امتداد لرسالات السماء وخاتمها • ومن الطبيعي ان تشمل الرسالة الخاتمة على الكثير مما احتوته الرسالات السماوية السابقة وتسخر الجوانب التي لا تتلائم مع التطورات النفسية والفكرية والاجتماعية للمرحلة التي وصل اليها الفرد الانساني بشكل عام • لان مصدر الرسالات هذه كلها شيء واحد وهو الله سبحانه •

خصوصا اذا أخذنا بنظر الاعتبار ايمان الاسلام بهذه الوحدة في مصدر الرسائل وتأكيده عليها .

٢ - وبعد سلامة القاعدة الاساسية في فهم القرآن وتقييمه يجب ان يوفر في المفسر مستوى رفيع من الاطلاع على اللغة العربية ، ونظامها ، لان القرآن ، جاء وفق هذا النظام فما لم تكن لدينا صورة عن النظام العام للغة العربية لا نستطيع ان نستوعب معاني القرآن . فيحتاج المفسر الى الاطلاع على علم النحو والصرف ، والمضاف والبيان وغيرها من العلوم العربية . والقدر اللازم توفره من هذا الشرط ، يختلف باختلاف الجوانب التي يريد المفسر معالجتها من القرآن الكريم ، فحين يريد ان يدرس فقه القرآن مثلا ، لا يحتاج الى التعمق في أسرار اللغة العربية بالدرجة التي يحتاجها المفسر ، اذا درس الفن القصصي في القرآن أو المجاز في القرآن مثلا .

٣ - ولا بد للمفسر ان يحاول الى أكبر درجة ممكنة الاندماج كليا في القرآن عند تفسيره . ونقصد بالاندماج في القرآن ان يدرس النص القرآني ويستوحى معناه دون قيد سبق باتجاه معين غير مستوح من القرآن نفسه ، كما يصنع كثير من أصحاب المذاهب الذين يحاولون في تفسيرهم اخضاع النص القرآني لعقيدتهم المذهبية فلا يدرسون النص ليكتشفوا اتجاهه بل يفرضون عليه اتجاههم المذهبي ويحاولون فهمه دائما ضمن اطارهم العقائدي الخاص . وهذا ليس تفسيرا وانما هو محاولة تبرير للمذهب وتوفيق بينه وبين النص القرآني ، ولهذا كان من أهم الشروط في المفسر ان يكون بدرجة من التحرر الفكري تتيح له الاندماج بالقرآن ، وجعله قاعدة لتكوين أي اطار مذهبي بدلا عن جعل الاتجاه

المذهبي المحدد قاعدة لفهم القرآن •

٤ - وأخيرا لابد للمفسر من منهج عام للتفسير ، يحدد فيه عن اجتهاد علمي طريقته في التفسير ، ووسائل الاثبات التي يستعملها ، ومدى اعتماده ، على ظهور اللفظ وعلى السنة ، وعلى اخبار الاحاد ، وعلى القرائن العقلية في تفسير النص القرآني • لأن في كل واحد من هذه الامور خلافا علميا ، ووجهات نظر عديدة ، فلا يمكن ممارسة التفسير دون درس تلك الخلافات درسا دقيقا ، والخروج من دراستها بوجهات نظر معينة تؤلف المنهج العام للمفسر ، الذي يسير عليه في تفسيره • ولما كانت تلك الخلافات تتصل بجوانب من الاصول والكلام والرجال وغيرها كان لزاما على المفسر لدى وضعه للمنهج ودراسته لتلك الخلافات أن يكون ملماً بالمأ كافيا بتلك العلوم •



مِنْ مَفْهُومِ النِّصْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

كأصغر الزيد

ماجستير في الآداب « الدراسات القرآنية »

- ٣ -

٦ - انه نصر متداول بين المؤمنين واعدائهم :

وهو ما يقرره القرآن ويحدد مواضعه في حروب المسلمين ، ويضع له أسبابه ويبين علله ، ويدعو المسلمين الى الاعتبار بأحداثه .
فحين نصر الله المؤمنين بدر ، ذلك النصر الرائع المؤزر ، وهم يومئذ قلة أذلة ، وأنزل ملائكة من السماء متابعين قاتلوا معهم وتبتهوهم في ساحة المعركة ، بعد أن ثبتوا هم للأعداء فيها ، لم يكتب لهم النصر النهائي في « أحد » ، اذ أخذوا بشروط من شروط تحقق النصر وهو الانصياع لأمر الله ورسوله ، وتنفيذ ما أمرا به ، وهم اذ قاتلوا استجابة للأميرين جميعا ، أمر الله وأمر رسوله ، ووقفوا ليصمدوا عدوان المشركين الذين جاءوا ليأثروا لقتالهم في بدر ، ويستعيدوا كرامتهم المسلوبة ، ويعملوا على ضعفة جيش المسلمين أو القضاء عليه ان قدروا ، فانهم لم يلتزموا بما أمرهم الله به ورسوله ، حين طلب (ص) الى الرماة بالنبل ألا يتخلوا عن جبل أحد مهما كانت الأساليب ، وأن يربطوا على سفحه مهما كانت الظروف ، ويبين ذلك لهم قائلاً :

- ١٢ -

• انضحوا بالنبل عما لا يأتونا من ورائنا ، ولا تبرحوا غلبنا أو
صرنا (٦٥) الا أنهم في نشوة انتصار المسلمين أول الامر ، وهزيمة
الكافرين بين أيديهم ، نسوا هذه الوصية الهامة ، والامر الخطير ، فلم
يلتفتوا أن تركوا أماكنهم من الجبل ونزلوا يجمعون الغنائم مع الجامعين !! •
فكان أن التف حولهم فئة من جيش المشركين ، وشجع هذا الالتفاف فلول
المنهزمين على الرجوع لارض المعركة من جديد ، مما أوقع المسلمين بين
أدين !! •

وكان ما كان مما تحدث به التاريخ ، من كسر رباعية رسول الله
(ص) ، وقتل عمه أسد الله حمزة رضي الله عنه ، وقتل عدد من المسلمين ،
وإصابة آخرين منهم بجراح •

وحين انجلت المعركة ، وعرف المسلمون ما أصابهم ، راحوا
بنساءهن قاتلين : من أين آتانا هذا الخذلان ؟ •

فبين لهم القرآن بصريح العبارة أن ذلك كان من أنفسهم ، لتركهم
مراكزهم ، وعدم التزامهم بأمر رسول الله (ص) بالرابطة فيها ، وبين لهم
أن هذه الخسارة التي أصابتهم في أحد والمصيبة التي ألمت بهم فيها ، قد
أصابوا مثلها في بدر حين انتصروا على المشركين انتصارا ساحقا ، أذهلهم
وجعلهم يعودون ثانية لقتالهم ، حتى يأخذوا بثأر قتلاهم ، فإذا انتصروا
هناك في بدر لالتزامهم بما أمروا به ، خسروا هنا لتركهم هذا الالتزام •

ثم بين لهم بعد ذلك أن الله قدير على منح النصر ، كما أنه قدير
على منعه ، نقرأ ذلك في قوله تعالى :

« أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ، قلتم انى هذا ؟ قل هو من

(٦٥) ينظر تفسير الجلالين : الآية ١٢١ من سورة آل عمران •

عند أنفسكم. ان الله على كل شيء قدير. (٦٦) •

ثم بين لهم بعد هذا كله ان الذي اصابهم يوم التقى الجمعان بأحد ، كان بإرادة الله ومشيئته ، وأن فيه حكمة بالغة ، ذلك أن الله أراد أن يعلم ، بوقوع ما اصابهم في أحد ، « علم ظهور » (*) من المؤمنون منهم ، ومن المنافقون ، أولئك الذين كانوا يدعون مجرد دعوى ، أنهم لو كانوا يحسنون قتالا لاتبعوا المسلمين وقتلوا معهم ، حين طلب اليهم المسلمون القتال في صفهم أو الدفع عنهم •

فالتقرآن يقول :

« وليعلم الله الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم لكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » (٦٧) •

ثم بين لهم أن هذا الذي اصابهم من الهزيمة في أحد يوم التقى الجمعان ، جمع المؤمنين وجمع الكافرين ، هو من استئلال الشيطان وتسويله ، وأنه كان بعض ما كسبوا من الذنوب وهو مخالفة أمر رسول الله (ص) ، وترك مواضعهم التي حددها لهم في القتال :

« ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استأزلم الشيطان

(٦٦) آل عمران : ١٦٥

(*) لانه سبحانه عالم به قبل أن يكون ، الا أن في اظهاره حجة على خلقه ، ولله الحجة البالغة • وانظر في هذا : السيوطي : تفسير الجلالين • الآية ١٧٦ من آل عمران •

(٦٧) آل عمران : ١٦٧

بعض ما كتبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور رحيم . (٦٨) .

وآخر الآية يدل على أن الله قد عفا عنهم سبحانه ، بعد أن ندموا على ما فرط منهم في جنبه ، وتابوا إليه متاباً .

ولقد الفصح القرآن عن الحالة النفسية التي احاطت بهم قبل ان يقرئوا مواضعهم التي حددتها لهم رسول الله (ص) ، وما لا يس ذلك من لراع وخلاف شب بينهم ، فمنهم من كان يريد الثبات في الموضع المحدد له ولا ينزل عنه ، ومنهم من كان يريد النزول باعتبار أن اخوتهم من المؤمنين قد نصروا ، فلا مبرر لبقائهم بحسب اعتقادهم ، في مواضعهم بعد ذلك . كل ذلك قد تم بعد أن شهدوا النصر أول الامر على الكافرين جلباً بأعينهم . .

ثم بين لهم القرآن أن الله ردهم بعد هذا النصر المشهود الى الهزيمة ، بما جنت أيديهم ليمتحنهم ، فيظهر المخلص منهم من غيره ، وأنه قد عفا عنهم بعد ندمهم تفضلاً منه ومناً ، فقال :

• ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فسلتم وتنازعتم في الامر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ، (٦٩) .

ويطسح القرآن في خضم هذا الحدث الهام موازين وفروقا تقف حداً فاصلاً بين ذهنية المؤمنين وذهنية الكافرين أو المنافقين ، وبين سلوك هؤلاء وهؤلاء ، فينهي المؤمنين عن أن يتشبهوا بالكافرين الذين كانوا يقولون لأصحابهم اذا سافروا أو غزوا وقتلوا ، لو لم يسافروا ومكثوا في ديارهم

(٦٨) نفسها : ١٥٥ .

(٦٩) آل عمران : ١٥٢

لما قتلوا أو ماتوا ، ثم يبين لهم أن القعود عن السفر والجهاد لا يمنعان من الموت ، وأنهم إن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا ، فإنهم راجعون الى الله في كل حال ، ليجازيهم بأحسن ما عملوا ، فيجدون غفرانه ورحمته ، وذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا الزائل ، وعرضها الفاني ، فيقول :

• يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لأخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير .
• ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون .
• ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون . (٧٠) •

ثم يأخذ القرآن بعد هذا بالتسرية عن المؤمنين ، والشجدة من غرائبهم .

ليقلب الموقف الخاسر الضعيف الى موقف قوي متحضر ، بعد أن وعى المؤمنون حق الوعي سبب خسارتهم ، وأدركوا بتفهم كاف علة هزيمتهم .
وما ترتب على ذلك كله من نتائج ومواقف • ولئلا يحسبوا هزيمتهم في هذه المعركة هزيمة نهائية ، فيتعبد بهم الانكسار النفسي عن القتال ، أو تستحيل خسارتهم المادية الى خسارة نفسية ، قد تؤدي بهم الى ضياع جهودهم ، وانطفاء جذوة نصرهم الذي أحرزوه من قبل في بدر ، فيبين لهم أنهم الأغلبون بالغلبة على الأعداء ، بما وهبهم الله من دعائم الايمان ، وروح الثبات عند الملمات فيقول :

• ولا يهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاغلبون ان كنتم مؤمنين . (٧١) وعبرة • ان كنتم مؤمنين • لها تأثيرها النفسي في استجاشة ضمايرهم وتحريك احساساتهم ، وتذكيرهم بحقيقتهم التي قد ينفلون عنها ، في خضم هذه

(٧٠) آل عمران : ١٥٦ - ١٥٨ •

(٧١) آل عمران : ١٢٩

الحسنة ، وهي كونهم مؤمنين ، لا ينبغي أن يصيبهم ما يصيب سواهم
في مثل هذه الحال ، من الوهن والضعف والخور . وهو في هذا يقيمهم
نفسياً موضوعاً قائماً على الموازين السليمة لعلاقة الأحداث بالنفوس .

التهزيمة في عرف القرآن ينبغي أن لا تكون سبباً في هزيمة أبدية ،
تموت فيها الأمة ، وتذوي فيها الجماعة المؤمنة ، وتنطفئ فيها الفكرة
المرّة المعطاء . بل يجب أن تقوم على البحث عن أسبابها بحثاً جاداً خالياً
من مظاهر التزييف والخداع والتضليل ، ليتوصل إلى حقيقة تلك
الأسباب ، فتكون حصيلة ذلك الحلول السليمة الواعية ، والعبرة القيمة
النافعة ، المؤدية إلى سبل النصر وروافد الغلبة . .

ومن هنا نجد أن القرآن قد صارع المؤمنين بخطئهم ، ووضع أيديهم
عليه حين قالوا منسائلين بعد الهزيمة : « أتنبأ هذا » ؟ . بأن قال لهم :
« هو من عند أنفسكم » ! ، وترك لهم البحث بصدق وموضوعية عن هذا
الذي كان في أنفسهم سبباً للهزيمة . وبعد أن يقوي القرآن من إرادة
المؤمنين ، ويرفع من عضوياتهم ، ويعيد الثقة إلى نفوسهم من جديد ، بقوله :
« ولا تهنوا ولا تحزنوا » في الآية التي مرت آنفاً ، يبين لهم - كما يبين ذلك
من قبل ولكن بشيء من التفصيل هنا - أن هذا الذي أصابهم في أحد قد
أصاب أعداءهم في بدر ، وأن الأيام يصرفها الله ويقلبها بين الناس ، فيجعلها
يوماً لفئة وآخر لآخرى ، ليكون ذلك عبرة للمستعبرين ، ودرسا
للمتوسمين ، وليعلم سبحانه ، وهو العالم بكل شيء قبل أن يكون ، من
آمن منهم من لم يؤمن ، وليكرم فريقاً بالشهادة فيدخل الجنة ، ويظهر
الذين آمنوا من الذنوب بما يصيبهم فتكون كفارة لها ، ويهلك الكافرين

الذين يحددون عن سبيل المؤمنين ، نقرأ ذلك في قوله :

« ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ويعلم الله الذين آمنوا منكم ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » (٧٢) .

ثم يسألهم هذا السؤال الانكاري بعد ذاك قائلا :-

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ؟

فليست الجنة تنال بالتمني ، وانما تنال بالعمل الصالح ، وأوله الجهاد في سبيل الله والصبر عند لقاء عدوه .

٧ - انه نصر لا تعسف فيه أو قهرا للبشرية :

لانه يستهدف الخير ، ويرى الى الحق ، ويتوخى التغيير الى ما هو أفضل ، ويصبو الى أن يمكن للنشئة المؤمنة الصالحة الخيرة . كي تحكم في الارض ، وتكون لها الرئاسة فيها ! لتقيم العدل وتشر الاخاء ، وتجتث جذور الفساد والتحلل والضياع من أصولها ، وتقيم مكانها الحياة النظيفة المستقيمة الحافلة بالنقاء والصفاء ، وتجعل الدين كله لله .

وانذلك نجد القرآن يبين عقب حديثه عن نصر المؤمنين بدير وامدادهم بالعون المادي والمعنوي ، هدف هذا النصر وحكمته ، فيقرر أنه لم يكن الا لقطع دابر الكافرين ، أو ردهم خائبين خاسرين . فيقول :

« وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » (٧٣) .

(٧٢) آل عمران : ١٤١ .

(٧٣) آل عمران : ١٢٦ - ١٢٧ .

وفي موضع آخر يفصح القرآن عن هدف هذا القتال المشروع
المعرض على المؤمنين ، ويكشف عن ماهية المعارك الدائرة بينهم وبين
الكافرين ، وما تنوخواه من استئصال للفتنة بكل أشكالها وألوانها ، وإعلاء
لدين الله وحده ، حتى لا يعبد في الأرض أحد سواه ، فيقول :
• وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله •

ويكشف القرآن في أول آية نزلت أمرة بالقتال^(٧٤) عن هذه
الحقيقة بوضوح ، حقيقة القتال في سبيل الله ، وما يفضي اليه عادة من
أمن وإيمان ، وحرية في أداء العبادة الحقّة التي يجب أن يتمتع بها
الإنسان في راحة وطمأنينة ، ويبين أنه لولا ذلك لهدمت صوامع الزاهدين
وبيع العابدين ومساجد المصلين ، فترتب على ذلك إضعاف الدين ، فكأن
في هدم أماكن العبادة هدم للدين نفسه^(٧٥) ، فيقول :

• أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
اسم الله كثيرا • • (٧٦)

ثم يبين أن الذي ينصر أولياء الله ويدفع عنهم ، أو ينصر دين الله
ويذب عنه ، فإن الله ينصره لأنه القادر القاهر الذي لا يغالب ، فيقول :
• ولننصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز • (٧٧)

(٧٤) الطوسي : التبيان ٣٢١/٧ • ط النجف •

(٧٥) قارن بقول الحسن البصري في المصدر نفسه ٣١٦/٧ •

(٧٦) الحج : ٢٩ - ٤٠

(٧٧) الحج : ٤٠

ويبين بعد ذلك أن أولئك المهاجرين في سبيل الله المقاتلين أعداءه من أجل نصرته دينه ، إذا مكثهم الله في الأرض وأعلى شأنهم وقوى جانبهم ، لم يعبثوا في الأرض فساداً ولم يتجبروا على بني جنسهم ، بل انهم ليقومون معالم الدين الحق ، ويؤدون شعائره التي تتم عن صدق إيمانهم وطيب سرائرهم ، من إقامة الصلاة ، وإعطاء الزكاة المفروضة عليهم لله في أموالهم ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ويقرر أن كل ملك يؤول إلى الله ، وكل شيء يصير إليه سبحانه ، فيقول :

« الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (٧٨) .

وهكذا يتبين لنا صامراً ، أن قال المؤمن في سبيل الله ، فيه نصرته لدينه وإعزاز لعقيدته ، وهو يفضي بطبيعة أهدافه السامية ، إلى تحقيق الخير ، وتثبيت الحق ، ورفع كلمة الله عالية لتسعد البشرية في ظل الإيمان ، وتخلص العبادة لله الواحد الديان .

٨ - ومن النصر ما أنبأ عنه القرآن وهو في ضمير الغيب ، وقبل أن يكون ، كما في سورة الفتح وسورة التوبة وسورة الروم :

(أ) فسورة « الفتح » المدنية التي نزلت عقب صلح الحديبية ، والتي روي عن رسول الله (ص) أنه قال فيها « نزل عليّ البشارة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها : أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (٧٩) .

(٧٨) نفسها : ٤١

(٧٩) ينظر تفسير (في ظلال القرآن) ج ٢٦ ص ٩١ ، من طبعة

بيروت .

قد أنبأت تلك السورة المباركة عن فيض من العون الالهي على رسوله ، رسول الرحمة والهداية ، فتح مبین ، ومفكرة شاملة ، ونعمة تامة ، وهداية ثابتة ، ثم بعد ذلك : « نصر عزيز » .. من الحكيم العزيز .

وكان الفتح يتمثل في صور وأشكال شتى ، في بيعة الرضوان التي كانت فيض خير على الذين شهدوها ونالوا نعمتها ، وفي صلح الحديبية وما أعقبه من فتوحات ذات صور متعددة . كان فتحا في الدعوة حين صار بإمكان المسلمين أن يحدثوا المشركين ويحاوروهم في أمر الدين ، فلم يبق ذو عقل وحس ممن كلموا الا دخل فيه ..

ولقد دخل في تينك السنتين ما بين صلح الحديبية وفتح مكة مثل من كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر (٨٠) .

قبا له من فتح مبین !! ..

وكان فتحا في الارض اذ أمن المسلمون شر قريش بعد الصلح ، فوجه رسول الله (ص) الى تخلص الجزيرة العربية من بقايا الخطر اليهودي بعد أن تخلص من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ، بفتح خير التي كانت تهدد طريق الشام ، ففتحها الله على المسلمين وغنموا منها مغانم ضخمة (٨١) .

ثم جاء بعد هذا كله نصر الله والفتح ، ودخول الناس في الاسلام أفواجا وجماعات ، اذ فتح الله على المسلمين مكة بعد سنتين فالقرآن يحدثنا عن هذه المغنم المرتقية والنصر القريب ، بأسلوب يوحى بقرنها منافضا بذلك ظن المخلفين من الاعراب الذين لم يتبعوا رسول الله (ص) في مسيره

(٨٠) ينظر المصدر نفسه ج ٢٦ ص ٩٧ .

(٨١) المصدر نفسه ، المكان نفسه .

ثم أنبا القرآن عن هذا الفتح ، الذي هو فتح خير على رأي أغلب
المفسرين أو فتح مكة على رأي فريق منهم ، كما بينا آنفا هذا الفتح ،
الذي سيحفظ به أهل بيعة الرضوان ، واصفا إياهم بالإيمان تكريما ، لهم
وبيينا لحسن منزلتهم عند ربهم فقال : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ
يبايعونك تحت اشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم
فتحاً قريباً » (٨٦) .

ثم وصف مغنم هذا الفتح المرتقب القريب بالكثرة ، ترغيباً للمؤمنين
في القتال ، وتطمينا لهم وتبشيراً ، فقال :

« ومغنم كثيرة يأخذونها وكان الله عليهما حكيماً » (٨٧) .

وبين في سياق هذا الوعد بالفتح ، أنها مغنم قريبة سيجعل لهم ربهم
إلى أخذها ، تتلوها مغنم أخرى كثيرة ، سيحفظون بها فيما بعد ، وأنها
آية للمؤمنين يرون في تحقيقها ونوالهم لها ، عاقبة طاعتهم لله ورسوله ،
فعال :

« وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها تعجل لكم هذه وكف أيدي
الإناس عنكم وتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً » (٨٨) .

ولقد تحقق ذلك كله ، إذ فتح الله للمسلمين خير بنصر منه كما
وعد ...

كما فتح لهم مكة بعد هذا الفتح ...

وانهالت الفتوحات بعد ذلك فتحاً بعد فتح ، وكان من أمر الله ما كان

(٨٦) الفتح : ١٨ .

(٨٧) نفسها : ١٩ .

(٨٨) نفسها : ٢٠ .

الى مكة عام الحديبية ، بل تناقلوا وتأخروا ، وهم أسلم وغفار وجهينه ومزينة كما ذكر ذلك ابن اسحق ومجاهد^(٨٢) ، وقد حدث القرآن عن ذلك فقال :

« سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى معانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله • قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسقولون بل تحسدونا • بل كانوا لا يفقهون الا قليلا »^(٨٣) .

وأغلب المفسرين يرون أنها اشارة الى فتح خيبر ، وهو المروي عن قتادة وابن ابي ليلى ، ومنهم من يرى أنها تشير الى فتح مكة^(٨٤) .

ولعل الذي حدا بالمفسرين أن يخصصوها بخيبر ، نزولها بعد صلح الحديبية بقليل ، اذ كانت في المحرم من سنة سبع بعد أقل من شهرين من صلح الحديبية^(٨٥) .

وفي قوله تعالى :

« لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » .

اشارة الى ما وعد الله به أهل الحديبية من الانفراد بالغنime ، وأنها لهم خاصة ، وهو المروي عن مجاهد وقتادة من تابعي المفسرين ، فلما أراد المخلفون أن يغيروا ذلك بأن يشاركوهم هذا الغنم منعهم الله من ذلك .

(٨٢) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن : ٣٢١/٩ • من طبعة النجف .

(٨٣) الفتح : ١٥

(٨٤) المصدر السابق : المكان نفسه .

(٨٥) المصدر نفسه : ١٠٧/٩

تسلياً للنبي والمؤمنين ، وتسرية عنهم ، وتخفيفاً عما أحسوا به من هم وألم .

وروي عن أبي سعيد الخدري أن ذلك كان يوم بدر فكان نصراً للمريفيين المسلمين والروم . وروي أنه كان يوم الحديبية (٩١) .

وقد بين القرآن أن في ذلك النصر المرتقب فرحة للمؤمنين ، ثم إضافة إلى العائقي سبحانه بقوله : « بنصر الله » ليبين ماهية هذا النصر ، المؤمل ، وأنه من عند الله لا من عند غيره ، فهو نصره ، وهو هبته وهو منته على المؤمنين كي يفرحوا به ويسعدوا بلحظاته ..

وفي ذلك ما فيه من تقوية الثقة بهذا النصر ، وتحقيق وقوعه ، ما زال المؤمنون قد أيقنوا بأنه « نصر الله » .

ثم بين أنه « ينصر من يشاء » فهو الناصر ، كما أنه يخذل من يشاء ، والأمر أمره ، وذلك كله مرتين بارادته ، فهو العالم بكل شيء .. العزيز الذي لا يغالب ، والرحيم الذي لا ينزع : « وهو العزيز الرحيم » .

ثم بين أن ذلك « وعد الله » الذي لا يخلف ، وأمره الذي لا يرد ، وأن الروم ستغلب فارس في ما بعد :

« وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٩٢) وقد وقع ما وعد الله من نصر الروم على الفرس ..

وفرح المؤمنون بنصر الله كما وعد ..

فكانت معجزة جديدة يضيفها القرآن إلى معجزاته ، ودلالة من دلائل

(٩١) الطوسي : التبيان ٢٢٨/٨ - ٢٢٩ .

(٩٢) الروم : ٦ .

والله على كل شيء قدير ...

فهذا نصر أنبا عنه القرآن ، وفتح حدث به وهو في الغيب ..

(ب) ثم كان هناك نصر آخر أنبا عنه القرآن أيضا وهو في الغيب
وقبل أن يذوق حلاوته المؤمنون .. ذلكم هو نصر الروم المسيحيين على
المجوس الوثنيين (*) .

فقد غلبت فارس المجوسية الروم المسيحية أول الامر ، وفرح بذلك
مشركو قريش باعتبار أن الفرس لم يكونوا كتابيين كما أنهم ليسوا أهل
كتاب ، وقد روي عنهم أنهم قالوا ان « أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا أهل
الروم وهم أهل كتاب ، فنحن لا كتاب لنا تغلب محمدا الذي معه
كتاب » (٨٩) .

وقد ساء ذلك المسلمين ، وولد في نفوسهم ألما وحزنا ، فأخبر الله
سبحانه أن الروم وان غلبوا فانهم سيغلبون ، في عدد من السنين قليل يقع
بين الثلاث الى العشر . فكان كما أنبا ، حتى غدا ذلك الحدث معجزة من
معجزات القرآن الباهرة . ودلالة من دلائل النبوة الظاهرة ..

فكان قوله تعالى :

« ألم • غلبت الروم • في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون •
في بضع سنين • لله الأمر من قبل ومن بعد » ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر
الله • ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (٩٠) .

(*) راجع في عقيدة المجوس : الملل والنحل للشهرستاني ، والفصل
بين الملل والنحل لابن حزم • وكتاب : (الله) للعقاد ...

(٨٩) الطوسي : التبيان ٢٢٨/٨ •

(٩٠) الروم : ١ - ٥

نبوة المصطفى (ص) تنضم الى دلالاته .

(ج) وثمة حادثة أخرى تحدث فيها القرآن عن نصر المؤمنين ، وهو في عالم الغيب ، ووعدهم به قبل أن يكون ، وحثهم على تحقيقه بالقتال ، وذوق حلاوته بالنضال . فحين هم المشركون باخراج الرسول (ص) من مكة ، وقتلوا حلفاءه من خزاعة ، كان ذلك ايذانا بيدتهم قتاله (ص) ، ومن هنا نجد القرآن يأمر المؤمنين بقتال هؤلاء النافذين العهد ، البادين بالحرب ، مينا لهم أنهم اذا قتلوهم فان الله يعذبهم بأيديهم وينصرهم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين اشتد غضبهم لله ، وتألموا لما فرط من أولئك الكافرين ، واغتاظوا لما صدر عنهم .

فانقرآن يقول :

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب^٢ على من يشاء والله عليم حكيم » (٩٣) .

ولقد تحقق ذلك كله ، فقد انتصر المؤمنون على المشركين اذ قاتلوهم ، وفيه دلالة على صدق نبي الهادي محمد (ص) ، لان الله وعده بالنصر فكان الامر كما وعد .

وبذلك اضاف القرآن بحديثه عن النصر وهو في عالم الغيب ، صورة من صور الاعجاز ، ودلالة من دلائل النبوة ، اذ ان تحقق النصر وحلوته بعد الوعد به ، من تلك الدلائل التي تميز بها كتاب الله لتكون معجزة من معجزاته ، تثبت كونه من عند العليم الحكيم ، وتدل على أن محمدا (ص) رسول كريم .

(للبحث بقية)

(٩٣) التوبة : ١٥ - ١٦ .

المعرفة والسلوك

- القسم الثاني -

محمد عبد الحبار الشبوط

السنة الاولى

- ١ -

لهيـد :

أكدنا في القسم الاول من مقال « المعرفة والسلوك » المنشور في العدد ٩ - ١٠ السنة الرابعة من مجلة « رسالة الاسلام » على حقيقتين أساسيتين ، وهما :

● الحقيقة الاولى : ان الانسان محتاج ، حاجة حيائية^(١) ملحة ، الى المعرفة العملية التي توجه سلوكه ، وتحدد علاقاته ومواقفه ، بناء على بديهية « ان المعرفة أساس السلوك » .

● الحقيقة الثانية : ان الله ، وحده ، يملك هذه المعرفة الضرورية ، وهو وحده التي يمكن ان نظمئن الى أصالة صحة ما يمدنا به من معارف .

(١) الحاجة الحياتية هي الحاجة التي لا تقوم حياة الانسان بدون اشباعها ، كالحاجات العضوية ، والحاجة الى التجمع والارتباط ، والحاجة الى المعرفة العملية ، موضوع البحث .

وقد انتهينا من هاتين الحقيقتين الجوهريتين الى « قاعدة عامة » مفادها انه لا بد من اللجوء الى الله وحده لتحصيل هذه المعرفة . فقلنا هناك ما نصه :
 « اذا اردنا الحصول على المعرفة الصحيحة ، الضرورية لمعاملتنا وصالاتنا وأفعالنا ، فيجب ان نتجه الى الله وحده في ذلك » .

وبينا أيضا : « ان الله تعالى قد أمدنا بما نحن بحاجة اليه من المعارف ، سواء من حيث التصور الكلي للكون والحياة والانسان ، أو من حيث طبيعة العلاقة بين الله والانسان ، وأخيرا من حيث الأحكام والتشريعات التي يحتاجها الانسان في حياته العملية ، فردا ومجتمعا » . ثم عرفنا : « ان هذه المعارف تحددت بمصدرها الاول ، القرآن الكريم ، وهو كتاب الله ، المعجز ، الذي انزله على نبيه الكريم محمد (ص) ، ثم بمصدرها الثاني ممثلا بالسنة الشريفة » (٢) .

- ٢ -

لكل معرفة أثر :

وقبل ان نواصل تكملة ما انقطع من حديث ، نرى لزما علينا ان نشير الى قاعدة مهمة ، مؤداها : ان المعرفة التي يحصل عليها الانسان لا بد ان يترتب عليها اثر (٣) ، والا أصبح بحثه عن هذه المعرفة ، وتحصيله لها ، مجرد ترف فكري ونزهة ذهنية ، لا يجني من ورائها غير ذكرها التي ما تلبث ان تحبو ويقبرها النسيان !

وعليه ، فنحن اذا عرفنا حاجتنا الى علم الله المودع في القرآن الكريم نرى واجبا علينا - بحكم منطق العقل الذي املى علينا قاعدة « لكل معرفة

(٢) اعني بالسنة : قول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره .

(٣) قد يكون الاثر فكريا أو نفسيا أو سلوكيا .

الر - ان نعرف الآثار التي يمكن ان تترتب على هذه المعرفة ، وانتي ينبغي الالتزام بها والعمل بمقتضاها . فما هي هذه الآثار ؟

بالتأمل ، يجد الباحث ان الآثار المقصودة هي :

- أولا ، دراسة كتاب الله .
- ثانيا ، الارتباط بحامل القرآن .
- ثالثا ، الالتزام بأداب المعلمين .
- رابعا ، العمل بالعلم الرباني المستحصل .

وسنحاول فيما يلي ، ان نتحدث بشيء من التفصيل عن كل اثر من هذه الآثار ، مذكرين القارئ العزيز بان العبرة من معرفتها هي السير بموجبها .

- ٣ -

الاول : دراسة كتاب الله :

نعرف جميعا ، ان من يحس بحاجة الى شيء فانه يسعى اليه ، وهو لا ينتظر قطعا ان ذلك الشيء سيقبل عليه بقدرة ساحرية ! ونعرف جميعا ان من يريد ان يكون طبيبا أو مهندسا يرى نفسه محتاجا الى ان يدرس الطب أو الهندسة ، حيث هو لا يتوقع ان يجد نفسه يوما كذلك بلا دراسة وسعي وتحصيل . وهذه بديهية لا تحتاج الى مزيد بيان ، وطويل نقاش .

وبنفس المقياس نقول : اننا اذا ادركنا حاجتنا الماسة الى علم الله المودع في القرآن الكريم ، وحيث اوجبتنا على انفسنا - بحكم العقل والضرورة - ان نلجأ الى الله في أخذ العلوم والمعارف العملية ، وحيث شخصنا رغبتنا - بحكم النظر والوجدان - بان نصبح مسلمين لله ، علما بان ذلك لا يكون

- ٢٩ -

الا بتعلم الاسلام واتباع أحكام الله ... هذا الادراك والحاجة والرغبة ،
كل اولئك يوجب علينا ان نتعلم القرآن الكريم وتدارسه وتدبر فيه ،
باعتباره كتاب الله ، ومعه ندرس سنة رسول الله (ص) والائمة (ع) .

وهذا هو الاثر الاهم الذي ينبغي ان يظهر على اهتمام وسلوك
الانسان الذي عرف الحقيقتين السابقتين ، وادركهما .

واذا كان الانسان محتاجا ، حياتيا ، الى علم الله - كما تقدم بيانه -
فان دراسة القرآن الكريم هي الاشباع الصحيح لهذه الحاجة ، والمصادق
العملي لادراكها ومعرفتها^(٤) .

وكل من نأى بجنبه عن القرآن ، وتركه خلف ظهره لا يمكن الا
ان نحكم عليه بالجهل اتمام بأبسط الحقائق المتعلقة بحياته ووجوده . ونحن
بهذا المنظار ندرك ونفسر ورود الحث الشديد في كتاب الله العزيز ، نفسه ،
وفي السنة المعصومة على تدارس القرآن والتدبر في مقاصده وأهدافه ،
بشكل لا يبقى فيه مجال للتردد والكسل ، ولا يترك للانسان مخرجا يبرر
فيه عدم دراسته للقرآن الكريم .

فقد قال تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ؟ ام على قلوب أقفالها ! »

وقال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مُذكر ؟ » القمر ١٧ .

وفي الكافي ، قال الامام الباقر عليه السلام : « يا سعد ، تعلموا
القرآن » .

وفيه عن الامام الصادق عليه السلام « ينبغي للمؤمن ان لا يموت

(٤) يلحق بتعلم القرآن سيرة رسول الله (ص) والائمة (ع) كما تقدم .
ويجدر افراد حديث خاص عن هذا الموضوع في فرصة قادمة ، انشاء الله .

حي يتعلم القرآن ، أو يكون في تعلمه .

وعنه أيضا : « القرآن عهد الله الى خلقه ، فقد ينبغي للمسلم ان يظفر في عهده ، وان يقرأ منه كل يوم خمسين آية » .

وقد استفاضت الاحاديث في بيان فضل حامل القرآن العامل به ، فقد ورد من الامام الصادق عليه السلام : « الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام » .

وعنه أيضا : « من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه وجعله الله عز وجل مع السفرة الكرام البررة » وكان القرآن حجيذاً له يوم القيامة

وفي روضة الواعظين ، قال رسول الله (ص) : « أشرف امتي جملة القرآن » .

ولا ينبغي ان تنسى ان البحث على تعلم القرآن هو جزء من البحث على طلب العلم ، اذا لم يكن هو المقصود بذلك ، وقد اشرنا الى هذا في المقال السابق .

- ٤ -

حقائق اساسية عن القرآن :

وحين يكون اختيارنا ان ندرس القرآن ، فاننا في الواقع نتخذ موقفاً عملياً من القرآن . وحيث ان التعامل مع الشيء يعتمد على معرفتنا به ، يكون ضرورياً ان نمتلك بعض المعارف الاساسية الاجمالية عن القرآن ، نوجزها بالحقائق الاساسية التالية :

● أولاً ، ان القرآن الكريم كتاب الله وكلامه . وهذه النسبة تعطي للقرآن قيمة ذاتية ، خاصة ، ينبغي ان يقابلها الانسان المسلم بتكريم

للقرآن ، وتقديس له ، وإقبال عليه ، وعمل به .

● ثانيا : ان القرآن الكريم معجزة الهية ، يعجز البشر عن الاتيان بها . ولو تصور احدا ان عصا موسى معه ويده ، فماذا سيكون موقفه وحاله ؟ القرآن اعظم شأنا من العصا واكبر قدرا ، وهو يدنا ، وبين ظهرانينا ، وليس لكل منا ، وعليه فما حالنا معه ؟!

● ثالثا : ان القرآن الكريم رسالة الله الى الانسان في كل زمان ومكان . بالانسان هو المخاطب بالقرآن ، وهو المقصود بالرسالة . واذن ، فكل منا مقصود بالقرآن والخطاب الالهي .

● رابعا : ان القرآن الكريم كتاب الاسلام واداته في التبليغ والعمل : فقصيدة الاسلام ، ونظراته الى الحياة والانسان والكون ، وتشريعه ، واسلوبه في الدعوة والتربية ... كل ذلك منبعه القرآن .

● خامسا ، ان وظيفة القرآن الكريم هي تعبيد الانسان لربه وحده ، يقوم هذا الانسن بأعباء الخلافة الالهية في الارض . فدعوة القرآن هي « العبودية المطلقة لله » .

● سادسا ، ان القرآن الكريم عربي الاسلوب واللغة ، عالمي الرسالة والدلالة ، انساني الابعاد والمقاصد .

الآثر الثاني : الارتباط بحامل القرآن :

من الملاحظ ان الطفل يتعلم من امه وابيه ، وكلما ازداد سنا ازداد تعلمه من بيته . فالانسان يتعلم من غيره ، حتى في أبسط قواعد التعامل اليومي . وحينما يشب هذا الطفل ، نتيجة الى تعلم الحساب والهندسة والفيزياء ، والادب والنحو والتاريخ ... الى غير ذلك من العلوم ، فان حاجته الى مَنْ يعلمه تلك العلوم تزداد .

وهذه ظاهرة ملموسة في حياة البشر •

فلا يتعلم الانسان علما بلا معلم • ولا يتصور وجود طالب علم بلا معلم • والارتباط بعالم شرط أساس لتعلم المعلم الذي يحمله •

وعلى هذا ، فالانسان الذي يريد ان يتعلم القرآن الكريم ، لا بد له ان يدرك منذ اللحظة الاولى انه لا بد له ان يرتبط بعالم يعلمه القرآن ، وما يتعلق به ، ويرببه على اساسه : فيرعى البذرة عنده ، ويعتني بها ، ويتعهد بالرعاية والاهتمام ، ويدفع عنها الخسوف والأمراض ، حتى ترسل جذورها بعيدا في التربة ، وترفع ساقها عاليا في الهواء ، فتثمر بعد ذلك ، وتعطي الخير ، وتؤتي اكلها ، مما لا بشخصية اسلامية خائصة ، لا تشوبها شائبة ، ولا يعتورها سر ، تسر الزراع وتغيظ الكافرين^(٥) ، فتكون بذلك عمرا عمليا صادقا عن فكرة القرآن وتجسيدها حيا •

.. ولقد لفت القرآن انظارنا الى ضرورة اخذ العلم عن اهله ، فقال :

« وأسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »^(٦) النحل ٤٣ •

وقد استفاضت اخبار اهل البيت -ع- وهم عروة الاسلام والقيمون على الذكر الحكيم ، في التأكيد على هذه الحقيقة الكبرى ، والبحث على سؤال العلماء ، والاتصال بهم ، والاختلاف الى اصحاب العلم وحملته ، وطلب العلم عن طريق السماع والمشافهة :

(٥) قارن بقوله تعالى في سورة الفتح آية ٢٩ : « ... ومن لهم في الانجيل كزوع اخرج شطاه ، فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار ... » صدق الله العظيم •

(٦) قال محمد جواد مغنية في تفسيره الكاشف ، ج ٤ ، ص ٥١٧ ، اي : « أهل العلم المنصفون » • وعن الامام الباقر (ع) ، قال : « نحن اهل الذكر » • المجمع ، ج ٦ ، ص ٣٦٢ •

- قل رسول الله (ص) : « خذوا العلم من أفواه الرجال » .
- وعنه أيضا : « ... فاطلبوا العلم من مضانه ، واقتبسوه من أهله » .
- وفي الكافي ، عن أبي جعفر (ع) : « ان الذي يعلم العلم منكم له أجر مثل اجر المتعلم ، وله الفضل عليه . فتعلموا من حملة العلم ، وعلموه اخوانكم كما علمكموه العلماء » .
- وفيه عن الامام الكاظم (ع) : « محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي » .
- وقال رسول الله (ص) : « مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة » .
- وقال أبو عبدالله (ع) : « انما يهلك الناس لانهم لا يسألون » .
- وسأل رجل الامام الصادق (ع) قال : جعلت فداك ! رجل عرف هذا الامر ، نزه بيته ، ولم يتعرف على أحد من اخوانه ؟ فأجابه الامام (ع) : « كيف يتفقه هذا في دينه ؟! » .
- وفي حديث عن الامام الكاظم (ع) : « ... والطاعة بالعلم ... ولا علم الا من عالم رباني » .

من هو العالم ؟

وقد بين أئمة الهدى عليهم السلام من هو العالم المقصود ، فهو ليس كل من درس القرآن وثقف بالاسلام ، وامتلكت لسانا طليقا متحدثا به ، وقلما سيلا ، انما هو من تغير على ضوء المعارف التي يمثلها ، ويتحرك بموجب ما لديه من علم ، فهو عامل عالم .

قال الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده

العلماء ، قال : « يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ، ومن لم يصدق فعله
قوله فليس بعالم » .

قيمة العالم :

و حين ينحصر تحصيل المعرفة الالهية المطلوبة باسان عالم عامل بها ،
يحملها الى الناس ويعلمها لهم ، تدرك القيمة العالية التي يمتلكها من يحمل
هذه المعرفة أو شيئاً منها ، نعرف حينئذ ان للعالم فضلاً وقيمة وشرفاً ودرجة
عالية قد لا يحصلها غيره ، الا الشهيد المستشهد في سبيل الله .

قول الامام الصادق (ع) : « العلماء ورثة الانبياء » .

وقال أبو جعفر (ع) : « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين الف عابد » .

وقال الصادق (ع) : « اذا مات المؤمن اتفق به تلم في الاسلام تلمة لا
يسدها شيء » .

- ٥ -

الامر الثالث : الالتزام بأداب المعلمين :

حين يبدأ الانسان بتعلم الاسلام والقرآن على يد عالم عامل بهما - بعد
ان اتضحت له الحقائق السابقة وابعادها وآثارها - فانه يكتسب صفة جديدة
هي كونه « طالب علم » .

ولطالب العلم - كما للعلماء - فضل كبير ، ودرجة سامية ، وشرف
رفع في الدنيا والآخرة ، ومركز عال في السموات والارض :

قال رسول الله (ص) : « ... وان الملائكة لتضع ارجلها لطالب
العلم رضا به » .

وفي الحديث القدسي الذي يرويه الامام الحسين (ع) ، يقول الله

تعالى : « ... » وان احب عيدي اليّ : التقي ، الطالب للثواب الجزيل ،
اللازم للعلماء ، التابع للعلماء ، القابل عن الحكماء » .

وقال أبو عبدالله (ع) : « من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في
ملكوت السموات عظيما ، فقيل : تعلم لله ، وعمل لله ، وعلم لله » .

وطالب العلم - وهو بهذه الرفقة والمنزلة الشريفة - لا بد ان تظهر
عليه علامات ومظاهر كاشفة عن تحقق صفة طلب العلم فيه ، بكل آثارها ،
فنعلم صدقه ونعرف شرفه ونميز هويته بها ، وتكون هي المقياس لنا في
تحديد مستواه .

ومن جهة أخرى ، فإن الانتساب الى مدرسة الاسلام هو في حقيقته
تغير كبير وعميق في شخصية الانسان وحياته . واذن ، فملتوقع ان تصبغه
بصبغها اربانية الخاصة التي تبرز على شكل آثار خارجية ساوكية يتأكد
بوجودها انتساب الطالب - الانسان للإسلام .

ونسمي هذه المظاهر والعلامات والآثار « آداب المتعلمين » التي أفاض
أئمتنا عليهم اسلام في بيانها ، واطنب في شرحها علماؤنا رضوان الله عليهم
جميعا .

وتتعلق آداب المتعلمين بعلاقة الطالب مع عالمه أولا ، وعلاقته مع نفسه
ثانيا ، وعلاقته مع العلم الذي يتعلمه ثالثا . ونذكر هذه الآداب والقواعد
على سبيل الاجاز والتبسيط كما يلي :

● أولا : ان يجتنب المتعلم عن الشهوات المحرمة والهوى والدنيا
المنذومة واهلها ، لان العلم نور ، والنور لا يحل قلبا مظلما بالشهوات .
فقطهير النفس من كل تلك الشوائب أمر لا بد منه قبل تحصيل العلم . ولا
يستقيم العلم في قلب مليء بتلك الشوائب الكريهة ، مثل الغضب ، وحب

الدنيا المذمومة ، والحسد ، والكبر ، والحق ، والعجب ... الخ .

● ثانياً ، ان يكون المتعلم قاصدا وجه الله تعالى ومرضاته في طلبه للعلم لا لشيء آخر ، من مدح الناس واعجابهم ، ومرضاة الطغاة وتأيدهم ، ونصفيق الجاهل واستحسانهم ، واسمعة والشهرة ، والمال والجهلاء والمنصب .

قال النبي (ص) : « من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء مرضاة وجه الله اعطاه الله أجر سبعين نبيا » .

وقال الباقر (ع) : « من طلب العلم ليباهي به العلماء ، او يماري به السفهاء ، او يصغر به وجوه الناس ، فليتبوأ مقعده من النار » .

● ثالثاً : نشر العلم وتعليمه من يريده ويحتاجه . حيث ان للعلم في الاسلام وظيفة اجتماعية ، فهو ليس حكراً على انسان دون آخر أو فئة دون أخرى . بل ان نشر العلم والدعوة اليه وجه أصيل من اوجه الجهاد في سبيل الله ، واوصياء أمر دينه .

قال تعالى : « واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » .

وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله : يا رسول الله ما العلم ؟ فقال (ص) : « الانصات » ، قال : ثم مه ؟ قال : « الحفظ » ، قال : ثم مه ؟ قال : « العمل به » ، قال : ثم مه ؟ قال : « نشره » .

● رابعاً ، ان يحترم العالم الذي يعلمه ، ويكون له الحب والتكريم في قلبه ، وان لا يعارضه في شيء ، لانه بواسطته ينجو من النار ويفوز بالجنة .

قال أمير المؤمنين (ع) : « ان من حق العالم : ان لا تكثر عليه

السؤال ، ولا تعتته في الجواب ، ولا تلح عليه اذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ، ولا تفشي له سرا ، ولا تغتابين عنده أحدا ، ولا تطلب عثرته ، وان زل قبلت معذرتة ، وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته .

وقال الامام السجاد (ع) في « رسالة الحقوق » : « حق سائلك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع اليه ، والاقبال عليه ، وان لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه أحدا ، ولا تغتاب عنده أحدا ، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء ، وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوا ، ولا تعادي له وليا ، فاذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بانك قصدته ، وتعلمت علمه لله - جل اسمه - لا للناس . . . » .

● خامسا : ان لا يخوض المتعلم في الآراء المختلفة ، بل يرجع الى معلمه ويتبع طريقته المثلى المرضية عنده ، فالعلم عنده هو الذي يوجه طلاب العلم الوجهة الصحيحة ، ويرشدهم الى ما يصلحهم وينجيهم .

● سادسا : تذكر العلم والتفكير فيه باستمرار . قال النبي (ص) : « التفكير حياة قلب البصير » . وقال أيضا : « فكرة ساعة خير من عبادة سنة » . وقال الامام علي (ع) : « التفكير يدعو الى البر والعمل به » .

واذن ، فطالب العلم مصداقا لقوله تعالى : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو أتمى السمع وهو شهيد » . ق ٣٧ .

- ٦ -

الآثر الرابع : العمل بالعلم :

بعد ان ادرك الانسان حاجته الحياتية اعلم الله سبحانه وتعالى ، فان

- ٣٨ -

الطلب منه - بعد ان يحصل على ذلك العلم - ان ينتفع به • فشله - في ذلك مثل الجائع الذي يبحث عن طعام ، فان وجده ، فلا ينتظر منه الا ان يأكله • ونحن نعلم ، من جهة ثانية ، ان قيمة الطعام تتأكد حين تكون المعدة قادرة على هضمه ، وحين يكون الجسم قادرا على تمثيله • فلا خير في طعام لا يهضم ولا يمثل ، مهما كان ! ذلك ، لاننا انما نتناول الاكل لمنفعة نريدها من وراءه ، ولتغيير في حياتنا بنفيه بعدئذ ، ولحاجة تكوينية عضوية لا مناس من اشباعها • وان لم يكن الطعام محققا لهذه الاغراض ، فضره اكثر من نفعه ، ان كان فيه نفع أصلا !

واذا كان الطعام غذاء المعدة والجسم ، فان للعلم غذاء العقل والنفس ، وقوام الانسان •

وحيث « يتناول » المرء معرفة ما ، فالامر المهم بعد هذا هو العمل بها ، والتحرك بموجبها ، والا ، فما هي الفائدة المرجوة من معرفة لا تطبق ، أو علم لا ينفع ، أو ثقافة لا يحتاج اليها عمليا ؟ ولا خير في دارس علم يخزن ما يعرف ، كما يخزن التاجر بضاعته ، ولا يبذل جهدا في تطبيق ما علم ونمى ما عرف ، والسير على أساس ما ادرك ، فيكون بعد ذلك قادرا على الفيض والعطاء والاشعاع ، وتربية الآخرين وتغييرهم على ضوء المعارف التي تربي هو اولا على أساسها •



هذه الحالة
وردت في
النسخة
الاصلية

واذن ، فالمهم ان يعمل الانسان بالعلم الذي تعلمه •
الانسان بحاجة الى معرفة « عملية » ؟ وعليه ، فاذا حصل
ثم لم « يعمل » بها ، فكيف يصح ان نصف هذه المعرفة بان
هل يتحقق اشباع حاجة الانسان اذا لم يعمل بعلومه ؟
... ان الاسلام - انطلاقا من الواقع المشهود - يقرر ان هناك

منينا بين المعرفة العملية وبين العمل بها ، ولا تتحقق الفائدة المطلوبة ولا تنال الغاية المرجوة حين يفك هذا الارتباط فكاً قسرياً . والحقيقة ان العمل بالمعرفة هو من ثمرات الايمان بها ، ومن لوازم هذا الايمان . ولذا فهو دليله الواقعي وبرهانه الملموس . ومن هنا ، رأينا ان القرآن الكريم يقر الايمان بالعمل الصالح الى درجة تشعر معها باستحالة تصور وجود ايمان حقيقي غير مقترن بالعمل والتحرك بموجبه :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » • البقرة ٨٢ •

« فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ، وانا له كاتبون » • الانبياء ٦٤ •

« والعصر ، ان الانسان لفي خسر » الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » • سورة العصر •

ومن هنا ، استفاضت الاحاديث عن أهل العصمة -ع- تحت على العمل بالمعرفة ، وتطرح شعار « المعرفة للعمل ، والتلقي للتنفيذ ، والاستماع للطاعة » كقاعدة جوهرية يتم على أساسها التعامل مع ما يلقاه المسلم من معارف اسلامية •

قال الامام الصادق -ع- : « ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل المطر عن الصفا » •

وعن الامام علي بن الحسين (ع) : « مكتوب في الانجيل : لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ، ولما تعملوا بما علمتم ، فان العلم اذا لم يعمل به لم يزد صاحبه الا كفرا ، ولم يزد من الله الا بعدا » •

وعن الصادق (ع) : « العلم مقرون الى العمل ، فمن علم عمل ،

ومن عمل علم • والعلم يهتف بالعمل ، فإن اجابه ، والا ارتحل عنه •
وعن الامام علي (ع) « ايها الناس ، اذا علمتم فاعملوا بما علمتم ،
لعلكم تهتدون » •

العمل على مستوى الملكة :

وحين ندعو طالب العلم الى العمل بعلمه ، فاننا نريد من عمله ان
يكون ملكه « راسخة فيه » لا يتركه بمجرد حدوث عارض بسيط أو مانع
نافه • وحتى يتحقق هذا ، فلا بد ان يراعي الطالب الامور التالية في تعامله
مع العلم :

- أولا ، استشعار ان قصد الى العمل ، ووجود النية الراسخة والعزم
القوي والتصميم الثابت على تطبيقه •
- ثانيا ، فهم لعلم بوضوح ، واستيعابه •
- ثالثا ، دوام الاشغال والتفكير به والذكر له •
- رابعا ، المعاناة في التطبيق ، وبذل الجهد في ذلك •
- خامسا ، محاسبة النفس الدائمة على مقدار التطبيق والالتزام •

* * *

واذا استطاع الانسان تحقيق هذا ، فانه يكون قد حقق اغراض
المعرفة ، وانتمز بآثارها الاربعة الاساسية •

- ٧ -

خاتمة :

وبعد ، وحيث نقرب من نهاية الحديث ، فلا نجد مفرا من ان نذكر
القارى العزيز انه حينما يدرس القرآن ويطلب علم الله ، فان يكون قد

انتسب الى مدرسة الله ، المدرسة الاسلامية • ولعمر الحق ، ان هذا
الاتسبب لشرف كبير ومنزلة عالية لا يتأهلها الا ذو حفظ عظيم •

أي شرف أكبر يتأله الانسان بعد شرف التعليم من قبل الله ؟ نعم ،
ان الله هو الذي يعلمنا حينما نقرأ كتابه • وقد باشر هو فعلاً بذلك ، حيث
يقول في كتابه الكريم :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك
الاکرم • الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » • العلق ١ - ٥ •

ويقول : « الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان » •
الرحمن ١ - ٤ •

واي مدرسة اشرف من مدرسة الاسلام التي استأذنتها الانبياء والائمة
عليهم السلام ؟

انها نعمة كبيرة تلك التي يمن بها الله علينا حيث هداانا الى دينه ،
وعلمنا كتابه ! •

و... الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض ،

وله الحمد في الآخرة ،

وهو الحكيم الخبير ، • سبأ : ١ •

محمد عبد الجبار الشبوط

بغداد - الكرادة الشرقية

مصادر ومراجع البحث :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الاصول من الكافي ، تأليف : ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، ط طهران ١٣٨٨ هـ .
- ٣ - المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، تأليف : المولى محمد الكاشاني ، ط طهران ١٣٩٩ هـ .
- ٤ - جامع السعادات ، تأليف : محمد مهدي التراقي ، النجف ، ١٣٦٨ هـ .
- ٥ - مرآة الرشاد ، تأليف : الشيخ عبدالله المامقاني ، ط النجف ، ١٣٨٥ هـ .



مقدمة في الغريب

- القسم الاول -

بقلم : اياد محمد الحسني

بكالوريوس آداب من كلية اصول الدين

الغريب لغة :

وردت في تعريفه عدة اقوال :

ف قيل في غَرَب « ان الاصل في دلالتها النزول .. ومنها غربت الشمس أي نزلت »^(١) ، ثم صارت بمعنى الغموض والخفاء ، « ف غَرِبَ الكلام : غَمَضَ وخَفِيَ »^(٢) ، وقال ابن منظور : « الغريب : الغامض من الكلام ، وكلمة غريبة » وقد غَرِبَتْ ، وهو من ذلك »^(٣) .

ويحدد أبو سليمان الخطابي معنيين للغريب : « احدهما ان يراد أنه بعيد المعنى غامضه ، لا يتناول به الفهم الا عن بُعد ومعاناة فكر ، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بَعُدَتْ به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب »^(٤) . بينما يعرف استاذنا ابراهيم السامرائي هذه الالفاظ

(١) زيدان ، جرجي ، الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، القاهرة لات ، ص ١٢٦ .

(٢) مسعود ، جبران ، معجم الرائد ، بيروت ١٩٦٤ (مادة غرب) .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت لات (مادة غرب) .

(٤) الخطابي ابي سليمان ، غريب الحديث ، نقلا عن غريب الحديث

لابي عبيد القاسم بن سلام الغروي ج ١ مقدمة المصحح محمد عظيم الدين ، حيدر آباد الدكن ١٣٨٤ هـ ، ص ٣٩ .

« بانها لم يكتب لها الشيوخ لثقلها ولطول بنائها والتي عدت من باب الغريب مرة » ، ومن باب الوحشي المهجور مرة اخرى ،^(٥) « وقيل لكل متباه غريب » ، ولكل شيء فيما بين جنه عديم النظير غريب »^(٦) وعُرف الكلام الغريب بانه « البعيد عن الفهم »^(٧) كما قيل « انه من الالفاظ الدالة على غير معنى »^(٨) .

ودخل (الغريب) في مصطلحات علمي التفسير والدراية فعرّفت الكلمة الغريبة بانها « الغامضة البعيدة عن الفهم » ، قللة شيوخها في الاستعمال ، أي المفظة غريبة عنا وليست غريبة في ذاتها »^(٩) ، ولا يرى اقلقشندي فارقا بين الغريب ، والوحشي ، والوحشي فيعرفه « انه ما ليس مأنوس الاستعمال ولا ظاهر المعنى ويسمى الوحشي أيضا نسبة الى الوحش ثقاره وعدم تأنسه وتألفه » ، وربما قلب فقل : الحوشي ، نسبة الى الحوش ، وهو النفاذ^(١٠) ، ويوافق الجوهري صاحب الرأي السابق بان « الغريب ، والوحشي ، والوحشي كله بمعنى »^(١١) واحد ، وهو أيضا ما ورد في

(٥) دراسات في اللغة العربية ، بغداد ١٩٦١ ، ص ٣٩ .

(٦) الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، القاهرة لات ، (مادة غرب) .

(٧) المقرئ الفيومي ، أحمد بن محمد ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ج ٢ ، القاهرة ، لات (مادة غرب) .

(٨) الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، بيروت لات ، (مادة غرب) .

(٩) محفوظ ، حسين (الدكتور) ، محاضرات في علم الحديث على طلبة السنة الاولى في كلية أصول الدين لسنة ٦٦ - ١٩٦٧ (مخطوطة) .

(١٠) صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ٢ ، القاهرة لات ، ص ٢١٣ .

(١١) نقلا عن صبح الاعشى ٢/٢١٣ .

- (مختار الصحاح) « ان حوش الكلام : وحشيته وغريبه » (١٢) .
 وفن مجموع هذه الأقوال يمكن استخلاص المعاني الآتية للغريب :
 • فهو ما كان غامضا خفيا ، غير شائع ، بعيدا عن الفهم .
 • وكذلك هو ما ليس بمأنوس أو مألوف .

أما علاقة الغريب بالحوشي أو كما يسمى أحيانا أخرى بالوحشي ،
 • فالذي يجمع الغريب والحوشي هو فقط عدم اتفة النفس بكل منهما ،
 ويفترقان في ان الاول عيبه في خفاء معناه وان الآخر غيبه في لفظه وفي
 مخارج حروفه وفي جرس اصواته » (١٣) .

والان لندرس بصورة مفصلة العلاقة بين غرابية اللفظة من جهة وبين
 صفاتها الاخرى ، سواء كانت هذه الصفات أصلية أو طارئة من جهة
 أخرى .

ولنتناول أولا :-

علاقة تناثر الحروف بالغريب :

فما هو الاثر الذي يتركه الايقاع النغمي الصادر من مخارج الحروف
 التي تألف اللفظة بحيث تصدر عليها حكما انها غريبة أو انها مأنوسة ؟ ،
 نعل من اقدم من درس هذه العلاقة ، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي فيقول
 « ان وردت كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلق أو الشفوية

(١٢) عبد الحميد ، محمد ، والسبكي ، محمد عبداللطيف ، المختار
 من صحاح اللغة ، القاهرة لات ، (مادة حوش) .

(١٣) مجلة الأقلام ٣/٣ ، موسيقى الادب للدكتور بدوي طهانه
 ص ٢٨ .

... فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة .. (١٤) فهو اذاً يلاحظ العلاقة بين هذه الحروف من حيث هي ايقاعات نغمية وبين الكلمة الرباعية أو الخماسية ، بحيث تقوم هذه الحروف بدور تخفيف وتسهيل التلفظ بالكلمة الرباعية أو الخماسية ، الثقيلة بمقياس الذوق العربي . * فتساوق الحروف وتزواج المخارج وتناغم اللفظ . (١٥) من الصفات الغالبة على اللفظة العربية ، ولهذه الصفات علاقة بوضوح المعنى أو غموضه . فاستغلال الموسيقى التي تنشأ من تزواجها فكسب الصورة والمضمون والشكل جواً حياً فتحس بمجرد تلفظك ... ان المعاني تشب اليك ... (١٦) ..

فليس غريباً اذاً ان نجد اهتمام العرب ينصب على الايقاع ، بل ونجد كتاب الله القرآن الكريم وقد نزل بلسان العرب ، فأكد أيضاً الايقاع حتى جاء على أروع صور الاعجاز .. ثم هو بعد ذلك بين مبين ..

على ان الالفاظ ليست كلها بنفس الدرجة بالنسبة لتزواج حروفها وهذا هو السبب في اختلاف طبقات الالفاظ حتى كان منها ما وصفه نقاد الادب بالجزالة وما وصفوه بالركة والسلاسة .. كما ان منها ما هو شديد الوقع على الاسماع ، وما وصفوه بالحوشية أو الوحشية (١٧) فتباين الالفاظ تبايناً مطرداً في ما نوسيتها على قدر تباينها في تزواج حروفها وتناغمها . واذا ما ادركنا وجود العلاقة بين تناثر الحروف والغريب ..

(١٤) العين ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٥٩ .

(١٥) مجلة العربي عدد ١٢٣ ، اللغة العربية بها حسن من الجمال رائق لصالح الصالح ص ٥٨ .

(١٦) مجلة ثقافة الهند ٣/٨ ، الطاقة الابدائية في الكلمات العربية للدكتور صفا الحيدري ، ص ٦٣ .

(١٧) مجلة الأقلام ٩/١ . موسيقى الادب للدكتور بدوي طيانه ص ٢٤ .

لكننا لا نستطيع ان نضع ضوابط وقوانين لايقاع الحروف .. لان حكم الذوق هو الفاصل الاصيل بين لفظ ولفظ^(١٨) واذا استطاع المختصون تقنين نغم العبارات والجمل ولكن « ام يستطلع الباحثون عن مقاطع الكلمة أو حروفها التي تكسبها الموسيقى أو تسلبها ايها »^(١٩) .. وعلى كل حال ، « فسواء وقعت لهم [للادباء] تلك الموسيقى عفوا في خطراتهم الاولى ... ام وقعت منهم قصدا في تقليد ما اعجبهم من موسيقى الطبيعة ، فلا شك انها حظيت باعجاب الذين استمعوا الى تلك الكلمات المدحونة .. وعبر عنها الشاعر :

وحديث الذم هو مما تشتهي النفوس يؤزن وزنا
منطق صائب وتلحن احسا نأ وخير الحديث ما كان لحنا^(٢٠)
اذأ استحسن الادباء لايقاع بعض الالفاظ يجعل منها ألفاظا مانوسة
مأوفة ، واما الالفاظ الغريبة فهي القبيحة الايقاع التي حروفها « بعضها
يسراً من بعض .. كان بينها من السافر ما بين اولاد العلات »^(٢١) .

علاقة اهمال الاستعمال بالغريب :

ان مجرد استحسن الاديب لتناغم حروف لفظة ما ، لا يخرج هذه اللفظة من نطاق الاستعمال المحدود ، الا باستعمال الادباء لها « فيحدث نوعا من الالة بها ، لما يجدونه فيها من الصفات التي لا يجدونها فيما

(١٨) ن ٠ ص ، ص ٢٥ .

(١٩) ن ٠ ص ، ص ٢٧ .

(٢٠) ن ٠ ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢١) الجاحظ ، ابي عثمان عمرو ، البيان والتبيين ، بيروت ١٩٦٨ ،

ص ٤٩ .

يهملونه» (٢٢) فيجعل بعضهم «الاستعمال حداً مهماً وضابطاً وجامعاً مانعاً لا يستطيع اللغوي أن يتخطاه» (٢٣) فمما يجعل اللفظة مأنوسة هو « ذكر الانتهاء لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها» (٢٤) وقد علل بعضهم هذا الترابط بين الاستعمال ومأنوسية اللفظة هو شعور قارئ الأدب أو المستمع إليه « أن تلك اللفظة ذات تاريخ عنده ، وأنه يجدها في محفوظات من المأثور من جيد الكلام» (٢٥) فاللفظة الغريبة إذاً ، هي اللفظة المهملة الميتة التي ينحصر وجودها في المعاجم .

علامة تبادل الحروف أو التصحيف في نشأة الغريب :

يرى بعض الباحثين أن « التبادل بين الحروف المتشابهة شكلاً ... كالياء والتاء والثاء والنون والباء أو الجيم والحاء والخاء» (٢٦) أحد العوامل المؤدية لنشأة الغريب في اللغة العربية ، وعللوا هذه الصلة بين تبادل الحروف ونشأة الغريب فقالوا : « بينما تكون كلمة (صلب) مألوفة ، لا تكون كذلك كلمة (صلت) فهي مصحفة عن الكلمة الأولى» (٢٧) ، وهذا التبادل بين الحروف لا يقتصر على الكتابة ، بل يحصل في الروايات أيضاً ، حتى أن أبو سليمان الخطابي عزا كثرة الغريب إلى اختلاف الرواة (٢٨) .

(٢٢) مجلة الاقلام ١٠/١ موسيقى الادب للدكتور بدوي طيبانه

ص ٤٠ .

(٢٣) دراسات في اللغة العربية ص ١٥٩ .

(٢٤) البيان والتبيين ص ٥٤ .

(٢٥) مجلة الاقلام ١٠/١ موسيقى الادب ص ٣٨ .

(٢٦) أنظر قاموس احياء الالفاظ ج ١ لأسامة الطيبي ، ١٩٦٧

ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢٧) ن م .

(٢٨) أنظر غريب الحديث لابن الهروي ، مقدمة المصحح محمد

عظيم الدين ، ص ب .

اثر الزمن والبيئة والطباع في نشأة الغريب :

على الرغم من قلة المراجع والمصادر الخاصة بالمفردات وتواريخ النصوص كما هو معترف به لدى الباحثين^(٢٩) ، فانه بالامكان ان نتناول جانباً من هذا الموضوع ، وهو يتعلق بنشأة الغريب •

لما كانت اللغة شأنها شأن الكائن الحي ، تتأثر بما يتأثر به من مؤثرات ، فلا بد ان الالفاظ قد تأثرت بما جاء به الزمن من أحداث وتغيرات ، ومن أقدم وأهم هذه لاهداث والتغيرات هو مجيء الاسلام ، وكان ان ادى الى « اهمال كثير من الالفاظ العربية في القرنين الاولين ، ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور »^(٣٠) ولكن هذا الاهمال لتلك « الالفاظ المتوغلة في البداوة لم يمنع المشتغلين بالانار اللغوية من الالمام بها والوقوف على مدلولاتها ودوالها »^(٣١) لذا لم تفقد تلك الالفاظ المهمة اذ حفظتها لنا المعاجم وكتب اللغة والغريب ، على انه حتى قبل مجيء الاسلام ، في العصر الجاهلي ، كانت هذه القضية قائمة ، أى وجود الغريب « فكأن العرب الاول •• تتحاشى اللفظ الغريب في نظمها ونثرها وتميل الى السهل وتستعذبه »^(٣٢) ونجد في تعليل عمر تفضيله لزهير بن ابي سلمى ، دليلاً على وجود الغريب في العصر الجاهلي بقوله :

(٢٩) انظر مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٣٤ •

(٣٠) قاموس احياء الالفاظ ٦٧/١ •

(٣١) الزاهد ، عمر ، المدخل في غريب اللغة ، القاهرة لات ، المقدمة ص ٢ •

(٣٢) صبح الاعشى ، ٢١٦/٢ •

« كان لا يعاضل بين الكلام ولا يتبع حوشيه .. »^(٣٣) على ان أثر الزمن على اللفظ لا يتأتى من مرور الوقت حسب بل اثر الاحداث المصاحبة له ، ولا شك ان الاسلام كان اعظم حدث عرفته اللغة العربية ، فكان من اثر الطاقة التغييرية للاسلام ان عزلت نسبة كبيرة من الالفاظ باعتبارها غريبة او حوشية ، واكبر بكثير مما يقرره عنصري النماء والزمن فيما لو كانا خلوا من أثر الاسلام ، ويقرر عبدالقاهر الجرجاني هذه الحقيقة فيقول : « لما ضرب الاسلام بجراحه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ، اختار الناس من الكلام ألينه واسهله .. وما للعرب فيه لغات فاقصروا على اسلسها واشرفها »^(٣٤) وهذا التطور الذي تمر به الالفاظ مستمر الى عصرنا هذا « فاذا كان بعض الفاظ الكتاب ، يعتبره أهل القرن الرابع الهجري غريبا ، فهو بهذا الاعتبار اغرب عندنا في القرن الرابع عشر .. ومنشأ الغرابة من الهجر وعدم الاستعمال »^(٣٥) باعتبار ان لكل عصر حاجاته واذواقه وطرائق تفكيره الخاصة به ، فتبع الالفاظ - التي هي اوعية المعاني - هذه الحاجات والاذواق والطرائق .. « للبحث صلة »

(٣٣) ابن سلام الجمحي ، ابي عبدالله ، طبقات الشعراء ، بيروت لات ، ص ٢٨ .

(٣٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٣ ، نقلا عن النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور ، القاهرة لات ، ص ٢٥٥ .

(٣٥) المدخل في غريب اللغة ، المقدمة ص ٢ .

هل القرآن كتاب نبي

بقلم حيدر الحسيني

بلغ محمد (ص) برسالة الاسلام ، فكانت الكلمة المنيرة التي تعبر
عن الارادة العليا ذات الفكر الجبار ، لقد جاء محمد كني للاسلام ورسول
المالين ، قد يقول قائل ، هل جاء محمد بدلالات علمية كما جاء انشأتين ،
ان الجواب واضح وصريح ، ان محمد وسائر الانبياء لم يجيئوا بنظريات
مزيوية وكيمائية ، بل جاء محمد كواسطة منطقية بين الخالق والمخلوق ،
محمد انسان فهم عصره ، وكان أكبر من الناس فكراً وذاتاً ، ان محمد
تحمل رسالة كبيرة عمل على ادخالها الى عقول الناس وأفندتها التي كانت
تحت مستوى الفهم الزمني لتلك الحقبة التاريخية .

لقد جاء القرآن بالاعجاز الفكري والتعبير ، فقد جاءت لغة القرآن
بلغة شعب الجزيرة العربية ، فكان اسلوب القرآن هو الاسلوب الشعري
الذي يخلب الالباب « ظاهره أتيق وباطنه عميق » - الامام علي (ع) - .
ان المتتبع والدارس والباحث يحس ان القرآن طرق كل شيء ،
فهو كتاب من لدن قوة فوقيه اعجازية ، كما هذا الاعجاز والتحدى يشمل
كل مخلوق على الارض وفي السماوات ، ان القرآن يتحدى كل الناس ،
البسطاء والعالمين ، ويتحدى قدراتهم اللغوية والفكرية - اذا تمكنوا من أن
يجيئوا بأية منه - ولكن لم يتمكنوا ولن يتمكنوا . وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم

صادقين ، - سورة البقرة - ، وكما ان القرآن كتاب فلسفة ايضا ، فقد
نطرق الى ادق العلاقات الانسانية ، واعلن ان الناس يجب ان
يتعاشوا على حساب ادق قوانين البشرية المثالية ، وأعلن عن اكمل لنظريات
النفسية التي تعبر عن اعماق النفس البشرية ، فقد نظم علاقات الناس
الاقتصادية والتشريعية والكمالية « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

من خلال هذا الطرح المبسط لشمولية القرآن في كل جوانب الحياة
التشريعية والاقتصادية والفقهية وقضايا الزواج والملكية والمغيات ، وعلوم
القرآن ، وهي ادق الجوانب حساسية ، وترتبط بعلوم العصر وقدرات
الانسان العلمية ، فان المتبعين والباحثين والعلماء لا يألون جهداً في بحث
واستقصاء وتثبيت التفسير العلمي الصحيح ، ولا يخفي عن بالنا بأن للتقدم
التكنولوجي والعلمي وفك رموز اكون لما موجود من مجاهيل لم تفهم
رموزها الا خلال الخمسون سنة الاخيرة ، وتحديد صيغ الطاقة ، بعد
اكتشاف انشتاين لقانون القنبلة الذرية « الطاقة = الكتلة × مربع سرعة
الضوء » وما احدثه هذا القانون من تغير في مفهوم الطاقة التدميرية ،
وتحديد انشتاين للسرعة الكونية بالنسبة الى سرعة الضوء ، ومن ثم تحول
امكانية تحول الطاقة الى مادة وبالعكس ، وفي بحثنا هذا سنقف عند نقاط
كثيرة كان للقرآن سبق في التنويه عنها منذ ١٤٠٠ سنة خلت من عمر
الزمن « شهد الله ان لا اله الا هو والملائكة واولي العلم قائماً بالقسط »
« يا حملة العلم اتحملونه ؟ فانما العلم لمن علم ثم عمل ووافق عمله علمه »
- الامام علي - روائج نهج البلاغة - ص ٢٢٩ لجورج جرداق .

لقد جاء القرآن بـ (٣٥٠) آية علمية في شتى العلوم والنظريات التي لم يكتشفها العلم الا مؤخراً ، فقد اشارت كل النظريات العلمية والى حد خمسون سنة خلت ، بأن الشمس ثابتة ساكنة وليس ما يشير الى حركتها الاحركة تذبذبية vibrational motion يتنقل نتيجتها الشعاع الضوئي بسرعة تقدر بـ ٣٠٠.٠٠٠ كم/ثانية ، بينما يشير القرآن منذ ١٤٠٠ سنة الى حركتها الصريحة - حركتها الانتقالية - في الكون الرحيب « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » سورة يسن ، فقد دلت التجارب العلمية بأن الشمس تسير الى نهايتها المحتومة باتجاه كوكب يعرف بالنسر القائم ، وخلال سيرها هذا او حركتها تفقد يومياً ما يقدر بـ (٣٦٠) رطل من وزنها بلاشعاع « انما يخشى الله من عباده العلماء » وهذه حقيقة مسلم بها ، فالعالين هم اكثر خشوعاً واكثر معرفة بصنع الخالق الجبار ، اما بعضهم من العلماء الماديين يرجع هذه الدلالات العلمية الى المسادة ، ويعتبر ان المسادة هي التي تخلق وهي التي ترزق وهي التي تقرر وتفكر وتدبر .

من خلال ما تقدم يمكن الاستنتاج بأن كل شئ في هذا الكون سائر الى الزوال والاندثار ، ان فقدان الشمس لوزنها بالاشعاع اذ لا يمكن لهذا الاشعاع ان يعود ليكون مادة الشمس الاصلية ، ومن هنا يمكن الاستنتاج بأن الطاقة في الكون ثابتة لا تتغير ، قد تتحول من شكل الى آخر الا انها لا تضيع ، ان هذا يدعونا الى الاستنتاج بأن المادة يمكن ان تتحول الى اشعاع ، الا أن الاشعاع لا يمكن ان يتحول الى مادة ، وهذا عين ما جاء به العلم الحديث والقرآن على حد سواء ، بأن الطاقة لا تتحول الى مستوى

١ بل تتحول الى مستوى أسفل وبسطة « اذا الشمس كورت »
سورة التكوير -

« يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار »
سورة ابراهيم -

« أما أنا الحنون الارض فهي كأختها الشمس سيكنفها تغير عظيم ،
التي تغير جوها المعهود ثم تدك جبالها وتحرق مياهها » كلا اذا دكت الارض
وكأ دكاً وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً وجيئ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر
الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي ، فيومئذ لا يعذب
عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » - سورة الفجر - ، فقد أكد العلم
الحديث بأن الارض تفقد من وزنها بالاشعاع ما يقدر بـ (٩٠) رطل يومياً ،
وهذا الفقدان في الوزن سيبطئ من حركة الارض بالطبع ، اي ان الارض
هذه بدء الخليقة كانت تسرعها بحيث ان الليل والنهار يقدران بحوالي
الاربع ساعات ، ثم زادت هذه الساعات ببطيء الارض الى ان اصبحت بهذا
القدر الذي نراه بحوالي ٢٤ ساعة ، ثم يزداد بطؤها بحيث ان طول اليوم
يزداد ثمانية واحدة في كل ١٠٠ سنة من الزمن ، ويأتي مقداره ألف سنة
وآخذ مقداره خمسون ألف سنة ، « يدبر الامر من السماء الى الارض ثم
يعرج اليه في يوم كأن مقداره ألف سنة مما تعدون » - سورة السجدة -
« تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »
- سورة المعارج -

تصور ما هو احكام القرآن في علومه ، انه لا يصدر الا عن فكر
جبار وضع كل شيء في موضعه الخاص ، اذن ستبطئ الارض كلياً نتيجة

لفقدانها من وزنها بالاشعاع » أو لسم يروا انا تأتي الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » سورة الرعد ،
اذ ستقف الارض وهي ساكنة ، بعد ان تفقد كل شكل من اشكال الحياة
الممكنة .

» حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون
عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك
نفصل الايات لقوم يتفكرون » سورة يونس .

كل هذا وعد ووعد لنا ، اذ بين الله عز وجل نهايتنا المنتظرة .
» يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم »
سورة الحج .

» يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »
سورة الحج .

يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر ، وجمع
الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المنفر » سورة القيامة .

نستنتج من هذا ان كل ذرة في الكون ستلاشي متحولة الى طاقة ،
منتظرة أمر الله بما سيحل لها في يوم الفناء ، فانظر ما هو هول الساعة ،
وما هو مخبأ للمجرمين والفاستين ، انظر ما يقوله الامام علي كرم الله وجهه
» ذلك عند تمرد الاشرار وطاعة اولي الخسار ذلك عند ظهور العصيان
وانتشار الفسوق حين لا تال المعيشة الا بمعصية في سائه ، حين تسكرون
من غير شراب وتحلفون من غير اضطرار وتظلمون بالمعصية ، قولكم

البهتان وحديثكم الزور وأعمالكم الفسور ، ، فأين نحن من آيات الله
الحكيمة ، لقد فصل الله لنا كل شيء في كتابه الكريم ، الا ان الانسان غشوم
ظلوم كفار •

• يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
ونرى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفهاد سرايلهم من قطران وتغشى
وجوههم النار ، سورة ابراهيم •

اذن لا هروب من الساعة ، يوم الوعد الحق « فارتقب يوم تأتي
السماء بدخان ميين » - سورة الدخان -

اذن ستقف الارض في تلك الساعة الموعودة بليل ابدى ونهار ابدى ،
يصاحبه احتراق في مياه البحار ، « والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع »
- سورة الطور - •

وذلك في الارض وجبالها « وجملت الارض والجبال فدكنا دكة
واحدة » سورة الحاقة •

لقد جاء اثنتان بنظرية « تمدد الكون » ، كما جاء بحث العلماء
الفلفزيائيين - علماء الفيزياء الذين يعملون في حقل الفلك - بأن السماء
تمدد باطراد ، فقد لاحظوا بأن النجوم والمجرات تبعد بعضها عن بعض ،
وهذا يعني ان كدة السماء في اتفاخ وتمدد مستمرين •

لقد جاء القرآن بهذه الحقيقة البينة « والسماء بينها بأيد وانا
لموسعون » ، ان توسع السماء سيؤدي الى انشقاقها حتماً « اذا السماء انفطرت
واذا الكواكب انتشرت واذا البحار فجرت » سورة الانفطار •

« اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » سورة الانشقاق •

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » سورة الرحمن •

وهذه حقيقة علمية مفرغ منها ، اي ان الانفطار والانشقاق يحدثان في الاجسام المتماسكة الجزيئات والغازات على السواء » وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتنا معرضون » ، قد يسأل سائل بأن السماء ما هي الا غطاء صلب وان الانشقاق لا يحدث الا في جسم صلب ، بينما السماء اصلاً متكونة من سديم غازي *

ان البحوث الحديثة أكدت ان ظاهرة الانشقاق تحدث ايضا في الغازات ، فعند انشقاق السماء تتحول الى آتون من نار محمرة » فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » سورة الدخان * » يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن » سورة المعارج *

وخذ في قول الامام علي كرم الله وجهه من دلالات علمية ، اكبر من عقل العصر وعلومه :

« اذا بلغ الكتاب اجله ، والامر بمقاديره والحق آخذ الخلق باوله ، وجاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه ، اماد السماء وقطرها ، وأرج الارض وأرجفها ، وقلع الجبال ونسفها ، ودك بعضها بعضاً من هبة جلالته ومخوف سطوته » ، أي ان السماء آخذة طريقها الى الزوال والانتها . واذا السماء كشتطت » سورة التكوير « كشتطت اي ازيلت » *

« انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت » سورة المرسلات *

« واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويله قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين » سورة الانبياء *

من هذا نستنتج ان علوم القرآن قد سبقت علوم الانسان ، كما ان الانسان هو وليد الفكر الجبار ، وليد القدرة العاقلة الحكيمة ، هو خلق الخالق المبدع ، خلق سيد العقلاء - الله عز وجل ، « يامعشر الجن والاناس

ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسطان « ، « وعلمنا الانسان ما لم يعلم » •

فالسمااء اذن تأخذ طريقها الى الزوال والانتهاء ، ان تغير الظروف
المنطقية للحياة ، من جاذبية ووزن وطاقة أي كوكب يؤدي حتماً الى اختلال
في ظروف كافة المجموعة الشمسية والكون قاطبة • « وجمع الشمس
والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر ، كلا لاوذر الى ربك يومئذ المهتقر »
- سورة القيامة - •

اذن حينئذ القمر ، ذو المعالم الفضية الذي أخذ طريقه في اساطير
القدماء ، وفي قصائد الشعراء ، ان نهايته حزينة • اذ سيتطاير في الكون اشلاءً
وقطعاً •

« اقتربت الساعة وانشق القمر » - سورة القمر •

ان جاذبية القمر رغم المسافة الواسعة بين الارض والقمر والتي تقدر
بـ (٢٤٠) ألف ميل ، تؤثر في ظاهرة المد والجزر على مياه الارض ، اذ أن
ما يصعب الارض والشمس لواقع على القمر أيضا « وجمع الشمس والقمر
يقول الانسان يومئذ أين المفر ، كلا لاوذر الى ربك يومئذ المستقر »
سورة القيامة •

« يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر ، وجمع
الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر » - سورة القيامة •

ان كل شيء مخلوق لوقت معلوم ، وان وعد الله لحادث •

« ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى » •

ان تغابي الانسان عن دلالات الله عز وجل ، لهو ضلال مقصود ، كما

ان تعقد الطلاق البشرية والانسانية بين الناس والاعراض عن الدين والادانة
بمبادئ الفسق والقجور والاباحية ، وعدم احترام قدسية وكرامة الانسان ،
كان الدافع والمبرر الى شذوذ الجيل وضياعه .

ان مبادئ القرآن ، ومبادئ سيد المرسلين هي قريبة منا ، الا اننا
نحن بعيدين عنها ، فقد جاء على لسان ابو السبطين الحسن والحسين امامنا
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، في خطبة له في احوال الدنيا :

« اما بعد ، فاني احذركم الدنيا ، فانها حلوة خضرة ، حُفَّتْ
بالشهوات وتجلت بالآمال وتزينت بالغرور ، لم يكن امرؤ منها في حيلة^(١)
الا . أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق في سدائها بطلاً الا منحنه من ضرائها
ظهر^(٢) وحدي^٢ اذا أصبحت له منتصرة ان تمسي له متكره وان جانب
منها إحلولي ، امرٌ منها جانب فأوبى^(٣) لا ينال امرؤ من غضايتها رغباً^(٤) الا
أرهقته من نوائبها تعباً ! ولا يمسي منها في جناح آمن الا أصبح على قوادم
خوف^(٥) !

كم من واثق بها قد فجعت ، وذي طمأنينة اليها قد صرعت وذي
أبهة^(٦) قد جعلته حقيراً ، وذي نخوة قد ردتته ذليلاً ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ،
وعزيزها مغلوب ، وموفورها منكوب ، وجائرها محروب^(٧) ! أَلَسْتُ فِي

(١) الحيلة : المسرة والنعمة .

(٢) كنى بـ « البطن » عن الاقبال ، وبـ « الظهر » عن الادبار .

(٣) أوبى : صار كثير الوباء .

(٤) الفضاضة : النعمة والسعة . الرغب - بفتح الباء - الرغبة .

(٥) القوادم : اربع ريشات في مقدم جناح الطائر .

(٦) الابهة : العظمة .

(٧) محروب : مسلوب المال .

مساكن من قبلكم أطول أعماراً ، وأبقى آثاراً ، وأبعد آمالاً واعد عديداً ،
واكتف جوداً ! تعبدوا للدنيا أي تعبد ، وآثروها أي آثروا ، ثم ظعنوا
بغير زاد ! فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بغيره ، أو اعانتهم بمعونته ،
أو احسنت لهم صحبة ! - الامام علي - في نهج البلاغة - .

« فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبه
وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه مسفره ضاحكة مستبشرة
ووجوه يومئذ عليها غبره ترهقها قتره أولئك هم الكفرة الفجرة » - سورة
عبس - .

فأين علماء المادة الذين يقولون بأن العالم قد خلق صدفة ، فأين هي
الصدفة التي توقعها فهذا أ. كرسى موريسون^(٨) يقول في كتابه « العلم
يدعو للإيمان » - تقديم الدكتور أحمد زكي - .

« خذ عشرة بنسات ، كلا منها على حده وضع عليها أرقاماً متسلسلة ،
من ١ الى ١٠ ثم ضعها في جيبك وهزها شديداً ، ثم حاول ان تسحبها
من جيبك حسب ترتيبها من ١ الى ١٠ .

ان فرصة سحب البنس رقم ١ هي بنسبة ١ الى ٢٠ ، وفرصة سحب
رقم ١ ورقم ٢ متساويين ، هي بنسبة ١ الى ١٠٠ ، وفرصة سحب البنسات
التي عليها أرقام ١ ، ٢ ، ٣ متتالية هي بنسبة ١ الى ١٠٠٠ ، وفرصة سحب
١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ متتالية هي بنسبة ١ الى ١٠٠٠٠ ، وهكذا ، حتى تصبح
فرصة سحب البنسات بترتيبها الاول ، من ١ الى ١٠ بنسبة ١ الى ١٠
بلايين . »

(٨) ٠ ١ كرسى موريسون - هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم
بنيو يورك - ورئيس المعهد الأمريكى لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس
التنفيذى لمجلس البحوث القومى بالولايات المتحدة - وزميل فى المتحف
الامريكى للتاريخ الطبيعى ، وعضو مدى لحياة للمعهد للملكى لبريطاني .

تصور ما هي نسبة الصدفة في هذا العالم المتكامل ، هذا الانسان الذي يساوي صفر بالنسبة الى الخالق ، الذي خلق كل شيء بنظام وترتيب دقيقين ، وما من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم . *

هذا الانسان الصفر الذي جاء على لسان الدكتور أحمد أمين تغمدہ اللہ برحمته ، في كتابه التكامل في الاسلام ، لاثبات قوة وقدرة اللہ عزوجل ، عن طريق علم الرياضيات *

فاذا رمزنا الى الانسان كقوة رياضية معلومة وبرمز رياضي مثل ، ب ، ح ، د ورمزنا الى اللہ عزوجل كقوة لا نهائية وبالرمز الرياضي ∞ ، ما لا نهاية ، Indinity ، فان في علم الرياضيات ، ان نسبة المحدود الى اللامحدود = صفر . *

أي ان ح ، د ، ب هي كميات محدودة الى ∞ وهي كمية لا محدودة = صفر . *

$$\text{أي } \frac{\text{ح}}{\infty} = \text{صفر أو } \frac{\text{د}}{\infty} = \text{صفر أو } \frac{\text{ع}}{\infty} = \text{صفر}$$

$$\text{كما ان } \frac{\text{ح}}{\infty} = \text{صفر } 0.00 \text{ الخ}$$

علما بأن $\infty = \text{ما لا نهاية اس ما لا نهاية ، أي ما لا نهاية الى ما لا نهاية من القوة الابداعية والخلقية} . *$

هذا هو الانسان ، صفر بالنسبة الى الخالق وقوة كبيرة بالنسبة الى نظام الارض ، كما ان الانسان في عرف علي بن أبي طالب كرم اللہ وجهه

هو الصورة المثلى للكون الامثل :

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

ولكن تصور ان في هذا الزمن العنود الكنود والمذي تضرب فيه
السنن عرض الحائط ، لا خوف فيه من الله ، ولا التفات الى دلالات دستور
الهدى ، دستور الاسلام ، ولكن كلمة الله ستبقى هي العليا .

من كلمات للامام علي عليه السلام في وصف ابناء زمانه ، ولكن
التاريخ يعيد نفسه دائماً « واعلموا انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل » ،
واللسان عن الصدق كليل ، واللازم للحق ذليل ، أهله مبتكفون على
على العصيان ، فتاههم عارم^(٩) وشائبهم آثم وعالمهم منافق ، لا يعظم صغيرهم
كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم ! » .

تصور هذا عالمهم العفن ، فأين هي كلمة الله منهم رغم وعده ووعيده ،
الا انهم « صُمُّ ذُووِ اسْمَاع » وبكم ذُووِ كلام ، وعمي " ذُووِ ابصار ، لا
أحرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء » - الامام علي - روائع
نهج البلاغة - جورج جرداق .

« ويقولون متى هذا الوعد ن كتم صادقين ما ينظرون الا ضيعة واحدة
تأخذهم وهم يخلصون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ،
ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا ضيعة واحدة
فاذا هم جميع لدينا محضرون فالיום لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون الا
ما كنتم تعملون » سورة يس .

فبرغم من هذا الوعد والوعيد ، ونهايتنا المحتومة ، ونهاية الكون

(٩) عارم : شرس - سيئ الخلق .

المقدرة ، تراهم بعيدين عن آيات ، ألا تكفيهم هذه الدلالات العلمية :
« القارعة ما القارعة ، وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة
راضية ، وأما من خفت موازينه فإمه هالويه وما ادراك ما هي نار حامية ،
سورة القارعة .

اذن فكل شيء متغير ، وكل شيء الى زوال ، الا وجه الله الباقي ،
العزير الجليل « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدت ، واذا الجبال
سيرت واذا المشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجدت واذا
النفوس زوجت واذا الموءدة سئلت بأي ذنب قتلت واذا الصحف نشرت
واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة ازلفت علمت نفس
ما احضرت ، سورة التكوين .

اذا ترى الشمس منتهية منكورة على ذاتها لفقدانها كل طاقتها
بالاشعاع فتصبح هامة سائدة الى مستقرها ، وترى النجوم منكورة ، وترى
الجبال مسيرة ، ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً
صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امناً ، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج فيه ،
وخضعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً ، يومئذ لا تنفع الشفاعة الا
من اذن له الرحمن ورضي له قولاً ، سورة طه .

« ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة وحشداً ناهم فلم تغادر منهم
أحداً ، سورة الكهف .

وكما ان الناس والاحياء الاخرى محشورون في يوم الحساب وعند
قيام القيامة ، كذلك هي الوحوش ستأخذ طريقها الى الحشر ، اما البحار
فهي مسجدة ، محترقة ، والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ،
سورة الطور .

وهذا المفهوم الوحيد والذي يدعمه العلم الحديث ، اذ تشهد في ذرة الماء H₂O عند انفصال الهيدروجين عن الاوكسجين ، ويمكن ملاحظتها في كافة التجارب المختبرية ، علماً بأن الله عز وجل أدخل الماء في اول لحظات انفصاله ويكون هذا اللهب السريع البهاج ، كما ان الاوكسجين يعمل كعامل مساعد على الاشتعال ، فتصور ايها الانسان هول القضية ، ان ثلثي الكرة الارضية وهما المغموران بالمياه المسجرة (١٠) .

فتصور ان كل شيء محترق لا محال ، اما النفوس فحل في اجسادها لتبعث من جديد ، في طريقها الى الحساب ، الى المتول بين يدي الله عز وجل ، وسوف تنشر لكل انسان صحيفته المكتوب عليها اعماله ، من خير وشر وكل ما قترفت يداه في خلال تلك المسرحية الزمنية ، أما السماء فهي مكشوفة مزالة ، واذا النار هبات واوقدت احتفأة بالكافرين « اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة » ، اما الجنة فهي مهية ومعدة للمؤمنين الصالحين « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ، اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون « سورة البقرة .

ان القرآن معجزة الخالق على لسان المخلوق ، ان سيد المرسلين محمد (ص) جاءنا بالنور من لدن حكيم عليم ، هو رب العالمين ورب السموات والارض .

علينا ان نغني الجيل بتعاليم سيدنا محمد (ص) واولاده وابنائهم الطاهرين ، فلنأخذ عبرة حسية من ورع وتقى الى بيت النبي الصديقين ، والذي انزل القرآن في بيتهم ، ليس يبعد عنهم ، وهم في حجر النبي ،

(١٠) السجدة : ما يسجر به التنور من حطب ونحوه - المنجد للغة والاعلام .

فذلك امامنا علي واولاده البررة الطاهرين والائمة المعصومين ، ضربوا مثال الورع والتقوى ونكران الذات في سبيل رسالة الاسلام النيرة ، وكانوا لوأراً مضيئة في سماء ليالينا المظلمة ، فكانوا هم الفقهاء وهم العلماء الاعلام وكانوا حجج الله في ارضه فأين مسيرة الجيل الان من تلك المبادئ المشرقة ، انهم يدورون في حلقات مفرغة ، ذات عبوديات متنوعة ، عبودية المال ، وعبودية الجنس ، وعبودية الاكل ، ان الحرية الحقيقية هي عبودية الله عز وجل .

ان الجيل يتخبط في عشوائه وغلوائه ، انه يدفع الكثير ويأخذ القليل ، ان من تشرق الشمس في قلبه ، نور الله اوضح ، يعرف ماهو الخلق بحق ومن تدلهم ممرات نفسه ، يعيش في تعساء ويعاني موتاً بطيئاً .

لقد جاء اقرآن لينقذ الجيل ، ويعلّم نفس الانسان من دنسها وشروها ، ان خير وصف يمكن ان يقال عن الحالة المزرية والتي يعيشها الجيل الخامس ، هي كلمات امامنا ابو السبطين الحسين والحسين علي المرتضى كرم الله وجهه في خطبة له في سوء طباع الناس .

• أيها الناس ، انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود^(١١) يعد فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الفالام عنواً ، لا تتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعةً حتى نجل بنا^(١٢) . فالناس على اربعة اصناف ، منهم من لا يمنعهم الفساد الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض فقره^(١٣) ومنهم المصلت لسيفه والمعلن بشره ، قد اشترط نفسه وأبق دينه

(١١) العنود : الجائر . الكنود : الكفور .

(١٢) القارعة : الخطب .

(١٣) أي : لا يقعد بهم عن طلب الامارة والسلطان الا حقارة نفوسهم وضعف سلاحهم وقلة مالهم .

لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرسه^(١٤) ولبس المتجبر أن
نرى الدنيا لنفسك ثمناً • ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب
الآخرة بعمل الدنيا : قد طامن من شخصه وقرب من خطوه وشمر من
نوبه وزخرف من نفسه للإمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى الوصية •
ومنهم من ابتعد عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فنصرت له الحال
على حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس أهل الزهادة !

إذا انت اكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

« حكاية للتاريخ »

(١٤) أصلت السيف : امتشق • أشرط نفسه : هيأها وأعددها
للشر والفساد في الارض •

أوبق دينه : أهلكه • الحطام ، هنا : المال ، ينتهزه : يغتنمه أو
يختلسه • المقنب : طائفة من الخيل وانما يطلب قود المقنب تعززا على
على الناس وكبرا ، فرع المنبر : غلاه •

رسالة إلى عاطب بن أبي بلتعة

.. القصة التي إلى القاع هوت ..

أتذكر لحظة اكتشفتك عند باب من أبواب التاريخ ، وكنت تتكلم كلاما
بعجم التاريخ .. وظللت تتكلم !!

أما أنا فقد أغرائني طموحي إلى قيمتك بالصمت !

وظللت صامتا أتاملك منذ تلك اللحظة البعيدة ..

وها أنذا اليوم - وبلا استئذان - أخاطبك كما يخاطب البركان
ما حوله بلغة القدائف !

* * *

النسور - بقوة الإرادة - تصارع العواصف

وانت - لأول عاصفة - استسلمت !

ماكنت أتمناها لك ولا لفريقك .. ولكنك استسلمت !

أتذكر إذ عذرت حيول الشام « حتى قتل حسان بن حسان البكري » ؟!

إن حسانا قتل ولم يستسلم .. أما أنت فقد استسلمت !

أتذكر « خشبة » ميشم بن عبدالعظيم التمار

(١) عاطب بن أبي بلتعة : أحد المهاجرين .. أغرته فتنة المال

والولد ، فوضع قدمه مختارا - من القصة - في المزلق !

و « سيف رقبة » سعيد بن جبير

و « دماء الشهادة » التي خضبت - يوم الطف - محاسن وجه بر يتر
ابن خضير ؟!

كلهم .. كلهم عبروا .. وعلى شفاههم أنشودة أشواق نحو القمة ..
غير أنك - وحدك - استسلمت !

ووحده - من القمة - سقطت !

* * *

آه .. كم الوم عليك !

أكثر من غيري الوم عليك !

- ولا أعزبك أبدا في نفسك -

لأنك فجعتني بالثال المتالق الذي كنت أتمناه .. حتى مرغته انت
بالوحد !

* * *

وأبسط شيء خسرته أنت - يا حاطب - هو لذة السير في « مسيرة
العظماء » !

وما وراء الأفق - وا أسسفي عليك - عجز جناحاك عن التحليق
لاكتشاف أسرار روعته ، والاحساس بنشوته الحبيبة الدائمة ..

* * *

اما أنا : فلن أقول لك - بعد - شيئا ..

وحسبك أن تنصت الى داخل نفسك ، لعاك من هناك تسمع - بدل
صوتي - صوتا !

(ابراهيم رفاعة)

خبيرة الرسالة

« مهداة الى قلم التحرير »

فالح النجار

الخالص - جديدة الاغوات

وفي رهج الوغى سيفاً ونطقاً
فاسكره وعاد اليك طلقاً
لما عانيت اوصداً ورهقاً
وعادت من بيان فيك ترقى
وفتق لا يرى الاك رتقاً
لفكر ظل بالافكار يسقى
بدا في الروح آثاراً وعمقاً
وامرعت القلوب فكنت ودقاً
فاصبحت بها قصبا لسبقاً
مشيت تبخترا عدلاً وصدقاً
بان تمسين في الافكار خلقاً
يرى في دفتيك المجد انقفاً
تدقق في قم الاجيال رتقاً
وان وافى الحبيب يكون عشقاً
كما جرت القلوب اليك خففاً
وغيرك حرفة بالسهم يبقى
كما سرت الفضائل فيك سبقاً
علا من راحتك الخضر دقا
تفرق ان رأت في الطفل عقاً
وتمنحه حنان القلب غدقاً
وان سيموا اذى سيمت وتشقى
خريدة اتحفت غرباً وشرقاً
ومن عبق النبوة فيك عبقا
لقد اعطى الى الاسلام حقاً
فقد خرق العقيدة واسترقاً

وجدتك في كرام الخلق عرقاً
واشربت الفؤاد هوالاً طلقاً
ايا بنت العقيدة كيف اشكو
وليك كل آمالي ترقى
اتيتك والزمان له انشعاب
جمعت من فنون العلم رؤيا
واظهرت المكاد في بيان
واغشيت العقول فكنت نورا
وحزت في المعالي قصب سبق
لك اشرابت انوف القوم لما
ايا بنت العقيدة كل همي
وتبين الصروح بكل فج
وتسقين الانام كؤوس حب
ويبدو الحب في قلب خلي
جرت سذجة اليك عيون قوم
لك الحرف السليم به ارتقاء
سرت همهم العظام اليك سبقاً
فانت اليوم للاسلام باب
ايا بنت العقيدة كل ام
وللديه لبان الحب صرفاً
وتدفع عن بنيتها كل سوء
واتعفت العقول بكل بكر
فمن وحي الاله لديك وحي
ومن عاش العقيدة في صلاح
ومن عك العقيدة في بيان

قصة قصيرة

بقلم : جاسب فالج الربيعي
كلية أصول الدين
« السنة الثالثة »

سُمِّيَتْ

احد ... احد ... احد ...

وتستمتع الشفاء الذابلة .. والتي نزلت تواء دماء قانية ! الوجه النحيل
يتهلل ذعرا ملأت تلكم الأخاديد التي حفرتها السنون .. سنون الجهد والكدح
واوضار القناة .. !! الإسماع ما انفكت مرتسمة على ذاك المحيا ...
أبها إسماعية القبول .. والرضا .. والشكران !

احد ... احد ... احد !! ويضع ابو جهل سبابته في اذنيه !
أواه ... لا احتمل سماعها ... ! انها تمزقني .. ! تهدم كياني .. !
ترهبنني ! يا لهبل ! ... يا لغوات وتسرا ! ... ! اكاد اجبن .. اكاد
اسحق ... ويشير بأصبعه لاحد جلاديه ... ان أقفل الفم بسوطك !!
ويتلوى السوط على صفحة الوجه المشرق كالأفعى التي أوديت ،
فقطقت تنفث سمها حتى في الجدار ... !

ويزمجر أبو عماره ! والشر يكاد يتطاير من عينيه !! ..
يا للسماء ... ! عجباً لهذه السوداء ! ، اكاد اخنق ! ليت الجبال

تدكدكت على الارض ... ! ليتني قطرة ماء اذوب في اعماق هذه الفيافي !
ويقطع هذه الاماني احدهم قائلاً ... !

لم هذه العجالة .. هون عليك نفسك ... وأردف : السياط تتلوى
على جلدك ام جلدها !! اطلب المزيد ، دعنا نقطع طريق المسحورين ! بهذه
الضحية ! فنجرعها نخب التهام أنفاسا !

وتهدأ فورة ابا جهل ، ويعود الى رشده فيجيب :

انه الحق يا رجل ... انه الحق !! وعلى كل حال فكوا وثاقها !!
وهنا يرتفع الذراع الاسود وقد رسمت عليه اشرطة حمراء
داكنة !

وتزين المعصم بسوار ازرق ! واشارت لاحدهم ان اقرب ! ويقرب
صاحب السوط ويحيط الآخرين به ... ويتزع ابو جهل من اعماقه
الحاقدة ابتسامة صفراء لا روح فيها !! انها ابتسامة انتصر كما وهم !!
ويسكت الجمع وكأن على رؤوسهم الطير ... ! ويسمع الداني منها ... !
خبروني هل محمداً بخير !!! ويسمر الرجل في مكانه . وانقلب
الى يفوت آخر غير انه لا يعبد .. ويتقدم ابو جهل ليقطع جبل الانتظار
القائل !! ويحلق في وجه الرجل كالمهووس ... انه يرى عبونا مفتوحة
قد تجمدت في محاجرها ... ويهزه بعنف ...

أجب ايها الوغد ... ! ما تقول هذه السوداء ... ارحنا فقد نفد
صبرنا ! وكان الجواب صادراً عن لسان اثقله الوقع ... انها ... تقول
هل ... هل ... محمداً ... بخير !!

ويتفص ابو جهل وترتفع يدا .. ويأمر أصحابه ان تسحب
الجنة الى بيته ... ! وتمشي الجنة على ظهرها !! ناقشة على صفحات

الرمال سواقي امتلأت بعرق ودم ... وتنظر الشمس اليها بين كيلة ،
ووجه صاحب كالورس لانها هي الاخرى بدأت تحتضر !!!

وأصبح شعاعها يفقد وهجه ! فهي لا تبث الا ذوائق ورسية رفيقة
تنكسو ذلك القرص الارضي ظلالا ذهبية ... !

وترمي الجثة المسجاة بعد ان لفها الليل البهيم بملاء سوداء حالكة !
في زريبة الحيوانات ...!! ويظل اللسان يلهج بالدعاء والتسبيح ...!!
وبين امنية والاخرى وينطلق سيدها كاثور ليكمل المشهد الاخير من
مسرحة الشياطين ... !

* * *

وانبلج الليل عن فجر جديد ! .. السماء صافية زرقاء ... الشمس
ترسل اشعتها بلهفة فتعترج تلك الاحزمة مع ذرات الرمال الناعمة
فصيرها شظايا زجاج براقه غير انها ملتهبة !!

الضجر باد على وجوه السابلة ! انه كابوس حمارة القيص القائلة !
والسكل بين هائج ومائج ..! اياديهم ما انفكت تتحرك أمام الوجوه !
حاملة قطعة من قماش صغيرة ... او صفحة خوص ... ولكن دون
دون جدوى ! فالسما ترسل شواظا من نور ونار والارض تقذف بركانا
من الحرارة فتصطلي بنارها وتضلي ...!! ورياح السموم تشتعل تصفع
الوجوه وكأنها رؤوس دبابيس حادة اخرجت من نار !!

ويرجع القرص الذهبي في كبد السماء ... ويسمع اللفظ من بعيد
وتشخص الابصار لترنوا الى بعيد ... ليروا موكب النور والظلمة !!

وينكلم البعض ... - بالقوة هذا الجسم النحيل !! - بالجبروت
العبدة !!

انها سمية ... ضحية اليتيم !! ويتسائل آخرون عن سر هذا
 الصمود ولم يحفلوا جوابا لانقطاعه اثر صوت الجلاذ ...
 ايها الناس اقربوا .. واسمعوا ما تقول هذه المجنونة !! وينصت
 النجم ويسألها ابو جهل بعد ان يشهدهم على عنادها ... !
 تبرئي من محمد ... ! واذكري آلهتنا بخير ... وانا ضامن
 حريتك ! ويكرر القول اخرى وثالثة ورابعة ... ويأتي الجواب
 ايها الاغبياء الكفرة ... ! اترغموني على ترك النور واتخبط معكم
 في متاهات الظلمة ! ودياجير الكفر والاشراك ...
 فلا والله الذي لا اله الا هو ... اني ابصر ما لا تبصرون ... وافقه
 مالا تفقهون ... انها والله « الجنة » انها الجنة .. التي وعدنا بها
 محمد ... ويضحك الاوباش بسخرية ... ويطمئنهم أبو جهل ان المرأة
 أصيبت بلوثة ...
 وأخذ ينتم مع نفسه بكلمات غير مسموعة !!! - آه .. لقد
 اسقط ما في يدي ... ويتقدم نحوها وهم يغرس الرمح في صدرها ،
 وجاء النداء من الخلف ...
 الساحر ... محمد يقدم !!! ويرفع الرمح من على صدرها وينظر
 مع رهطه اتجاه الرسول ... ويقف « محمد » بشموخ قائلاً ...
 صبراً آل ياسر ... صبراً سمية ... ان موعدكم الجنة ...
 ويتعاقب بريق العيون ، وتمتزج بسمة الخلود بلفظة الباني ...
 ويتعد .. والروح عالقة بالجنة المسجاة !! لتباركها ولتسبح في هذه
 الغرسة الفتية جذوة الايمان المستر والذي ظل متوهجا منذ البداية !!

وهنا يغلي مرجل الحقد بشدة ، ويمسك برمحه بيد مرتعشة ، ويغمض
عينيه بعد غرز رأسه الحاد في صدرها ! انه لا يستطيع مواجهة سنى
الرسالة في عينها ... وطلق يطمعها عدة طعنة ... في وجهها !! فسي
صدرها !! في بطنها ! ويصبح بهووس : هشموا اللبنة ... قبل ان
نصبح بناء ! ...

ويأتي الجواب ضعيفا ... لا ... لا ستتصير الفضيلة بأشراقه
الرسالة وتميد نشيد التوحيد الذي طالما صك اذنيك وحوله الى مجد .. !
احد ... احد ... احد ...

ويودع جسم سمية الارض ليتلحق بالعالم النوراني ، هادرة بوجه
رهط الكفر والاشراك ...
احد ... احد ... احد ...

وتنام فيافي الجزيرة بعد ان تلفعت بملاءة سوداء بانتظار اشعة الفجر
الوليد ... ويزغ الفجر وينتشر عطائه ارجاء المعمورة .
وكان الخلود والبقاء لأول شهيدة في الاسلام : « سمية » ...

وَقَفَتْ مَعَ الْمَخْطُوطَاتِ الْمَصَوَّرَةِ

جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية
معهد احياء المخطوطات العربية - تصنيف فؤاد سيد
الجزء الاول - القاهرة - دار الرياض للطبع - ١٩٥٤

اعلاد

الاستاذ عبدالحسين محمد علي بقال
بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الاسلامية

ملاحظة :

لدى تصفح هذا الجهد الكبير ، من فهرس المخطوطات المصورة ،
ونحن نطالعهم هوايةً وترويحاً للنفس ، في نهاري الجمعة المصادف
١٩٧٢/٦/٨ م ، اثر جهد تحقيقي كنا مشغولين فيه ، مع مخطوطة الشرايع
للمحقق الحلبي ، بدت لنا على مواد الفهرس ، الملاحظات المعجلي التالية :

حرف الالف

١ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

التصوف والآداب الشرعية	الحديث ومصطلحه
صفحة : ١٤٦	صفحة : ٦٢
تسلسل : ٤٥	تسلسل : ٩٦

في الفهرس " من مسائل أبي عبدالله ، أحمد بن حنبل ، تصنيف أبي بكر ، أحمد بن محمد الخلال
والصحيح !!

فإن موضوع هذا الكتاب : هو الفقه

وليس من مجموعة الحديث ومصطلحه ، كما في صفحة ٦٢ ،
تسلسل ٩٦ .
وليس من مجموعة التصوف والآداب الشرعية ، كما في صفحة
١٤٦ ، تسلسل ٤٥ .

حيث أنه يمثل بابا من ابواب الفقه ، وموضوعا مهما من مواضعه ،
يُبحث بعناية ودقة ، كما هو متبع في سائر الكتب الفقهية .
بل يستفاد من تصميم نفس العنوان ، والتعليقة الآتية بعده ، فإنها
عني مسائل اجاب عنها الامام أحمد بن حنبل .

حرف الباء

٢ - البداية في علم الدراية وشرحه :

فقه المذاهب الاخرى	التوحيد والملل والنحل
صفحة : ٣٣٥	صفحة : ١١٩
تسلسل : ١	تسلسل : ٤٨

في الفهرس : « كلاهما تأليف زين الدين علي بن أحمد العاملي ،
المعروف بالشهيد الثاني ، المتوفى ٩٦٦ هـ . . . »

والصحيح !!

أما اسم المؤلف : فهو زين الدين بن علي بن أحمد العاملي ، وما
قيل بأن اسمه علي وزين الدين لقبه ، فهو محض توهم ، وإنما اسمه هو
زين الدين ، وما اسم أبيه إلا علي ، كما وجد بخطه الشريف ، نقلا عن
صاحب الاعيان ج ٢١ ص ٣٧٤ .

وأما موضوعه : فهو الحديث ومصطلحه ، وليس كما ورد في
مجموعة التوحيد والممل والنحل ، صفحة ١١٩ ، تسلسل ٤٨ .
كذلك !! ليس من مجموعة فقه المذاهب الأخرى ، كما في صفحة
٣٣٥ ، تسلسل ١ .

هذا !! وتوجد للكتاب نسخ ثمين : منها نسخة كتيب في شوال سنة
٩٦١ هـ ، كما ذكر في فهرس مكتبة آستان قدس ، ج ٦ ص ٦١٢ .
ومنها !! نسخة كتبت سنة ٩٦٩ هـ ، موجودة عند السيد محمد المشكاة
بظهران ، ضمن مجموعة .

حرف التاء

٣ - تهافت الفلاسفة :

الفلسفة والمنطق

صفحة : ٢٠٦

تسلسل :

في الفهرس : « تأليف نصير الدين الطوسي : أبي جعفر محمد بن
محمد ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، نسخة كتبت في سنة ٨٨٩ هـ .

والصحيح !!

أما اسم المؤلف : فهو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
الطوسي ، المتوفى سنة ٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ .

وليس نصيرالدين الطوسي : أبي جعفر محمد بن الطوسي المتوفى
سنة ٦٧٢ هـ .

والظاهر !! أن منشأ الاشتباه هو اتفاق اللفظ ، في الاسم واسم الأب
والمقب ، والموضوع وصفة الفلسفة التي عرفها بممارستها .

فضلا !! عن أن مراجعة المصادر الرجالية ، كالأعلام - الطبعة الثانية -
٢٥٧/٧ - ٢٥٨ ومراجعته ، لم تذكر لنصيرالدين الطوسي ، كتابا بهذا
هذا الاسم .

بينما المصادر التي تعرضت لترجمة حياة الغزالي ، كالأعلام - الطبعة
الثانية - ٢٤٧/٧ - ٢٤٨ ومراجعته ، قد أوردت معظمها هذا الكتاب من
بين مجموع كتبه ، وهو مطبوع ومشهور .

حرف الفين

٤ - غاية الهادي في شرح البادي :

أصول الفقه

صفحة : ٢٤٧

تسلسل : ٦٨

في الفهرس : « وهو شرح ، الأصول للمطهر الحلي ، تأليف أحمد
تلامذة المطهر الحلي ... »

والصحيح !!

أما اسم الكتاب : فهو غاية الباري ، وليس الهادي ، كما هو مذكور
في مصنفات مؤلفه ، وكما هو مدون على ظهر ، الورقة الأولى من النسخة
الخطية ، الموجودة في مكتبة الحكيم في النجف ، برقم ١٠٩٤ ، المنسوخة
عام ٨٣٤ هـ ، في ١٧٩ ورقة ، قياس ١٠ × ١٧ سم تقريبا .

وأما الكتاب المشروح : فهو مبادئ الوصول إلى علم الأصول ،
وليس الأصول مجردة ، حيث أن العلامة له ثلاثة كتب في الأصول
تدرج في مستوياتها ، هي على التوالي ، مبادئ الوصول إلى علم الأصول ،
تهذيب الوصول إلى علم الأصول ، نهاية الوصول إلى علم الأصول .

وأما اسم الشارح : فهو الشيخ ركن الدين ، محمد بن علي ، بن
محمد الجرجاني الغروي .

حرف الكاف

• - الكافي في فقه الشيعة :

فقه المذاهب الأخرى

صفحة : ٣٣٧

تسلسل : ١٨

في الفهرس : • تأليف أبي جعفر ، محمد بن يعقوب الكليني ،
المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

فإن موضوع هذا الكتاب : هو الحديث وليس الفقه ، حيث أنه
يروى الأحاديث المتعلقة بالشريعة ، بل بكل ما يمت لها بصلة ، على غرار
كتب الصحاح ، أصولا وفروعا وروضة .
ناهيك عن أنه : يمثل أحد الكتب الحديثية الأربعة ، المعتمدة لدى
الطائفة الإمامية .

٦ - كنز العرفان في فقه القرآن :

التفسير	فقه المذاهب الاخرى
صفحة : ٤١	صفحة : ٣٣٧
تسلسل : ٢٠٣	تسلسل : ٢٠
تسلسل : ٢٠٤	

في الفهرس : « تأليف أبي منصور ، الحسن بن يوسف ، بن علي ،
ابن المطهر الحلبي ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ ٠٠٠ »
والصحيح !!

أما اسم المؤلف : فهو المقداد بن عبدالله السيوري ، وليس العلامة
الحلي ، حيث لم يرد للحسن بن يوسف ، مؤلف باسم كهذا الاسم ،
بل أنه ورد في مؤلفات المقداد ، كما ينص عليه الرجالون الاماميون ، وكما
ورد في نفس الفهرس ، ص ٤١ تسلسل ٢٠٤ ، في مجموعة التفسير
وعلم القرآن .

وأما لقبه : فهو السيوري وليس الشيزري ، كما ورد في صفحة ٤١
تسلسل ٢٠٤ ، حيث أن هذا اللقب جاء ، نتيجة نسبته الى مدينة سيور ،
كما هو معروف لدى الامامين ، مذكور في كتب تراجم علمائهم .

وأما موضوعه : فهو تفسير آيات الاحكام ، وليس الفقه عنه بغريب ،
على أن ذكره في مجموعة التفسير أدق ، بل هو ذكر فعلا في ص ٤١
تسلسل ٢٠٣ و ٢٠٤ ، لكن ذكره في مواضع ثلاثة تكثير ، بينما الحاجة
اليه فقط في واحدة .

وأما تاريخ النسخ : فهو قطعاً ليس في سنة ٥٥٨ هـ ، كما ورد في
ص ٤١ تسلسل ٢٠٤ من الفهرس ؛ حيث انه كان للعلامة ، فهو من علماء

القرن السابع ، وان كان للمقداد فهو من علماء القرن الثامن الهجري .
وعليه !! فان التاريخ المذكور أعلاه ، محض اشتباه ضريح ، بل
يمكن التأكد من خطأه ، بالرجوع الى نفس النسخة المصورة ومطالعة
4- أنها بصورة دقيقة مضبوطة .

حرف الميم

٧ - المعبر في فقه الإمامية :

فقه المذاهب الأخرى	أصول الفقه
صفحة : ٣٣٨	صفحة : ٢٥٢
تسلسل : ٢٤	تسلسل : ١١٤
في الفهرس : « تأليف نجم الدين أبي القاسم ، جعفر بن الحسن ، ابن أبي زكريا المهبدي ، الملقب بالمحقق ، المتوفى سنة ٦٨٩ هـ . . . » والصحيح !!	

أما اسم الكتاب : فهو المعبر في شرح المختصر ، والمراد بالمختصر
هو الدفع في مختصر الشرائع ، والمراد بالشرائع هو شرائع الإسلام في
مسائل الحلال والحرام ، وهذه الكتب الثلاثة كلها للمحقق الحلبي .

وأما المهبدي : فهو ليس صواباً ، وإنما الصحيح هو الهذلي ، كما
يذكره كل الرجلين الإماميين ، حيث هي نسبة قبلية ، ترجع فيها العائلة ،
الى بني هذيل الأرومة العربية ، ذات التاريخ الاصيل .

وأما تاريخ وفاته : فهو ٦٧٦ هـ ، وليس سنة ٦٨٩ هـ ، كما تنص
عليه سائر الكتب الرجالية المترجمة لحياته ، وكما هو مذكور في صفحة
٢٥٢ تسلسل ١١٤ ، وفي صفحة ٣٣٨ تسلسل ٢٩ ، من نفس الفهرس .

واما سعيدة : فهو ليس صوابا ايضا ، حيث أن جده لأبيه هو سعيد ،
محذوف تاء النائيث ، وعليه فما جاء في صفحة ٢٥٢ تسلسل ١١٤ ، وفي
صفحة ٣٣٨ تسلسل ٢٩ ، هو محض اشتباه .

واما موضوعه : فهو الفقه كما ذكر في صفحة ٣٣٨ ، وليس اصول
الفقه كما ذكر في صفحة ٢٥٢ .

٨ - مهج الدعوات ومنهج الغايات :

التصوف والآداب الشرعية فقه المذاهب الاخرى

صفحة : ١٩٦ صفحة : ٣٣٨

تسلسل : ٥٢٤ تسلسل : ٢٨

في الفهرس : « تأليف أبي القاسم ، علي بن موسى ، بن جعفر
الطووسي الحسيني ، المتوفى سنة ٦٦٤ هـ
والصحيح !!

فإن موضوع هذا الكتاب : هو الدعاء وليس الفقه ، كما هو ظاهر
من اسمه ، وكما ورد في صفحة ١٩٦ تسلسل ٥٢٤ ، ضمن مجموعة
التصوف والآداب الشرعية .

~~~~~

الانسان آراؤه وافكاره

لا ، صورته واعضاؤه

« الامام الراحل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء »

~~~~~

قيمة القرآن وحقيقته

للقرآن الكريم ظاهرة اجتماعية واقتصادية ونفسية لعبت دورا عظيما في تحويل المجرى التاريخي للانسان العربي أولا والانسان المسلم بعدما انتشر الاسلام ثانيا ، فقد تفتحت الذهنية العربية المغلقة الى فكر جديد لم يعرف له أي أثر مسبق في حياتها ولا هو نتيجة خبرة شخصية ، حولت محمدا الى نبي أو كما يدعي البعض الى مصلح اجتماعي •

انما الاختيار قد جاء ، نتيجة اعداد مرحلي من الطفولة حتى النبوة لشخصية النبي (ص) من قبل الله في ظروف حتمية ، لتفشي الامراض الجاهلية في المجتمع العربي والمجتمع المسيحي الذي غلبت عليه الروح الرومانية القديمة ، فكان من الضروري أن تعود الكلمة لله ، ولهذا أعد محمدا (ص) من طفولته حتى نبوته ، فأرتفعت نفسه بالسمو الى المراتب العليا في صوغ انفس الانسانية ، فقال الرسول (ص) [أدبني ربي فأحسن تأديبي] وقوله تعالى [وانك لعلى خلق عظيم] هذا الاستشهاد يدل على مدى القوة في شخصية الرسول الامي التي بسطت قوة ايمانها في معجزة القرآن •

ونحن عندما نتجرى الواقع العربي الجاهلي ، واقفا مفككا اجتماعيا والعصية القبلية هي السائدة والشرع التي يلتجأ اليها في المشاحنات والعداوات ، علما ان المجتمع العربي مقسما الى قبائل وعشائر ويطون وافخاذ والوحدة بينها مفقودة ، ولا في تأريخها توحدت كما هي عليه الآن ، ثم أن العقلية العربية كانت محدودة الافق والنظر ولا ترى غير

محيط الصحراء ، لكنه عندما بزغت شمس الاسلام للوجود ، خرج هؤلاء العرب من عصبة قاتلة الى وحدة متأخية ، ومن ضيق الافق الى العالم الرحب الشاسع ومن الجهل الى النور ، هذا الرجل الامي الذي حسب له الف حساب عندما حاربه قريش ، وانها تدرك مدى قوة اهمية المدنوي فارادت احباطها في مهدها ولكن الله قدر لها قدرا عظيما ان يخرج انور الباسم من الصحراء يغشي أعين الكفار والحاقدين ، ويلف المؤمنين بنور عظيم ، اغترفت منه الانسانية والى اليوم خيراً كثيراً .. وهذا كله بفضل النبي محمد [ص] .

ان الوحدة العربية التي تربط بين أجزاء البلاد العربية ، لم تكن موجودة في يوم من تاريخ العرب الحافل بالدماء العربية ذاتها وسيطرة القوي على الضعيف ، وان الوحدة العربية التي تعتبر حلما عظيما من أحلام العرب المعاصرين هي أساسها محمد والقرآن ، فلولا محمد ما عرف العالم اليوم امة اسمها [الامة العربية] ، ولولا القرآن الموجود في جوارح العرب المسلمين نضاعت الامة العربية ، فالامة العربية يرجع تفككها بعدها عن النبي محمد [ص] ، محمد هو المؤسس الوحيد والباقي للامة العربية ، وبكونه نبيا مرسلا من الله ، استطاع ان يظم بقوة ايمان تحت راية القرآن البلاد التي تطلق على اسمها بلادنا العربية ، محمد والبلاد العربية اسم واحد ، مرتبط ، ارتباطاً وثيقاً بالارض العربية ، وطلما بلادنا العربية بعيدة عن الشخصية المرتبط بها وجودها ، فهي امة لا تحمد ولا تشكر وانما عليها غضب من الله ورسوله والمؤمنين ، ولا تتوحد وانما وحدتها هي حلم منلم المعافين الغاطين بتياب النوم .

ان ارتباط الامة العربية بمحمد يعيد لها ما خسرت طيلة حياتها السانقة ويرقي بها الى مصاف الامم العالية وبها تتحطم الرؤسايليات

والدكتاتوريات ، ان أستعاد العرب لتلك القوة التي فقدت منهمم وهي الرجوع الى محمد الموحد والموجد الاول لوحدتها •

ثم أن الوحدة العربية ونقنها التي يتكلم بها مئة مليون نسمة تكمن في قوة القرآن الحافظ الاول لوحدتها ، فلو لا وجود القرآن لصاعت الامة العربية ، وذهبت في مهب الريح ، ولم يخطر لنا ان لها من علوم اللغة كما نعرفه اليوم ولاندحرت الامة العربية ولم يبق لها وجود بموت لغتها •

فالقرآن هو الممول الوحيد للغة العربية ومعينها الا ينضب ، وكما أن اللغة هي الجسر الذي يعبر عليه ، فالقرآن هو الحلقة التي تظم اجزاء البلاد العربية في دفتيه ، فلو أفترضنا عدم وجود القرآن [وهذا غير ممكن] فاذاً عدم وجود لغة عربية ، وعدم وجود أمة عربية •

اللغة العربية والوحدة العربية والتاريخ العربي والمصالح العربية المشتركة كلها أساسها محمد والقرآن ، فالولا محمد ما عُرِف هنا وهناك التاريخ العربي الاسلامي ، والحضارة العربية الاسلامية ، فاذاً ان كل وجودنا ونفسيتنا مرتبطة ارتباط وثيق بمحمد ، وان كنا نشكر مثل هذه الحقيقة التاريخية •

والاسلام لما أشرف على الربوع في آسيا وأوربا ، وكون شعبا كبيرا مرتبطا بنا ارتباطا وثيقا أساسه الايمان بالله والتقوى ، وذلك حصون العنصرية والشوفينية من جذورها ، وبنى على أساسها العدل والحق فبات المسلمون متساوون كأسنان المشط ، ومزق الحدود الطبيعية والبشرية ، وبات كل الناس لأدم وآدم من تراب •

هنا في هذا الاساس ان الوحدة العربية الاسلامية امتزجتا فكونت وحدة الشعوب الاسلامية ، وباتت تعمل لخير الاسلام لتحقيق مجتمع

الكفاءة والعدل ، وقدمت هذه الوحدة المتأخرة نتاجاً عظيماً من الحضارة الإنسانية التي لم تعرف أية حضارة أخرى في تاريخها ، وهذا النتاج الحضاري والثقافي قائم على أساس الإيمان والتقوى [ان اكرمكم عند الله اتقاكم] . بينما الحضارات البائدة كانت تنقسم شعوبها الى طبقات واجناس وكانت تفرق بين غنيهم وفقيرهم في مختلف مجالات الحياة ، بينما لا نرى مثل هذه التفاوهات في حضارة الاسلام ، وارتقى المسلمون شوطاً عظيماً في حضارتهم في الطب والكيمياء ، والجبر . . انخ من العلوم والابحاث شوطاً لم تصله أمة قبلهم او بعدهم ، فكان كل الفضل يرجع الى محمد [ص] الذي يدعوهم بقوله [اليد العليا خير من اليد السفلى] [وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون] [اطلبوا العلم من المهد الى اللحد] . . كل هذه الحضارة يرجع بها الى محمد فلولاه ما عرفنا .

نحن لا نستطيع أن ننفض الطرف عن الحضارة الاوربية التي اقتبست كثيراً في شوطها الاول من الحضارة الاسلامية ثم أرتقت بها في شوط أبعد ، وبعد أن أغلقت بأقفال قوية ، الايمان ، باتت الحضارة الاوربية وليدة الوثنية الاولى الرومانية واليونانية ، ثم ان هذه الحضارة المسيحية المزيفة لم تقدم لشعوب العالم ، ما ينفع العالم بل أزادت الشعوب على هذه الحضارة تقمة وبغضا ، لأنها دخلت الى الشعوب عن طريق التبشير بالمسيحية وبه استعمرتهم وأذلّتهم ، وبطريق المسيحية لعبت دوراً عظيماً في قتل الافارقة والزنج الامريكان وباتت تسومهم الخسف والعار وتهمودهم كالكلاب والخنازير لتعلمهم طريق الرجل الابيض ، لا لتسيء .

وانما يطالبون بالتححرر من كل زيف مفروض على واقعهم ، وبات الرجل الآسيوي والافريقي يكره هذا الرجل الذي أذله واستعمره بالحديد

والنار ، وأعدت له المجازر تلو المجازر في الشوارع ، وتُحرق البيوت وتقتل الأطفال المزل كل هذا عن طريق الحضارة الأوروبية ، ولا فرق بين شرقها أو غربها ، ففي الفيتنام [أصبحت قوة عرض العضلات] بين الغرب والشرق ، ساجتها الفيتنام ، ووقودها الشعب الفيتنامي ، فهل قال الشرق أوقفوا القتال فعلا ولا فنحن سنقاتل بجانبهم صفا بالارواح والمعدات ، من أجل كرامة الانسان ، [اذا كانت تكمن نية سليمة عند هذا الطرف] ولا الغرب المتمثل لانهزاميته السحيقة على يد الشعب الفيتنامي .

فهذه حضارة الاوربي ابشع الذي بات يمزق أجسادنا ويعملنا بين الحياة والموت .

والامة الاسلامية عموما عندما وضعت القرآن على الرفوف اليوم وأبتعد الحكام والناس شيئا فشيئا عن النهج دب في صفوفهم الوهن والانحطاط ولعبت بعقولهم الشهوات مما سهل للغزاة بالسيطرة على موارد البلاد الاسلامية البشرية والاقتصادية ، وانتقلت مقاليد الحكم بيد الدخيل الاجنبي ، وظل كتاب الله على الرف .

وحتى في زمن الدولة العثمانية وإلى جانبها الدول الصفوية كانت الحروب من أجل المطامع ، وسيطرة الطائفية ، فلم يجتمع الطرفان على كلمة واحدة ، علما انهما يدينون بدين واحد ، فمنذ بداية هذه الحروب وحتى سقوط الامبراطورية العثمانية لم يتمكن الطرفان من توحيد صفوفهما وجعلها قوة واحدة ذات هدف مشترك ، تكمن القوة بهما ولا سيما لموقفها استراتيجي على أوروبا وآسيا وأفريقيا ويصبح انتشار الاسلام عظيما وقوة المسلمين ليس لها حدود ، ثم تقديم أفضل نتاج حضارى من تلك الحقبة

حتى مُرنا الحال يضاف الى نتاج الحضارة الاسلامية الاساسية ، ولم تهم
دولة الاوربي البشع مصاص الدماء ، ولا تنعش العالم في ظل هدوء تام من
راحة النفس والضمير ، وما عُرِف هذا الجو الذي نبشّه في عالم الصراع
وعام الفوضى ، وكان هذا ممكن في حين تضافر قوى الامة وعملها الدثوب
في سبيل مصلحة الاسلام العليا •

الا أن تلك الفترة هي الفرصة التي منحت للمستفيدين الذين ، لم
يستغلوها لجمع ثبات كلمتهم وتوجيهها نحو الخير انعام ، فباتت المصالح
الشخصية تلعب الدور العظيم في تفكيك المجتمع الاسلامي والطائفة التي
اساسها الحكم تكبر وتنمو والتي أصبحت كما نراها اليوم أكبر خطرا في
يد اعدائهم يستغلونها متى أرادوا وبطرق تختلف عن الاخرى ، وهكذا
تحرك الدوايب لتتعاقب على المسلمين وهم رقود •

وعاش مجتمعا في هذه اجراح والكل متعصبون من أجل المواقف
لا اكثر وأهم ، الاهم الأكبر ، وهو الاسلام في حياتنا ، وأصبحت هذه
المصارع تختلف في أثرها أثرا نفسيا لا يبلى ، بين المسلمين ، والكل يعتقد
انه الصحيح ... وماتت البذور الاسلامية ذات النهج الصريح ، ونمت
قوتها هذه الديدان العفنة التي استغلها جماعات في السلطة لبسط نفوذهم
على العام من الناس لاستغلالهم وتشجيع مثل هذه المشاحنات بينهم ليتمكنوا
من تركيز قوتهم بين الناس ، وكل هذا تلى حاسب دين الاسلام ، الذي
أقعد هؤلاء على الرقود ، وبات ينظر اليه كتاب مقدس لا غير يقرء في
المآثم ثم يلف في تلك القطعة من القماش ليوضع على الرف لتعلوه الاتربة ...
ولما يحين وقته ..

وهكذا سقط القرآن من الحاسب ونُظر اليه انه ، ادى مرحلة في

وقته ، وهو عاجز ان يقف على رجليه ، للتقدم المزعوم الذي أصاب العالم ،
ثم اننا لا ننسى الاتهامات من أهله والافتراءات الكاذبة والاستلة المطروحة
لديهم [في نظرهم تعجيزية] جعلت من القرآن ان يكون على الرف ، ثم
هناك النظرة التي ينظر بها اعداء الاسلام للمسلمين من الخارج والداخل ،
نظرة سخرية تحمل في جنباتها الحق الدفين وأصبح يقولون [انه دين
عظيم جاء بفترة واليوم يختلف عن الامس ، فلا يمكن اعادته ، وهذا نوع
من المستحيل والخيال] .

هكذا نعيش اليوم في اضطراب فكري مشكك ساخر بالقيم العليا ، فلا
غرو ان يخارب المسلمون في عقر دارهم لانهم جيل مريض لياليه الزهر
والقمار والجنشنة ، أفكارهم قشور الغرب .. فلا عجب أن يعيش
المسلمون الآن في منزل تام عن العالم طالما اعتبروا القرآن كتاب تاريخي
أو كتاب لتحسين الانفاض ممن هم ضعاف في التعبير بأنواعه .

فاضل عبداللطيف

« من اخلاقهم »

اذا اردت ان تكذب فلتكن كذبتك كبيرة

« غوبلز الالمانى »



حسن عبدالامير السعداوي

السنة الثالثة

(١) تعريف الدين :

من المفهوم والبديهي ان كل دين يكون ذا فكرة وعقيدة وهذه الفكرة أو العقيدة لها ما يبررها من نظريات واسس تختص بها ونظام تسلك فيه في تفسيراتها لكنه الطبيعة والوجودات . فاذا اردنا أن نقدم تعريفاً لمعنى العقيدة فنقول « هي مجموعة من الافكار والمفاهيم تعطينا صورة عن بداية الكون والحياة وتطورهما ونهايتهما »^(١) والعقيدة بدون نظام تكون شوهاً وجمدة ويكون فهمها سقيماً وغير يسير ، فالنظام اذن من القواعد الرئيسية لتبني دعوة وتبليغها بجد واخلاص . ثم ما فائدة العقيدة بدون غاية تتوخاها ونتيجة تصلها الى مرحلة متقدمة من سلم التطور والرقى فمحتاج تسيير فيه هذه العقيدة لتوضيح افكارها ومفاهيمها حول بداية ونهاية الكون والحياة يكون اساساً لنشرها على الملأ .

فيجب مع هذه النتيجة أن تكون العقيدة مرتبطة بنظام تسيير عليه ضمن منهج تؤول اليه .

(١) التعريف مأخوذ من كتيب صغير عنوانه (الاسلام مبدأ) من سلسلة نشرات (في مرحلة البناء) للاستاذ عبدالهادي الفضلي .

اذن تعريفنا للدين يكون : « عقيدة الهية ينبثق عنها نظام كامل للحياة » (٢) .

ب (تعريف النبي :

ان هذه الافكار والمفاهيم والتي اصطلحنا عليها بالعقيدة بحاجة الى من ينشأ في قلوب الناس ويفرسها في نفوسهم ويوضح اسسها ونظرياتها ويبين لهم صفاتها وخصائصها ويرشدهم الى غاياتها سيراً على منهج ومشيياً على نظام .

فمن هنا نشأت الحاجة الى من يقوم بهذه المهمة فجاء الله بالانبياء مبشرين الى بني الانسان يوحي لهم ما يراه مناسباً لظروفهم واحوالهم وتقبل فكرهم وحاجتهم النظرية اليه (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) .

ويكون الانبياء في نفس الوقت منذرين ، بأن من يتبع دينهم ومبادئهم ويسير على هديهم ينال ثواباً ويكون جزاءه الجنة وان من يعصي ويشرك ينال عقاباً ويكون مأواه الجهنم (ان الدين عند الله الاسلام فمن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

نخرج بتعريف للنبي محتواه : هو انسان اختاره الله رسولاً منه الى البشر يوحي اليه ليقدم لهم عقيدة لها نظام ومنهج ويكون النبي معصوماً وعلى درجة من الذكاء والنبوغ الفطريين (.

مع العلم ان كل رسول هو نبي وليس كل نبي هو رسول لان الرسول مبلغاً ومنذراً لجميع البشر وليس بفروق وخصائص محدودة كباقي الانبياء .

(٢) المصدر السابق نفسه .

الفصل الثاني التنزيل والتزول

١) نزول الرسالات :-

• للمعرفة سيلان : عقل وإيمان • سيلان سلكهما الإنسان
مذ كان •

فالأشياء التي تعرف أو يراد معرفتها صنفان صنف تحسه الأحاسيس
فهو محسوس ملموس يلعب فيه العقل من بعد الأحاسيس فيقول فيه ان هذا
كائن وانه الحقيقة الواقعة التي لا جدال فيها وصنف واقع وراء الأحاسيس
فهو بمعزل عنها قد يراه من آثاره وينفذ اليه بخياله فيؤمن به كانه الحقيقة
الواقعة في غمرة من الروعة أو الروع أو التجلي ، وللمرء منا عند
التجلي عيون أشد وثقا بأعماق النفس من عيون في الرأس تنتهي عند خلايا
المخ فلا تكاد تمس في كثير من الأحيان من الانفس الا سطوحها الظاهرة •
انها الطبيعة المرئية ثم ما وراءها تلك التي اسموها ما وراء الطبيعة •

الطبيعة المرئية لها الأحاسيس ولها الدرس ولها العقل وما وراء
الطبيعة تقصر دون اجتلائه العقول واذن يفتح لها باب الايمان • (١) •

فبالايمان يمكن الاهتداء الى الصراط القويم المستقيم وبالايمان يمكن
الولوج الى حقائق الحق والنور والعروج عن دياجير الظلم والظلام • لان
الهداية الالهية حاجة ضرورية فطرية تستلزمها حياة وطبيعة الإنسان •
الهداية للمبدأ الاقوم والسبيل الاسلام الى حيث يجب أن يكون الإنسان من
الله ومن المجتمع ومن النفس • • لان من ألزم الامور التي ينبغي أن يهتدي
اليها الإنسان هي معرفة مبدئه ومعاده وأن أحط بضروب الجهل الانساني

(١) • العقل والايمان • مجلة العربي العدد ١٢٠ ص ٩ •

أن يجهل بدأ حياته وإلى أين سيصير» (٢) .

فمن هنا جاءت الضرورة للأنبياء ليرسوا قواعد وأسس وأصول تتناسب مع فطرة الإنسان الطبيعية في الإيمان والطاعة . الإيمان بخالق مدبر حكيم والطاعة له ، على مر العصور والسنين .

ويذكر لنا القرآن الكريم بصورة بديعة ومؤثرة ، على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التي لا يشوبها جهل ولا ضلال ، (٣) ولا سبيل إلى ذلك إلا بواسطة من حيث لا يستغل العقل منفرداً - في خوض هذا المثل المثل - ولا تكفي سلامة الفطرة .

(لقد جاءت رسل ربنا بالحق) (الله أعلم حيث يجعل رسالته)
(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

وعليه لم تكن قصص الأنبياء في القرآن - التي تكون جزءاً كبيراً منه - قصص فكاهة أو تسلية أو معلومات تاريخية وإنما هي موعظة وذكرى وحث ودعوى وإرشاد ورشاد وتوجيه وتشجيع (لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك الذين لم يسمعون إلا نداء من دونه) ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (يوسف ١١١) .

ومن المعلوم والملاحظ أن الأنبياء بعثوا دائماً في بيئة مظلمة خائفة ومعارضة لدعوتهم نائرة عليها وذلك لأن الاهتداء أولى بالقوم الفاسقين الفلجريين الكافرين من القوم المؤمنين العابدين - أن وجدوا - وإن الله

(٢) العطار ، داود ، ملازم علوم القرآن ، الصف الأول ص ٣٤ .

(٣) الندوي ، أبو الحسن علي ، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ص ١٧ ، ١٨ .

عندما يرسل أو ينزل نبيا يعلم ان الامور أو الاحوال وصلت الى حد يستدعي ارسال نبي ليعيدها الى حيث يجب ان تكون .

ولم يكن عند الانبياء الا ايمانهم بالقوي الذي لا يرفى اليه شك واخلاص لا يشوبه طمع ولا تقع - الا ابتغاء رضوان الله ومرضاته - وما المعارضات والمحاربات والمؤامرات وتآلب الحكام في السر والعلن كل تلك نيجتها واحدة هو انتصارهم وانتشار دعوتهم بالرغم من ضعفهم وفقيرهم المادي على اعدائهم وبالتالي قبول الاعداء بدعوتهم وخضوعهم لها . (انا لنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) .

الانبياء بحكم تنزيلهم يجب أن يكونوا معصومين من الخطأ والظلال وسوء الفهم او التعبير وان لا يتعصبوا أو يتزعموا لانه عليهم يتوقف مصير الانسان في الدنيا والآخرة ، سعادة الدنيا والنجاة في الآخرة ، وبهم يتقرب المرء الى ربه وينال عليه ، وهم القدوة والمقياس والنور الذي يهتدي به البشر فاذا صدر منهم خطأ في الاجتهاد والتقدير ينهم الله الى ذلك ولا يمكن لهم ان يرتكبوا أي ذنب على الاطلاق لانهم معصومين والمعصوم من يعصم نفسه عن الذنوب وكل مالا يرضى الله تعالى به .

ومن صفاتهم الامانة * حيث هي الكلمة الجامعة بين معاني الصدق وصحة التلقي من فوق . التلقي من الله العلي الحكيم وصحة الالتقاء الى الاسفل الى الأمة التي يعث فيها النبي ، (٤) وكذا الاخلاص (٥) والنزاهة (٦) والزهد (٧) والبعد من كل طمع (٨) .

* ومن سمات النبوة وخصائص الانبياء (ع) البعد عن الاساليب الصناعية من التصنيع والتكلف في حياتهم وسلوكهم بصفة عامة وفي دعوتهم

(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) الندوي ، ابو الحسن علي ، النبوة والانبياء في ضوء القرآن ص ٦٨ .

وكلامهم وحجتهم بصفة خاصة (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين • ان هو الا ذكر للعالمين) تصويراً لحال جميع الانبياء والمرسلين فهم دائماً يخاطبون الفطرة السليمة والعقل العام . (٩) •

• ومن سيرتهم أن لا يكلموا الناس الا على قدر عقولهم انني خلقوا عليها وعلومهم انني هي حاصلة عند غيرهم بأصل الخلقة وذلك لان الانسان حينما وجد مثله في أصل الخلقة حدد من الادراك زائد على ادراك سائر الحيوانات ... فالانبياء لم يخاطبوا الناس الا على منهاج ادراكهم الساذج المودع فيهم بأصل الخلقة ولم يلتفتوا الى ما يكون تاذر الاسباب قلما يتفق وجودها . (١٠) •

ب) تدرج الرسالات :-

قبل ان الصاروخ ساتيرن (٥) - الحامل للمركبة الفضائية الامريكية الى القمر - يتكون من خمسة ملايين قطعة • فمن الطبيعي انه لو كانت هناك قطعة واحدة منسية لما كان ان ينطلق الصاروخ وما وصل الانسان بدوره الى القمر ولو كان هناك خطأ بسيطاً في تركيب قطعة واحدة من هذه الخمسة ملايين لما صعد الصاروخ الى القمر وما ناله الانسان •

وقبل ان آينشتين - معجزة القرن العشرين كما يدعيه - تمكن بالمعادلة الرياضية أن يستكشف أن في الموضع المحدد الفلاني من الكون توجد نجمة ستمها كذا بدون اللجوء الى الآلات والادوات المألوفة التي يمكن الاستدلال بها لمثل هذه الحالة •

(٩) النبوة والانبياء في ضوء القرآن ص ٦٠ •

(١٠) حجة الله البالغة ج ١ ص ٨٦ عن كتاب النبوة والانبياء في ضوء القرآن •

وقيل أن هالما فيزيائيا قد صنع قنبلة سماها ذرية تنطلق بعد فلق نواة
الذرة فيها لتقتل ملايين البشر من جنس هذا العالم وطوروها بعده لتقتل
كثيرا وتُسببُ خرابا ودمارا أكثر .

هذا الانسان الذي وصل الى مرحلة متقدمة جدا من العلوم والتكنية
في عصرنا هذا ، هذا المخلوق الصغير نأتي لترى ما فيه وما اليه من أجهزة
وانسجة واجزاء واعضاء وخلايا وخبايا في حركة دائمة ونمو مستمر في
أبداع نظام واعجز صورة .

وإذا عطب منها جزء أو عضو فسارع أهل الاختصاص لاصلاح ذات
المطب وترميم الخلل فيه .

اختصاصي العين يعنى بأمور العين .

اختصاصي السن يعنى بشؤون السن .

اختصاصي الهضم يعنى بأمراض الهضم .

واختصاصي القلب يعنى بداء القلب .

وغيرهم من اصحاب الاختصاص ، وكذلك النفس الانسانية بحاجة
الى مختص يصحح لها انحرافها ويقوم لها مسارها ويوضح لها طريقها
ويبين ما يجب لها وما لا يجب .

ومن هنا جاءت الحاجة الى من يتولى هذه الامور مجتمعة بكل
تفاني وإخلاص ومحضية ووفاء لنا انزل الله تعالى الانبياء (ع) واصطفاهم
باختياره الى البشر لهذه المهمة الشاقة الموكلة اليهم والشاعر يقول :

فك الكهارب في دينك محكمة أخف من فك ما في النفس من جشع
يا ذرة العقل في دنيا الورى انفجري وحطمي عالم الاوهام والبدع

عَجِبْتُ للعقل من سر الاله دنا والخلق مازال خلق النمر والضبع (١١)
هذه النفس الامارة بالسوء هي بحاجة الى من يزيل عنها هذا الجشع
والحقد والبغض والحسد .

وقد تكفل الانبياء (ع) هذا الجانب الروحي من الانسان وايضاح
صلته بالخالق الجليل ، وموقف العبد في هذا العالم وعلاقته به وبالمبدأ
والمصير الذي اختاره له الله ، وبيان ما يرضي الله تبارك وتعالى وما يسخطه
وما يشقى الانسان وما يسعده في الدارين ، وما يترتب على ذلك من
توضيح لخصائص العقيدة والاخلاق والاعمال والتعرفات التي يجب السير
بمقتضاها مع مراعاة وملاحظة أن العصور تتبدل ومناهج الفكر تتغير وقيم
الاشياء ودرجاتها تنوع وما يحدث او حدث في عصر من نظرية أو قانون
أو نظام أو عقيدة لا يجوز أو لا يمكن أن يسقط على أن يوافق عصر
سابق له أو لاحق به لان عقل الانسان طبقات ومستويات حيث ان ما يتقبله
عقل ينكره آخر وما يتطلبه فكر يستغني عنه آخر . لذلك جاءت حكمة الله في
تنزيل أنبيائه ورسالاته بالتدرج والتريث لان البشر في اول خلقه كان على
حالة من البساطة والفطرة يجهل فيها كثيرا من الامور والاشياء التي لا
يمكن او لا يكون فهمها الا بالتجربة الحياتية المستمرة والمشاكل المتجددة
التي يمر عليها الانسان في كل لحظة وساعة ويوم ليستج منها ما افاده
وما لا يفيد ولا يتم ذلك بالاستنتاج المنطقي أو العقلي . . وأن أحدا

(١١) الابيات للشاعر احمد الصافي النجفي يصف فيها القنبلة
الذرية ويقارن فيها كيف أن معجزة صنعها وقوانين تكوينها أخف من
نفس الانسان التي تحمل الاستعباد والدمار لبني الانسان
- بانحرفاتها - (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) .

لا يتصور أو يحسب أن قوما أرادوا أن يتبعوا لهم ولغيرهم اخلاقا فاجتمعوا ودرسوا وتباحثوا وقرروا فكانت مراسم السلوك التي اتبعوها • ان الاخلاق نشأت معهم لا يدري احد منهم كيف نشأت • (١٢)

فمن الملاحظ أن الله أنزل من الانبياء كثيرا بعد أبينا آدم (ع) وقبل نبينا نوح (ع) الذي تكفل بتبليغ أول رسالة عامة وشاملة إلى البشر • وان هؤلاء الانبياء (ع) في كل مراحلهم التي جاؤوا فيها انما لتمهيد أو لتسهيل مهمة نبينا نوح (ع) في تبليغ رسالته وذلك بإيضاح الامور الاولى والبدائية عن الكون والحياة إلى هؤلاء البشر • وبعد أبينا نوح (ع) جاء النبي ابراهيم (ع) فكانت رسالته أكثر وضوحا وشمولا وعمقا بأساليب مقبولة ومرضية من قومه • وبعده جاء النبي موسى (ع) ثم عيسى (ع) وخاتم الانبياء محمد (ص) برسالة الجامعة المانعة الابدية الازلية لتختم هذه السلسلة من الانبياء والرسالات وتكون على أعلى مستوى يتماشى مع عقلية الانسان وفطرته وتساير التطور •

ودعني اقص هذه العادة :-

كنت مع قريب لي في زيارة أصدقاء لنا ، وفي أحاديثنا تطرق الكلام إلى موضوع النبوة والانبياء والاديان فسأل شخص كان حاضرا عرفت أنه معلم سأل بشيء من الجهل أو التجاهل واللامبالاة وضيق الاطلاع لماذا انزل الله - جل جلاله - موسى وعيسى ومحمد (ع) وغيرهم مختلفين في شرائعهم وجعل تابعيهم من البشر يتنافرون ويتنازعون على أشياء وامور هي كلها من الله منزلة ومقررة •

اجابه قريبي وبنوع من الاستخفاف والتهمك ، انك استاذ وعليم

(١٢) (العقل والايمان) ، العربي ، أحمد زكي ، العدد ١٢٠

بأمور تخص الدراسة والدارسين والمدرسين • قال : نعم • قال ان الطلاب عندما يصلون الى الصفوف السادسة الابتدائية وهم على وشك الانتهاء من مرحلة دراسية اولية يدخلون في مرحلة جديدة تكون اكثر عمقا وشعولا عن السابقة هي المرحلة المتوسطة وبعد ثلاث سنوات يكونون قد أتموا المرحلة الثانية من الدراسة وبدأوا في المرحلة الثالثة وهي اوسع تفصيلا واعمق غوصا في بحور اللغة والعلوم وانتهائها يكون مؤهلا للولوج الى باب اوسع واعمق وليس لها ختام أو انتهاء •

فعند انتهاء كل مرحلة من هذه المراحل يكون هناك اختبار وكشف عما أفاد به الطالب وتقبله • فلا يجوز او لا يمكن عقلا أو منطقيا ان يمتحن طلاب المرحلة الاولى بمادة المرحلة الثانية وكذلك لا يمكن أن يختبر طلاب المرحلة الثانية بمواضيع المرحلة الثالثة وكذا دارسو المرحلة الثالثة لا يقبل أن يسألوا عن مواد مرحلة متقدمة عليهم ولا يجوز العكس في كل هذه المراحل •

فلكل اختصاصه ولكل معرفته ولكل اسلوبه ولكل مقدرته في الفهم والاستيعاب والقبول والنضوج • ونفس الشيء ينطبق على بداية الخلق والبشر فعندما انزل الله تعالى أبانا آدم (ع) وحواء لم يكن في الارض سواهما وعندما جاء نوح (ع) كان الفكر العام أو العقل العام منهيًا لقبول وتقبل هذه الاحكام والامور الجديدة • وكذا ينطبق هذا الحال على باقي الانبياء بصورة عامة • الى ان ختم الله هذه السلسلة بنينا محمد (ص) •

فسكت صاحبنا ولم يجب بأي كلام دليل الموافقة والرضى والافتناع بهذا الشرح المنطقي •

فخرج من هذه النتيجة الى أن الله تعالى قصد في تدرج رسالاته

وانبيائه المصلحة العامة والهداية والقاء الحجّة على العباد من علمنا أن الله لو أراد شيئاً يقول له كن فيكون بشراً على جانب من التقوى والطاعة والايمان والعلم * ولكن الله تعالى أراد أن يمتحن هذا الانسان ويختبره بعد أن سخر له كل خلقه في السموات والارض *

« سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الجاثية آية ١٣ *

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » *

الزلزلة آية ٧ ، ٨ *

ح (عدد الانبياء :-

لقد أرسل الله مائة وأربعة وعشرين ألف نبي على طول هذه الفترة من العصور ومر السنين منذ خلق الله البشرية حتى الخاتم الدائم محمد (ص) لقد انزلهم الله لهداية البشر واعطاهم الشريعة المثلى عن الكون والحياة *

فارسلمهم على خصائص وشرائط معينة لكل نبي ورسول * فمنهم نبي على أهله ومنهم نبي على عشيرته ومنهم نبي على مدينته ومنهم رسول لقومه وكافة الناس - وهؤلاء هم خمسة يسمون أولي العزم وهم نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، ومحمد (ع) وكان لنوح و ابراهيم صحفهما ولموسى التوراة ولعيسى الانجيل ولنبينا محمد (ص) القرآن الكريم - وحسب الحاجة والضرورة والمصلحة العامة * ولا يعني أن يكون لكل نبي زمن خاص به فقد يكون في عصر واحد اكثر من نبي ولكن على كل مسؤوليته ولكل أسلوبه * لأن الهدف السامي واحد من مصدر واحد الى نوع من الخلق واحد *

فالقرآن - على هذا الاساس - لا يتعارض مطلقا مع مفاهيم وافكار الانجيل وكذلك لا يتضارب مع سلوك واحكام التوراة ابدا - لو لم تصل ايدي التحريف في كل من التوراة والانجيل - وكذا الحال بالنسبة لباقي الصحف والكتب السملوية •

وبما ان القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع فان باقي الكتب والصحف المنزلة من الله هي أيضا كتب هداية وتشريع - كما وضحا ذلك في القسم الاول •

• ان كل فرد من هؤلاء الافراد معجزة مستقلة ومآثرة من مآثر النبوة الخالدة وبرهان ساطع على اشرفية النوع الانساني •

ان مصورا لم يصور بريشته الباردة ومخيلته السخية صورة اجمل وابدع مما كان عليه هؤلاء الافراد في عالم الحقيقة والواقع وفي شهادة التاريخ •

وان شاعرا لم يتخيل بخياله الخصب وقريحته الفياضة ومقدرته الشعرية أوصافا اجمل وسيرة اعطر وجمالا اكمل مما وجد في هؤلاء الافراد •

ولو اجتمع ادباء العالم في صعيد واحد فعرضوا نموذجا انسانيا رفيعا لم يصل بهم الخيال الى ما وصل اليه الواقع في حياة هؤلاء الافراد الذين نشأوا في حجر الرسالة والنبوة وصفاتها وتخرجوا من مدرستها • (١٣)

لبن الانبياء (ع) مصدر المعرفة الصحيحة وعلم اليقين فحسب بل يرجع اليهم الفضل في صلاح البشرية كلها وفي ازدهار المدنية باكملها وذلك بغرسهم في نفوس الناس قوة كراهية الشر وشغف حب الخير والتمرد

(١٣) من كتاب (النبوة والانبياء في ضوء القرآن) ص ١٢١ - ١٢٢ •

على قوى الظلم والاندفاع الى الخير والجهاد في سبيل الله والانتصار للحق ومحاربة الباطل والفساد بجهدهم المتواصل ونسيانهم لأنفسهم ولذاتهم ومجازفتهم بكرامتهم وحتى بأرواحهم فقام العدل وانتصف المظلوم وانتشرت الرحمة وفاضت المحبة وتحررت الارادة وانجذبت النفوس الى الخير والصلاح وتعاضل الايمان بالله • حيث أن الارادة والهزم هما الدافع لما يدبره الانسان من عمل وما يتفوه به من كلام فكلما كانت الارادة والنفوس ضعيفة تحولت الطبيعة الانسانية الى طبيعة حيوانية •

مميزات الانبياء (١٤):

ان ما يميز الانبياء كمصلحين عن غيرهم من البشر هو :-

١ - ان العقيدة التي يدعون اليها والدعوة التي يقومون بها والعلم الذي ينشرونه لا ينبع من ذكائهم أو تألمهم بالواقع الحال المعاش أو من شعورهم الحسي الرقيق ولا من تجاربهم الواسعة ، وانما مصدره الوحي الالهي والرسالة التي يصطفون لها ويكرمونها بها (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقوا) النحل (٢) •

على هذا الاسس لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية أو حوادث وقتية خارجية ولا يدير رسالته حيث يشاء المجتمع ولا يمكن أن يحدث تغيراً أو تبديلاً أو تحويراً في رسالته واحكامها وقد انذر الله الانبياء بالعقاب فيما لو تجنوا على الله وقالوا ما لم يقله أو زاد أو نقص شيئاً من وحيه وكلامه تعالى (تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقة ٤٣ - ٤٧ •

(١٤) مميزات الانبياء مأخوذة من المصدر السابق نفسه مع تغيير وتلخيص ما جاء في الكتاب •

ولكن للأنبياء الحق في مراعاة الحكمة والمصلحة المطلقة وملاحظة
عادات الناس واستعدادهم ويتحرون لدعوتهم الزمان والمكان الصالحين
واستطراق التدرج والتيسير في بث دعوتهم وعقيدتهم (يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر) (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

على ان هذا التسهيل والتدرج في الدعوة مراعاة الحكمة والمصلحة
انما هو في المسائل الثانوية وليس في أصول المبادئ والفرائض وانما هو
التعليم والتربية والمسائل الجزئية وليس في ما يفرق بين الايمان من الكفر
والتوحيد والشرك فالانبياء عليهم السلام على اختلاف عصورهم اصلب من
الحديد واثبت من الجبل في ايمانهم وعقيدتهم وعزمهم ونصحتهم لا يعرفون
تنازلا ولا تفاذلا .

٢ - ان هدفهم الاول وغايتهم العظمى بكل زمان ومكان هو تصحيح
العقيدة بالله عز وجل وتصحيح الصلة بين العبد وربه وذلك بشدهم على
الايمان بالغيب وبقدرة الله تعالى الفارقة وانه على كل شيء قدير وان
يصدقهم البشر بكل ما جاء به الله تعالى الى الرسل من معاجز لا يطبقها ولا
يستسيغها الا الايمان بالغيب ولا يقبلها التعليل المنطقي أو التحليل العقلي
لان الايمان الذي يقوم على الحس والتجربة انما هو ايمان مقيد مغلول
ومحدود ومشروط لا يصلح للاعتماد ولا يتفق مع دعوة الانبياء وما تنبأ
من تصديق مطلق وثقة مطلقة بالله . وما التناء على الوثنية والشرك وعبادة
الاموات الا استمرار لهذا الهدف النامي وهو مقصد بستم ومتهمى
اعمالهم (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون) الانبياء ٢٥ .

٣ - والميزة الثالثة من سمات الانبياء هي التشديد على جانب الايمان
بالآخرة وما اعد الله فيها من سعادة دائمة وشقاء دائم وثواب للمؤمنين

وعقاب للكافرين وما حياة الدنيا الا ^{مر} وجواز لحياة ودنيا أزلية غير فانية وهذا الهدف الرئيسي من أهدافهم كان حافزاً قويا الى دعوتهم وبذل نصحتهم وهو حافز يستوجب منهم نكرانا للذات وسمواً في الاخلاق وعفة في لشرف وسدادا في الرأي وان لا يفضلوا أمور الدنيا على أمور الآخرة وألا يطمعوا في ملك أو سيادة أو جام ويجعلون ذلك كله نمنا لإيمانهم • فيكونوا سراجا يهتدي بهم ودليلا الى صراط مستقيم (تلك دار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) •

الفصل الثالث

الجاهلية الحديثة والجاهلية القديمة

الجاهلية :- « منهج في الحياة مقابل ومضاد منهج الاسلام » (١) وعلى هذا فليست الجاهلية سمة خاصة بالعرب قبل الاسلام وحدهم وانما هي سمة كل مجتمع غير اسلامي سواء الشعوب التي عاصرت ظهور الاسلام أو تأخرت عنه ، (٢) •

من المعلوم والمفهوم ان المجتمع العربي قبل الاسلام كان مجتمعاً منحطاً متحلاً حيث خرافة في الدين ، حيوانية في الاخلاق ، استعباد في الحكم ، سيطرة واحتكار في التجارة واضمحلال في علاقات الافراد فيما بينهم وفسادها الى أبعد حدود التصور •

وكان هذا الفساد اعظم واوسع من أن يتداركه افراد متشعرون ومصلحون موزعون وانما كان يمكن تداركه بعمل أمة تبث وتبشّر على الحق والخير تكافح وتنتشر في أرض الله وتتحدى وتملاً الأرض قسماً

(١) محمد مهدي شمس الدين ، بين الجاهلية والاسلام ص ٨٤ •

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٨٩ •

وعدلا كما ملئت ظلما وجورا • وهكذا فقد جاءت البعثة المحمدية اينانا بأن عصرا جديدا بالنسبة للانسان قد بدأ وفي كل مناحي حياته الفردية والاجتماعية ، الروحية والمادية •

ولابد أن يبدأ التغير من النفس الانسانية المنحرفة وهي مصدر كل الافكار والمناهج الضالة السقيمة والتغير يجب أن يتم على تلاق الفرد أي من داخل نفسه ، ومن ثم اصلاح المؤسسات الاجتماعية وتنظيمها أي من خارج حدود الفرد وحيث الاصلاح من الداخل دون الاهتمام بالخارج سيجر الفرد الى الفساد بسبب ظروفه الخارجية كما ان الاصلاح من الخارج دون الاعتناء بالداخل سيدفعه الى افساد أوضاعه الخارجية بسبب ضلال نفسه •

فعلى هذا البناء قام المجتمع الاسلامي وتأسست الدولة الاسلامية فكان مجتمعا صالحا امينا مؤثرا أمور آخرته على دنياه فأصبحت الحياة كلها ايمانا وتقوى وصدق واخلاص وجد وعمل وعدل في الاخذ والعطاء وانصاف مع النفس والغير •

لقد غيّرت البعثة المحمدية الوضع القائم آنذاك وقلبته رأسا على عقب واكسحت العالم بقوة الايمان وطلاعة الرحمان فشددت أهل العزائم واستخلصت ذكاء الاذكياء وسليقة الادباء وقريحة شعراء وأقلام العلماء وعبقريه النبغاء وسيوف الاقوياء وغنى الاغنياء وكثر في هذا العالم عباد مخلصون وعلماء ربانيون وحكام زاهدون وملوك عادلون وأبطال مجاهدون وصحابة مؤمنون •

أما الجاهلية الحديثة فلها مظهران رئيسيان :

الاول : مظهر المادية وطاعة غير الله والتحاكم الى دونه •

من الواضح أن هذا العالم مرتبط ارتباطاً وثيقاً وازلياً بالإنسان وأن هذا الإنسان هو الذي يسخر ما في الكون والحياة ولكن لمصلحته وما يعود له بالنفع في ظل عبادة الله تعالى ، وهذا هو المفروض . ولكن لو فرضنا أن الإنسان فقد شيئاً من أموره الدنيوية كالثروة مثلاً والجفال لم يكن ذلك رزاً كبيراً له لأنه بوجود الإنسان يمكن الاستعاضة عن كل ما فقده فيها بنشاطه وحيويته وإنتاجه وعزيمته . من هنا بدأ الإنسان المعاصر ينظر إلى الحياة نظرة مادية وينسب إليها الأهمية العملية والعلمية والتي تقع في نطاق استنتاجاته وعلومه التجريبية . « فالإنسان في هذه الحضارة ليس شيئاً وراء جسده ولا روح هنالك لأن هذه الأرواح لا يمكن اختيارها والتأكد من وجودها في أنبوبة اختبار فهي على هذا جملة من اعتقادات الكنيسة الخرافية » (٣) .

الثاني : مظهر الحيوانية في الأخلاق .

لقد جاء دارون بنظريته عن أصل الإنسان وفيها « أن الإنسان حيوان متطور لا أكثر وما عقله وإدراكه وإبداعه في كل مجال إلا نتيجة لهذا التطور وليس ناشئاً عن موهبة خاصة يتمتع بها في فطرته وأصل بركيه » (٤) .

وجاء فرويد بنظريته في الأخلاق وفحواها « أن كل الفضائل الإنسانية في شتى الميادين ما هي إلا نتاج للكبت الجنسي وأن جميع المصاعب التي يعاني منها الإنسان ما هي إلا نتيجة لهذا الكبت - ودعا إلى إطلاق الحرية الجنسية » (٥) .

(٣) محمد مهدي شمس الدين ، بين الجاهلية والإسلام ص ٩٤ .

(٤) و(٥) المصدر السابق نفسه ص ٩٥ .

• ونتيجة للنظرة المادية للحياة والحيوانية للإنسان. وتدهور القيم الأخلاقية شاعت في الحضارة الحديثة روح التعصب والعنوان ، (٦) •

وعليه فإن شقاء العالم اليوم ومشاكله ليس فقده لمقومات الحياة الناضجة الصالحة وإنما سبب شقائه في سوء اختياره وضلاله وانحرافه عن الجادة المستقيمة وعن فطرته السليمة أما الوسائل والآلات والقوى والطاقات فلم تكن لها جناية اللهم إلا أنها ضمت إلى هذه التكبئة سرعة في الفناء والانتشار وسعة في المساحة والامتداد • ولما أقول (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)



(٦) المصدر السابق ص ٩٨ •

الرق في الإسلام

والدُنْظَمَة الوضعية

جاسب فالح الربيعي
كلية أصول الدين
(المنة الثالثة)

الفصل الاول

الرق في العرف الروماني :

وبعد ان سلطنا الضوء على المعاملة اللا انسانية التي يعامل فيها الارقاء
في المجتمع اليوناني نكشف الستار عن مذابح جسيمة يمج بها المجتمع
الروماني ...

لقد اعتبر الرقيق في نظر الاعراف الرومانية شيئاً لأرواح فيه ،
وعملة رخيصة وسهلة التداول فيصل أحياناً ثمن العبد أقل من قيمة الروبة
كما حصل في عهد قيصر عندما اسر ما يقارب المليون شخص في بلاد
الغال (*) ...

تقام الحفلات الترفيية لالسياد على حساب الدماء المسفوحة على
أرضية الحلبات وتمكس لنا بعض الافلام جوائب هذه الصور البشعة التي
يفذهب ضحيتها العشرات بل المئات من الرقيق !! فعندما تدق الاجراس

(*) الاسلام روح المدنية الفلاني

معلنة بذلك اقامة حفلة ترفيهية في قصر أحد الامراء بمناسبة مقدم شريف روماني! يتدفق سيل الأحرار! نساء ورجالا وأطفالا ليكحلوا أعينهم المعصوبة عن الحق الانساني وليشموا رائحة الدماء الفائرة الحارة وهي تسيل على ساحة الملاعب والحلبات!! وتظهر الاجساد العارية السوداء وسط القاعة المدة للصراع ، شخصان او أربعة او ثمانية .. حسب ما قرره السيد!! وتشهر السكاكين وحيانا الرماح ويبدأ النزال بين ابناء الجنس الواحد ، ولربما جمع الاثنان قيد حز معصميهما!!.. ووسط هتافات وضحكات الاسياد تطاير الاصابع!! والآذان!! وتتجدع الانوف!! وتفقس الاعين!! مقدمة لبدأ المذبحة التي تنهي الحياة!! وتستمر المعركة دون انقطاع حتى يقع الواحد تلو الآخر يتخط بركة من دماء!! ويظل البطل لوحده معرورق الجبين والجسد ، والدماء تسيل من أثر طعنات مختلفة في جسده المرتجف .. ويصعد السيد وسط العاصفة ومن خلفه بعض عبيده قيومى الى الجثث الهامدة ان ترمى مع النفايات!! وينتهي الشوط ويستعد المنتصر لجولة اخرى في مناسبة اخرى!! ويهنيء الجمهور المسرور صاحب العبد المظفر!! وهكذا وبهذه الطريقة القاتلة للانفس البريئة يتم القضاء على العيد!

معاملة الارقاء الباقين الذين ينتظرون التصفية :

المئات من العيد يفرشون التراب ويلتحفون السماء باماكن مكشوفة لاتقي البرد ولا القيص تشببه زرائب الحيوانات... وهناك آخرون مكدسون في زراعات تحت الارض لا يشرب اليها النور ترشح بالماء والروائح الكريهة ، فيقضون الليل مصفدون بالسلاسل الثقيلة وينتظرون الصباح كي تخرج الاجساد المليئة والوجوه الصفرة من تلك الاجداث لتتهيء ليوم عمل مستمر في البيوت والمزارع والحقول...!

والموت لمن يتخلف عن العمل او يدعي المرض والعجز فيعلق من
يديه بعد ربط الانتقال في رجليه وتتصاعد الصياط لتتلوى على جسده ووجهه
المعروق ! او مقاتلته لبعض الحيوانات المتوحشة كالاسود والنمور
والذئاب !...

مصادر الرق عند الرومان :-

١ - الحرب والغزوات : لقد اشتهر الرومانيون بالقوة مما جعل هذه
الصفة ظاهرة في أكثر معاملاتهم وسلوكاتهم وكانوا يعتقدون من انهم
يجب ان يسودوا مما حدى بهم الى خوض المعارك والحروب والغزوات
لفرض تحقيق هذا الهدف فكانوا يؤسرون الآلاف ويسوقوهم كما تساق
البهائم الى اسواق النخاسة ومن ثم تبعتهم للامراء والاسياد ... في
القصور !

٢ - تبعية الطفل لأمه وليست لآبيه : فالطفل الذي يولد من ام رقيقة
يصبح عبداً ولو كان أبوه حراً !...

٣ - الهاربين من الجيش او الممتنعين من دفع الضرائب للدولة :
فيحكم القانون بجعلهم اسارى عقاباً لتهربهم من الخدمة او دفع الضرائب !

٤ - تسليم الشخص المتسبب في ضرر دولة اخرى : وفي حالة اللجوء
السياسي كما هو معروف اليوم لا يمنح الشخص الملجأ حق المواطنة في
الدولة التي هرب اليها بل يطارد من قبل هذه الدولة حتى اذا عثر عليه
يسلم الى دولته ليتنظر عقوبة الاسترقاق وان كان حراً قبل ذلك !...

٥ - الاسترقاق لمرتكبي جرائم القتل ...

٦ - الوراثة سبياً للاسترقاق ..

٧ - الغش في المعاملة ...

الرق في العرف اليهودي :

حينما نادى (تيودور هرتسل) في القرن التاسع عشر معلناً فكرة (الصهيونية) كحركة سياسية قومية عنصرية لم يكن ذلك اعتباطاً بل ان لهذه الحركة التعصية مدلولاتها وابعادها وجذورها القديمة في التاريخ الذي يكشف لنا من ان شعب الله المختار يجب ان يسود بناء على ما أكدت عليه الصحاحات اليهودية والتوراة الذي لعبت به التحريفية ... ! معاً شجع سياسة القرن التاسع عشر والعشرين ان يلبسوا تلك المفاهيم اليهودية نوباً يتناسب وتطورات القرنين لذا فان حروبهم وتطلعاتهم ذات طابع ديني لاقامة دولة اليهود من النيل الى الفرات ! ومن ثم استرقاق شعوب المنطقة ومعاملتهم معاملة العبيد وخاصة العرب منهم الذين يجيئون وفق السلم اليهودي بعد القروء !! ...

مصادر الرق عند اليهود :-

١ - حرب الفتح : وهذه الحرب قد تخاض بين الاسرائيليين انفسهم قديماً أو مع غيرهم حديثاً ولكل من اسرى الفريقين معاملة خاصة ... فيكون عندئذ استرقاق اليهودي لليهودى ست سنوات ! اما لغير اليهودى فيكون مدى الحياة ...

فحين يقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ! فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود بها يكون للتسخير !! وتستعبد لك ! وان لم تسالملك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف !! واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك ! وتأكل غنمة اعدائك التي اعطها الرب الهك الى يدك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك

جدا^(١) ...

٢ - حرب الدين :

فالعذاب الذي يقع على البلاد المفتوحة انكى واشد ...
فضرباً تضرب بحد السيف وتحرم بكل ما فيها من بهائم وتجمع
كل أمتعتها كاملة للرب الهك فتكون تالا الى الابد لا تبني بعده ...! بعد
ان تحرق بالنار في وسط ساحتها !

وهكذا يتضح لنا جلجا مخائل ومخابى النفس اليهودية المتعطشة الى
القتل واستعباد الناس ، ولقد لمسنا بأيدنا ما قام ويقوم به اليهود الصهاينة
في الارض المحتلة من بلادنا الحبية ران تغلفت عملية الاسترقاق التي آمن
بها اليهودى للشعوب المغلوبة تغلفت بلبوس جديدة هو ادهى وأمر بأن
رمى الآلاف في زنزاناتها ليتفكروا مصيرهم . واعمال القتل بالجملة
واتصفيات النفسية والجسدية باحدث الوسائل واخبها تجرى على قدم
وساق ... وما تعنت اليهود بالاراضي التي احتلوها ابان الحرب العربية -
اليهودية الا دليلا آخر يعمق لنا مدى تمسك اليهود بالارض المفتوحة
لتأسيس دولتهم التي وعدوا بها على حد زعمهم ...! وان الضياغ الذي
ساد شعب المنطقة العربية وذهاب أراضيهم وتبعية الملايين للحكم الصهيوني
مرده تفكك عرى الاخوة وعدم التمسك بتعاليم السماء التي وصفت هؤلاء
بالخبث والملا انسانية وتعندهم الى استعمال الحروب والفن قديما في زمن
الدولة الاسلامية الرائدة وحديثا ولكن الله غل ايديهم وسيأؤون بغضب
منه وان الله سبحانه ناصر المؤمنين ومطفى نار اليهود ولا يكون ذلك الا

(١) الاصحاح العشرين - كتاب التثنية .

(٢) الاصحاح الثالث عشر - كتاب التثنية .

بالعودة الى الاسلام حيث اُشموخ والعزة والكرامة والسيادة ديناً وأخرى .
الرق في العرف الفارسي :

كان المجتمع الفارسي يقسم الرقيق الى طبقتين :

- أ - ارقاء العمل .
- ب - ارقاء الزينة .

اما ارقاء العمل فيشمل : الرعاة والمزارعين ، واما ارقاء الزينة فيشمل
الذين تزين بهم قصور الامراء ودور سكناهم ... !

الرق في العرف الصيني :

ويكون مصدره : ١- الحروب ٢- استرقاق الصينيين لانفسهم بسبب
الفقر .

الرق في العرف الهندي :

يقسم العرف الهندي المجتمع الى طبقتين :

١ - الطبقة العليا (الدويداس) : وهي الطبقة الارستقراطية المستفزة
والمتحكمة في مصائر الافراد الذين هم دونها واشهرهم (البراهما) ...

٢ - الطبقة السفلى (السودرا) : وهؤلاء هم العبيد المخطون في
نظر الأحرار حيث سنت لهم قوانين احطت من قيمتهم ونفت عنهم صفة
البشرية ... !

معاملة (السودرا) :-

ان من حق افراد (الدويداس) وخاصة البرهمي منهم ان يسخر
(السودري) في أي عمل يطلبه منه سواء كان مسترقاً عنده أم عند غيره !

وعندما يعتق عبد من قبل سيده فإن هذا العتق لا يسري عليه بشكل
عملي بل يحق لأي من الطبقة العليا ان يستعمله متى شاء وبالاخص

(البرهمي) • وفي حالة تجرء السودرا على (البرهمي) فعقابه الموت !
اما في حالة سبه اياه فيقطع لسانه!

وفي حالة النظر الى (البرهمي) باذراء من قبل السودرا أو مسه
في طريقه فيكوى عندئذ بخنجر بعد احماؤه بالنار ! ...

واذا تصح السودرا البرهمي ، فيصحب الزيت الفائر في فمها واذنه !..
أما اذا سرق من (الدويداس) فجزاءه العرق !.. راذا تجاسر على أحد
القضاة فيعاقب بتعليقه بسفود ويشوى لحمه ! واذا ارتكب البرهمي هذا
العمل فجزاؤه الغرامة فقط ..!

أما الاعمال التي يوجهون اليها فهي الاشتغال في المزارع والبيوت
وازالة القاذورات والافساح!

وبعد هذا العرض السريع لحالة الآراء في تلك المجتمعات القديمة
والتي سبقت الاسلام قروناً تبدأ بنقله الى أواخر القرن السابع عشر ومن
ثم الثامن عشر الى القرن العشرين لنشاهد بأن أعيننا ماكان عليه العيد من
حالة مزرية واضعاً عناوين المواضيع من حيث تبويب البحث في الفصل
الثاني وبعد الفراغ منها تبدأ بعرض كاشف لموقف الاسلام ونظراته
الصائبة الى هذه المشكلة ... اما في هذا الفصل فاستبحث في الرق في
العرف الفرنسي ثم التميز العنصري في جنوب افريقيا وبعدها رق زعيمة
القرن العشرين أمريكا مثبته هذه المعلومات بأسانيد وسني موثوقة المصادر
ليطلع القارئ الكريم على مدى الاستهتار الذي وصل اليه دعاة الحضارة
والتمدين وجميعات الرفق بالحيوان !..

وبعد ان استعرض هذا وددت ان اثبت بعض أقوال المسيحية على
لسان دعايتها ونظرتهم الى الرقيق ... ان المسيحية على ما يبدو لم تلغ الرق

ولم تقضي عليه ولم تعمل حتى الى تخفيف متابعه - كما عمل الاسلام
وسياتي البحث في هذا - بل ان كثيراً من النصوص الدينية نصحت الارقاء
ان يظلوا ارقاء لخدمة اسيادهم كما انها اسدت النصح الى السيد ان لا يعتق
عبده بل يحسن معاملته ...

قال بولص الرسول : « ايها العبيد اطيعوا ساداتكم حب الجسد
بخوف ورعده في بساطة قلوبكم كما للمسيح ... لا بخدمة العين كما
يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية
صالحة كما للرب .. ليس للناس عاملين ، ان لهما عمل كل واحد من
الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان ام حراً ...

وقال الاب توماس : ان الطبيعة خصصت بعض الناس ليكونوا ارقاء !

الفصل الثاني

الرق في العرف الفرنسي :

اشتهرت فرنسا قديماً بالمتاجرة بالرق ، ففي زمن العباسيين كان
يؤتى بالرق من بزنطية وارمينية ومن أوروبا عن طريق الاندلس وهم من
الترك والصقالية وكان هؤلاء يجلبون من أطراف نهر الفولكا بروسيا ،
وكان أغلب تجار الرقيق في أوروبا من اليهود ... فيقول اسقف مدينة
« ليون » : ان بعض اليهود كانوا يسرقون ابناء النصارى الفرنسيين أو
يشترونهم من النصارى ويبيعونهم للمسلمين في الاندلس وكانت طائفة
الخدم المستخدمة في الحريم ذات تجارة مربحة في مقاطعة « اللورين »
يقوم بها أيضاً التجار اليهود الذين كانت لهم محلات ومعامل خاصة
لأخصائهم في فرنسا وفي مدينة « فيردون » (٣) .

(٣) المدخل في تاريخ الحضارة العربية - ناجي معروف -

معاملة الرقيق في العرف الفرنسي. كما جاء في لائحة (القانون الاسود)
عام ١٦٨٥ م :

١ - اذا اعتدى الزنوج بأقل اكراه على ساداتهم او على الامراء او ارتكبوا
أخف السرقات فالجزاء هو القتل !

٢ - عقاب العبد الآبق في المرتين الاولى والثانية صم الآذان ، والكي
بالحديد المحمي وفي الثالثة القتل !...

٣ - اذا ارتكب المالك او الرئيس اية جناية على الرقيق ولو كان ذلك
القتل يحق للقاضي ان يبرأ ساحة المالك !...

٤ - حرمان العبد من التغذي بلبان العلوم والمعرفة !...

التمييز العنصري في جنوب افريقيا :

لقد نقل الرجل الابيض (البريطاني) خلال القرن الثامن عشر الى
أمريكا (٣٨٠٠٠) أفريقي ، ويصف لنا (كانال) عمليات التهجير
هذه فيقول دخل الى جزيرة « هايتي » وهي من اهم الجزر مركزا للعبيد
عام ١٦٨٠م أكثر من (٨٠٠٠٠٠) زنجي وكان أغلبهم يموت خلال
السنين الاولى من شدة ارهاق العمل ... وبذلك يصبح عدد المنقولين من
العبيد خلال القرون الاربعة الماضية من (٢٠) مليون الى (١٥٠) مليون من
الرقيق !... وان الذين يموتون في هذه الجزيرة سنويا أكثر من
« ٣٠٠٠٠٠ » زنجياً ...

وذكر أحد التجار للعبيد : اننا نزهق العبيد بالعمل القلبي ولا نأبي
بهلاكهم تبعاً اذا كنا نحصل من وراء ذلك على ربح يعادل اثمانهم !...

طريقة المعاملة في البيع :

يصل الزنوج الى الساحل ويفحص التاجر الشحنة فيهمل العناصر

الضعيفة المستهلكة من (مرضى ، شيوخ ، عجائز ، اطفال) ، واذا أصر الاب والام على اصطحاب طفلهما يقتله التاجر الاوربي اذا كان عمره دون (٣) سنوات حتى لا يكون حجر عثرة في طريقه !! وفي حالة صعودهم على ظهر المركب يقيدون بالسلاسل لثلا يقذفوا بأنفسهم الى البحر وتبقى النساء مكدسات في أماكن ضيقة^(٤) .

لقد عمد الاستعمار البريطاني الى احتلال هذا الجزء الغني من العالم واصبحت هذه القارة السوداء ملكا للرجل الابيض المستقل رغم قلة عددهم حيث لا يتجاوز مليونين من البيض واحد عشر مليوناً من اسود في احصائية قديمة ... ولقد استعمل اسلوباً خبيثاً تمزيق اوحدة الافريقية القائمة على أساس القبيلة آنذاك وحشر الآلاف منهم في باطن الارض ليروا بريق انذهب الذي صيرهم بالتالي الى آلات منفذة لهؤلاء الاسياد فترك الزنجي عاداته القبلية القديمة وتبنى عادات تركز الى الحاجات الاقتصادية بفعل المعاملة اللا انسانية ، كما ان الدخيل الابيض عمد ايضا الى تحويل تلك الطاقة البشرية الهائلة طوع ارادته فافنى الكحول ونشر الكتب الاخلاقية بين شبيبة الزنج ٠٠!

ولقد حطم الرجل الابيض القبيلة ، وانني مقتنع كل الاقتناع من ان ليست النساء في ان تحطم الاشياء ولكنها في استحالة الشام الاشياء المحطمة فطراب السيوت وانجراف الرجل مع التيار بعد خرابها من الامور الفاجعة^(٥) .

ويسترسل الكاتب في وصف مستشفى للبيض وأخسر المزوج في مدينة « جوهانبرغ » فيقول : كل شيء هنا في « جوهانبرغ » يصدر عن

(٤) تاريخ كانال .

(٥) احبك يا بلدي الحبيب - الآن باتون -

المناجم هذه الابنية العظيمة ، ودار البلدية هذه المدهشة ، وحي باركون
الجميل بمنازله الرائعة ٠٠٠! كل ذلك قد شيد بذهب المناجم ، وهذا
المستشفى البديع الخاص بالأوربيين أعظم مستشفى في جنوبي الخط
الاستوائي قد شيد بذهب المناجم ، ولكن القيا نظرة على مستشفانا نحن ،
اذهب لترى مرضانا مضطجعين على الارض ، انهم مزدحمون لدرجة
يعتذر معها تخطيهم ! رغم انهم هم الذين يستخرجون الذهب من جوف
الارض بأجر يومي لا يتجاوز الثلاثة شلنات ، واذا ما وجد الذهب فلن
تزداد أجورنا بسبب اتعابنا بل ترتفع اسهم البيض ! انهم يصبحون كالمجانين
فرحاً عندما يتم اكتشاف منجم جديد للمذهب فيذهبون بنا في اعداد كبيرة
لنعيش في مخيمات ، ونحفر الارض لقاء شلنات ثلاثة في اليوم ، انهم
لا يقولون في انفسهم « ها هو ذا امكان دفع اجور افضل لعمالنا بل يقولون
ها هو ذا امكان بناء بيت أكبر وشراء سيارة اضخم الأهم العثور على
الذهب لان افريقيا بأسرها قائمة على الذهب (٦) »

ومن خلال المناساء التي يعرض لنا - الآن باتون - فصلها على ايدي
البيض المرتزقة ينقلنا معه ليعرض لنا في سطورهِ التي تحكي بجلاء جريمة
الاندلاء البريطانيين فيقول : « ليس لدينا سوى غرفتين وعددنا ستة ، البنات
والصبيان قد كبروا والكتب المدرسية الخاصة بنا لتكلف غالبا ٠٠! وزوجي
مريض ، حتى لو انه تمتع بصحة جيدة لا يكسب أكثر من خمسة وثلاثين
شلنا في الاسبوع ، تدفع منها ست شلنات للايجار ، وثلاثة لشقق النقل ،
وواحداً لنؤمن دفنا على وجه لائق ، وواحداً للكتب ، وثلاثة للثياب ،
وذلك لعمري مبلغ جد زهيد ! وشلنا واحداً لجمعة زوجي ، وآخر لدخانه

(٦) نفس المصدر .

الذي لن أقدر به عليه ، لانه رجل مستقيم لا يقامر ، ولا ينفق ماله على عيري من النساء ، وشلنا للكنيسة ، وواحداً للمرض ... فيبقى لدينا سبعة عشر شلناً لتأمين الطعام لستة أشخاص لذا لا يغادر الجوع بيتنا البتة .^(٧)

وقبل ان انهي واسدل الستار لهذه المسرحية اللا انسانية والتي تمثل على مسرح الارض السوداء استعرض بعض أقوال سكرتير المناهضة للرق في لندن الكولونيل باتريك مونتغمري ان هذا الرجل البالغ من العمر ستاً وخمسون سنة لاحظ بأن عينيه ما يجري في افريقيا وغيرها لهذه التجارة البشعة فكرس حياته منذ عشر سنوات للكفاح ضد الرق ، ولكن رغم تأسيس هذه المنظمة في العقد الثاني من اقرن التاسع عشر على يد « وليم ويلفوردس » الا انها ظلت تعتبر في سيرها ولم تحظ بالمساعدات الفعلية الا من بعض المتبرعين ... ! وان مهمة هؤلاء المنطوين تحت هذا الاسم يعانون هذه القضية كما يبدو لي علاجاً اصلاًحياً لا جذرياً فانها تحاول ان تقدم المساعدات والاعانات لطواير العبيد والذي يمارس الاتجار بهم في اربعين بلداً آسواً وافريقياً واوروباً ولا يزال هناك في عام ١٩٧١ عشرة ملايين من العبيد في أماكن معروفة ينتظرون التحرير^(٨) . وعلى سبيل الاحتمال ان كانت نية مثل هذه الجمعيات تحرير العبيد والقضاء على هذا النظام فان هناك ممن يقف في هذه الطريق ، خاصة وان الاتفاقية التي أقرتها الامم المتحدة والتي تعتبر أكبر منظمة دولية سنة ١٩٥٦ حول الرق قولها ، (هو حالة أوضع فرد تطبق عليه حقوق الملكية او بعض هذه الحقوق) وبهذه

(٧) نفس المصدر - الآن باتون -

(٨) ماري جوزي فلوربرغ مجلة الجمهور .

الكلمات المعروفة لحالة ذات جذور تاريخية ولا زالت قائمة في كثير من الدول وعلى رأسها دول الاستعمار ورائدة المدنية في القرن العشرين (امريكا) ...
ان مثل هذا التعريف في الحقيقة لا يتطرق الى الوضع الحقيقي لما عليه الارقاء ولا الى ما يكفل تحريرهم وسد حاجاتهم في هذا الظرف العصيب !!
فكيف اذن لهذه الجمعية ذات الامكانية المحدودة ان تخلص هذه الملايين بلمسات فوقية لا تمت الى القضية وتجتذ جذورها كما فعل الاسلام ابان قيام دولته ولازال ينظر الى القضية بنفس الطريقة التي عالجها سابقاً وسيأتي البحث في هذا في فصل كامل حول موقف الاسلام من الرق ومدى التباين واليون بينه وبين ما جاء في التحديدات القانونية ونظم بعض الجمعيات !!
يقول الكونويل مونتغمري « ان الغاء الرق هو مهمة دقيقة تتطلب الحذر والوقت والامكانيات ، فلا يجب بحجة تحرير العبيد تدمير مدينتا قديمة جداً تحتفظ الى اليوم بتوازنها الخاص ، ذلك انه لا يجوز الغاء تقاليد وعادات عميقة الجذور ما لم نستبدلها بشيء آخر ... »

لنا نتفق ومونتغمري بهذا القول حيث ان مثل هذه المهمة تتطلب الحذر والوقت والامكانيات لذا جاء الاسلام فنظر الى قضية الغاء الرق من انھما كانت قضية معاشه وضاربة اطنابها في أكثر المجتمعات ومعنى الغاء الفوري تدمير اعراف ومدينتا قديمة مما يسبب له المتاعب والعراقل الذي هو في غنى عنها سيما وانه في بداية طريقه .. هذا ما لمسه (مونتغمري) لعملية الالغاء رغم تقلص المشكلة وذهب الى الثاني في عملية الغاء ...

ويقول سكرتير الجمعية المناهضة للرق « ان العبد يقبل مصيره بقناعة لانه يعلم انه بدون سيده سيموت جوعاً .. انه يخشى الانعاق الذي معناه البطالة والجوع ... وكذلك في هذا القول ما يتفق وما نذهب اليه فن الاسلام حينما احتضن العبيد الذين كانوا يعانون الامرين في بلادهم

واندفعوا طواير عسكرية وانخرطوا كجنود ، وكان النصر للاسلام
احتضن هؤلاء وعاملهم معاملة انسانية مما حدى بأكثرهم ان لا يرجع من
حيث أتى فلقد كفل له الاسلام حريته ومسكنه وملبسه بالوقت الذى كان
يتلوى جوعا في بلاده الذى افقده المقيمة والكرامة وهذه خصيصة ستعرض
ايها انشاء الله في موقف الاسلام من الرق ...

رق القرن العشرين ...

في الحقيقة ان الرق يبقى رقاً وان اختلفت اشكاله ، ولقد اتخذ
الاستعمار في القرون التي ظهر فيها دور السيد واصبحت الشعوب المستضعفة
والمغلوبة على أمرها تمثل دور العبد ، وان كانت العملية تأخذ شكلاً فردياً
في القديم الا انها اصبحت الان تمثل عبودية شعوب بأسرها وسنلقي الضوء
على ما يجري تحت ستار المدنية الزائفة ودعائها المتمشدين بالانسانية
وتحرير الانسان لنرى مدى الزيف والخداع والمتاجرة في الالفاظ الرنانة
والخادعة للذين أبهرتهم التكنولوجيا بتقدمها والجواب العلمية الاخرى
على حساب الاخلاق والفضيلة فراحوا دعاءاً لدعاة سحق الانسان
وامتصاص كدحه وتصدير حريته !! ان رق القرن العشرين لهو أمضى
وأشد من رق القدامى رغم مأساوته واليوم نجد ما يزيد على اربعين بلداً
تتمتد من الفلبين مروراً بآسيا وبعض البلدان الافريقية والأمريكيتين وحتى
غابات الامزون ...

ان استثمار هؤلاء يصبح (سلعة) في ايدي اسياهم ، فيذهب العبد
أو العبد الافارقة مثلاً من قبل سيدهم الفرنسي يذهبون للعمل في احدى
المراكز النووية الفرنسية وكان يطلب منهم ان يحتفظوا بثلاث راتبهم
لأسيادهم^(٩) . وهناك عامل افريقي كان يعمل في " يولوني بانكور " .

(٩) مجلة الجمهور العدد ٩٢٤ السنة ٣٦ .

ويرسل قسم من راتبه الى سيده والذي بقي في وطنه .

وفي قرن النور وعلى أيدي دعائه يمارس نوع بشع من أنواع الرق
الا وهو « القنانة » ومعناه عبودية تملك العبد وابواه وأولاده الى السيد^(١٠) .
وفعلا فان نظام القنانة لازال معمولاً به في ثلاثين بلد او مايزيد والذي
يشغل به العبد ولا يتلقى راتباً أو اجراً حتى مماته وان اولاده هم ملك
لسيده ويصبحون عبيداً صغاراً . . كما كانت الحال في القرون
الوسطى ! . . .

يقول المبشر الترويجي الاب « هاندان اندرسن » : ان احد الرجال
البيض من الكامرون كان قبل سنوات . . معدودة يشغل عدة مئات من العبيد
طوال النهار تحت اشمس المحرقة وكان هؤلاء يتلقون غذاء قليلًا وكانوا
عراة وقد انهكهم التعب . وكان الاولاد يبعدون عن أمهاتهم كما كانت
النساء « تنقل » من زوج الى آخر اذا بقي الزواج بلا ثمرة والادهي
من ذلك كما يقول « موتغمري » :

ان مصير النساء والاطفال هو ولاشك الجانب الاكثر تعاسة في الرق
فغالباً ما يذهب هؤلاء ضحية الخطف . . . ! ولا تستخدم المرأة عاملة فحسب
بل يتوجب عليها ان تقوم بدور الخليفة والمنتجة للعبيد الصغار . . . !

ويستطرد في أقواله الى انه يصل الى حقيقة لا يمكن ان يخفيها خاف
فيقول منصفاً : « ان العبدة تتحرر من هذا المصير ان هي تزوجت حسب
الطقوس الاسلامية وعندئذ تصبح ملكاً لزوجها ، وأما السيد فيرت
أولادها الذين يصبحون ملكاً له »

(١٠) المنجد

وهذا مما أكد عليه الاسلام وطبقه أبان وجوده كحاكم ودولة ففسن
بذلك كرامة وسعادة الامة وبذلك حفظها من الانزلاف في مهاوي الرذيلة
فانسج غريزتها والزم سيدها بالانفاق والمعاملة كما يعامل وينفق على زوجته
من غير ملك اليمين ... وبهذه العملية وبهذا الرباط المقدس تعاد كرامة
الامة وتشعر من انها مصانة ومحافظ عليها من قبل السيد المحاسب أمام الله
والمجتمع ان اخل بشروط هذا الرباط ... وهذا فارق واضح بين ما اباحه
القرن العشرين واهدره وبين ما حافظ وتمسك به نظام السماء ...!

وكذلك اختلف الامر في نظام « الحرير » بالنسبة لهذا القرن
والقرون الماضية ففي الماضي مثلا حينما تهاجم قبيلة قبيلة اخرى وتنصر
عليها كان يتم سحق الرجل دون النساء ، كانت النساء تضم الى الحرير بعد
ان تسبى وتجد المرأة عندئذ في ظل المتنصر حامياً لها وكانت تجد أيضاً
الراحة والامن ... وان اختلفت الحالات باختلاف الاساد ...! الا انه
في هذا القرن الزاهر ...!

فان النساء من العبيد يقدمن هدايا او يجبرن على الزواج ممن
يكبروهن سناً بكثير كما حصل للفتاة « الغابونية » - كوليث ميكوي -
والتي تربت في احدى الاديرة اجبرت من قبل سيدها وهي طفلة ان تزوج
من رجل في الخامسة والستين ...! وغالباً ما يصبحن اللواتي تزوجن
هذهات للازواج الذي يسمح لهم بالضرب والتعذيب والتشغيل وحتى
القتل ...! اضافة الى ان البغاء الاجاري هو شكل آخر من أشكال الرق
بات يشكل في بعض بلدان القرن العشرين تجارة مزدهرة فمعظم النساء
اسيرات لبيوت الدعارة والمشرفين عليها للحصول على المال وتقديمه الى
اسيادهن ...

هذا مع العلم انه توجد اتفاقية خاصة للامم المتحدة عام ١٩٤٩ نالت موافقة ٣٦ بلداً تعهدت - حبراً على ورق طبعا - بمعاينة الذين يسلمون النساء اللاتي بحوزتهم الى بيوت الدعارة ، ولكن العديد من البلدان ومن بينها فرنسا ، لم توقع على هذه الاتفاقية ... التي تمس بمصلحتها وتؤثر على ميزانيتها !!

واسرد هنا قصة وقعت على أرض الجزائر قبل استقلالها على لسان « اندريه شالار » الذي عمل مدرسا هناك ، يقول شالار في اطفال العيىد : [كنت عام ١٩٦٢ مدرسا في الجزائر في مدينة « تندوف » وفي احد الايام جاء من يطلب احدى تلميذاتي « عائشة » الصغيرة وعمرها سبع سنوات ! واصطحبها الرجل معه وكان سيدها الجديد ! . كان والد الفتاة عبداً اعتقه سيده وهو على فراش الموت « ارضاء لربه ... !! » . لكن ابن السيد عارض هذا القرار وقرر استرداد « عائشة » .. وعلمنا فيما بعد انه كان ينوي بيعها ... !!

ويسترسل في قصته ... وبحث ابحت عن الطفلة وبعد عدة محاولات تم تحرير « عائشة » لكن سيدها عاد فاستردها ! وترك القضية أثراً سيئاً هناك !!

وماذا كان من محافظ « كولومب بيشار » ان طلب من صاحبنا « اندريه » ان يقدم استقالته لتدخله في قضية لانه ... ! هذا هو منطق دعاة قرن العشرين كما جاءت في سرد اندريه لقصته ... ! فأي خير نرجوه من ضماير خلت من أبسط حقوق الانسانية ، انها واحدة تعيش بذهنية ونفسية واحدة قامت اسسها على استغلال الانسان لاجه الانسان فلا عجب من ذلك اذن ... !!

واخيراً نختم هذا الفصل الدامي لمعاملة العميد في ظل المدينة وروادها
بتناول سكرتير لجنة مناهضة الرق : انني اؤمن كثيراً بهذه التجربة وآمل
ان لا تتوقف عند هذه النقطة فقط وسوف نواصل الكفاح وآمل ان يأتي
يوم يزول الرق تماماً من على سطح الارض ... (١١) .

واعلق على هذا التناول مذكراً سكرتير اللجنة الكولونيل موتغمري:
كيف يقضي على الرق مادامت سلاسل التكيل قائمة على قدم وساق
يصنعها الاستعمار مهما حاز من تقدم في المجالات العلمية فانه سيقى عاملاً
على تكثير هذه الملايين مادام بحاجة الى ايد رخيصة وعاملة لتطوير سلاحه
وامكانياته المدمرة ... وان مشكلة الرق في هذا القرن والذي يليه وغيره
لا تحل بتسطير الكلمات او الندوات او الاعانات بل يتطلب اولاً وقبل كل
شيء رفع معنوياتهم واعادة الكرامة والشعور الواحد بانسانية الانسان اينما
كان ومهما اختلف لونه وجنسه والنظر الى الجميع كأشخاص المشط فلا سيد
ولا مسود بل الكل راع والكل مسؤول عن رعيته وبهذا المفهوم الذي جاءت
به رسالة الاسلام يقضي على المشكلة التي عمد الاستعمار الى تدويلها
ونشرها وتوسيع ابعادها فكيف اذن يقضى عليها ؟ وان القضاء عليها والحل
هذه مرهون بالقضاء على الاستعمار واكتساح نظمته من على وجه الارض !

امريكا « رائدة في القرن العشرين » ...

لا عجب ان تنسم « امريكا » قيادة الرق والاتجار به ما دامت
الديمقراطية الرأسمالية تجد ديمومتها وسر بقائه في استخدام الملايين
الصانعين لها مدنياتها وتقدمها وتطورها من ذوي الابدني العاملة الرخيصة ،
ومادام المبكر الرأسمالي يؤمن باستغلال كل قوى الافراد وتسخيرها

لقلعة من الرأسماليين ذوي الدخول الكبيرة ولقد وجد الاستعمار العالمي وعلى رأسه « أمريكا » بعد انحسار « المملكة المتحدة بريطانيا » وجد في هذا الغروب للاستعمار البريطاني وان ظل هذا منحصراً في بعض بقاع العالم الا انه لازال وسيبقى يعيش بذهنيته القديمة ويحلم باستعادة واسترجاع مجده القديم الذي بناه على اشلاء الشعوب المستضعفة . . . أقول انه الاستعمار الأمريكي ملأ معظم الفراغات في المعمورة والتي تعلق عنها الانكليز طوعاً او كرهاً وعمد هذا الاستعمار البشع الى اتباع سياسة استعمارية حديثة تقوم على أساس تجويع الشعوب ومن ثم التلويح لها ببريق الذهب والدولار ونظراً للامكانيات التي في حوزته فقد استطاع بهذه العملية الى كسب الكثير من دول الارض وتوقيع المعاهدات والاتفاقات المبرمة من قبل حكام تلكم الدول السائرين في ركابه . . . ! أما ما يحصل في داخل المجتمع الأمريكي فحدث ولا حرج فالتطرف الحاصل ملاحظ في طبقتين لا ثالث لهما الاولى محتكرة وهي سيدة الموقف وصاحبة الملايين والاخرى مسحوقة مستضعفة ورغم انها صاحبة الارض ومستخرجة كنوزها فقد عمل الرأسماليون الاميركان على اتباع سياسة التمييز العنصري السيء نصبت هناك بين الابيض الدخيل والزنجي صاحب الشرعي للبلاد الامريكية ، مما حدى بأحد رؤسائها المدعو (ابراهام لنكولن - ١٨٠٩ - ١٨٦٥) ان يضع حداً لهذه المعاملة اللا انسانية فوضع تشريعاً عام ١٨٦٣ يحرم فيه سياسة الاسترقاق والتمييز بين ابناء الوطن الأمريكي الا ان هذا الشخص قدم « حياته ثمناً من قبل أحد الافراد المتعصبين للنخاسة . . . » وتشريع (لنكولن) جواب ايجابية واخرى سلبية أكثر حيث انه أراد بين عشية وضحاها ان يقضي على هذا اللون من التعامل

بالوقت الذي كانت فيه معظم موارد الرجل الابيض ناتجة عن تلك الايدي
المغبيرة والتي أدت بالتالي الى مقتله من قبل مستغليهم! اضافة الى ان هذا
اتشريع لم يمس المشكلة من أساسها فنرى بعد فترة ان الآلاف من اعبيد
يرجعون اسيادهم الى العودة الى حضيرتهم ! لانهم اصبحوا بلا مأوى ولا
غذاء ! ففضلوا تلك المعاملة السيئة تحت ظل اسيادهم على الحرية المرتجلة
التي منحها لهم (لنكون) قبل ان يغير محتوهم النفسي وقبل ان يهيء لهم
فرص العمل ...

هذا وقبل ان ادخل في تفاصيل الموضوع والمعاملة البشعة التي يعامل
فيها رقيق أمريكا اورد بعض ماجاء في مواد القانون الاسود في أمريكا ،
وبعض فقرات الدستور المحلي لولاية المسيسيبي .

القانون الاسود الامريكي :

- ١ - للمولى حق مطلق في بيع العبد وكرائه ورهنه والمقامرة عليه وعلى
العبد الطاعة .
- ٢ - اذا اجتمع في الطريق أكثر من سبعة عبيد يعدون مخالفين .
- ٤ - لا يجوز للارقاء ان يشهدوا في قضية الا على الارقسام ، أمنائهم ، ولا
ينبغي تحليفهم اليمين صوتاً نلهم !
- ٥ - ما يتعلق بالواجبات المفروضة عليهم فيعاقبون على انتهاكها بعقوبات
تدرج من الجلد الى الاعدام .
- ٦ - اذا اجترأ الرقيق على دفع الابيض اتقاء شره وسبب له القتل يعتبر
مرتكباً لجريمة القتل .
- ٧ - تحريم السفر عليه وحظر اعطائه الجواز .

٨ - كل من اشار على أحد الارقاء او على جماعة منهم بخلع الطاعة او نشر كتاباً في تحريض الارقاء على عدم الاشتغال ، أو دخل بعلمه في أرض الحكومة صحفاً او كتباً مؤلفه في الطعن على الاسترقاق يجازى أشد الجزاء

فقرات من الدستور المحلي لولاية المسيسيبي : « الفصل الثامن فقرة ٢٢٧ ، في التربية والتعليم (يراعى في هذا الحقل ان يفصل اطفال الزنوج ! وتكون لكل فريق مدارس الخاصة) » الفصل العاشر « فقرة ٢٢٥ بخصوص السجون :

(للمجلس التشريعي ان يهيىء الاسباب الآيلة الى فصل المساجين البيض عن المساجين السود جهد الامكان » .

« الفصل الرابع عشر ، ٢٦٣ احكام عامة (ان زواج شخص ابيض من زنجية ثمن الدم الذى في عروقه دم زنجي يعتبر غير شرعي وباطل) .

ان الفقرات التي اوردناها من بعض مواد القانون الاسود الامريكي تدل دلالة قاطعة على طبيعة الايدولوجية الاستعمارية والتي من شأنها ان تجعل السود والفقراء بالاخص منهم يعيشون عيشة الكلاب بل اخس من ذلك حيث انهم لا يحصلون الا على قدر يسير من التعليم وهذا بدوره لا يمكنهم من الحصول الا على مدخولات سيئة واطفالهم الذين حرموا المواصلات في هذا السلك ، لهذا فهم يتزعزعون في جو من الفقر المدقع

والمآسي والمرض ، وان السبب كما قلنا يعود الى النظام الرأسمالي المستغل والذي يعكس بدوره التناقضات التي يعيشها الشعب الامريكي وملاينه المسحوقة من البيض والسود ولعل خير ما يصف لنا هذه الذهنية الامبريالية ومدى انعكاسها نائب الكونكرس السابق « هيوبرت همفري » بعد زيارته لاحد احياء السود : « الناس هنا يعيشون مثل الحيوانات ، عشرة اشخاص

في غرفة واحدة مملوءة بالجردان والاوزاخ !! انها احياء الجهل والفقر
والمرض وفيها ترى سقوط الكرامة الانسانية .

وفي الحقيقة كما ذكرنا اولا ان الطريق المأساوي للانسان الامريكي
الاسود المغلوب على أمره يبدأ منذ ١٦١٩ عندما جلبت طواير السود !
وحتى وقتنا الحاضر حيث تمارس سلطة البنتاغون سياسة البطش والتمييز
العنصري تجاه هذه الملايين المعذبة وذلك لكي تحقق مزيداً من الارباح
وامتصاص الاكداخ لاحتكاراتها العملاقة وعمدت اعمدة الاستعمار
الامريكي الى بذر روح الحقد والكراهية بين العمال البيض والسود كي
تمنعهم من خوض النضال المشترك ضد عدوهم المشترك الحقيقي . ففي
احياء السود الجنوبية والشمالية يعيش القسم الأكبر من الشغيلة السوداء
تبرز هنا الاحوال الاجتماعية السيئة على حقيقتها وبشكل مروع . ففي احياء
« ديترويت » تبلغ البطالة نسبة ٤٠٪ بين الرجال السود وفي مدينة
« شيكاغو » ترتفع النسبة الى ٤٥٪^(١٢) . وفي الفترة الاخيرة لجأت
سلطات الرأسمالية الاميركية الى استعمال سياسة « العصي الغليظة » وهي
من وسائل الارهاب البوليسية بحق السود الذين يحتجون على اوضاعهم
السيئة وتلعب قوات الحرس الوطني أكبر دور فاشي قذر في فرض
الارهاب على احياء الفقراء السود^(١٣)

وكذلك الحال في مدينة « برمنكهام » بولاية الباما تمارس السلطات
ابشع الوسائل الارهابية وتفرض على العمال السود أوطاً الاجور وذلك
بعلم من رجال البوليس الذين يعتقلون كل مواطن أسود يرفض العمل بهذه

(١٢ و ١٣) « سياسة انعصا الغليظة » في احياء الفقراء والسود
الامريكان (جريدة الجمهورية) ٧١/١٢/٢٤ .

الاجور المردية (١٤) ...

ان سياسة « المصى الفليضة » التي تتبعها سلطات أمريكا هو في الحقيقة تعبير جيد وواضح لطبيعة الديمقراطية والحرية المزيفة التي يقودها الاستعمار الأمريكي وعالمه الحر !!!

وانتقل مع صحيفة « واشنطن بوست » وعلى لسان المحرر - آجنس ماير - يقول في وصفه لاحوال الزوج في « واشنطن » وغيرها مايلي :- لقد طرقت اثناء الحرب في مناطق تعتبر مثلاً يضرب به في سوء

الاحوال المعيشية العامة ، ولكني لم اشاهد لا في الحي الزنجي القذر في « ديترويت » ولا في الاحياء الزنجية التتة في المسدن الجنوبية مخلوقات بشرية تعيش في مثل هذا البؤس الذي يتردى في ظمائه زنوج العاصمة

« واشنطن » ... ان هذه الصورة الحية التي ينقلها (ماير) لعبر في الحقيقة عن الوجه الحقيقي لعاصمة النور والتقدم العلمي وما تخفيه من تناقضات حادة بين المجتمع الأمريكي المتكون من طبقتين لا ثالث لهما

الطبقة الحاكمة الرأسمالية وطبقة الفقراء من البيض والسود والتي تبرز بشكل جلي بالقرب من اسماع واعين دهاقين العالم الحر !! ودعاة تشكيل كتاب السلام الغازية !!!

وليس الحال مقتصرًا على الطبقة العاملة السوداء بل يتعداه في الحقل الزراعي حيث ان اية محاولة احصائية لا تستطيع ان تتسع لآلام البيض نصف العبودي الذي يجبا في ظله ملايين الزوج الاميركيين ، فأسر المصادين والتي تتعاقدها على العمل كأسر يكره افرادها جميعا - الشيوخ والنساء والاطفال الصغار - ابتداء من سن الخامسة على ان يعملوا في

(١٤) « نويه شاييت » ترجمة الجمهورية البغدادية .

الحقول من مطلع الفجر حتى الغروب ، ومن طريق الديون العجيبة وسنن
العبودية المنقعة باقعة رفاق يحيا هؤلاء الزوج شبه سجناء! .. او أسرى
يحقق لملك المزرعة القاء القبض عليهم اذا ما حاولوا مغادرتها^(١٥) ...

احداث بالسنوات :

ولاجل تسليط الضوء على طبيعة العقلية الرأسمالية الاستعمارية نورد
تحت هذا العنوان بعض الاحداث التي وقعت للسود والتي تدين ساسة
أمريكا وكل الضالعين في ركابها وتلفت نظر الامم المتحدة معلنة ان المسألة
هذه هي ضميرية بحته لا تتعلق بمستقبل الامة الامريكية فحسب بل
بمستقبل دول العالم ككل ...

عام ١٩٤٧ :

أعلن صاحب مقبرة للكلاب في واشنطن انه لن يقبل بعد الآن الكلاب
التي يمتلكها الزوج ! وبرر هذا القول من ان زبائنه البيض ساءهم ان
تعامل كلابهم وتدفن بالقرب من كلاب السود ...!

عام ١٩٤٨ :

اوسع رجلان من رجال البوليس (ليون موزلي) وهو زنجي عمره
خمس عشرة سنة ضربا وركلا ثم اطلقا عليه النار فقتلاه ..! وقد نص
تقرير الشرطة عن الحادث من ان سيارة « موزلي » لسم تكن مزدوة
بالمصابيح ...!

عام ١٩٤٨ :

اغتيال جماعة من البيض « روبرت مالارد » عندما كان عائدا وزوجته

(١٥) « اعمدة الاستعمار الامريكي » فيكتور بيرلو .

وطفله وزنجيين آخرين من اداء الصلاة ...! وقد أهملت الكنيسة الحادث باعتبار الشهود من الزنوج ...! ولم يكن افعال الكنيسة بالمستغرب وذلك فقد تسرب داء التمييز حتى الى اذهان بعض رجال الكنيسة المتلبسين مسوح الدين ...! فقد دخل احد الزنوج من (بناما) الى كنيسة كاثوليكية في (واشنطن) لاداء الصلاة وبينما هو مستغرق في تراتيله جلباء اليه أحد القسوس وقدم له قصاصة من ورق مكتوب عليها - عنوان كنيسة كاثوليكية زنجية - ! وحينما استفسر الزنجي عن السبب اجاب القس : * ان فسي المدينة كنائس خاصة بالكاثوليك الزنوج يستطيع الاسود ان يقف فيها بين يدي ربه ...!) ...

وذهب بأحد القسوس وهو (جون كاسبر) ان حرم الديانة المسيحية على الزنوج !! وكان الديانة المسيحية هي حكراً لديه ...

ونتيجة لهذه المعاملة اللا اخلاقية فقد تراكم الاحساس وانفجر في نهاية الخمسينات وبلغ اوجه في أواسط الستينات وبرز على مسرح قيادة ضال السود زعماء العنف امثال (ستوكلي ، كارمايكل ، راب برادن) وكذلك من المسلمين السود امثال (اليجا محمد ، مالكوم اكس) وغيرهم أما سياسة اللا عنف فقد تجسدت في الزعيم الزنجي (مارتن لوثر كينغ) وتعود الى السنوات التي شهدت كفاح السود من أجل العيش والكرامة ... ففي عام ١٩٥٩ :

حدث اضطراب من قبل الزنوج وسيه ان ركب الباص اربع وعشرون زنجياً ، ثم صعد في الموقف الثاني اثنا عشر راكباً من البيض ، فطلب سائق الباص وكان من البيض طلب من الزنوج ان يخلو الباص ويفسحوا المجال للراكين البيض فزل ثلاثة زنوج بينما رفض الباقون وكان من ضمنهم

فتاة زنجية هي (روزا باركي) الانصياع وبعدها القمي القبض عليها وغرمت عشرة دولارات بتهمة خرق القوانين التي يتحيز التمييز ٠٠٠ وفي اليوم التالي قاطع الزوج الركوب في الباصات وعددهم في المنطقة ٧٠٪ من سكانها ونجح الاضراب بنسبة ٩٠٪ .

عام ١٩٦٠ :

في مدينة (غرينيز بورو) في ولاية (نورث كارولاينا) دخل أربعة من الزوج الى مطعم للبيض فلم يلب الخدم طلباتهم فظلوا جالسين حتى أغلق المطعم ١٠٠٠! وفي اليوم الثاني خرج الزوج بشكل مظاهرة سلمية يعلنون احتجاجهم وجلسوا جلوسا قسريا في الشارع الرئيسي وامتد هذا الاحتجاج الى أربعة عشر ولاية ، واشترك (كينغ) في الجلوس أيضا حتى اتقي القبض على اثنين وخمسين زنجيا حكم الواحد منهم أربعة أشهر ٠٠٠

عام ١٩٦١ :

اجتاحت مدينة « مسيسيبي » صاحبة الدستور السيء الصيت مظاهرات صاحبة نضما السود واطلقوا عليها « مسيرة الحرية » .
عام ١٩٦٣ :

على أثر اعتقال بعض السود شهدت أكثر من تمانين مدينة مظاهرات ومسيرات سلمية ، وقد بلغ عدد المتظاهرين في « واشنطن » وحدها ما يقارب العشرين ألف زنجي وأبيض وتوجهوا الى نصب (نلكولن) ٠٠٠

عام ١٩٦٥ :

سجل « مارتن لوثر كينغ » في سجل الفترتين في مدينة (سيلما) أكبر عدد ممكن من الزوج وعلى اثر ذلك اعتقل أكثر من الفين زنجي بعد

ان حصلت معركة دموية قتل فيها العشرات من الزنوج .. وقد اصدر
(كلارك) رمزا لتعصب العنصري اوامره بسحق المتظاهرين وحينما وصل
المتظاهرون أمام كنيسة « برادن » ، داهمهم ستون شرطيا خيالة ورجاله ،
وصرخ رئيس الشرطة في وجه المتظاهرين (عودوا الى كنيستكم ، لن
يسمح بالمرور ... أمامكم دقيقتان لتتفرقوا !!) ومرت الدقيقتان ولن
يتفرقوا ، هنا اقتحم الشرطة الزنوج يقنابل مسيلة للدموع ولللع الرصاص
وانشرت رائحة البارود وانكشف الموقف عن اصابة ثمانية وسبعين زنجيا
بين قتيل وجريح *

عام ١٩٦٧ :

في مدينة (فيلادلفيا) حدث اشتباك بين الزنوج والشرطة وامتدت
المظاهرات الى ثمان وخمسين مدينة ...

عام ١٩٦٨ :

في هذا العام لقي « مارتن لوتر كينغ » ، مصرعه في ٤ نيسان ١٩٦٨
على يد « جيمس إيرل راي » والذي كان يمثل دور الآلة والمنفذ لمخطط
الاستخبارات الاميركية .. هز مقتله العالم لانه آمن بفكرة ومات من أجلها
ومن أقواله : « يجب ان يكون لكل انسان شئى يموت من أجله ... »
فالانسان الذي لا يموت من أجل شئى لا يستحق الحياة « ... وكثيرا
ما عارض (كينغ) وسائل العنف لانه كان في اعتقاده بعد ان تعلم روح
مقاومة السلمية من الكتاب المقدس ومن تعاليم السيد المسيح « ع » ، وكذلك
تعلم التكيف والتنفيذ من غاندى) ... الذى سبقه « باللاعنف » ! وكان
يقول في هذا الصدد « ارجوكم ان تنصاعوا الى الهدوء ، ونحن نؤمن بحكم
النظام والقانون ، نحن لا ندعوكم الى العنف ، نريد ان نحب اعدائنا ،
واذا اوقفت انا فهذا لا يعنى ان عملنا يجب ان يقف ، لان ما نقوم به هو
عمل عادل وشريف والله معنا ... » *

لقد ادرك « كينغ » ان الملايين السود تستطيع ان تحقق وتكسب المعركة لانها صاحبة اليد في القوة الاقتصادية وجاء على لسانه « لقد هاجمنا التركيب السياسي لليبيض عوضا عن التركيب الاقتصادي وهذا خطأ ... فنحن لا نستطيع ان نتصر على التركيب السياسي عندما لا نملك حق التصويت ، ... ولكننا نستطيع ان نتصر على التركيب الاقتصادي لان في قبضتنا القوة الاقتصادية ! والتي تجعل التاجر الابيض يحس الفارق بين الربح والخسارة ... »

وهكذا تدفع الانسانية اعدائها الاستعماريين الذين فقدوا كل ضمائرهم وباتوا عبدة للمال والاطماع وبهذا الغيظ الذي هو جزء يسير من فيض أعمال دعاة التمدن تظهر الحقيقة بجلاء من ان المسألة لا تكمن في اروقة الامم المتحدة طالبة الحل ..! ولا في تصريحات الدجسل والدجالين !! ولا في تأليف جمعيات تأخذ على عاتقها تخليص الملايين من ارساف العبودية ! ان المسألة أبعد وأشمل من دائرة ذهنيات عشاق الدولار واستعباد المستضعفين !! ان الحل الوحيد الذي ينتظر تخليص الشعوب المستضعفة بضمناها القضاء على نظام العبودية هو ان تتحرر الانفس البشرية من ركامات المادة وتعيش عالما نورانيا يتناسب بل ينطلق من النظرة النقية وما هذا السبيل الى من باني الانسان والعارف بما يحتاجه حيث يكمن سر هذا التحرر والتحرير في تعاليم السماء الخالدة التي جاء بها القرآن الكريم وأكد الحقيقة العظمى من ان (التقوى) هي المقياس في الافضلية لا على أساس اللون والجنس والعنصر والوجاهة وعليه سيكشف لنا « الاسلام » بعالمه ونظامه الخالد من انه النظام الوحيد الذي تتجلى فيه المساواة وتمحي روح الاستعباد والاستغلال فيه ...

وسأتناول بعونه تعالى في بحثي القادم « الرق في الاسلام » .
« وللبحث صلة »

عِلْمٌ وَأَمَانٌ

سلسلة أبحاث

للكوثر البرهيماني

مكتبة في الطب والعلوم

تمكن العلم الحديث اليوم ان يفسر ويعلل اسرار الصيام الاسلامي في كيفية تأثيره على اطالة العمر حسبما اثبتت التجارب والدراسات العلمية ذلك . فقد اثبتت البحوث الطبية العلمية الحديثة في العصر الحاضر ان عملية تحويل المواد الغذائية داخل الجسم البشري الى حرارة وطاقة حركية وخلايا جديدة حية ، لم تكن هذه العمليات من الوظائف المسهلة الهينة على الجسم بكافة اعضائه التي تشترك في هذه التفاعلات وتؤدي وظائفها الفزيولوجية بهذه الدقة الخارقة

ولكنها عبء ثقل جدا يرهق القلب والجهاز العصبي والدوران والكبد والكلى وكافة الاجهزة الجسمية الاخرى . ان اللقمة البسيطة التي يأخذها

الإنسان يستحيلها الجسم بعد قليل الى خلايا بشرية تنبض بالحياة او طاقة ذهنية أو فكرية أو حرارة ، فما هو هذا الجسم المعقد العجيب وأي آلة هذه التي تحول المواد الجامدة الى أنسجة حية تحس وتحرك ؟ انها قدرة الاله الخارقة (صنع الله الذي اتقن كل شيء ، انه خير بما تفعلون) . ان اللقمة التي تدخل الفم تمر بمراحل معقدة عجيبة من التفاعلات والتغيرات الكيميائية والحياتية وأطوارا من التحويل والتحويل في عناصرها الجوهرية بصورة غريبة مدهشة يقوم بها الجسم بطريقة دقيقة صفتها المهارة والاتقان . ان هذا ما تختار له العقول البشرية وتصفي لروعته الاسماع والاذهان . ان اليد البشرية ترفع اللقمة الى الفم حسب تنبيه عصبي خاص صادر من المراكز العليا في المخ **Nervotic Reflex** بدافع الشعور « الغريزي » للتغذية والطلبات الحيوية ، فتستجيب لها الغدد الهاضمة العليا في جوف الفم نتيجة شرارة ثانية للتنبيه العصبي المركزي . ثم تقلص وتنسبط عضلات الفكين لهضم اللقمة في مرحلتها الاولى حتى تنتهي اخيرا بحركة اللسان وعضلاته اتسع الى جميع الجهات لدفع الطعام المهضوم في المرحلة البدائية الى البلعوم فالمرى الذي يقوم بتقلصات حلقية دورية متتابعة باتجاه المعدة التي تفتح فمها العلوي ثم تغلقه بعد دخول اللقمة . وعندما ينهي الفم والبلعوم والمرى عملية الهضم الاولى بمساعدة شبكات ومراكز الاعصاب الحسية والحركية المتصلة بالمخ ، تقوم المعدة بحركتها العضلية وتقلصاتها اللاشعورية في اتجاهات متعددة مع اشتراك الغدد الهاضمة بافرازاتها الجاهزة للوقت المناسب حسب انعكاس عصبي خاص . ثم تنهي المعدة وظيفتها في عملية الهضم لترسل الطعام الى الاثنى عشرى بعد ان تفتح صمام البواب حسب نظام عصبي دقيق يتحكم في ادراكه الجهاز العصبي ،

ويدخل الطعام في مرحلته الثالثة لتهضم مواده المثقية بافرازات الغدد الهاضمة في تلك المنطقة كالأفرازات التي يصنعها عضو الكبد والبنكرياس التي يبلغ عددها أكثر من عدد العصارات التي تصنعها المعدة ، وكل عصارة مختصة لاذابة مادة خاصة في الغذاء ، ولا تفرز كل عصارة الا اذا وجدت المادة المختصة لاذابتها في الطعام المار من القناة الهضمية من تلك المنطقة .

وتقوم افرازات الاثنى عشرى باذابة وهضم عناصر الغذاء المثقية استجابة للأوامر الادارية في مركز الاعصاب والتي تكون دائما أوامر فورية صادرة من الجهات المختصة . وعند الانتهاء من هذه المرحلة ترسل المواد الغذائية الى منطقة الامتصاص الدموى الشعري والزغابات المعوية حيث تبدأ وظيفة الكبد وتتضاعف مشقات القلب والدوران ، فتحمل عضلة القلب اعباء ثقيلة من الواجبات الاضافية ترهقه وتجهد قواه في فترة وجيزة فقط من ممارسة هذا النوع من الاعمال الشاقة ، وتباشر أجهزة وأعضاء الجسم صغيرها وكبيرها وظائفها المتعبة في عملية الهضم والتشيل الغذائي المرهق المضني الذي تشترك في عملياته الصعبة أكثر اجهزة الجسم الحي . ثم يصاب بعد ذلك القلب واجهزة الجسم الاخرى بعد انجاز هذا الواجب الشاق بنوبة التعب والخمول العضوي الفزيولوجي حيث دوران الدم بكمية كبيرة هائلة من الكتلة الدموية العامة للجسم البشري الى جهة الجهاز الهضمي والامتصاص الشعري الدموى ، مؤديا هذا الامر الى قلة ذهاب كميات الدم الكافي بنسبته الاعتيادية اللازمة الى الخلايا الدماغية والمراكز العصبية في المخ ⁵Brain's Nervotic Centres فلا تعود هذه الخلايا تقدر على أخذ كفايتها من الغذاء والسوائل الدموية والغازات الحيوية المذابة التي ينقلها الدم الى الانسجة الدماغية بكمياتها المقررة في الحالات

الطبيعية ، مما يؤدي هذا الحال الى ضعف المراكز العصبية عامة وشعور
الانسان بأحاسيس الخدو والخمول والكسل العلم وفقدان النشاط والفعالية
العضلية والذهنية • ان التفسير العلمي الذي يعلل السر في ارهاق الجسم
بكافة أجهزته وأعضائه من جراء عملية الهضم الشاقة يرجع الى السبب
المذكور نفسه عندما تفقد المراكز العصبية والانسجة الدفاعية في عضو المخ
قابلياتها الفزيولوجية الحية Physiological Functions نتيجة
انقارها الى العناصر الحيوية الهامة التي ينقلها اليها التيار الدموي الغزير
محبس نظام وظيفي خاص ابدعت القدرة الالهية الخارقة في ترتيبه وضبطه •
وللسبب عنه كان تناول الطعام بأفراط يشكل خطرا جسيما على كيان
الاجسام البشرية النشيطة اليقظة ويفتح بابا مخربا لدخول الضعف والمرض
والانحلال الى داخل الجسم الصحيح والاعضاء البشرية السليمة التي
يركب منها هذا الكيان الجسمي المنتظم •

ومن هنا يتبين التفسير العلمي للحقيقة الثابتة في دنيا الطب الحديث
والقائلة بأن الاشخاص الذين يميلون الى كثرة تناول الطعام والذين يكونون
من هواة الاصناف الشهيية وانصار الموائد العامرة والولائم الدائمة المستمرة
حيث تمتلئ الكروش فوق قدرتها ويفرط الفرد في تناول الطعام مزيداً
من التمتع والتلفذ بصورة دائمة ، هذا النوع من البشر يموت في سن
مبكرة من العمر ويفقد حيويته ونشاطه وقوة شبابه بصورة سريعة قبل ان
يحين أو ان العجز والضعف والشيخوخة والمشييب ، كما تدهمه الامراض
الخطيرة القائلة من كل جانب مهددة حياته بالخطر والغناء نتيجة عجز
اعضائه الجسمية واصابة كافة الاجهزة بالسقم والوهن ، حيث تدخل هذه
الاجهزة في مرحلة الضعف والمرض والانحلال واحدة بعد الاخرى حتى

يتلاشى الجسم البشري كله ويموت ، كل ذلك نتيجة (المعدة) التي دخل بواسطتها كل انواع المرض الى كافة اجهزة الجسم وخلاياه عندما خرجت عن خط التنظيم الوظيفي الفزيولوجي المعتدل واخذت تشق طريقها الى عالم النهم والشره والاسراف فدخلت باب السقم والمرض والانحطاط مرغمة غير مخيرة . وقد وصف طبيب الانسانية العالمي محمد العظيم عليه الصلاة والسلام (عضو المعدة) بأروع ما يكون مشيراً في كلامه العلمي البليغ الى خطر هذا العضو اذا اسبى استعماله فقال : « المعدة بيت الداء » . ان هذا النفر من بني الانسان لا يستطيع ان يعيش طويلاً متمتعاً بالقوة والصحة والشباب والكمال الجسماني والعقلي ، لان لكل عضو وجهاز في الجسم البشري قابليات حيوية وظيفية محدودة في تحمل الاعباء والقيام بالواجبات الفزيولوجية المطلوبة *Physiologic Functions* ، حيث لا يستطيع ان يستمر في عالم البقاء ليعيش حياً أطول من المسدة الزمنية التي يتحمل اعباءها ، كما لا يمتلك أكثر من القوة الاحتياطية والقابليات الحيوية التي منحت له ليعيش بها مدته الزمنية المقررة المحدودة التي هو مرغم بعدها على ان يفقد كل قواه الفزيولوجية ونشاطه الحجيري الحيوي ليستسلم بعد حين لكابوس الضعف والعجز والموت . هذه هي سنة القانون الالهي انني نفخت في كيان الاجسام الحية ومن ضمنها (جسم الكائن البشري الحي) وتباعاً لهذه القاعدة الثابتة في عالم الحياة فان الانسان اذا ما اعتنى بأجهزة جسمه بقيت صحيحة نشيطة فعالة متمتعاً بالصحة والقوة والشباب أمداً طويلاً فلا تدخل في دور الشيخوخة والضعف الا بعد أوانه المقدور . اما اذا ما قام الانسان بجهد جسمه ليحمل اعضاء واجهزة الجسم اعباء شاقة فوق ما تطيق فان ذلك يؤدي بها الى فقدان قواها الاحتياطية وامتلاك

طاقاتها الحيوية المخزونة وحرقت كيائها وإبادة حيويتها وشبابها ونشاطها الوظيفي الفزيولوجي في وقت مبكر جدا حيث يدخل الجسم والعقل في مرحلة الشيخوخة والمجز قبل الاوان ويفقد الانسان قوته وشبابه على عجل ويستسلم للوهن والانحطاط الجسمي والهرم والموت في عمر قصير كالآلة أو الجهاز الذي يستخدمه صاحبه بصورة دائمة مضيئة وفوق ما يستطيع دون ان يعطيه الراحة والعناية والاهتمام والادامة الآلية المستمرة ، فإن هذه الآلة سرعان ما تستهلك اجزاؤها وتتحطم في وقت قصير بعكس الآلة الأخرى التي لا يستعملها صاحبها الا بأصول واعتدال فأنها تعمّر عنده طويلا وتبقى قوية سالمة من العطل والعطب اطول من مدتها المقررة للعمل والاشتغال .

لقد اثبتت البحوث الطبية العالمية اليوم مؤيدة بالأحصائيات الطبية الدولية والدراسات والتجارب العلمية ان الاشخاص الذين يعمرّون طويلا في حياتهم ويبقون متمتعين بالقوة والشباب واجسامهم وعقولهم نشيطة حيوية فعالة امدأ بعيداً من حياتهم هم الذين يقتاتون على نظام غذائي صحي طوال حياتهم ملين قانون الاسلام الرائع في علم التغذية والصحة ، فلا يسرفون في تناول الطعام والشراب ولا يكون همهم في الحياة هو اشباع الفرائز والشهوات واملاء الكروش واستجابة النفوس (ان النفس لأماراة بالنسوة) ، (كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المرففين) . ويمتزج هذا النداء الالهي الطيبي القرآني العظيم بصرخة طيب البشرية العظيم محمد عليه الصلاة والسلام لتعليم بني الانسان طريق التغذية الكاملة والعلمية الصحيحة فلا يأكل حتى يشعر بالجوع واذا أكل فلا يملأ معدته ويضايق نفسه (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع) ،

ومنبها الاذهان الى خطورة الاسراف في تناول الطعام (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) ، « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم من لقيمت يقمن صلبه ، فإن كان ولا بد فاعل : فثلث لعلامة ، وثلاث لشرايه ، وثلاث لنفسه » مشيراً ضمن حدود ذلك الى تأثير الجهاز التنفسي والحجاب الحاجز بامتلاء المعدة ، حيث ان الثابت علمياً هو اضطراب عملية التنفس اذا ما امتلأت المعدة وانعدم الفراغ العلوي من الثلث الاعلى لمعوى المعدة والذي يكون دائماً من العوامل الهامة التي تسهل عملية التنفس وتقلص وانسائط الحجاب الحاجز بصورة طبيعية مريحة . وبهذا بين رسول الانسانية والعلم محمد عليه الصلاة والسلام مدى اثر النظام الغذائي في صحة الافراد وما يقوم به (الصيام الاسلامي) من الاصلاحات الجسمية الهامة لتلافي التخريب العضوي الحنجري الذي أدى به النظام الفاسد في التغذية طوال عام كامل من حياته بني الانسان ، فيشفي الجسم بكامل اجهزته واعضائه من الامراض ويعيد للجسم البشري صحته وقوته وحيويته من جديد عندما يقوم هذا النوع من الصيام بأعمار ما تهدم من أركان الجسم الحي نتيجة الاسراف والاجهاد والعناء ، وفي سبيل اعلان هذه الحقيقة العلمية الهامة التي جاء بها الاسلام في صيامه الرائع حسب الطرق العلمية الحديثة وقف رسول العلم والعقول المفكرة ليقول من اجل ذلك كله : (صوموا تصحوا) ليربط الصيام بالصحة في عروة وثقى ابد الدهر .



كتب جديدة في الإسلام

الظاهرة القرآنية

منهج تحليلي جديد في دراسة "الاعجاز"

شمس عن المؤلف

- في مدينة قسنطينة بالجزائر ولد « مالك بن نبي » عام ١٩٠٥ .
- خلال عملية « فرنسة » الجزائر كان خالك مصرا على التخصص في اللغة العربية ليؤتي رسالته في مقاومة الإبادة الاستعمارية ، لكن الموقف المعادي الذي وقفه المستشرق الفرنسي « ماسنيون » أغلق أمام مالك كل الأبواب .
- نال الليسانس في الهندسة الكهربائية من أحد أكبر المعاهد في باريس .
- كان لشخصه نالق مشهود في جمعيات المغاربة في باريس مثل « نادي المؤتمر الجزائري » وكان يعلم الاميين من الجزائريين مبادئ القراءة والكتابة العربية .
- ضويق في مصدر رزقه .. وزج به وزوجته « خديجة » الفرنسية المسلمة في السجن ، عند نهاية الحرب الثانية .

• تعمق فهم الحضارة الاوربية من مصادرها ، فادرك منطلقاتها ودوافعها ، فكان ذلك سبب تحرره من أسرهما .

• الى جوار المعرفة العلمية والثقافة الفلسفية والاجتماعية والسيكولوجية نهل مالك من مصادر الفكر الاسلامي .

• يتزعم الآن مدرسة فكرية لها خصائصها وطابعها الحضاري ..
• له من المؤلفات :

الظاهرة القرآنية - آفاق جزائرية - فكرة الافريقية الاسيوية -
تأملات في المجتمع العربي - في مهب المعركة - مشكلة الثقافة - شروط
النهضة - وجهة العالم الاسلامي - مشكلة الافكار في العالم الاسلامي -
مذكرات شاهد القرن (جزان : الطفل - الطالب) - فكرة كومنولث
اسلامي - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة - حديث في البناء الجديد -
ليبيك .

• وكلها وضعها بالفرنسية ثم ترجمت ، الا « الصراع الفكري » و
« الطالب » ..

• يعمل مالك بن نبي مستشارا لوزارة التربية الجزائرية في الوقت
الحاضر .

مقدمة :

اكتشفت ، خلال قراءتي كتاب « الظاهرة القرآنية »^(١) ، أن من غير اليسير على المرء أن يكتب صورة واضحة المعالم والسمات عن التركيب العام لأفكار مالك بن نبي المتصلة بالاعجاز ، إلا بإعادة نسخ الكتاب مرة ثانية .. وهذا ما لا يفعله أحد .

لقد استدعى المنهج الذي انبثق في وعي مالك أن يتجزأ البحث أجزاء صغيرة متكررة بعض الشيء ، ولكنها كثرة في الوحدة ، أو تنوع في التفرد ؛ فالتفاصيل التي انبثت في مجموع الكتاب ليست مما يصح تجاوزه والاستغناء عنه حين يراد التحدث عن المضمون الفكري أو المنهج التحليلي في كتاب « الظاهرة » ، وإنما هي تفاصيل تكون - بمجموعها - الصورة اتامة المكتملة لنظرة مالك في « الاعجاز » ، وهي التي تعطي البحث كله قدرة على الاتحام والتماسك بين فقراته ومفاصله .

وإذا كان مالك قد نوه - في مدخل دراسته - بشعوره بقيمة الفكرة التي ساقته الى هذه الدراسة « مهما تكن صعوبات المشروع » ، ومهما تكن المعوقات دون تحقيقه » (٥٣) ، فإننا كذلك نؤمن بأهمية دراسة هذا المنهج الجديد في كتاب الظاهرة ، وبالصعوبات التي تتخلل عرضنا لهذه الدراسة .

ان مما يجعل لدراسة مالك درجتها العالية من الأهمية أنه كتبها

(١) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية . الطبعة المعتمدة هنا : الثالثة ١٩٦٨ ، دار الفكر بيروت . وكانت الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ ، أما الأولى فلم يؤرخ لها .

استجابة لحاجة فعلية كان يحسها وكانت تواجهه باعتباره مسلما وباعتباره مفكرا . انه عمل بعيد عن ما يسمى بـ « أثر الفكرى » .

وما كان لأحد أن يخوض في موضوع كهذا قبل أن يستكمل شروط الباحث الواعى العميق ، بما تضمنه هذه الشروط من سعة أفق ، وفهم للألوان الحضارية المختلفة .. ومن موقف يتطلب كثيرا من اليقظة والحيادية .. ويبدو أن مالكا استطاع أن يقنع القارئ المتأني بقدرته الموضوعية في البحث ، ونستطيع أن نجد بعض مصاديق هذه الموضوعية التي يتطلبها مالك في :

١ - النظر الى الظواهر لا بمنظار الرجل المؤمن الذي تدفعه حرارة الايمان الى الدفاع عن موقفه ، بل بمنظار خاص - كثيرا ما نص عليه وأكد أنه منظار « عالم الاجتماع » الذي يدرس الظاهرة من الخارج ويحللها الى أصولها ومكوناتها .. وقد نص على هذه المسألة في أكثر من موضع من كتاب « الظاهرة » كما سيتبين فيما بعد .

٢ - انه قد يعرض افكارا سائدة معينة ، أو قد يعنى البحث عنده تفسيرا معينا .. أو قد يمر بحادثة أو فكرة خاصة تقنع الانسان المسلم وهو بظروفه التقليدية وترضيه ، لكن « العقل الديكارتي الوصفى » يظل حاضرا في وعي مالك ، ومن ثم يعرض نتائج على مقياس هذا العقل ليخرج بالتالى بنتيجة يختلف حفظها من الموافقة أو المخالفة . وقد قال مرة عن احدى الافكار : « أما بالنسبة للعقل ذي الصيغة الديكارتي فآية قيمة تبقى لبرهان يبدو منذئذ وقد فقد موضوعيته ، فأصبح ذاتيا محضا ؟! » ٥٨ .

وبالتقاياس الى الزمن الذي أنفقه مالك في تأليف كتابه فيمكن أن تصور مداه في حقيقتين :

١ - ان مالكا قد كتب اصول الكتاب مرتين في فترتين متباعدتين .
وفي هذا يقول مالك (ص ٥٣) :

« لم يتح لهذا الكتاب أن يرى النور في صورته الكاملة ، فالواقع
أننا قد أعدنا تأليف أصوله التي أحرقت في ظروف خاصة » .

٢ - يدل منهج بحثه بصورته الكلية وبأجزائه التفصيلية على نفس
طويل وعلى فكر تأملي يقظ متأن ، وعلى قدرة ذكية في التقاط الفلواهر
وتفسير الحوادث ، وهذه الصفات في باحث لا بد لها من طول الزمن
وكثرة الجهد .

وبعد هذا ، فمن المناسب أن نذكر أن مالكا هو الذي ابتكر هذا
المنهج وأبدعه في تخطيطه العام ، لكن غير قليل من التفاصيل والمنطلقات
الجزئية كانت مما أثر من قبل ، ثم جاء مالك فجعل من هذه التفاصيل
حميرة نضجت بعدها أفكاره في الموضوع . وبهذا السياق من الممكن
لإشارة الى شيء من الأفكار التي كان « محمد رشيد رضا »^(١) قد عرضها
بحرارة . . ثم فتحت أمام مالك بعض مغالقات الطريق . ان الدراسة المقارنة
بين هذين الدارسين - رغم الفارق العظيم بينهما - مسألة دراسة أشمل
وأعمق ، لا نجد بين أيدينا الوقت اللازم لتحقيقها ، على الأقل في الوقت
الحاضر .

مرة أخرى - لا بد من التأكيد في هذه المقدمة على أن كتاب « الظاهرة
انقرآنية » يرتبط - من حيث المنهج - بنسيج عضوي متلاحم بالأجزاء ،

(١) ينظر : محمد رشيد رضا : البوحى المحمدي ، الطبعة الخامسة
١٩٥٥/١٣٧٥ ، دار المنار بالقاهرة ، وكانت الطبعة الاولى عام ١٣٥٢ /
١٩٣٢ . وقد أشار مالك لهذا الكتاب مرة .

لا تؤخذ منه قطعة - مثل الجسم الحي - الا وتفقد بين يدي آخذها
الحياة ..

وعلى هذا كان لابد للدارس أن يتناول نظرة مالك الى اعجاز
القرآن ، ومنهجه التحليلي لها ، وفق الخطة التي سار عليها مالك
نفسه ..

المنهج الجديد .. لماذا ؟

ان عمل « الجدة » في منهج مالك ينطوي في نفسه على نوع من
المجازفة والافتحام خاصة في موضوع يتصل بالقرآن الكريم وبإعادة النظر
في طريقة دراسة الاعجاز فيه ، بل وفي نقل « مركز ثقل » الاعجاز من
موضعه المؤلف الى موضع جديد يتناسب - كما وعى مالك - وحاجتنا
الحاضرة . ومن أجل أن يقدم مالك صورة واضحة عن منطلقاته في هذا
المنهج كان لابد من « مدخل الى دراسة الظاهرة القرآنية » .

ومنذ الصفحة الاولى أشار مالك الى أن « الاهتمام بتحقيق منهج
تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية ... يحقق من الناحية العملية هدفا
مزدوجا هو :

١ - انه يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين .

٢ - انه يقترح اصلاحا مناسباً للمنهج القديم في تفسير القرآن .

وهذه المهمة وتلك ترجعان الى أسباب مختلفة ، يتصل بعضها
بالتطور الثقافي الذي حدث في العالم الاسلامي بصورة عامة ، وبعضها
يرجع الى عنصر آخر ، يمكن أن نسميه « تطور نظرتنا في مشكلة
الاعجاز » بصورة عامة « (٥٣ - ٥٤) » .

الاسباب التاريخية :

يشير مالك ، أول ما يشير ، الى أن « تطور الثقافي في العالم الاسلامي يمر بمرحلة خطيرة » اذ تتلقى النهضة الاسلامية افكارها وانجاهاتها الغيبة عن الثقافة الغربية ، وبخاصة عن طريق مصر ... وانه لما يشير العجب أن نرى كثيرا من الشباب المسلم المثقف يتلقون عناصر ثقافة تتصل بمعتقداتهم الدينية وأحيانا بدوافعهم الروحية نفسها ، من خلال كتابات المتخصصين الاوربيين .

ان الاعمال الادبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الاشعاع لا تكاد تتصورها ... وعن هذا الطريق أوغل الاستشراق في الحياة العقلية في البلاد الاسلامية ، محددا بذلك اتجاهها التاريخي الى درجة كبيرة ...

وهذا كله لا غبار عليه لو اقتصر الاستشراق بمناهجه على الموضوع العلمي ، ولكن انهوى السيلبي الديني كشف عن نفسه أحيانا وبكل أسف في تأليف هؤلاء المتخصصين الاوربيين في الدراسات الاسلامية ، رغم أنها تدعو الى الاعجاب حقا .

ومن العجيب أن نذكر ما تتمتع به هذه الافكار الحفقاء من معاملة ، ولا سيما في مصر عندما تصدرها جامعات الغرب ، وأصدق مثال على ذلك وبلا جدال - الغرض الذي وضعه المستشرق الانجليزي مرجليوت عن (الشعر الجاهلي) ؟ فقد نشر هذا الغرض في يوليو عام ١٩٢٥ في احدى المجلات الاستشرافية ، وفي خلال عام ١٩٢٦ نشر (طه حسين) كتابه المشهور (في الشعر الجاهلي) ؟ فهذا التسلسل التاريخي معبر تماما عن نية أفكار بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للاسائذة الغربيين .

فالمشكلة بوضعها الراهن - اذن - [كما حددها مالك] تتجاوز نطاق

الأدب والتاريخ ، وتهتم مباشرة منهج التفسير القديم كله ، ذلك المنهج القائم على المقارنة الأسلوبية معتمدا على الشعر الجاهلي كحقيقة لا تقبل الجدل ...

لقد قام اعجاز القرآن حتى الآن على البرهان الظاهر على سمو كلام الله فوق كلام البشر ، وكان لجوء التفسير الى الدراسة الأسلوبية لكي يصع لاعجاز القرآن أساسا عقليا ضروريا . فلو أننا طبقناه نتائج فرض مرجليوث ... لانهار ذلك الأساس . ومن هنا توضع مشكلة التفسير في صورة خطيرة بالنسبة لعقيدة المسلم ، أعني بالنسبة الى اعجاز القرآن في نظر هذا المسلم . وربما لم يكن التطور الفعلي ليقصر عن دفع شبابنا الجامعي الى ملاحظة تقادم المقياس القديم ان آجلا أو عاجلا ... وهذا الموضوع لا يتصل ببيان القرآن الذي بقي على ما هو عليه حين نزوله ، ولكن بوضع المسلم نفسه .

والحق أنه لا يوجد مسلم - وبخاصة في البلاد غير العربية - يمكنه أن يقارن موضوعا بين آية قرآنية ، وفقرة موزونة أو مقفاة من أدب العصر الجاهلي ، فمنذ وقت طويل لم تعد نملك في أذواقنا عبقرية اللغة العربية ليتمكن أن نستبطن من مقارنة أدبية نتيجة عادلة حكيمة ، ومنذ وقت طويل أيضا تكفي عقائدنا في هذا الباب بالتقليد الذي لا يتفق وعقول المتعلقين بالموضوعية ، (٥٤ - ٦٠) .

ان هذا الكلام الذي قاله مالك يشكل المنطلق الأول للمنهج التحليلي الذي خطه لدراسة الاعجاز .. واذا كان صحيحا أننا فقدنا في أذواقنا عبقرية اللغة العربية منذ زمن طويل ، فإن من غير الصحيح - كما أشار الأستاذ محمود محمد شاكر في مقدمة الكتاب - أن ينظر الى المشكلة باعتبارها « تهمة مباشرة منهج التفسير القديم كله » ! انه اقحام لباب من

من علوم الاسلام قائم برأسه لا يسه فرض مرجليوث من قريب أو بعيد .
وعلم تفسير القرآن كما أسسه القدماء لا يقوم على مقارنة الأساليب اعتماداً
على شعر الجاهلية أو شعر غير الجاهلية ... وكل ما عند القدماء من ذكر
الشعر الجاهلي في تفسيرهم ، فهو أنهم يستدلون به على معنى حرف في
القرآن ، أو بيان خاصة من خصائص التعبير العربي ... وهذا أمر يصلح
له شعر الجاهلية ، كما يصلح له شعر الاسلام ، (المقدمة ١٦) .

الاسباب العائدة للمنهج :

« ما من نبي إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما
كان الذي أوتيته وحياً » أوحى الي ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم
القيامة . »

من هذا الاثر النبوي الشريف كان منطلق مالك الذي جعله يحدد
المسألة بقوله : « يجب اذن أن نحدد الاعجاز في القرآن بالنظر الى مفهوم
الاعجاز في الاديان بعامة » ٦١

وقال : « واذاً لابد من تحديد هذه الكلمة لغة ، واصطلاحاً ، وفي
حدود التاريخ ، حيث ان عنصر الزمن ذو دخل في هذه القضية اذاً ما
اعتبرناها من دين الى آخر ، أعني في اتجاه تطورها . »

« أهل اللغة يرون أن الاعجاز هو الابقاع في العجز . وأنفسل
الاصطلاح يرون أن الاعجاز هو : الحجة التي يقدمها القرآن الى خصومه
من المشركين ليعجزهم بها . »

فالله حين نريد تحديد هذا المصطلح في حدود التاريخ ، أي في تطوره
ادراك البشر لـ (حجة) الدين ، وادراك المسلم لـ (حجة) الاسلام ، بخاتمة .
فلا بد من مراجعة القضية في موضوع الاديان ...

لقد جاءت آيات التحدي التي نطق بها القرآن الكريم مطلقة عن وجوه .
هذه الحجة في القرآن كله ، ومن هذه الآيات :

— « قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . الانسواء

— « أم يقولون افتراء ؟ » قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كتّم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا
أن ما انزل يعلم الله ، وألا اله الا هو ، فهان أتم مسلمون ، . هود

— « وان كتّم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كتّم صادقين . فان لم تفعلوا — ولن
تفعلوا — فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، البقرة

يحاول مالک — من أجل ايضاح عمق الحجة الاعجازية — أن يكشف
عن المستوى الذي كان اعجاز القرآن يفعل به في النفس العربية التي كانت
تعشق البيان وتعد فن القول هوايتها الخاصة التي تصرف اليها مواهبها
الخلافة ، كما عشق الفراعنة فن العمارة والرياضيات ، و « كما كان
اليونان مغرّمين بعبور الجمال على ما أبدعه فن (فيدياس) وبآيات المنطق
والحكمة على ما جادت به عبقرية (سقراط) » . فالشعر العربي — كما

استعار مالک عبارات الاستاذ شاكر — « كان حين انزل الله القرآن عطف
بـ (ص) نورا يضيء ظلمات الجاهلية ، ويكشف أهله على بياض عكوف
الوثني المصنم ويسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثله لأوثانهم
قط ، فقد كانوا عبيد البيان ، مقلد ان يكونوا عبدة الاوثان ، وقد سمعنا من
استخف منهم بأوثانهم ، ولم نسمع قط منهم من استخف ببيانهم » .

ويطلق مالک : « هذه صورة الظروف النفسية التي نزل فيها القرآن

فكان لا عجزاً أن ينعذ الى الادواج - بصفة عامة في زمن النزول - على هذا السبيل ، أي بما ركب في الفطرة العربية من ذوق بيان ،

القد كانت هذه مرحلة أولى في تاريخ صلة المسلم باعجاز القرآن ، تعقبها مرحلة ثانية صار فيها التذوق العلمي - الذي هو من اختصاص فئة قليلة من المسلمين تملك وسائل هذا التذوق - هو وسيلة ادراك اعجاز القرآن . وكما كان اسلام عمر بن الخطاب (باعتباره موقفاً ايجابياً) واعتراقات الوليد بن المغيرة (بوصفها موقفاً سلبياً) تشخيصاً للمرحلة الاولى - كانت بحوث « أئمة البيان من أمثال الجاحظ ... وعبدالقاهر ، شيئاً للثانية .

ومن تعليق عبدالقاهر الجرجاني على قوله تعالى « رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً » يورد مالك فقرة ، يقول بعدها مباشرة : « ولا لزوم لذكر النص بأكمله ، وانما اوردته فقط لأين مباشرة عجزي عن ادراك (الاعجاز) من هذا الوجه ، أي بوسائل التذوق العلمي ، بعد أن اعترفت بعجزتي عن ادراكه من طريق التذوق الفطري . وهكذا أراني حيران ، فاقد الحيلة والوسيلة في قضية هي أمس القضايا بالنسبة لي كمسلم . وهنا تواجهنا مشكلة (الاعجاز) في صورتها الجديدة بالنسبة لهذا المسلم ، أي بالنسبة لأغلبية المتقنين ثقافة أجنبية ، بل وربما لذوي الثقافة التقليدية ، في ظروفهم الثقافية والنفسية الخاصة ، فلا بد اذن من إعادة النظر في القضية في نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم اليوم ، مع الضرورات التي يواجهها في مجال العقيدة والروح ، ٦٥-٦٦ .

ان قوله تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » ان أتبع الآما يوحى التي ، هو مفتاح القضية . وفي ضوء منطق الإلزام سيحاول مالك أن يعيد النظر في معنى (الاعجاز) . يقول عن

هذه الآية : « ولا بد أن تأمل محتواها المنطقي من ناحيتين : فهي تحمل ،
أولا إشارة خفيفة الى أن تكرار اشياء في ظروف معينة يدل على صحته ... »
وبهذا تنطبق عليه مفهوم « الظاهرة » بالتحديد العلمي لهذه الكلمة ،
وهي تحمل في مدلولها ، ثانيا ، ربطا واضحا بين الرسل والرسالات
خلال العصور ، وان الدعوة المحمدية يجري عليها أمام العقل ما يجري
على هذه الرسالات . ٦٦ .

« وحاصل هذا أننا اذا اعتبرنا الاشياء في حدود الحدث المتكرر ، أي
في حدود الظاهرة ، فالاعجاز هو :

١ - بالنسبة الى شخص الرسول : الحجة التي يقدمها لخصومه
ليعجزهم بها .

٢ - وهو بالنسبة الى الدين : وسيلة من وسائل تبليغه .

وهذان المizan للاعجاز يضيفان على مفهومه صفات معينة :

أولا : ان الاعجاز - ك (حجة) - لا بد أن يكون في مستوى ادراك
الجمع ، والافات فائدته ؛ اذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق ادراك
المخضم ، فهو ينكرها عن حسن نية أجابا .

ثانيا : ومن حيث كونه وسيلة تبليغ الدين : أن يكون فوق طاقة
الجميع .

ثالثا : ومن حيث الزمن : أن يكون تأثيره بقدر ما في تبليغ الدين
من حاجة اليه .

وهذه الصفة الثالثة تحدد نوع صليته بالدين ، الصلة التي تختلف
من دين الى آخر ، باختلاف ضرورات التبليغ . ٦٦-٦٧ .

وعين يريد مالك أن يخرج من نطاق التحديدات المنطقية الى الصمد .

التاريخي الواقعي قائم يجد في رسالة النبي موسى (ع) معجزتي اليد
والعصا ، وهما تصفان بأنهما :

١ - ليستا من مستوى العلم الفرعوني الذي كانت تختص به هيئة
الكهوت ، بل كانتا من مستوى التأثير الذي يقع في ادراك الجمع
عن طريق الرؤية البصرية السيرة •

٢ - المعجزتان مرتبطتان بتاريخ الدين الموسوي لا بجوهره ، فليس
للعصا أو اليد علاقة بتشريعات هذا الدين •

٣ - ان دلالتهما الاعجازية محدودة بدائرة زمنية هي دائرة الجيل الذي
شهد اليد والعصا فعلا ، أو الجيل الثاني الذي تلقاها عن طريق
تواتر السماع • ان مفعول المعجزة هنا لا يكون الا في زمن محدود ،
تحقيقا لارادة الالهة تنفق مع حقائق نفسية وحقائق تاريخية سجلها
الواقع فعلا ، وهي :

• أولا : ان القوم الذين يدينون اليوم بدين موسى - أي اليهود -
يفقدون ، لاثبات نفسية لاسيل لشرعها هنا ، نزعة التبليغ ، بحيث
لا يشعرون بضرورة تبليغ دينهم الى غيرهم من الامم ، أي الامنين - كما
يقولون - حتى اننا اذا استخدمنا لغة الاجتماع قلنا : ان (الاعجاز) قد ألغى
في هذا الدين عدم الحاجة اليه •

ثانيا : ان مشيئة الله قد قدرت أن يأتي عيسى رسولا من بعد موسى ،
وأنى الدين الجديد لنسخ الدين السابق ، فينسخ طعنا جانب الاعجاز فيه ،
حيث تزول الحاجة بزوال ضرورتها التاريخية • ولكن دلالة ما أتى به
عيسى من اعجاز ستزول أيضا مع زوال موضوعها ، ولنفس الاسباب التي
ألغت جانب الاعجاز في دين موسى حيث يأتي - بعد عيسى - رسول جديد ،

ودين جديد يلغيان الدين السابق - دين عيسى عليه السلام ، فيلغي ضرورة
التدليل على صحة الانجيل .

وهكذا تأتي رسالة الرسول الامين ، ولكنها تسم بصفة خاصة
بميزها عما سبقها من الرسالات ؛ اذ انها الحلقة الاخيرة في سلسلة البحث .
ويأتي محمد (خاتم الانبياء) كما ينوء بذلك القرآن ، ويشهد به مرور
الزمن منذ أربعة عشر قرنا .

« وما كانت هذه الميزة التاريخية في الدين الجديد دون أن يكون
أثرها في كل خصائصه ، وفي نوع اعجازه ، على وجه الخصوص ، حيث
ان حاجة التبليغ ستبقى مستمرة فيه ، سواء من الناحية النفسية ؛ لان كل
مسلم - بعكس اليهودي - يحمل في نفسه « مركب التبليغ » أم من الناحية
التاريخية ؛ لان الدين الجديد - الاسلام - سيكون دين آخر الزمن ،
أي الدين الذي لا يعقبه دين سماوي آخر ، بل ولا يأتي دين جديد بعده
بصورة مطلقة ، كما تشهد بذلك القرون حتى ان حاجة الاسلام الى وسائل
تبليغه ستبقى ملازمة له ، من جيل الى جيل ، ومن جنس الى جنس ،
لا يلغىها شيء . في التاريخ ، وهذا يعني ان هذه الوسائل يجب الا تكون ،
مثل الاديان الاخرى ، مجرد توابع يتركها الدين عبر التاريخ بعد مرحلة
التبليغ ، مثل اليد عند موسى او عصاه التي لم يبق لها أثر حتى في متاحف
العالم ، كما بقيت عصا (توت عنخ آمون) الذهبية » ٧٠

وهذا الكلام يعني - بالضرورة - أن « الاعجاز » حقيقة تستمر مع
استمرار القرآن ، وتبقى حية فيه عبر الاجيال والصور ... » ولكن المسلم
اليوم قد فقد فطرة العربي الجاهلي وامكانيات عالم الملفة في العصر العباسي ،
وبرغم هذا فإن القرآن لم يفقد بذلك جانب (الاعجاز) . لانه ليس من
توابعه ، بل من جوهره . وانما أصبح المسلم مضطرا الى أن يتناوله فسي

صورة أخرى ، فهو يتناول الآية من حيث تركيبها النفسي الموضوع ،
أكثر مما يتناولها من ناحية العبارة ، فيطبق في دراسة مضمونها طرق التحليل
الباطن ، كما حاولنا أن نطبقها في هذا الكتاب ، ٧١ •

ان هذه الفقرة الأخيرة من كلام مالك تفسر جانباً ذا أهمية في أفكاره
ووعيه الحياتي ؛ انه يريد أن يكون القرآن قريب المأخذ من كل باحث
- وان كان غير مسلم - لتتم بذلك عملية النشر والتبليغ في صورتها
الجديدة ، بل ان تأكيد مالك على الاعجاز بوصفه عنصراً تبليغياً في الرسالة
يعني أن مالكاً يهمه من الأفكار ما كان حياً ذا قدرة تأثيرية كبيرة في التركيب
الاجتماعي - وكان مالك قد تحدث في كتاب له عن « الأفكار القاتلة » و
« الأفكار الميتة » (١) •

(١) ينظر : مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي •
فصل (الأفكار الميتة والأفكار القاتلة) • و : في مهب المعركة • موضوع
(بين الأفكار الميتة والأفكار القاتلة) •

الظاهرة الدينية

انتهى مالك من « مدخل الظاهرة الدينية » . أما الآن فإن هذه الظاهرة في نفسها هي التي تواجهه مباشرة . ان مالك بن نبي يريد أن يبدأ في تحديد « الظاهرة الدينية » من نقطة الصفر ، لينطلق بعدها الى جوهر المشكلة . . . فيدفع منذ البداية كل اعتراض قد يرد وكل تشكيك في الاسس الفلسفية التي تنبثق منها الظاهرة القرآنية . ان مسألة فهم الاسس الفلسفية في تفسير العالم مسألة مهمة جدا تقدم بين يدي كتاب يبحث في ظاهرة دينية كالقرآن ، وهي في الوقت نفسه تبرير موضوعي لا بد منه للبحث كله . وهذه احدى السمات الموضوعية الفارقة في ذهنية رجل منهجي بارع مثل مالك بن نبي .

ان اقتناع مالك بـ « المذهب الغيبي » في تفسير العالم ، وادراكه الفجوات والتناقضات الحادة المحيرة في « المذهب المادى » الذى عرضه في الكتاب (ص ٧٩ - ٨٦) سيحدد منذ البدء الاتجاه العام للبحث . لقد كانت الصفة الموضوعية لذهنية الانسان العالم - مرة اخرى - هي التي أراد مالك أن تحدد له موقفا من المذهبين كليهما . ومن قناعته تلك انطلق .

بهذا تحدد الصلة الوثيقة بين حقيقة (التوحيد) وحقيقة (النبوة) ، باعتبار التوحيد السبب الاخص الاعمق للظاهرة الدينية - النبوية ، التي يدركها الانسان عن طريق انساني يقيني هو طريق الانبياء . انها - النبوة - تعبر عن الكلمة الالهية المباشرة في التفسير بعد ان تحققت الكلمة الالهية في الابداع والتكوين .

• والواقع ان تابع ديانات التوحيد دليل يمكن فحصه دائما من الناحية الاقتصادية-فحسب يقوم على أساس النقد ، ويتنقل هذا التابع في ظهور النبوة وجميع المظاهر الادبية والروحية التي تصحبها •

ومنذ (ابراهيم) عليه السلام تابع أفراد مدفوعون بقوة لا تقاوم جاءوا يخاطبون الناس باسم (حقيقة مطلقة) ، يقولون انهم يعرفونها معرفة شخصية وخاصة ، بوسيلة سرية هي الوحي • ويقول هؤلاء الرجال انهم مرسلون من (الله) ليلفوا كلمته الى البشر ، حيث لا يستطيع هؤلاء أن يسمعوها مباشرة • ٩٢ •

* * *

عندئذ يكون بحث موضوع مثل « الحركة النبوية » مما يقضيه التطور المنطقي للأفكار ويختتمه منهج البحث الموضوعي • ان تحديد «حامية» النبوة أمر لا بد منه • لقد درس مالك في هذا المجال مجموعة من الأفكار والمظاهر للكشف عن الخصائص الحقيقية والمظاهرية للشخصية النبي • هي : مبدأ النبوة ، ادعاء النبوة ، أومياء ، الظاهرة النفسية عند أومياء ، خصائص النبوة •

ان الأساس العميقة التي سبني عليها مالك هيكل منهجه في الدرس للكشف عن نفسها خلال هذا الفصل نفسه ، وأولى أهم الأفكار في تحديد «مبدأ النبوة» هو :

● ان هذا المبدأ « يعرض نفسه بفضل شاهده الوحيد - النبي - كظاهرة موضوعية مستقلة عن الذات الانسانية التي تصبر عنه » ٩٣ •

● و « ان بعث النبي ... ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام بين قطبين من التاريخ ، منذ ابراهيم الى محمد (ص) » واستمرار ظاهرة تتكرر

بنفس الكيفية يعتبر شاهداً علمياً يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها ؛ بشرط التثبت من صحة هذا الوجود بالوقائع المتفقة مع العقل ومع طبيعة المبدأ ، ٩٣

• و . ان حياة الانبياء وتاريخهم يمنعاننا من أن نعدم مؤمنين مندفعين دون تعقل . . . أو ان نحكم بانهم معتوهون بأصل خلقتهم . . . ، فهم يمثلون - على العكس - الانسان في أسمى حالات كماله البدني والخلقي والعقلي ، وشهاداتهم الاجتماعية تحظى في نظرنا بالثقة

التي تستحقها . واذن فمن الواجب في المقام الاول أن نلجأ الى هذه الشهادة لكي تثبت القيمة التاريخية للوقائع التي نخضعها لنقدنا ، ثم يبقى علينا أن نحلل مجموع هذه الوقائع في ضوء العقل المتحرر من ربة الشك المطلق الذي لاهدف له . ٩٤ .

بعد ذلك يريد مالك أن يكشف عن الخصائص الموضوعية في (النبوة) باستحضار صور واقعية من الحركة النبوية ، بل هو يلجأ الى الدراسة المقارنة لتأكيد الفارق الحاسم بين شخصية « النبي » وشخصية « مدعي النبوة » ، ولقد وجد في الواقع التاريخي لبني اسرائيل صورتين تتضمنان كلا الوجهين : « رجل الدعوة الصادق ومدعي النبوة » يتطوران معا في تاريخ هذه الحقبة التي منحت اقبالها أحيانا لنبي مدع هو (حنايا) ، بينما تصامت عن الدعوة البائسة المروعة للنبي (أرميا) ، ٩٨ .

« لقد قدم لنا ارميا على الظاهرة النبوية [كما أدرك مالك] شهادة من أقيم الشهادات وأصرحها ، فقد أورد تفصيلا وصفا ذا أهمية قصوى لسلوكه الخاص جيل الظاهرة ، وأشركا في تأملاته المرة أحيانا ، تلك التأملات التي توحى بها اليه حالته ، فقال :

« لقد صرتُ محور سخرية طيلة النهار ، فالجميع يهزأون بي ،
لأنني كلما تكلمت وجدتني مضطرا لأن أصرخ ، وأعلن الجبروت
والخراب . لقد صارت كلمة « الله » بالنسبة لي مصدر عار واستهزاء
مستمر ، فإذا قلت : لم أعد أذكره ، أو أتكلم باسمه ، وجدت في قلبي
كالنار المضطربة المستكة في عظامي ، فأحاول أطفئها ، ولكي لا
استطيع . ١٠٢ »

« واذن فإن ارميا يرمس بطريقة ما الخطوط الداخلية لذاته ، ونحن
نجد في وصفه هذا ثلاثة عناصر مترتبة متميزة :
أولها : الاحتراق العميق لمشاعره المضطربة ، جراء الاستهزاء الذي
يلقاه .

وثانيها : ارادته أن يتخلص من دعوته ، بامتناع ناتج عن تأمل ،
واعمال فكر .

وثالثها : عنصر ثابت يبدو أنه يطبع هذه الحالة النفسية كلها ،
ويطوق ارادة ذات النبي ، وهو الذي يشير اليه ما يجده في قلبه « كالنار
المضطربة » .

« هذا العنصر الاخير هو الذي نعدده العنصر الجوهرى في الحالة
الداخلية للنبي ؟ اذ هو يحدد بصفة نهائية سلوكه في المستقبل ، وهذا
السلوك قطعاً جوهر حياة النبي » ١٠٢ - ١٠٣

والى هذا العنصر نلاحظ في سلوك ارميا - كما أوضح مالك بصور
من حياة النبي - قهراً من نوع آخر ، حيث يجد نفسه مدفوعاً للحكم
على أحداث عصره : « والحق ان النبي قد حكم على هذه الاحداث على نحو
يختلف تماماً عن أحكام معاصريه ، وطريقته الفذة في النظر الى الاشياء

صدقها الاحداث بشكل عجيب ، ١٠٤ - ١٠٥ •

ثم يستخرج مالك من دراسة حالة ارمياء الخصائص التي تحدد
مبدأ النبوة ، فهناك :

أولاً - العنصر النفسي الدائم الذى يحس خلاله النبي بأنه مدفوع
بقوة نفسية خفية لسلوك معين دائم •

ثانياً - العنصر التنبؤي الحتمي الوقوع ، يمليه نوع من القهر
الداخلي الذى ليس له أي اساس منطقي •

ثالثاً - استمرار مظاهر السلوك النبوية وتمثلها الظاهر والخفي عند
جميع الانبياء •

لدراسة التطبيقية

لقد وضع مالك ، حتى الآن منهجه التحليلي على المستوى النظري
البحث ، مستعيناً بين الوقت والوقت بالواقع التاريخي وبلاستبطان النفسي
لبعض الظواهر النبوية . ان هذا المنهج السيكلوجي في تحليل الظاهرة . هو
الذى سينهض على اساس منه نظراً مالك الى مسألة « اعجاز القرآن » .
والامر المتبقي هنا هو أن يتعمق الباحث دراسة (الاسلام) باعتباره الظاهرة
موضوع الدراسة (الاعجاز) جزء لا ينفصل عنه - على أن تبدأ دراسة
الاسلام هذه من مصادره الاساسية .

ان « توثيق » المصادر الاسلامية قضية لا يد منها ، مادامت هذه
المصادر ستشكل المنطلقات الاساسية لدراسته التطبيقية . وهكذا بدأ مالك
بدراسة القيمة الوثائقية للقرآن والحديث النبوي . هنا نستطيع أن نلمح
الصفة الحيادية التي اتسمت بها ذهنية مالك - مرة اخرى ؛ فلقد خصص
صفات من كتابه عنوانها ب (اصول الاسلام - بحث المصادر) وفيها يقول :

« في دراسة نقدية للاسلام ، لا نستطيع أن نغفل أهمية فحص
الوثائق المدونة أو التاريخية التي يمكن أن تلقي ضوءاً على الظاهرة
الدينية » (ص ١١١) . ومن ثم يدرس مالك الظروف والملابسات التي
رافقت جمع القرآن الكريم وتدوينه ، ثم يقول :

« هذا التحديد الكامل للنص القرآني على عهد النبي نفسه يعد
ظاهرة جديرة بالملاحظة من وجهة علم الاجتماع وعلم النفس بخصوص

الوسط العربي في العصر المحمدي ، فلك نقطة جوهرية تستحق البحث والوقوف أمامها ؛ اذ ليست هناك مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن ، كما هو الامر بالنسبة للكتاب المقدس ؛ وهي أيضا مؤيدة بحقائق التاريخ التي ينبغي أن تلفت إليها انتباه القارئ . للاحظ هو أيضا توافق التاريخ مع هذه الآية القرآنية ، « وانا له لحافظون » ، ومع ذلك فإن لهذا « الجفط » تاريخه : فكلما كان الوحي ينزل ، كانت آيات القرآن تثبت في ذاكرة الرسول وصحابته ، وتسجل فوراً بأيدي أمناء الوحي ص ١١٢ ، ثم ينتهي - بعد تفصيل - الى قوله :

« ومنذ ذلك العصر والقرآن ينتقل من جيل الى جيل ، بصورة وحيدة فريدة متعارف عليها ، من مراكز الى حدود منشوريا » ١١٤ .

واذا كان لحديث أن يثار حول التوثيق من القيمة الوثائقية لاحد المصادر الاسلامية ، فانما يثار حول الحديث النبوي - وكان مالك قد فعل ، منطلقاً من أن هذا الحديث لم تتوفر له العناية المنهجية التي ظفر بها النص القرآني ، « فلقد منع الرسول في حياته الصحابة بقوة وصراحة من أن يكتبوا أقواله ، حتى لا يحدث أدنى خلط ممكن بين ما ينطق به والايات المنزلة ، أي بين السنة والقرآن » ١١٤ ثم كانت حاجة المسلمين الى الحديث النبوي كمصدر تشريعي . « ومنذ ذلك الحين وضعت طريقة نقدية صالحة لتمييز ما هو صحيح عما ليس كذلك ، فطبقت طريقة النقد التاريخي التي تشمل تحقيق اتصال الرواية ، وقيمة الرجال الذين وصل عن طريقهم الحديث » (١١٥) ، وبذلك يصح اتخاذ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف - مع بعض الاحتياطات في الحديث - مصدرين وثائقيين في مثل هذه الدراسة .

أُصُولُ الْإِسْلَامِ

من الآن وحتى نهاية الكتاب (أي من صفحة ١١٧ - ٣٦٠)
ستطيع أن نلمح خطين متوازيين من الأفكار ، ينبثق من تشابكهما
وتداخلهما ، التصميم ، العام للبحث كله على صعيده التطبيقي وهما الخطان
اللذان كان مالك معنيا بتعميقهما والتركيز عليهما ، وهما :

- ١ - خط الرسول (الرسول - كيفية الوحي - افتتاح النبي الشخصي
بالوحي - مقام الذات المحمدية - الفكرة المحمدية) .
- ٢ - خط الرسالة (الخصائص الظاهرية للوحي - موضوعات
ومواقف قرآنية) .

الرسول

وحين نريد أن نبدأ مع مالك توغله في الدرس ، ينبغي أن نلاحظ
أنهاء سيرنا معه مجموعة من الأفكار الرئيسية التي تكون العمود الفقري
لمادته . ومنذ البدء يؤكد مالك الإشارة الى منهجي النفسي في النظر الى
الظاهرة ؛ فقد قال في موضوع (الرسول - عصر ساقبل البعثة والعصر
القرآني) عند محاولته تحليل حياة النبي «ص» :

« أما نحن فلا نهتم الا بتخطيط صورة نفسية لانهما فيها التفاصيل التاريخية الا بقدر ما تعيننا على ما نريد تخطيطه » (١٢٠) ، وهي الصورة التي قال عنها بدء : « ربما لا يمكننا الاستغناء في دراسة الظاهرة القرآنية عن معرفة الذات المحمدية ، معرفة صحيحة بقدر الامكان ، وهذه المعرفة ضرورية هنا ضرورة تحديد الأبعاد الثلاثة في دراسة الخصائص التحليلية لمنحى هندسي » ١١٩ .

لقد كانت هذه المعرفة تضيء بين الحين والحين جوانب من حياة الرسول وتكشف عن النقاط المهمة التي ستأسس عليها الظاهرة القرآنية فيما بعد :

١ - تصرف يكشف عن تفرد منذ الطفولة :

● « ولكنه حين كان في دور الرضاعة كان يبكي كلما كشف من أجل النظافة » ١٢٢ .

● ما روته السيرة من أن رجلين يلبسان البياض جاءا النبي وهو ما يزال طفلاً ، فأمسكاه وفتح صدره وقلبه ، وأخرج منه علقه سوداء .. (١٢٣)

● « ورد في الخبر : انه كان يرعى غنماً لأهله مع فتى من قريش بأعلى مكة ، فاستأذنه [النبي] في أن يبصر له غنمه حتى يسمر بمكة كما يسمر الفتيان ، فخرج ، فلما جاء أدنى دار من دور مكة سمع غناء وصوت دقوف ومزامير في عرس بالمدينة ، فلما بذلك حتى غلبته عيناه فنام ، ثم عراه مرة أخرى مثل ذلك . ومن هذا يظهر أن حادثاً عرضاً غير متوقع يحدث دائماً ليحوله عن قصده » ١٢٦ .

٢ - انقطاعه التام عن أي ظرف ثقافي معاصر :

● « فمن السهل أن تصور بأي زاد زهيد ، وبأية أفكار مألوفة ، وبأي قصد عادي اعتزل النبي (ص) المجتمع بعد زواجه ، تماماً كما يفعل حنفاء عصره . ومع ذلك فمن المفيد أن توضح أن الاحوال التي ذكرناها تكون أكثر صدقاً في حالته بقدر ما كان أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، بحيث لم يكن ممكناً حصوله على أية معلومات مكتوبة . » ١٣٢ .

٣ - لا شيء من فكرة كونه النبي المنتظر كان يخطر بباله :

● « أما فيما يخص الغلام - حتى على فرض أن القصة [قصة تنبؤ الراهب بحيرا بنوته] طرقت سمعه - فإن الحادث - فيما يبدو - لم يغير شيئاً من سلوكه كسائر شباب قریش . » ١٢٥ .

● « وكانت خديجة [وهي في طريق الاقتران بالنبي] تغذي سر طموحها الى أن تتزوج النبي المنتظر ، وتراه في « محمد » الذي صارحته بمشاعرها نحوه ، ولكن « محمداً » لم يكن أقل صراحة حين دافع عن نفسه أن يكون ذلك النبي المنتظر . » ١٢٨ .

● ويقول القرآن باعتباره وثيقة تاريخية : « وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ، فلا تكونن للكافرين ظهيراً » القصص ٨٦ (ص ١٣٣) .

٤ - استبعاد تأثير اللاشعور في ظاهرة الوحي :

● « ومع ذلك ففي حوالي الأربعين نجده وقد شمله الهم ، والالام أيضاً ، انك يشك ! انه لا يشك في وجود الله ، فان ثقته فيه لم تنزع أبداً ، ولكنه يشك في نفسه هو ! ... فالإلم يعزى هذا الاحساس الذي يطوف الآن في أنحساء نفسه ، وهو يخز بصورة مؤلمة طبيعة فكره الموضوعية ؟ هل كان ذلك مجرد حركة للاشعور أو الهاماً بحل قريب

وغير عادي للمشكلة ؟ ... هل كان عند النبي ما يشبه هذا الالهام أي
انتبؤ بالظاهرة القرآنية التي ستليه وتغمر وجوده كله ؟

فلو قلنا ان ذلك من عمل اللاشعور ، فيجب أن نطبق هذه القاعدة
على تفسير مادة القرآن كلها ... ولكن هذا ، كما سنشير إليه فيما بعد -
ليس ممكنا أبدا ، ١٣٨ - ١٣٩ •

٥ - اخلاص النبي المطلق :

● يقول عن حادثة الهجرة واختفاء النبي وصاحبه في الغار •

• ونحن نرى لفائدة دراسة هذه أن نهتم بالتفصيل النفسي في هذه
الحادثة التاريخية ، ذلك التفصيل الذي تدل عليه سكتة النبي حين كان
يطمئن رفيقه ، في هدوء يفوق طاقة البشر ، بينما الخطر والموت على قيد
خطوات ، وان اخلاص النبي الذي نؤكد في هذا المقياس الاول كشرط
ضروري لاستخدام الآيات القرآنية كوثائق نفسية ثابتة ، هذا الاخلاص
يتجلى هنا بوضوح ، وبصورة روائية في تلك اللحظة الحاسمة ، ١٥١ •

٦ - فكره الموضوعي :

● « ففي يوم دفن ولده الوحيد الذي رآه يكبر (ابراهيم) ،
حدث كسوف كلي ، وفسر الناس الظلمات المفاجئة بأنها آية على مشاركة
الطبيعة للنبي في حزنه ، ولكنه صحح في حزم خطأ صحابته قائلاً : « ان
الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا
لحياته ، ١٥٩ •

كيفية الوحي

يقارن مالك بين (المكاشفة أو الوحي النفسي) وبين ظاهرة الوحي النبوي من أجل أن يكشف عن بعض خصائص الوحي أولا ومن أجل أن يستبعد الرأي الذي يعدّ الوحي نوعا من الكشف (Inspiration)

أو الالهام الذاتي . ولقد عرف المكاشفة من الوجهة النفسية بأنها : « معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير ، أو خاض فيه العقل فعلا » ، بينما يجب أن يأخذ الوحي معنى : « المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير ، وأيضا غير قابل للتفكير » . وقد ظهر من هذه المقارنة :

١ - ان المكاشفة لا تصحبها أية ظاهرة نفسية بصرية أو سمعية أو عصبية كتقلص العضلات الذي نلاحظه في حالة النبي (ص) (١٦٨) .

٢ - ومن الوجهة العقلية لا تنتج المكاشفة عند صاحبها يقيناً كاملاً - بل كأنما تخلق نصف يقين (احتمال) ... أما يقين النبي فقد كان كاملاً مع وثوقه بان المعرفة الموحى بها غير شخصية وطارئة ، وخارجة عن ذاته . (١٦٨) .

٣ - ومن ناحية مضمون الوحي فإنه يتخطى بكثير ما تتمكن المكاشفة أن تفعله ، فهل كان لرسول الله (ص) أن يفسر بالمكاشفة حالة أم موسى حين أُلقت ولدها في اليم ؟ وهل بالمكاشفة كان النبي يميز فيما ينطق به بين نوعين من (الايحاء) هما : الآية القرآنية التي يأمر بتسجيلها فوراً ، والحديث الذي يستودعه ذاكرة صحابته فحسب ، ومعلوم أن القرآن

من حيث المقاطع الصوتية جزء . مما نطق به النبي ؟ . ان تميزا كهذا يكون من السخف الخالص لو لم يكن لدى صاحبه في الوقت ذاته علم تام بالفرق بين القرآن والحديث .

إقناع النبي الشخصي بالوحي

ان اقتناع النبي النهائي بموضوعية ظاهرة الوحي وانفصالها عن ذاته أمر اساسي - من الجانب النفسي - في دراسة الظاهرة القرآنية . . أما الآن ، فيجب أن نحاول تتبع العملية التي يصدر عنها الاقتناع الشخصي لدى النبي ، فالطريقة التي استطاع بها أن يمكف بنفسه على حالته الخاصة لا تخرج دون شك عن القواعد التي يخضع لها نشاط فكر موضوعي كفكره . (١٧٦) . ومن هنا ينبغي أن تُبحث المسألة وفق مقياسين : ظاهري وآخر عقلي .

وعلى صعيد الاقتناع الظاهري الذي يجعل النبي (ص) يتحقق من وقوع الظاهرة في الواقع الموضوعي أو العالم الخارجي ، يكون أول ما يلاحظ من معالم الظاهرة ذلك الحادث « السمعى البصري » الذي رافق نزول الوحي أول مرة في هيئة جبرئيل يلقي اليه كلمة الله . و « بعد ظهور الوحي للمرة الأولى التي هزته هذا عميقا عاد محمد الى غار حراء وهناك عاودته الرؤية ، ولكنها في هذه المرة أكثر قربا ومباشرة ، وتأثيرا ، ومادية نوعا ما ، فان لها شكلا خاصا هو هيئة « رجل متشح بثوبه الأبيض » تأمره قائلة « اقرأ » ! (١٧٩) .

صحيح أن طريق الوحي الذي يصل النبي بالكلمة الالهية العميقة كان طريقاً سرّياً ، يتم العمل خلاله بشكل خفي جداً مغيّب حتى عن وعي أقرب الناس الى الرسول ، ولكن الصحيح جداً أن هذه السرية الخفية كانت تكشف عن بعض معالمها وخصائصها الظاهرة مشخصة في الحالة الحسية الطارئة التي يمر بها النبي فجأة ، على صورة احتقان وجهه والاحساس بنقل جسمه والشعور بألم المصانة الهائلة الغريبة .. وقد روت كتب السيرة غير قليل من هذه الحوادث .. لقد « استطاع أصحابه أن يلاحظوا - كلما نزل الوحي - شحوباً مفاجئاً ، يتبعه احتقان وجه النبي [الوجه فقط] ، وهو نفسه يدرك ذلك ، ولذا يأمرهم أن يلقوا على وجهه سترًا كلما طرأت الظاهرة » ألا يعني هذا الاحتياط أن هذه الظاهرة كانت مستقلة عن ارادة النبي (ص) حتى يصبح عاجزاً مؤقتاً عن أن يغطي وجهه بنفسه ، وهو يعاني حالة متناهية الايلام ، كما روت السيرة ؟ « ١٨١ - ١٨٢ »

« هذا التلازم الملحوظ بين ظاهرة نفسية في أساسها ، وحالة عضوية معينة ، هو الطابع الخارجي المميز للوحي » (١٨٢) . ولقد كان في هذه الاحداث الشخصية - بالقياس الى النبي - موضوع للتفكير ، لا يمكن أن يتغافل عنه فكره كـمقياس ظاهري خاص بحالته تلك - وهي على الأقل خطوة مهمة في طريق الاقتناع النهائي بظاهرة الوحي ، ومن ثم يجيء المقياس الآخر (المقياس العقلي) ليتِمَّ اقتناعه وينقله الى منطقة اليقين المطلق في ذاته .

ويقول مالك محدداً هذا المقياس العقلي - بإيجاز : « و « محمد ، صادق مع قومه ، وهو قبل ذلك صادق مع نفسه ، فدراسته الواعية لحالته

الغريبة يجب أن تكون نوعاً من الدرس الباطني للقرآن ، بحيث تقضي هذه الدراسة على أي شك يخاليل عينيه ، ما دام يمكنه ان يجربها على أساس منهجين مختلفين ، الاول : ذاتي محض يقتصر على ملاحظته وجود الوحي خارج الاطار الشخصي ، والثاني : موضوعي يقوم على المقارنة الواقعية بين الوحي المنزل وما ورد من التفاصيل المحددة في كتب اليهود والنصارى مثلاً ، ١٨٨ •

مقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي

منذ اللحظات الاولى للوحي :

- اقرأ -

- ما أنا بقارى !

توضع الذات المحمدية « في مقام المخاطب المفرد ، وسينزل الوحي في الواقع على ذات مخاطبة ، تؤديه واسطة عن الذات المتكلمة ، تستعمل هنا مباشرة اللغة الالهية لتأمر بالقراءة أمياً ، لا يتخيل نفسه قارئاً ، وهو لهذا قد اضطرب وأجفل » (١٩٤) • • • وكل ما يهمنا هو معرفة ما اذا كانت هذه الذات المخاطبة ، وتلك الذات المتكلمة يمكن أن يجتمعا نفسياً في ذات واحدة ، هي ذات « محمد » ١٩٤ •

وفي سياق هذا الحوار الذي تكرر فيه الامر الحازم ثلاث مرات ، وأعيد الجواب السلبي الخاشع - والقاطع أيضاً - ثلاثاً أيضاً : « ألا يمكن أن يفهم أن هذا الامر الصارم - الذي أجفل منه هذا الامي - قد ضرب

صفحة عن هذه الفكرة الموضوعية : فكرة أميته ؟ ، ١٩٥٠ ، ٠٠٠ وعلى هذا فان
مسألة ثنائية الذاتين المتجاورتين لابد من الايمان بها ، حيث تبرز الذات
المحمدية هنا شاهدا واعيا ، ومؤرخا صادقا للواقع .

ومن ناحية اخرى نلاحظ على امتداد الوحي زمنياً الى نهايته ، أن
الذات المحمدية لن تتحدث مع الذات المتكلمة حين مخاطبتها ، وهذا الصمت
- في ذاته - جدير بالملاحظة ؛ لأنه يسجل ادراك الرسول (ص) النهائي أمام
الظاهرة ، التي سيقف منها منذ ذلك الحين موقف التسليم . وستظل ذاته
- دائماً - صامتة في الخطاب القرآني الذي لن يذكر الأحداث الخاصة في
تاريخه ، فلن نجد أي صدى لآلامه وبخاصة عندما يفقد أكرم زوجة ،
وأفضل عم ، مع علمنا بما كان لديه من الحنو النبوي تجاه هاتين
الشخصيتين ، ١٩٦٠ .

وهناك - في القرآن الكريم - آيات من نمط خاص تمثل فيها ذات
النبي دوراً فريداً . . يدعو الى الانتباه . . واليقين .

الفكرة المحمدية

إذا كان مالك بن نبي قد قرر ، فيما مرّ ، انفصال الذات المحمدية
عن الظاهرة القرآنية ، فانه يعود هنا ليعطي الموضوع بُعداً أعمق ، ويرسم
الخط النهائي الحاسم . انه يتحدث في هذا المجال عن نوعين من الافكار ،
أو عن نمطين متمايزين - وحيثاً متعارضين - من أنماط التفكير .
ويلاحظ أن النبي (ص) قد اعطى ثقته المطلقة للفكرة القرآنية التي تمثل
- بالقياس الى فكره هو - الفكرة الحاسمة القاطعة المطاعة حتى في أعنا

الظروف وأحلك الحوادث ، وهو على استعداد دائم ليتخلى عن فكرته التي كوّنها في موضوع ما اذا نطق الوحي - في ذلك الموضوع - بكلمة . * فنحن أذن أمام فكرتين تتعللان في نظر النبي بقيمتين مختلفتين : الفكرة الشخصية التي تنبعث من معرفته البشرية ، والوحي القرآني المنزل عليه ، ٢٠٥ * ولقد ظهرت هذه الظاهرة أيضاً عند (ارمياء) النبي من قبل ٩

والقرآن الكريم - باعتباره وثيقة مطلقة الصحة في نظر النقد التاريخي - يؤكد هذا التمايز بين المصدرين ويرسم حدود العلاقة بينهما :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، الشورى ٥٢ *

و : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، العنكبوت ٤٨ *

وفي آيات أخرى يبدو القرآن وكأنما يشير الى تحديد مقصود للوحي في نقطة معينة بالذات ، كأنما ليعلق ضمير النبي واهتمامه بأشياء لم تكن قد أوحيت ، أو أن تنزل عليه قط ، وهاك مثلاً على ذلك قوله تعالى :

« ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ، فمنهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك ، القصص ٧٨ *

ففي هذه الآية يمضي الوحي القرآني ليس أبعد من الفكرة المحمدية فحسب ، بل أبعد مما قد أوحى فعلاً ...

وأخيراً ، فإن « من المقطوع به أن الأحاديث المحمدية والوحي القرآني يمثلان اسلوبين لكل منهما طابعه ، وصياغته الخاصة » ١٠٩ - وقد قبل « ان الاسلوب هو الرجل » .

• وبعد فليس لأحد أن يرتاب فيما تحويه هذه الآيات من نص قاطع تاريخي ونفسي بين الفكرة المحمدية والوحي القرآني ، ذلك الفصل الذي - متى استقر في شعور النبي - أضأء جوانب الظاهرة القرآنية ، ٢٠٩ •

الرسالة

ان الموضوعات التي تكون بحث (الرسالة) يجب أن تُفصل - عند الدراسة ومن حيث منبعها - عن تأثير ذات النبي فيها ، أو - بتعبير حاسم - أن يُستبعد نهائياً تأثير « اللا شعور » عند النبي في الظاهرة القرآنية • ويبدو أن هذه الفكرة قد وجدت صدى لها في بعض النفوس حتى قال مالك عنها بأنها « لعبت على أقلام الكتاب دوراً نظرياً هاماً في تفسير الظاهرة القرآنية •• ان نظرية « اللا شعور » ما تزال في مرحلة نشوئها ، ومع ذلك فقد استخدموها لكي يفسروا لنا - كما يدعون - الظاهرة القرآنية بطريقة موضوعية ••• ومن الصعب علينا أن نعتقد أن هؤلاء المؤلفين قد بذلوا أقل الجهد لكي يتفهموا اوضوع ، ٢١٤ •

هنالك وجد مالك نفسه مضطراً الى تجلية معنى هذه الكلمة وتجريدها من الوهم في تفسيرها ، وقد فعل •

* * *

لقد انقسمت محتويات (الرسالة) بين يدي مالك الى مجموعتين اثنتين ، أولاهما : الخصائص الظاهرية للوحي (التمجيد ، الوحدة الكمية ، •••) والآخرى : موضوعات ومواقف قرآنية ، وقد حاول مالك أن يحلل فيها المضمون الفكري - النفسي للقرآن من الداخل • كل ذلك

ليكشف عن حقيقة أن القرآن ظاهرة يجب أن تكون - في نظر العقل الموضوعي الناقد - مستقلة عن ذات انسانية ، ومنبثقة عن مبدأ أعلا مطلق ، هو الله سبحانه .

* * *

التنجيم :

طيلة ثلاثة وعشرين عاماً يظل القرآن ينزل حتى اكتمل .. وما كان تنزله دورياً وفق منهاج زمني ثابت لا يتخلف ، بل لقد كان الوحي ينقطع عن الاصال بالنبي (ص) ، أحياناً ، مدة لا تكون قصيرة ، وفي ظروف يكون فيها الوحي - بالقياس الى النبي - الحل الحاسم الوحيد ؛ فلم تكن حادثة الافك الحادثة الفريدة ، تلك الحادثة التي كان وضع انبي خلالها يحتم اتخاذ قرار حاسم في موقف محير مرعب .. ولكنه (ص) ظل ينتظر كلمة الله في الموضوع والتي لم يقلها الوحي الا بعد شهر من الانتظار على مضض .

لقد أثارت مسألة تفريق الوحي أو تنجيحه احساساً بالاستغراب عند الجاهلين والسخرية كذلك ، وهي حقيقة نلاحظها في وثيقة فريدة كالقرآن الكريم :

« وقال الذين كفروا : لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ! كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلاً ، الفرقان ٣٢ »

لقد كان التنجيم هو الطريقة التربوية الوحيدة الممكنة في حقبة تنسم بميلاد دين وبزوغ حضارة . وكان القرآن يهبط وكأنما هو برق خاطف في ظلمات الجاهلية . ثم « ماذا يعني هذا بالنسبة لتاريخ النبي ، لو انه كان قد تلقى وحياً كلياً مفاجئاً ، لو انه تلقاه كوثيقة ، أي نوعاً من صحف التفويض لدى بني الانسان ؟ أي أمل كان يمكن أن يلتسمه عنده قبيل بدر

مثلاً ، لو انه بدلاً من أن يتوقع امداد الملائكة ظل يكرر آية سبق أن حفظها عن ظهر قلب ؟ ... ماذا كان يكون ، لو انه لم يأت لكل ألم بغرائه العاجل ، ولكل نصر درسه في الاحتشام ، ولكل عقبة اشارة ما تقتضيه من جهد ، ولكل خطر أدبي أو مادي روح التشجيع اللازم لمواجهته ؟ • ٢٢١ •

ولو أن القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحول سريعاً الى كلمة مقدسة خادمة ، والى فكرة مية ، والى مجرد وثيقة دينية ، لا مصدرراً يبعث الحياة في حضارة وليدة • « واذن فليس يشق علينا أن نجد في هذا النهج التربوي ... طابع العلم العلوي أملئ » كلمة الله ، بطريقة التنجيم ، • ٢٢٢ •

الوحدة الكمية :

تتج عن ظاهرة التنجيم تفاصيل في الوحي • أي انه يتكون من وحدات متتالية هي الآيات • فكل وحي مستقل يضم وحدة جديدة الى المجموعة القرآنية ، وهي وحدة ذات مقياس كمي متغير ، ما بين أدناه (الآية المفردة) وأقصاه (السورة التامة) درجات •

ان الملاحظة التي تثير الاهتمام في هذه الوحدة الكمية أنها تتناسب في الزمن مع حالة تلقي الوحي عند النبي (ص) ، و « هذه الوحدة تؤدي بالضرورة فكرة واحدة ، وأحياناً مجموعة من الفكر المنتظمة في اسلوب منطقي يمكننا ملاحظته في آيات القرآن ، ودراسة هذه الفكرة في ذاتها ، وفي علاقتها ببقية حلقات السلسلة ، تكشف عن قدرة خالقة ومنظمة لا يمكن أن تنطوي عليها الذات المحمدية في تلك الظروف النفسية الخاصة بحالة الوحي [أي الظروف التي رأينا فيها النبي (ص) عاجزاً مؤقتاً عن أن يغطي وجهه المحتقن المنفصّد عرقاً] ، بل حتى في ظروفها الطبيعية ، بشرط أن نقرّ نتائج المقياس الاول ، • ٢٢٤ •

ومع فرض أن التفكير في هذه الحالة يمكن أن يحدث بصورة
لا شعورية وغير واعية لدى فرد معين ، فإن النبي - رغم هذا - لم يكن لديه
من الزمن المادي كيما يتصور وينظم تعاليمه في البرهة الخاطفة للوحي . .
ولسوف نرى أن هذه التعاليم تعبر أحياناً عن أفكار خارج حدود الفكر
تماماً في العصر المحمدي ، بل لا يمكن أن تخطر في فكر انساني .

إن هذا المقياس الكمي يبقى في حدود النظر المجرد لو لم يعقبه مالك
بأمثلة قرآنية تكشف عن هذه الوحدة في مجال التشريع وفي مجال التأريخ
أيضاً ، ولقد كانت آية التحريم من سورة النساء نصاً أساسياً يقرر في نفثة
واحدة من الوحي تشريع الزواج بجميع تفاصيله ، وشروطه القانونية
الضرورية ، وهو ينظم بصورة ما المحرمات من النساء ، مشتملاً بذلك على
حكمين جوهريين ، هما : الاستيعاب والحصر الكامل للحالات المشار إليها ،
وتصنيفها في نظام منطقي . وعليه فعدد ثلاثة عشرة حالة وتصنيفها الواضح
يستوجب ملاسات نفسية وزمنية متنافية مع خصائص الوحي ، ٢٦٢ .

أما الآية الحادية عشرة من سورة المنافقين : « إذا جاءك المنافقون . . . »
فقد اتخذها مالك مثلاً على الوحدة التأريخية التي أكد - بعد تفصيل - أن
ترتيب افكارها الدقيق الذي يتميز بالعمق واليقظة البالغة يتنافى مع الظروف
النفسية والزمنية والتي تبرز فيها (الوحدة الكمية) للقرآن ، حتى كأنما هي
ومضة خاطفة (٢٢٨) .

• وهو يتنافى أيضاً مع الارتجال والتلقائية لاسلوب القرآن ، وواجبنا
أن نذكر القاريء بأن الخطاب القرآني من الناحية الشكلية يعتبر عرضاً
شفوياً لا تظهر فيه الفكرة بالزمن المادي الكافي لتحقيق الدقة المنطقية التي
نلمسها في الاسلوب المكتوب . . . ٢٣٠ .

ان رحابة الموضوعات القرآنية وتنوعها الفريد - طبقاً لتعبير القرآن عن نفسه « ما فرطنا في الكتاب من شيء » - هي الأخرى صورة دالة بعمق ويقين - لمن يقرأ القرآن قراءة واعية - على أن الذات المحمدية ليست إلا مجرد واسطة لعلم غيبي مطلق • الى جوار ذلك فإن القرآن نادراً ما يتحدث عن تاريخ « محمد » الانسان • ان شمول القرآن لقضايا الانسان والكون والحياة بوعي وعمق وصدق عجيب هو الذي جعل فيلسوفاً مثل « توماس كاريل » يبعث من أعماقه صرخة اعجاب بالقرآن فيقول : « هذا صدى متفجر من قلب الكون نفسه » • • ان العقل الانساني ليقف فعلاً حائراً أمام رحابة القرآن وعمقه • انه بناء - كما يقول مالك - فريد ذو هندسة • ونسب فنية تتحدى المقدرة المبدعة لدى الانسان •

وكصورة من صور هذا المضمون المتراحم العميق ، يكون التشابه العجيب بين القرآن الكريم والكتاب المقدس ، هو الموضوع الذي أراد مالك أن يمضي في تجليته • اما القرآن فقد نصّ أكثر من مرة على هذا التشابه : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » •

« وعلى الرغم من أن القرآن يعلن بكل وضوح هذا التشابه والقراءة الى الكتب السابقة ، فانه يحتفظ بصورته الخاصة في كل فصل من فصول الفكرة التوحيدية » ٢٤٠ •

ان الدراسة المقارنة لموضوعات مثل (ما وراء الطبيعة) و (اخرويات) و (كُونيات) و (اخلاق) و (اجتماع) و (تاريخ الوحدانية) - بين القرآن

الكريم والكتاب المقدس ، لتكشف عن هذه الشخصية العميقة للقرآن - رغم التشابه - والتي تبرز مهيمنة على التوراة والانجيل والتي يبدو معها القرآن - في كثير من المواضيع - مكملًا أو مصححًا لمعلومات الكتاب المقدس • على أن الدراسة المقارنة لموضوع (تاريخ الأديان) قد قادت مالكا إلى أن يفتح باباً أوسع للدراسة ، تناول فيه التشابه العجيب في قصة يوسف التي واجهت النقد بمشكلة خطيرة ، سواء على عهد الرسول (ص) أم بعد ثلاثة عشر قرناً من ذلك •

« والواقع أننا لو صرفنا النظر - منهجياً - عن القيمة العلوية للقرآن ، ولو أغفلنا - تبعاً للهبوى - اعتباراته الأخرى ، فإن هذا التشابه سيظل لغزاً غير مفهوم ... ان سدى التاريخ واحد تماماً في كلتا الروايتين ، ومع ذلك فإن مجرد التأمل السريع يمكن أن يكشف لنا عن عناصر خاصة تميز كلتيهما على حدة » :

١ - فرواية القرآن تنغمر باستمرار في مناخ روحاني ، تشعر به في مواقف وكلام الشخصيات التي تحرك المشهد القرآني ... وفي مقابل ذلك نجد الرواية الكتابية تبالغ بعض الشيء في وصف الشخصيات المصرية - الوثنية بالطبع - بأوصاف عبرانية ...

٢ - والرواية الكتابية تكشف أيضاً عن أخطاء تاريخية تثبت صفة « الوضع التاريخي » ...

٣ - وفي رواية التوراة استخدم اخوة يوسف في سفرهم « حميراً » بدلاً من « العير » في رواية القرآن ، على حين ان استخدام الحمير لا يمكن أن يتسنى للعبرانيين إلا بعد استقرارهم في وادي النيل بعد أن

محضروا ؛ اذ الحمار حيوان حضري ... وفضلاً عن ذلك فان ذرية ابراهيم ويوسف كانوا يعيشون في حالة الرعاة الرحل ...

٤ - وأخيراً فان « حل » عقدة القصة يحمل طابع السرد التاريخي الممل في الرواية الكتابية ... أما في القرآن فان الحل يدور حول الطابع المميز لشخصية المحورية : يوسف .

لقد واجهت هذا التشابه الجوهرى - رغم الطابع القرآني المميز - اعتراضات منذ البدء ، لخصها مالك في :

- ١ - ان النبي قد تشبع - دون علم - بالفكرة التوحيدية التي ربما تمثلها لا شعورياً في عقبريته الخاصة ، كما يفيضها بعد ذلك في آيات القرآن .
- ٢ - ان النبي قد تعلم الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية ، تعلماً مباشراً وشعورياً ، لكي يستخدم ذلك فيما بعد في بناء القرآن .

ولكي يحل مالك هذه المشكلة بحث هذين الفرضين على التوالي من الوجهتين التاريخية والنفسية بافاضة نسبية ، لينتهي من بحثه الى قوله : « وعليه فلا شيء أقل احتمالاً من وجود تأثير توحيدي في البيئة العربية الجاهلية ، لانعدام المصادر اليهودية المسيحية المكتوبة فيها ، بحيث يصبح من المستحيل أن نقول بإمكان حدوث « امتصاص لا شعوري » للذات المحمدية في هذا الوسط الجاهلي ، ٣١٢ .

ويقول في ختام الرد على الاعتراض الثاني :

« ولعل من الواجب أخيراً أن نقرر - مجازاة لسذاجة التقاد المحدثين - أن النبي كان يعمل بطريقة عالم فقيه ، يكشف عن كثير من الوثائق ويتأملها ، ثم يرتبها وينسقها كما يستمد منها الرواية القرآنية ... !!! ، ٣٢١ .

موضوعات ومواقف قرآنية

باتهاء هذا الفصل تكتمل الصورة التي أراد « مالت بن نبي » ، أن يرسمها للمنهج الذي رآه ضرورياً في النظر الى مسألة الاعجاز ، وهو الفصل الذي عقده من أجل الكشف عما يميز القرآن ، بصفة خاصة عن عبقرية الانسان وابداعه الذاتي .

ارهاص القرآن :

أنّ أول ما يثبت الفارق العميق هنا هو ذلك الارهاص في آية من الآيات ، وكأنما هي تعلن عن سياق الافكار التي ستعقبها ، أو كأنما احتوت على علم سابق خارق للعادة بما سيليه من آيات .

أترى في هذا الارهاص الرغبة اللاشعورية التي تقذف بنفسها في غمار المستقبل ؟!

انّ الآية الثالثة من سورة « يوسف » ليست الآية الوحيدة التي تضمن هذا الارهاص : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين » . اننا نجد فيها ما يشبه التأكيد الاستهلاكي للقصة .. على أن النبي (ص) كان لا يعرف القصة المذكورة قبل نزول القرآن ، بل أن « عدم معرفته » هذه هي عنصر جوهرى لاقتناعه الشخصي .. فأمسنا - بلا مراء - طليعة لتيار الوحي ، الوحي الذي نزل بموضوع خاص محدد تماماً هو : قصة يوسف ، وهي ما زالت حتى اللحظة غريبة عن الفكرة المحمدية . هذا من الوجهة التاريخية . أما من الجانب

النمسي : فما كان له « شعور » النبي (ص) أي دور في عملية الوحي ، وهو
- بداهة - لا يحتوي تيار الوحي الذي لم يأت بعد . أما « لا شعوره » فلم
يكن له أن يلتقي فكرة مركبة أثبتتها التاريخ بصورة وضعية ايجابية ،
• ٣٢٨

فواتح السور :

أثارت مسألة فواتح السور - وما تزال - حواراً وجدالاً وتناولاً ،
خاصة وقد وردت في بدايات نصّ بعد أكمل نموذج أدبي استطاعت أن
تفصح عنه اللغة العربية . أما « مالك » فقد بحثها على أنها « مما لا مجال
للعقل فيه » ، أي ان معنى آيات مثل : « ألم . طه . حم . كهيعص . . . »
يقف سداً محكماً أمام العقل . ولا بأس ، فان الطابع الظاهري لهذه الآيات
هو الذي اهتم مالك بمحاولة تحليله واكتشاف الخاصة التي تفصل هذه
الآيات أساساً عن الفعل البشري . ان الحروف الهجائية في حدة ذاتها
كائنات رمزية غريبة عن مفهوم « الأمي » وفكره ، بحيث لا تعني هذه الآيات
عنده معنى عملياً . . . أتكون المسألة مجرد اختلال في شعور اضطرب مؤقتاً ؟
أم أن مرضاً عضوياً أصاب الجهاز الصوتي عند النبي (ص) فارتبك نظام
العلاقات اللفوية بين الحروف والكلمات ؟ :

- ١ - لكن النبي (ص) - كما أثبت المقياس الاول - يمثل أكمل المعادلات
الشخصية من جوانبها الخلقية والعقلية والبدنية .
- ٢ - ولنا نجد في أدب هذه الذات الشخصي وهو « الحديث » أي أثر
تلك المخلقات .
- ٣ - وأخيراً فان تخصيص وضع هذه الرموز في فاتحة بعض السور ، دون

بعضها الآخر ، فيه دلالة مؤكدة على وجود نظام ضمني مقصود يعمل
بارادة ووعي •

المنافضات :

قد تحدث منافضة صريحة بين الميول الطبيعية لدى النبي (ص) وبين
ما يمتريه خلال تلقية الوحي • وهذه ظاهرة جديدة تضاف الى حقيقة
ما تزال تعمق خلال البحث هي : موضوعية القرآن واستقلاله بالنسبة الى
الذات المحمدية • وهنا يحلل مالك بن نبي بعض الآيات التي تنطوي على
هذه الحقيقة • وتكون أول الآيات تلك التي تصور النبي في « بدء دعوته
يجهد ذاكرته وهو يعاني حالة التلقي » لكي يثبت الآيات كما نزلت ، وتلك
حالة غريزية تلقائية تحدث لأي إنسان ينصت لآخر ، وهو يريد أن يحفظ
كلامه ، فهو يكره في نفسه • ، لكن الوحي يخاطب النبي :

« ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى اليك وحيه » طه ١١١

فالآية هنا تهدف الى مصادرة حريته في استخدام ذاكرته ••• وبذلك
لا تجاهل الآية حرية اختيار النبي وإرادته أن يدرب ذاكرته فحسب ، بل
تجاهل أيضاً القانون انفسى لوظيفة التذكر نفسها ••• هذه المنافضة
المزدوجة لارادة النبي ، ولقانون وظيفة التذكر ، تثبت - بوجه خاص -
تفرد ظاهرة ذات مجال مطلق ، مستقل عن العوامل النفسية والزمنية ،
وبهذا تؤكد خاصتي السمو والاطلاق للظاهرة القرآنية • ٣٣٥ •

الموافقات :

« ان ارتيادنا القرآن وتأملنا له مع اختلاف مقاصدنا ومع تعلقتنا مقدماً
بمزايم المتقنين المحدثين ، يهزنا بنظام أفكاره الغريب ، ومادتها العجيبة » ثم

يقول مالك : « وإذا كان لا يليق بنا أن نعتبر القرآن كتاب علم فإنا نلاحظ فيه مع ذلك آيات تحتوي كلا الاهتمامين : لمسها حقيقة علمية ، والقائما بهذا للمس مزيداً من الوضوح على علاقة الذات المحمدية بالظاهرة القرآنية ، فدراسة هذه الآيات مفيدة اذن من الوجهتين التاريخية والنفسية ، (٣٤٠) ثم يقول « ولا شك أننا لو تأملنا من قريب هذه الغرائب فسنكتشف من المراد الفكرة القرآنية روحاً مذهلاً ، ونسقاً رفيعاً ، لا يصدر إلا عن معرفة مطلقة محضة تدفق منها الآية ، فنحن مضطرون الى أن نعتبر أمثال هذه الغرائب اشارات بينات ، وشهياً نواقب ، تكشف للفكر الانساني المجهور عن المصدر الغيبي الذي تدفقت منه تلك الفكرة ، بحيث سبقت عصور التقدم الانساني ، واتفقت مع الحقائق التي كشف عنها العلم بعد ذلك بقرون ، وكأنما سبقت هذه الغرائب العقل الانساني الذي يتطور ، لتكون طلائع شاهدة على السر الأسامي للمعرفة القرآنية ، ٣٤٢ »

ولقد أغرى مالكا تدفق هذه الفكرة وشدة اثارها للانسان المعاصر بأن يأتي بالمثال بعد المثال ، ثم يكشف عن ذلك التلاقي الفذ بين الحقائق النهائية للقرآن ، وما ادركه العلم من هذه الحقائق ، فهو يتنقل في هذا العرض الشيق بين حركة الارض وشكلها البيضاوي ... وأصل نشأة الارض .. وقانون « الهيم - ديكرت » عن الانكسار .. وظاهرة انخفاض الضغط في طبقات الجو العليا .. وأصل الانسان .. وشيء عن خطوط الطول .. وطريقة اشتعال المصباح الكهربائي .. وفكرة القذيفة أو القنبلة .. وأخيراً فكرة امتداد الكون التي تدفقت هذه الآية من سورة الذاريات :

« والسماء بناها بأيدٍ .. وانا لموسعون »

هكذا يبدو الفضاء - في نظر القرآن - وكأنه لا ينتهي ، وكأنه يزداد

على الدوام • هذه الفكرة هي التي هالت اثنتين نفسه عندما اكتشف عالم الطبيعة د هابل ، أن الكواكب السديمية تبعد عن سديمنا ، واستبط عالم الرياضة البلجيكي القسيس « لومتر » من ذلك نظرية « امتداد الكون » •

• أو ليس عجباً مذهلاً أن تضع الفكرة الموحاة - هكذا دائماً - معالمها المضيئة أمام الفكر العلمي ، حتى كأنها تصف له الطريق ؟؟ !؟ وهل يستطيع أحد أن يقول بأن معالم كهذه قد انبثقت من عقل أمي ؟؟ !؟ •

المجاز القرآني :

من منطلق حضاري - نفسي ينطلق مالك بن نبي في اكتشاف عصر هيمنة الظاهرة القرآنية وسموها على الظروف الاجتماعية والطبيعية في العصر القرآني - من ناحية الصورة البيانية في القرآن • « ان النقد الذاتي لأي أدب يجب أن يكشف في هذا الأدب - الى حد ما - عن علاقته بعناصر التربة التي ولد فيها ، اذ ان عبقرية أي لغة مرتبطة بما تهبسه الأرض لبلاغتها الخاصة ، فطبيعة المكان والسماء والمناخ والحيوان والنبات هذه كلها خلاقة للأفكار والصور التي تعتبر تراثاً خاصاً بلغة دون أخرى » • ولقد كان الشعر الجاهلي صورة للوسط الجغرافي الذي ولد فيه •• وكذلك فيما يتصل بتحليل الاسلوب القرآني ، فان هذا التحليل يجب أن يكشف عما يربطه بالتربة العربية •

ان صورة قرآنية مثل : « مثل الذين كفروا بربهم : أعمالهم كسراب بقيعة يحره الظمآن ماء ، حتى اذا جاء •• لم يجده شيئاً ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه » والله سريع الحساب • التور ٩٣ تقفنا أمام عناصر مجاز عربي النوع والمصدر ، فأرض الصحراء وسماؤها قد طبعا عليه انعكاسهما •• في حين أن صورة مثل :

• أو كظلمات في بحر لجي ، يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحب ، ظلمات بعضها فوق بعض •• إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، النور ٩٤ •

تبدو • لا علاقة لها بالوسط الجغرافي للقرآن ، بل لا علاقة لها بالمستوى العقلي ولا المعارف البحرية في العصر الجاهلي ••• وانما هي - في مجموعها - متزعة من بعض البلدان الشمالية التي يلفها الضباب ، ولا يمكن المرء أن يتصورها الا في بعض النواحي كثيفة الضباب في الدنيا الجديدة أو ايسلندا •• وفي الآية ، فضلاً عن الوصف الخارجى الذي يعرض المجاز المذكور ، سطر خاص ؛ بل سطران :

أولهما : الإشارة الشفافة الى تراكيب الأمواج •

والثاني : هو الإشارة الى الظلمات المتكاثفة في أعماق البحر • وهاتان العبارتان تستلزمان معرفة علمية بالطواهر الخاصة بقاع البحر ، وهي معرفة لم تتح للبشرية الا بعد معرفة جغرافية المحيطات ، ودراسة البصريات الطبيعية ••• ٣٥٦ •

وعلم ذلك فما كان لنا أن ننسب هذا المجاز الى عبقرية صنعتها الصحراء ، ولا الى ذات انسانية صاغتها بيئة قارية كثيثة الجزيرة •

القيمة الاجتماعية لفكر القرآن :

في ظروف عاتية معاكسة يُعَدّ النجاح في التخطيط الذي يغير - بصورة مذهلة - التركيب الاجتماعي للموضع الجاهلي - أثراً من آثار الارادة الالهية التي تصدر عنها الظاهرة القرآنية برمتها •

انّ القوة التخطيطية التغيرية التي نجحت في وضع حل ل • مشكلة الخمر ، التي ما تزال تواجه الانسانية ، قد حققها القرآن بتخطيط تشريعي -

نفسى ، كان من آثاره اليوم • أن الإحصاء في البلاد الإسلامية ، حتى المتدهورة منها ، يدلنا على قلة تعاطي الخمر فيها ، بينما تعاني الإنسانية منها - بكل أسف - في البلاد المتحضرة • فالعالم الإسلامي بوجه عام يجهل منذ ثلاثة عشر قرناً هذه النكبة • • بعد أن كان الوسط الذي نزل فيه القرآن قد شاع فيه شرب الخمر ، وتركزت تجارتها بصورة مزمنة ، أي أن الخمر كانت مما تقوم به الحياة الجاهلية نفسياً واقتصادياً •

• ولعلنا لا نستطيع أن ندرك أهمية هذه الاعتبارات عن الظاهرة القرآنية لو لم يكن لدينا مثال آخر لتشريع إنساني نجعله أساساً لمقارنة الخطوة القانونية • لقد أثارت المشكلة بعد ذلك بثلاثة عشر قرناً من الزمان

اهتمام المشرعين •• في الولايات المتحدة الأمريكية ••• فحوالي عام ١٩١٨ ثارت المشكلة في المراتي العام الأمريكي • وفي عام ١٩١٩ أدخل في الدستور الأمريكي تحت عنوان (التعديل الثامن عشر) • وفي نفس السنة أيد هذا التعديل بأمر خطر أطلق عليه التاريخ : قانون (فولستد) • وقد أعدت لتنفيذ هذا التحريم داخل الأراضي الأمريكية وسائل هي (١) الاسطول بأجمعه لمراقبة السواحل (٢) الطيران لمراقبة الجو (٣) المراقبة العلمية •

فماذا كان الحل ؟

فشل كامل لأمر الحظر ، وسقوط قرره التعديل الدستوري الحادي والعشرون الذي صدق عليه الكونجرس عام ١٩٣٣ • •

موقف القضاء الإسلامي

عن شهادة غير المسلم

الشيخ عارف البصري

مدرس النظام والتفسير
في كلية أصول الدين

تحتل دراسة الفقه الإسلامي في عالمنا المعاصر

مقام الصدارة بين جملة الدراسات الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية ذات الصلة المباشرة بحياتنا كأمة مسلمة ومجتمع إسلامي لذلك حتم الوعي الجديد المتنامي في أقطار أمة الإسلام نشر الدراسات العميقة والموسوعات المقارنة في هذا الباب مما يكون حلقة موصولة الحلقات بالبناء الفكري والروحي لقاعدة التشريع المعتمدة في شريعة الإسلام ومما نحن بامس الحاجة إليه في أحياء نفوسنا بالفهم لمسائل حياتنا والتفقه في ديننا ، واغناء الفكر القانوني والتطبيق القضائي بمواد شرعية وأصول عملية تعين الممارسين في هذا المجال .

وبحث الأستاذ الشيخ العارف يأتي ضمن هذا الخط خصوصاً إذا عرفنا أن البحث يختص بالتعريف بموقف القضاء الإسلامي وهو لون من ألوان الحكم - حيث هو لله - من شهادة غير المسلم نرجو أن ينتفع به القضاة والمحامون وأهل الاختصاص في الموضوع .

« هيئة التحرير »

الفصل الاول

تعريف الشهادة :

قبل أن نخوض البحث في استطلاع آراء فقهاء الاسلام في (شهادة غير المسلم) ، والخروج بالرأي المختار فيها ، ينبغي أن نلم المصاحفة يسيرة بمعنى الشهادة - لغة واصطلاحاً - ثم نلقي ضوءاً على الشروط العامة التي اشترطها الفقهاء في الشاهد ، نظراً للترابط الوثيق بين هذه الشروط فأقول : الشهادة - لغةً - هي الاخبار القاطع^(١) . ولهذا عبر عنها بعض الفقهاء بأنها (الاخبار عن يقين)^(٢) . قال تعالى : (يا أهل الكتاب لم تكفرون بأيات الله وأنتم تشهدون)^(٣) . - أي تعلمون .

واختلف اللغويون في مصدر اشتقاق لفظة (الشهادة) ، فمنهم من قال بأنها مشتقة من المشاهدة بمعنى (المعاينة) للواقعة المشهود بها . قال ابن منظور : (وأصل الشهادة : الاخبار بما شاهده)^(٤) ، ومنه قول النبي ص - لمن سأله عن الشهادة : اذا رأيت مثل الشمس فأشهد والادع^(٥) .

(١) لسان العرب ، القاموس المحيط ، مجمع البحرين - في مادة (شهد) .

(٢) جواهر الكلام - للمحقق النجفي كتاب القضاء - باب الشهادات .

(٣) آل عمران - الآية - ٧٠ - .

(٤) لسان العرب - مادة (شهد) .

(٥) الوسائل : كتاب القضاء - باب الشهادات ج ١٨ ص ٢٥٠ .

ولهذا سمي الاداء شهادة^(٦) . ومنهم من قال بأنها مشتقة من
المشاهدة بمعنى (الحضور) في مجلس القضاء ، كقول الرجل شهدت
مجلس فلان أي حضرته ، ومنه قول الله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر
فليصمه)^(٧) ، ومن حيث أن الشاهد يحضر مجلس القاضي للاداء سمي
شاهداً ، وسمي أداؤه شهادة .

والأول أقرب ، نظراً الى أن المقصود بالشهادة ادلاء الشاهد أمام
القاضي بما علمه عن طريق حضور الواقعة ، وليس المقصود بها حضوره
أمام القاضي ، حتى يقال بأنه سمي شاهداً لحضوره أمام القاضي ، وذلك
لان حضوره وسيلة للادلاء بالشهادة وليس غاية .

ومهما يكن من أمر ، فاتفق مع اختلافهم هذا ، فانهم متفقون على أن
الشهادة يجب أن تكون عن علم قاطع سواء أكان منشأ الاشتقاق هو المعاينة
أم الحضور .

وأما الشهادة في اصطلاح الفقهاء : فقد ذكروا لها عدة تعاريف
أكثرها ان لم يكن كلها يكاد أن ينتهي الى معنى واحد ، من ذلك ما عرفها
به المحقق الشيخ محمد حسن النجفي في الجواهر بأنها : (اخبار جازمة عن
حق لازم للغير واقع من حاكم)^(٨) .

(٦) المبسوط - للسرخسي ج ١٦ ص ١١٢ .

(٧) البقرة - ١٨٥ - وعلق ابن منظور في لسان العرب - مادة
(شهد) على هذه الآية الكريمة بقوله : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه :
معناه : من شهد منكم المصر في الشهر فليصمه ، لا يكون الا ذلك لان
الشهر يشهده كل حي) ، فتأمل .

(٨) جواهر الكلام - للمحقق النجفي - كتاب القضاء - باب
الشهادات .

ومنها تعريف الاستاذ بهنسي حيث عرفها بتعريفين فقال :
 (١) والشهادة شرعاً : هي اخبار صدق لاثبات حق بلفظ الشهادة في
 مجلس القضاء . ثم قل : (أو هي اخبار بحق للغير على الآخر سواء
 أكان حق الله تعالى أم حق غيره ، ناشئاً عن يقين لا عن حسان
 وتخمين) (٩) .

كما عرفها الكاساني في البدائع بقوله : (هي الاخبار عن ما في يد
 غيره لغيره) (١٠) .

والذي يبدو للمتأمل أن هذا التعريف الأخير غير جامع ، نظراً
 لاختصاصه بحسب الظاهر بخصوص الشهادات المتعلقة بالأموال ، وعلى
 ذلك تخرج الشهادات المتعلقة باثبات الحدود وغيرها ، كالشهادة على شارب
 الخمر والمزاني وغيرهم ، ولكن مع ذلك ينبغي أن لا ننسى بأن
 الشهادة أمر عرفي ، والأمور العرفية ، التي لم يرد فيها تحديد ثابت من
 قبل الشارع - كالشهادة مثلاً - غالباً ما يصعب تحديدها تحديداً مستكملاً
 لشروط الحدود عند علماء الميزان .

* * *

حجية الشهادة :

الشهادة قسم من أقسام الخبر الواحد ، والخبر الواحد من الطرق
 العقلية التي لاتفيد العلم بل يحتمل فيها الصدق والكذب ، وكل ما ليس
 بقطع ، ولا ينتهي الى القطع ، فهو ليس حجة قطعاً ، وذلك للنهي عن
 اتباع ما سوى العلم كقوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) .
 وللنهي عن اتباع الظن ، كقوله تعالى (ان تتبعون الا الظن) و (ان الظن

(٩) : القصاص في الفقه الاسلامي : احمد فتحي بهنسي ص ١٦٥ .

(١٠) : بدائع الصنائع - للكاساني ج ٦ ص ٢٦٦ .

لا يفتي من الحق شيئاً (يونس - ٣٦ - ولذلك فإنه لولا الأدلة القطعية التي نصت على صحة العمل بمقتضى الشهادة وترتيب الأثر عليها ، بالشروط التي اعتبرها الشارع المقدس فيها ، لما كانت الشهادة حجةً يجوز الركون إليها والعمل بمقتضاها .

أما هذه الأدلة فهي :

١ - الكتاب العزيز :

أ - قوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) .
- البقرة - الآية ٢٨٢ -

ب - قوله تعالى : (ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) .
- البقرة - الآية ٢٨٣ -

ج - قوله تعالى : (وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله) .
- الطلاق - الآية ٦٥ -

فهذه الآيات الكريمة كل واحدة منها نص في تشريع الشهادة وجواز العمل بمقتضاها ، وترتيب الآثار عليها .

٢ - السنة الشريفة : وقد ورد فيها من الطريقتين اللفظي والعملي ما يدل على تشريع الشهادة ، ولعل من أوضح النصوص الدالة على ذلك الأحاديث التالية :

أ - عن الإمام محمد الباقر - ع - قال : قال رسول الله - ص - : من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرئ مسلم ، أو يزوي بها مال امرئ مسلم ، أئني يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر ، وفي وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه ونسبه ، ومن شهد شهادة حق ليحبي بها حق امرئ مسلم أئني يوم القيامة ولوجهه نور مد البصر تعرفه الخلائق باسمه ونسبه ،

ثم قال الامام الباقر -ع- ألا تسرى أن الله عز وجل يقول : (وأقيموا
الشهادة لله) (١١) .

ب - عن الامام جعفر بن محمد الصادق -ع- عن آبائه -ع- عن
النبي -ص- في حديث المناهي أنه نهى عن كتمان الشهادة وقال : من
كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق وهو قول الله عز وجل :
(ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) (١٢) .

ج : قال رسول الله -ص- (ومن رجع عن شهادته أو كتمها أطعمه
الله لحمه على رؤوس الخلائق ، ويدخل النار وهو يلوك لسانه) (١٣) .

د - عن الامام الحسن بن علي العسكري -ع- في تفسيره عن أمير
المؤمنين -ع- في قوله تعالى : (ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ...) قال :
من كان في عنقه شهادة فلا يَأْبُ إذا دُعِيَ لأقامتها ، وليقمها ، ولينصح فيها ،
ولا تأخذ فيها لومة لائم ، وليأمر بالمعروف وينه عن المنكر) .
وأما السنة العملية فإنه ثبت بالتواتر بين المسلمين عمل الرسول -ص-
بالشهادة وترتيب الآثار العملية عليها .

فهذه الأدلة والحجج الشرعية القاطعة أصبحت الشهادة حجة شرعية
يجوز الاعتماد عليها والعمل بمقتضاها .

* * *

ثم إن الشهادة وإن كان دليل حجيتها من سنخ دليل حجية الخبر
الواحد ، وأنهما يتشابهان في أنهما لا يكشفان عن الواقع كشفاً

(١١) وسائل الشريعة - محمد بن الحسن العاملي - ج ١٨ ص ٢٢٧ .

(١٢) وسائل الشريعة - كتاب الشهادات ج ١٨ ص ٢٢٨ .

(١٣) نفس المصدر السابق .

حقيقاً قطعياً ، وانما يكشفان عنه كشفاً تنزيلياً ظاهرياً ، الا أن الشهادة تختلف عن الخبر في عدة جهات أهمها :

ان العدد شرط فيها ، وليس هو كذلك في خبر الواحد ، فان الشارع المقدس أجاز ترتيب الاثر على الخبر الواحد اذا توفرت شروط الصحة في الحديث ، مع انه لا يكفي بشهادة العدل الواحد ، وان أفادت وثوقاً أكثر من شهادة العدلين^(١٤) .

* * *

حكم الشهادة :

أداء الشهادة في مجلس القضاء فرض كفاية على من توفرت فيه شروط تحملها ، فيما اذا دعي لأدائها لقوله تعالى : (وأقيموا الشهادة لله . . .) ، ولقوله تعالى : (ولا تكلموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) ، الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي ورد فيها الامر الصريح بوجوب أداء الشهادة ، والنهي الصريح عن كتمانها .

واذا انحصرت في شخصين مؤهلين لأدائها ، وجبت عليهما على نحو الوجوب التعيني ، عالم يلزم من أدائها لها ، ضرر عليهما ، لقوله تعالى : (ولا يضار كاتب ولا شهيد) ولانه لا يلزم الشخص أن يضر بنفسه لنفع غيره^(١٥) .

هذا هو المشهور بين الفقهاء في حكم الشهادة من ناحية الشاهد ، غير

(١٤) المبسوط للسرخسي ج ١٦ ص ١١٢ .

(١٥) شرائع الاسلام للمحقق الحلي - كتاب الشهادات ص ،
المغني لابن قدامة ج ١٠ ص ٢١٥ المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٥٢٣ - المسألة ١٧٩٨ .

أن الأحناف فصلوا فقالوا : ان موضوع الشهادة ان كان من حقوق العباد - وجب على الشاهد الاداء ، ولو امتنع بعد الطلب أمم * وان كان من حقوق الله تعالى - فيما سوى الحدود - نحو طلاق امرأة ، وإعتاق عبد ، والظهار والايلاء ، ونحوها من أسباب الحرمات تلزمه الاقامة حسبة لله تعالى عند الحاجة الى الاقامة من غير طلب من أحد من العباد * وأما في أسباب الحدود ، من الزنا والسرقه وشرب الخمر والقذف ، فهو مخير بين أن يشهد حسبة لله تعالى ، وبين أن يستر ، لان كل واحد منهما أمر مندوب في نفسه (١٦) .

هذا هو حكم الشهادة من ناحية الشاهد على ما ذكره الفقهاء ، أما من ناحية القاضي ، فتى ما كانت الشهادة مستكملة لشرائط الصحة والقبول ، فلا يجوز للقاضي ردها ، ووجب عليه الحكم بمقتضاها ، وترتيب الأثر عليها .

* * *

شروط الشهادة :

للشهادة مرحلتان ، التحمل والاداء ، ولا بد أن يتوفر في الشاهد في كل من المرحلتين شروط خاصة سنأتي على ذكرها .

أما مرحلة التحمل : ونقصد بها أن يكون الشاهد أهلاً لفهم الحادثة وضبطها الى حين أداء الشهادة أمام القاضي في مجلس القضاء .

وأهم الشروط التي يجب أن تتوفر في شخص الشاهد في هذه المرحلة مايلي :

١ - العقل : فان القضايا الواقعة في حالة جنون الشاهد لا تقبل شهادته فيها اجماعاً .

(١٦) البدائع - ج ٦ ص ٢٨٢ .

٢ - البصر : عند أكثر الأحناف (١٧) ، خلافاً للإمامية (١٨) ، حيث
جوزوا شهادة الأعمى فيما لا يتوقف العلم به على المشاهدة (١٩) مثل النسب
والموت ، وبه قى مالك وأبو يوسف والشافعي على ما حكاه الشيخ الطوسي
عنهم في الخلاف (٢٠) .

وقال صاحب البداية - من الأحناف : (ولا يجوز للشاهد ان يشهد
بشيء لم يعاينه الا في النسب) (٢١) .

وقال السرخسي في المبسوط : (ولا يتحقق ذلك - يعني العلم - منه
- أي الشاهد - اذا لم يعلم به ، وطريق العلم المعاينة اذا كان المشهود به
مما يعاين ، والسماع اذا كان مما يسمع كإقرار المقر) (٢٢) .

ومما نقله الشيخ الطوسي في الخلاف في مسألة شهادة الأعمى على
الإقرار قوله (وشهادة على الإقرار لا تصح بشهادة الأعمى عليه ، وبه
قال في الصحابة علي بن أبي طالب - ع - وفي التابعين الحسن البصري
وسعيد بن جبير والنخعي ، وفي الفقهاء الثوري وأبو حنيفة وأصحابه
وعثمان البتي وسوار القاضي ، وعليه أهل البصرة ، وأكثر الكوفيين ،
وذهب طائفة الى أن شهادته على العقود تصح ، وذهب اليه في الصحابة
عبدالله بن عباس وفي التابعين شريح وعطاء والزهري وفي الفقهاء ربيعة
ومالك والليث بن سعد والثوري وابن أبي ليلى) (٢٣) . وذهب أبو حنيفة

(١٧) المبسوط للسرخسي ج ١٦ ص ١١٣ .

(١٨) الجواهر - للمحقق النجفي - كتاب الشهادات .

(١٩) الخلاف للشيخ الطوسي ج ٣ ص ٣٣١ .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) بداءة المبتدىء - المطوعة ضمن الهداية - ج ٣ ص ١٢٠ ، كتاب

الأم للشافعي ج ٧ ص ٤٦ .

(٢٢) المبسوط ج ١٦ ص ١١٦ .

٣ - العلم :

(٢٣) الخلاف - الشيخ الطوسي - ج ٣ ص ٣٣١ .

ومحمد الى أنه لا تصح الشهادة من الاعمى لا تحملاً ولا أداءاً فيما لا يحتاج الى المشاهدة ، وبذلك جعل الاعمى كالجنون من هذه الناحية . ونسب اليهما القول ، بأنه لو شهد بصيران عند الحاكم فسمع شهادتهما ثم عميا أو خرسا قبل الحكم بهما لم يحكم كما لو فسقا قبل الحكم بشهادتهما^(٢٤) . وفي فقه أحمد بن حنبل : (تجوز شهادة الاعمى اذا يتقن الصوت)^(٢٥) .

٣ - العلم : فالأصل في الشهادة البناء على العلم واليقين . قال الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) ، وقال -ص- لمن سأله عن الشهادة : ترى مثل الشمس ؟ فقال نعم . فقال -ص- على مثلها فأشهد والا دع . الا أن من الحقوق مالا يحصل اليقين فيه ، ولا يستغنى عن إقامة البينة عليه ، فأقيم الظن المؤكد فيه مقام اليقين . ولذلك قسم الفقهاء المشهود به من هذه الناحية الى ثلاثة أقسام :

الاول : ما يكفي فيه الابصار وهو الأفعال : كالزنا والشرب والغصب والاتلاف والسرقة والقتل والولادة والرضاع والاصطياد والاحياء ، وكون المال في يد الشخص ، فيشترط فيها الرؤية المتعلقة بها وبفاعلها ، ولا يجوز الشهادة في هذه الامور على السماع من الغير ، وتقبل فيها شهادة الأصم ، اذ لا مدخل للسمع فيها^(٢٦) .

الثاني : ما يكفي فيه السماع : وذلك في مثل النسب والموت والملك المطلق ... لتعذر الوقوف على مثل هذه الامور بالمشاهدة غالباً^(٢٧) .

(٢٤) المصدر السابق : والبدائع ج ٦ ص ٢٦٦ .

(٢٥) العدة في شرح العدة - للمقدسي - ص ٦٤٦ .

(٢٦) المسالك - للشهيد الثاني حاشية على الشرائع ص ٣٣٨ .

(٢٧) بدائع الصنائع ج ٦ ص ٢٢٦ .

ويتحقق كل واحد منها بتوالي الاخبار من جماعة لا يضمهم قيد المواعدة والاتفاق (٢٩) .

- الثالث : ما يفترق الى السماع والمشاهدة كالنكاح والطلاق والبيع والشراء والصلح والاجارة وجميع العقود والفسوخ والافرار بها ، فان حاسة السمع لا تكفي في فهم اللفظ ولا بد من البصر لمعرفة الالفاظ (٣٠) .

* * *

اداء الشهادة :

هذا كله في مرحلة تحمل الشهادة ، أما فيما يتعلق بمرحلة أدائها - ونقصد بها بيان الشاهد للقاضي ما علمه بخصوص حادثة معينة في مجلس القضاء - فيشترط فيمن يتولى أداء الشهادة في هذه الحالة عدة شروط :

١ - البلوغ :

فلا تقبل شهادة الصبي الذي لا يميز ، وذلك لانه لا يقدر على الاداء الا بالتحفظ والتحفظ بالتذكر والتذكر بالتفكر وهو لا يوجد من الصبي عادة (٣٠) .

وقيل لأن الشهادة فيها لون من ألوان الولاية ، والصبي مولى عليه ، ولانه لو كان له شهادة للزمته الاجابة عند الاستدعاء للاداء ، لقوله تعالى : (ولا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) ، مع أنه غير ملزم بالاجابة اجماعا لعدم شموله بالتكليف (٣١) .

(٢٨) الشرائع - للمحقق الحلبي - ص ٣٣٨ .

(٢٩) المصدر السابق ص ٣٣٩ .

(٣٠) بدائع الصنائع : ج ٦ ص ٢٦٦ .

(٣١) المصدر السابق .

وقال الشيخ الطوسي : (تقبل شهادة الصبيان بعضهم على بعض في الجراح مالم ينفروا اذا اجتمعوا على أمر مباح كالرمي وغيره) (٣٢) .

ونسب السرخسي الى الامام مالك القول بقبوله شهادة الصبيان أيضا في الجراحات وتمزيق الثياب التي بينهم قبل ان ينفروا (٣٣) .

٢ - الحرية :

قيل لا تقبل شهادة العبد مطلقا لا على حر ولا على عبد ، لا في قليل ولا في كثير . ذهب اليه في الصحابة عمر وابن عباس وابن عمر ، وفي التابعين شريح والحسن البصري وعطاء ومجاهد ، وفي الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه والشافعي والاوزاعي والثوري على ما نسب اليهم الشيخ الطوسي في الخلاف (٣٤) .

واستدلوا على ما ذهبوا اليه بما يلي (٣٥) :

١ - قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) ، والشهادة شيء فلا يقدر على أدائها بظاهر الآية :

٢ - ان الشهادة تجري مجرى الولايات والتمليكات . أما معنى الولاية فيها ، فإن الشهادة تنفيذ لقول الشاهد على الغير ، وهذا من باب الولاية ، وأما معنى التملك فإن الحاكم يملك الحكم بالشهادة ، فكأن الشاهد ملكه والعبد لا ولاية له على غيره ، ولا يملك فلا شهادة له ، للآية الكريمة المار ذكرها ، ولا تجب عليه لقيام حق المولى .

(٣٢) الخلاف - للشيخ الطوسي ج ٣ ص ٣٣٣ .

(٣٣) المبسوط - للسرخسي ج ١٦ ص ١٣٦ .

(٣٤) الخلاف - ج ٦ ص ٣٣٢ .

(٣٥) البدائع - ج ٦ ص ٢٦٨ .

ونقل الشيخ الطوسي اجماع فقهاء الامامية على القول بقبول شهادة العبد الا على مولاه^(٣٦) . حيث قال : (ان العبد اذا كان مسلماً بالغاً عدلاً قبلت شهادته على كل أحد من الاحرار والعبيد الا على مولاه ، فأما غيره فإنه قبل شهادته لهم وعليهم استناداً الى قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) قال وذلك عام في الجميع ، وقول تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم) ، قال فهذا عدل^(٣٧) .

وزهد ابن النجار - من الحنابلة - في منتهى الارادات الى ما ذهب اليه الامامية^(٣٨) .

٣ - العدالة :

فلا تجوز شهادة الفاسق لقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم) ، ولقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) والشاهد المرضي هو الشاهد العدل . واختلف الفقهاء في تحديد (العدالة) ، فمن فقهاء الامامية قال السيد الحكيم : العدالة هي الملكة المانعة من الوقوع في المعاصي الكبيرة غالباً^(٣٩) . وذكر الكاساني في البدائع ، في بيان معنى العدالة ، عدة أقوال سبها الى البعض ، منها : (من لم يظعن عليه في بطن ولا فرج فهو عادل) ومنها : (من لم يعرف عليه جريمة في دينه فهو عادل) ، ومنها (من غلبت حسناته سيئاته فهو عدل)^(٤٠) .

(٣٦) الخلاف - الشيخ الطوسي - ج ٣ ص ٣٣٣ .

(٣٧) المصدر السابق .

(٣٨) منتهى الارادات - لابن النجار - ج ٢ ص ٦٦٢ .

(٣٩) منهاج الصالحين - السيد الحكيم ج ١ ص ٦ ط ١٢٠ .

(٤٠) البدائع - للكاساني - ج ٦ ص ٢٦٦ .

وقال ابن حزم - من الظاهرية - (والعدل هو من لم تعرف له كبيرة ، ولا مجاهرة بصغيرة) (٤١) .

نعم نسب صاحب الهداية - من الاحناف - الى أبي يوسف القول بقبول شهادة الفاسق اذا كان وجيها ذا مروءة (٤٢) ، وعقب - صاحب الهداية - على ذلك بقوله (والاول - يقصد القول باشتراط العدالة - أصح ، الا أن القاضي لو قضى بشهادة الفاسق يصح عندنا) (٤٣) .

٤ - النطق :

وقد اشترطه الاحناف وباقي اصحاب الشافعي (٤٤) ، ودليلهم هو أن مراعاة لفظ الشهادة شرط في صحة أدائها ، والاخرس لا عبارة له أصلا فلا شهادة له (٤٥) .

وذهب المشهور لدى فقهاء الامامية - بل عن الخلاف من غير خلاف - الى انه يصح من الاخرس تحمل الشهادة في الامور التي لا يتوقف العلم بها على السمع كالزنا والشرب والغصب وغيرها ، كما يصح عندهم منه الاداء (٤٦) .

ومن فقهاء الحنابلة قال صاحب الاقناع : (الثالث : الكلام : فلا تقبل شهادة أخرس ولو فهمت اشارته ، الا اذا أداها بخطه) (٤٧) .

(٤١) المحلى - لابن حزم ج ٦ ص ٤٧٩ .

(٤٢) الهداية - للمرغيناني - ج ٣ ص ١١٨ .

(٤٣) المضنذر السابق .

(٤٤) الخلاف ج ٣ ص ٣٣٢ .

(٤٥) البدائع - للكاشاني ج ٦ ص ٢٦٨ .

(٤٦) الخلاف - الشيخ الطوسي ج ٣ ص ٣٣٢ .

(٤٧) الاقناع - ج ٤ ص ٤٢٦ .

٥. في الإسلام :

اشتهر بين فقهاء المسلمين ، بل نقل الأجماع على القول باشتراط الإسلام في الشاهد عندهم^(٤٨) . ففي المذهب الامامي : قال الشيخ الطوسي : (شهادة أهل الذمة لا تقبل على المسلمين بلا خلاف بين أصحابنا)^(٤٩) . وقال المحقق الحلبي في المختصر النافع : (وتقبل شهادة المؤمن على أهل الملل ولا تقبل شهادة أحدكم على المسلم ولا غيره)^(٥٠) . وقال الشهيد الثاني في المسالك : (من شرط قبول الشهادة : اسلام الشاهد)^(٥١) . وجاء في اللمعة - للشهيد الاول - وشرحها (الروضة) للشهيد الثاني قولهما [(والإسلام) فلا تقبل شهادة الكافر وإن كان ذمياً (ولو كان المشهود عليه كافراً على الأصح) لاتصافه بالفسق والظلم المائنين من قبول الشهادة]^(٥٢) .

وفي المذهب الحنفي :

قال السرخسي في المبسوط : (وتقبل - أي الشهادة - من المسلمين على أهل الذمة ولا تقبل من أهل الذمة على المسلمين)^(٥٣) . وذكر أيضاً بأنه تقبل شهادة الذمي على المستأمن ولا تقبل على المسلم ، والمسلم تقبل شهادته عليهما^(٥٤) . وقال الكاساني : (وأما البلوغ والحرية والإسلام

(٤٨) جواهر الكلام - للمحقق النجفي - كتاب الشهادات .

(٤٩) الخلاف - الشيخ الطوسي - ج ٣ ص ٣٣٣ .

(٥٠) المختصر النافع ص ٢٨٧ .

(٥١) المسالك حاشية على الشرائع ص ٣٣٦ - طبع إيران .

(٥٢) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية - ج ١ ص ٢٥٢ -

ط مصر .

(٥٣) المبسوط - السرخسي ج ١٦ ص ١٥٠ - ط : ١ .

(٥٤) المصدر السابق .

والعدالة ، فليست من شرائط التحمل بل شرائط الاداء (٥٥) .

وقال أيضا : (وأما شهادة صاحب الهوى اذا كان عدلا في هواء
ودينه ، نظر في ذلك : وان كان هوى يكفره لا تقبل شهادته ، لأن شهادة
الكافر على المسلم غير مقبولة ...) (٥٦) .

وفي المذهب الشافعي : جاء في كتاب (الأم) قوله : (واذا شهد
الغلام قبل أن يبلغ والعبد قبل أن يعتق ، والكافر قبل أن يسلم لرجل
بشهادة ، فليس للقاضي أن يجيزها ولا عليه أن يسمعها ، وسماعها منه
تكلف) (٥٧) . وقال في باب الموارث من المصدر نفسه : (ولا تجوز
شهادة أحد خالف الأحرار البالغين في شيء من الدنيا لأن الله تبارك وتعالى
قال (ممن ترضون من الشهداء) ولا رضا في أحد خالف
الاسلام ...) (٥٨) . وقال في موضع آخر - بعد قوله تعالى - واستشهدوا
شهيدين من رجالكم - : (وكان الذي يعرف من خوطب بهذا أنه أريد
به الأحرار المرضيئون المسلمون من قبل رجالنا ومن نرضاه من أهل ديننا
لا المشركون لقطع الله الولاية بيننا وبينهم بالدين ...) (٥٩) .

وفي المذهب الحنبلي : قال صاحب المحرر في الفقه : (ولا تقبل
شهادة الكفار الا بالوصية في السفر) (٦٠) . وقال صاحب العدة في شرح
العدة في شروط الشاهد : (الرابع : الاسلام فلا تقبل شهادة الكافر

(٥٥) بدائع الصنائع - ج ٦ ص ٢٦٦ .

(٥٦) المصدر السابق .

(٥٧) كتاب الأم : ج ٧ ص ٤٧ .

(٥٨) المصدر السابق : ج ٦ ص ٢٣٣ .

(٥٩) كتاب الأم : ج ٧ ص ٨٨ .

(٦٠) المحرر في الفقه - لأبي البركات - ج ٢ ص ٢٧٢ .

بحال (٦١) *

وفي المذهب الظاهري : قال ابن حزم في كتاب الشهادات من المحلى :
(ولا يجوز أن يقبل من كافر أصلاً لا على كافر ولا على مسلم حاشى الوصية
في السفر فقط) (٦٢) *

وفي المذهب الزيدي : قال القاضي : (النعمان بن محمد) : وعن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى أن تقبل شهادة كافر على مسلم (٦٣) *

* * *

الاستدلال على اثبات شرط الاسلام في الشاهد :

ويمكننا أن نلخص أهم الأدلة التي استندوا اليها في اثبات هذا
الشرط في الشاهد بالأمور التالية :

١ - ان الشهادة ضرب من ضروب الولاية - أو فيها معنى الولاية -
وفد نهى الله سبحانه عن ولاية غير المسلم لقوله تعالى (ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلاً) النساء - ١٤١ *

٢ - قوله تعالى (واشهدوا ذوي عدل منكم) - والكافر ليس يعدل
ولا هو منا *

٣ - قوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) - والكافر ليس ممن
ترضاه *

* * *

(٦١) العدة في شرح العمدة للمقدسي ص ٦٤٨ *

(٦٢) المحلى - لابن حزم - المجلد ٦ ص ٤٩٥ *

(٦٣) دعائم الاسلام - للقاضي النعمان بن محمد ج ٢ ص ٥١١ *

مناقشة الاستدلال :

ويمكن أن يقال في مقام الرد على الدليل الاول - من الادلة الثلاثة المذكورة - بأن المراد من ولاية المسلم ، والنهي عن ولاية المسلم للكافر : النهي عن تبعية المسلم للكافر سياسيا ، وهو مفهوم سياسي اسلامي ثابت لا يختلف في تحريمه مسلمان ، الا أن العمل بمقتضى شهادة غير المسلم وترتيب الاثر عليها ليس من باب الولاية السياسية في شيء ، ويتضح بذلك اذا علمنا أن الشهادة ما هي الا طريق اعتبره الشارع الى معرفة الواقع ، للتوصل الى حكمه الشرعي ، والحكم الشرعي وان كان مرتبطا بالشهادة باعتبارها كاشفة عن الموضوع الى حد ما ، الا أن هذا الارتباط انما هو ارتباط شكلي وليس ارتباطا موضوعيا ، اقتضته طبيعة العلاقة بين الحكم والموضوع ، والارتباط الحقيقي انما هو بين الحكم والموضوع وليس بين الشهادة والحكم .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فاننا حتى لو سلمنا بتبعية الحكم للشهادة ، فان هذه التبعية ليست من التبعية السياسية المحرمة في شيء ، ولذلك كله ، فانه يمكن أن يقال بأن قول من اشترط الاسلام في الشاهد استنادا الى النهي عن ولاية غير المسلم لم يتضح له وجه . وأما فيما يتعلق بالآيتين الكريمتين ، فانه وان لم تكن كل واحدة منهما نصا صريحا في اشتراط الاسلام في الشاهد ، الا أنهما ظاهران ظهورا واضحا في ذلك ، ولا شك أن الظهور متى ما قام ، كان حجة في نفسه .

أما من استظهر من قوله تعالى (واشهدوا ذوي عدل منكم) أن المراد من العدل ، من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب ، لا من كان عدلا في الدين والاعتقاد^(٦٤) ، وبذلك تعم الآية الكافر الذي يطمأن الى

(٦٤) التفسير الكبير - الفخر الرازي ج ٢ ص ١١٦ .

صدقه في القول أيضا ، فانه تكلف وتأويل واضح ، فان الخطاب في الآية الكريمة (وأشهدوا ذوي عدل منكم) الى المؤمنين ، والكافر ليس مومنا قطعاً .

هذا مضاف الى اجتماع المسلمين على اشتراط الاسلام في الشاهد ، حتى أنه أصبح من الامور الارتكازية لديهم ، اللهم الا ما خصص الى الامام مالك من القول : (بقبول شهادة الطيب الكافر حتى على المسلم للحاجة)^(٦٥) ، ومهما يكن من أمر فانه لا يمكن أن ترفع اليد عن اشتراط الاسلام في الشاهد ، نظرا للأدلة التي مر ذكرها .

الا أن الشيء الذي يلفت النظر حقا ، أنه قد اغفل ذكر هذا الشرط في الشاهد في القوانين التي سادت البلاد الإسلامية - بعد الحرب العالمية الأولى - وحتى عصرنا الحاضر . فان الحكم المعمول به في المحاكم الحقوقية والجزائية - العراقية مثلا - هو أن الاصل قبول شهادة الشاهد ، وأن الرد والتجريح يجب التنصيص عليه ، ولما لم يرد نص على رد شهادة غير المستلم لا في (المجلة) ، ولا في (قانون أصول المرافعات الحقوقية وذيله) ، كما أنه لم يزد على شهادة غير المستلم في القانون المدني العراقي المعمول به ، مضافا الى أن المادة الثامنة من نظام المحاكم المدنية ترفض رد الشهادة لاي سبب كان عدا فقدان الاهلية ، فلذلك كله لم يبق مجال لرد شهادة الشاهد بسبب عدم كونه مسلما ، بل أن المسألة لم تعد موضع نقاش بين الشراح والقضاة ، وأصبحت فائدة هذا الشرط مقصورة في الوقت الحاضر على المحاكم الشرعية وحدها^(٦٦) .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(٦٥) الطرق الشرعية - لابن القيم الجوزية - ص ١٧٩ .

(٦٦) دليل القضاء الشرعي ج ١٣ القسم الاول ص ٧٨٤ ، ونظرية

الاثبات لحسين مؤمن ج ٢ ص ٥٣-٥٤ .

الفصل الثاني

شهادة الكافر

انتهينا في الفصل السابق الى أن من الشرائط التي اتفق عليها فقهاء الاسلام في الشهادة : أن يكون الشاهد مسلماً • ونريد في هذا الفصل أن نستعرض آراءهم بخصوص شهادة غير المسلم • وتفصيل الكلام في هذه المسألة ينحل الى البحث في ناحيتين :

الاولى - شهادة الكافر على الكافر •

الثانية - شهادة الكافر على المسلم •

★ ★ ★

الناحية الاولى : شهادة الكافر على الكافر •

اختلفت المذاهب الاسلامية في هذه المسألة الى ثلاثة أقوال :

١ - القول بالرد مطلقاً - أي سواء أكان من ملته أم من غيرها •

٢ - القول بالقبول مطلقاً •

٣ - القول بالتفصيل - حيث تقبل على من يتفق معه في ملته دون غيره •

وسأحاول فيما يلي تفصيل هذه الأقوال مع بيان أهم الأدلة التي استندوا إليها ، ثم تناقشها لنخرج بالرأي المختار في المسألة ، والله هو المسدد للصواب •

★ ★ ★

اولا - القول بالرد مطلقا :

وهذا هو القول المشهور لدى الامامية^(١) ، الا ما استثنى من قبولها في السفر ، والى هذا القول ذهب الشافعي^(٢) أيضاً ، ولكنه من غير أن يستثنى ، كما أنه نسب الى الامام مالك القول بالرد مطلقاً^(٣) ، واليه ذهب ابن مفلح المقدسي من الحنابلة^(٤) ، وكذلك أبو النجا المقدسي في الاقناع^(٥) ، وابن النجار في منتهى الارادات^(٦) وغيرهم من فقهاء الحنابلة .

ويتضح ذلك بمراجعة مصادرهم ، فقد قال الشهيد ان الاول والثاني - من فقهاء الامامية - في اللمعة وشرحها - [(والاسلام) فلا تقبل شهادة الكافر وان كان ذمياً (ولو كان المشهود عليه كافراً على الأصح)]^(٧) . وقال المحقق الحلبي في المختصر النافع : (وتقبل شهادة المؤمن على أهل الملل ولا تقبل شهادة أحدهم على المسلم ولا غيره ، وهل تقبل على أهل ملته ؟ فيه رواية بالجواز ضعيفة ، والأشبه المنع)^(٨) .

وقال في الشرائع أيضاً : (وهل تقبل شهادة الذمي على الذمي ؟ قيل لا ، وكذا لا تقبل على غير الذمي ، وقيل تقبل شهادة كل ملة على ملتهم

^(١) المسالك - للشهيد الثاني حاشية على الشرائع ص ٣٣٦ - ط
ايران .

(٢) الأم : ج ٢ ص ٣١-٣٢ .

(٣) المبسوط - للرخسي ج ١٦ ص ١٣٤ .

(٤) النكت والفوائد السننية لابن مبلح - ج ٢ ص ٢٨١ .

(٥) الاقناع - لأبي النجار - ج ٤ ص ٤٣٦ .

(٦) منتهى الارادات - لابن النجار - ج ٢ ص ٦٥٨ .

(٧) اللمعة والروضة ج ١ ص ٢٥٢ ط . مصر .

(٨) المختصر النافع ص ٢٨٧ ط . النجف .

وهو استناد الى رواية سماعه والمنع أشبه^(٩) .

وجاء في المسالك : (من شروط قبول الشهادة : اسلام الشاهد ، وهو بالنسبة الى الذمي موضع وفاق ، وكذلك فيه في غير الوصية ، أما الكافر فلما مرّ من الدليل على اشتراط الايمان ، ولقوله (ص) : لا يقبل شهادة أهل دين على غير أهل دينهم الا المسلمون فانهم عدول على أنفسهم وعلى غيرهم ، وقول الامام الصادق -ع- يجوز شهادة المسلمين^(١٠) . وتعليقاً على قول المحقق الحلبي في الشرائع (وهل تقبل شهادة الذمي على الذمي) : قال الشهيد الثاني في المسالك (تقدم حكم شهادة الكافر على المسلم ، أما على مثله فالمشهور بين الأصحاب أن الحكم كذلك عملاً بعموم الأدلة^(١١) . وقال صاحب الجواهر في كتاب الشهادات - بعد أن ناقش القائمين بالجواز - (فالتجّه حينئذٍ عدم القبول مطلقاً من غير فرق بين الشهادة عليهم أولهم^(١٢) .

وقال الشافعي : (اذا حكم الحاكم بين أهل الكتاب حكم بينهم بحكم الله عز وجل ، وحكم الله ، حكم الاسلام ، وأعلمهم قبل أن يحكم بينهم حكمه بين المسلمين ، وأنه لا يجيز بينهم الا شهادة المسلمين لقوله تعالى : (وأشهدوا ذوي عدل منكم) ، وقوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم^(١٣) .

وقال الشافعي - على ما نسبته اليه السرخسي - ان الكافر فاسق ولا

(٩) الشرائع - للمحقق الحلبي - كتاب الشهادات ص ٣٣٦ .

(١٠) المسالك - حاشية على الشرائع ص ٣٣٦ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) جواهر الكلام - للمحقق النجفي - كتاب الشهادات .

(١٣) كتاب الام - للشافعي - ج ٧ ص ٣١-٣٢ .

تقبل شهادته ، كالفاسق المسلم ، بيان فسقه قوله تعالى : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) • وقوله تعالى : (والكافرون هم الفاسقون) • وإذا ثبت أن الكافر فاسق وجب التوقف في خبره بالنص • والشرط في الشاهد بالنص أن يكون مرضياً قال تعالى (ممن ترضون من الشهداء) ، والكافر لا يكون مرضياً ، والدليل عليه أن شهادته على المسلمين لا تقبل ، وكل ما لا يكون من أهل الشهادة على المسلمين ، لا يكون من أهل الشهادة على أحد كالعميد والصبيان من باب أولى ، فالعبد المسلم أحسن حالاً من الكافر (١٤) •

ويمكن أن يقال في مقام مناقشة أصحاب هذا القول :

١ - جاء في الخبر الصحيح على ما رواه الحلبي عن الامام الصادق ع - أنه سئل (هل تجوز شهادة أهل الذمة على غير أهل ملتهم ؟ قال نعم ، ان لم يوجد من أهل ملتهم جازت شهادة غيرهم ، انه لا يصلح ذهاب حق أحد) (١٥) •

وهذا الخبر الصحيح هو من الوضوح في جواز قبول شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض وان اختلفت مللهم ، بما لا يحتاج الى مزيد شرح وبيان •

٢ - ويمكن أن يضاف الى ذلك أيضاً ، أن طبيعة الحياة الاجتماعية التي يعيش فيها أهل كل ملة مع بعضهم البعض تجعل من النادر جداً أن يحيط شخص أجنبي بشؤون الحوادث والحقوق وغيرها مما يتعلق بحياة أناس آخرين ، يختلفون معه في ملتهم ، وهذا أمر طبيعي يكاد أن يكون عاماً بين أرباب المذاهب والاديان بصورة عامة ، فلو توقف إقامة حقوق غير

(١٤) المبسوط للرخسي ج ١٦ ص ١٣٤ •

(١٥) الكافي - للكليني ج ٧ ص ٣٩٨ •

المسلمين على شهادة المسلمين - على ما ذهب اليه أصحاب القول الأنف الذكر - لصاعت حقوق هؤلاء ، حيث لا طريق الى اثباتها من غير طريق المسلمين ، والعادة الاجتماعية تقتضي عدم اختلاطهم بالمسلمين وعدم اختلاط المسلمين بهم . ومن هنا يتبين أن ما ذهب اليه أصحاب هذا القول - لا ينسجم وروح الشريعة ، ولا يتفق مع طبيعة الحياة الاجتماعية في ظل الرسالة الاسلامية ، وما عرفت به الشريعة الاسلامية من واقعية في النظر والتشريع لحياة الناس على اختلاف مللهم وأحوالهم ، كما يؤيد ذلك التعليل الوارد في صحيح الحلبي ، عن الامام الصادق -ع- الذي مر ذكره قبل قليل .

ومن هذا كله يتضح لنا أن القول ببرد شهادات غير المسلمين مطلقاً لا يتضح له وجه ، مضافاً الى معارضته لصحيفة الحلبي عن الامام الصادق -ع- التي تجيز العمل بشهادة أهل الذمة على غير أهل ملتهم في حالة عدم وجود شهود من أهل ملتهم .

* * *

ثانيا : القول بقبول شهادة الكافر على الكافر مطلقا :

اشتهر القول بين الفقهاء الأحناف بقبول شهادة الكافر على الكافر سواء أكان من ملته أم من غيرها .

قال صاحب البداية : (وتقبل شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ، وإن اختلفت مللهم)^(١٦) .

وقال السرخسي : (وشهادة أهل الشرك بينهم جائزة بعضهم على بعض عندنا)^(١٧) .

(٦) بداية المبتدئ - مع الهداية - ج ٣ ص ١٢٤ .

(١٧) المبسوط - للسرخسي ج ١٦ ص ١٣٣ .

وجاء في ملتقى الأبحر وشرحه (مجمع الأنهر) : (وتقبل شهادة
الذمي على مثله ، وإن اختلفا ملة) (١٨) .

ونسب الى ابن الجنيّد - من فقهاء الامامية - القول بقبول شهادة أهل
العدالة من أهل الذمة في دينه على مثله وعلى غيره (١٩) .

كما نسب الى الصدوق - وهو من فقهاء الامامية أيضاً - القول بقبول
شهادة الكافر على مثله (وإن اختلفا ملة كاليهود على النصارى) (٢٠) .

وصرح بهذا الرأي واستدل عليه ابن القيم الجوزية في رسالته (الطرق
الحكمية في السياسة الشرعية) (٢١) .

ومن الزيدية القاضي النعمان بن محمد كما صرح بذلك في كتابه
(دعائم الاسلام) (٢٢) .

ومما ينبغي أن يذكر في هذا السياق أن الفقهاء الأحناف خاصة أقاموا
رأيهم في هذه المسألة على ثلاثة أسس وهي :

- ١ - أن قبول الشهادة وعدم قبولها يدور مدار العداوة الدينية .
 - ٢ - أن الملل غير الاسلامية كلها ملة واحدة .
 - ٣ - اتحاد الدار بين أهل الذمة مع المسلمين دون غيرهم من الكافرين .
- ففيما يتعلق بالأساس الأول : قال السرخسي في المبسوط : (ولم
يشترط الاسلام في الاهلية للشهادة . لأن رجحان جانب الصدق يظهر

(١٨) مجمع الأنهر : ج ٢ ص ٢٠١ .

(١٩) المسالك - حاشية على الشرائع - ص ٣٣٦ .

(٢٠) الروضة البهية : ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢١) الطرق الحكمية - ص ١٨٠ .

(٢٢) دعائم الاسلام - ج ٢ ص ٥١٢ .

في خبره مع كفره ، اذا كان منزجراً عما يعتقدون حراماً في دينه ، غير أن خبره لا يقبل في أمر الدين لأنه متهم في ذلك ، فانه يعتقد السعي في هدمه ، ولهذا لا يجعل من أهل الشهادة في حق المسلمين ، لانه يعتقد عداوة المسلمين وينعدم فيما بينهم فيكون بعضهم أهلاً للشهادة في حق بعض) (٢٣) .

وهذا المبنى ليس مسلماً لدى أكثر الفقهاء ، فقد ذهب الامامية الى خلافه بدليل قبول شهادة المسلم على الكافر مع تحقق العداوة الدنيوية بينهما ، ولكن الذي يكون من أسباب رد الشهادة هو تحقق العداوة الدنيوية لقوله ص- (لا تقبل شهادة ظن ولا خصم) (٢٤) .

وأما ما يتعلق بالأساس الثاني ، فانه قد نسب الى محمد بن أبي ليلى القول بأنه لا تقبل الشهادة بينهم - وسيأتي عند تناول الرأي الثالث - رأي المفصلين - ما يخص الموضوع وتحقيق الكلام فيه .

وأما ما يتعلق بالأساس الثالث فقد قال صاحب البدية : (وتقبل شهادة المستأمنين بعضهم على بعض اذا كانوا من أهل دار واحدة ، فان كانوا من دارين كالروم والترك لا تقبل) (٢٥) .

وقال السرخسي : (وشهادة المستأمنين بعضهم على بعض تقبل اذا كانوا من أهل دار واحدة ، وان كانوا من دارين كالرومي والتركي لا تقبل ، لأن الولاية تنقطع لاختلاف المنعتين ، ولهذا لا يجري التوارث بينهم ، بخلاف دار الاسلام فانها دار حكم فيه اختلاف المنعة ولا يختلف بالدار ، فاما دار الحرب ليس بدار احكام فيه اختلاف المنعة وهذا بخلاف أهل الذمة فانهم صاروا من أهل دارنا ، فتقبل شهادة بعضهم على بعض ،

(٢٣) المبسوط ج ٦ ص ١١٣ .

(٢٤) الشرائع والمسالك ص ٣٣٧ .

(٢٥) الدعاة - المطبوع مع الهداية ج ٣ ص ١٢٤ .

وان كانوا من منعات مختلفة • وأما المستأمنون ما صاروا من أهل دارنا ولهذا يمكنون من الرجوع الى دار الحرب ، ولا يمكنون من اطالة المقام في دار الاسلام (٢٦) •

والذي يظهر للمتأمل - في هذه الناحية من المسألة - أنه لا ارتباط بين الولاية السياسية وقبول الشهادة ، فان هذه العلاقة المذكورة ما هي الا علاقة متصورة وليس عليها دليل معتبر شرعاً •

★ ★ ★

من أدلة الفريقين :

واستدل كل من المانعين والمثبتين لجواز شهادة الكافر على الكافر مطلقاً بعدة أدلة أذكر فيما يلي أهمها مع مناقشتها :

١ - احتج المانعون عامة بأن الله تعالى قال : (وأشهدوا ذوي عدل منكم) والكافر ليس بعدل ، ولا هو منا ، وبقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) والكافر ليس مرضياً عندنا • وأجاب المثبتون : بأن هذه الآيات وأمثالها من الآيات التي يستدل بها المانعون انما هي بصدد بيان حكم الشهادة بين المسلمين ، والدليل على ذلك أن سياق هذه الآيات كلها وارد في هذا المجال ، فالآية الاولى تبدأ بقوله تعالى : (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة •••) الى أن قال تعالى : (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذوي عدل منكم ، وواقموا الشهادة لله •••) سورة الطلاق ١-٢ • وأما الآية الثانية : فهي جزء من آية الدين : (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ••) الى قوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان

(٢٦) المبسوط ج ١٦ ص ١٣٩ •

لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء... (سورة البقرة الآية - ٢٨٢ •

٢ - قال بعض المانعين أيضاً بأن في قبول شهادة الكافر رفعا لمنزلته ، وتكريماً له ، وهو دون ذلك كله بحكم رذيلة الكفر •

ويمكن أن يرد على ذلك : بأن رذيلة الكفر لم تمنع من ولاية بعضهم على بعض وعرافة بعضهم على بعض • وكون بعضهم حاكماً وقاضياً عليهم فلا يمنع أن يكون بعضهم شاهداً على بعض ، وليس في هذا تكريم لهم ، ولا رفع لأقدارهم ، وإنما هو لدفع شر بعضهم عن بعض ، وإيصال أهل الحقوق منهم إلى حقوقهم ، بقول من يرضونه منهم ، وهذا من تمام مصالحهم التي تتعلق بدمت •

* * *

القول بالتفصيل :

ويتوسط بين الرأيين السابقين - من القول بعدم قبول شهادة الكافر على الكافر مطلقاً ، وقبولها منه مطلقاً - رأي ثالث حيث يرى قبول شهادة الكافر على الكافر إذا اتفقت الملة بينهما ، وعدم قبولها مع الاختلاف •

وقد ذهب إلى هذا القول كثير من كبار الفقهاء منهم محمد بن أبي ليلى من الأحناف^(٢٧) ، وأبو البركات من الحنابلة^(٢٨) ، والشيخ الطوسي من الإمامية^(٢٩) •

وقد ذكر السرخسي أن ابن أبي ليلى استدل على هذا الرأي بما يلي :

(٢٧) المبسوط للسرخسي ج ١٦ ص ١٣٤ ، ج ١٧ ص ٤٩-٥٠ •

(٢٨) المحرر في الفقه لأبي البركات ج ٢ ص ٢٧١-٢٨٣ •

(٢٩) الخلاف للشيخ الطوسي ج ٣ ص ٣٣٣ ، والمسالك للشهيد

الثاني العاشية على الشرائع ص ٣٣٦ والروضة البهية - ج ١ ص ٢٥٢ •

١ - قوله -ص- (لا شهادة لأهل ملة على ملة أخرى الا المسلمين
فشهادتهم مقبولة على أهل الملل كلها) •

٢ - ان اختلاف الملل يوجب العداوات الدينية بينهم ، وهو يقتضي
رد الشهادة ، ولذلك لم تقبل شهادتهم على المسلمين • فان قيل ولماذا قبلت
شهادة المسلمين عليهم ، أجيب بأن ذلك لعلو حال الاسلام ، لقوله -ص-
(الاسلام يعلو ولا يعلى عليه) (٣٠) •

ورد السرخسي على هذه الأدلة بقوله :

١ - ان أهل الأديان المختلفة يعتبرون أهل دين واحد في مقابل
الاسلام - لقوله -ص- (الكفر ملة واحدة) •

٢ - قوله تعالى : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) •

٣ - قوله تعالى (لكم دينكم ولي ديني) •

٤ - ان اليهود يعادون النصارى بسبب هم فيه محقوق وهو دعواهم
الولد لله تعالى ، والنصارى يعادون اليهود بسبب هم فيه محقون ، وهو انكارهم
نبوة عيسى -ع- ، والفريقان يعادون المجوس بسبب هم فيه محقون ، وهو
انكارهم التوحيد ظاهراً ، ودعواهم الاتنين ، فشهادة بعضهم على البعض
كشهادة المسلمين عليهم •

٥ - ولأن كان بعضهم يعادي البعض بسبب باطل لم يصر بعضهم
مقهوراً لبعض ليحملهم ذلك على القول ، بخلاف الكفار فقد صاروا
مقهورين من جهة المسلمين ، وذلك يحملهم على القول عليهم ، فلهذا لا تقبل
شهادتهم على المسلمين (٣١) •

أقول : ان عمدة الأدلة التي ذكرها الفريقان في المسألة هو الحديث
المنسوب الى رسول الله -ص- الذي استند اليه ابن ابي ليلى فيما ذهب اليه

من قوله -ص- (لا شهادة لأهل ملة على ملة أخرى الا المسلمين فشهادتهم مقبولة على أهل الملل كلها) ، وعليه فينبغي أن يدور البحث حول هذا الحديث بالذات من ناحيتي المتن والسند . فأما من حيث المتن فالظاهر منه عدم قبول شهادة أهل ملة على أخرى ، غير شهادة المسلمين على غيرهم . وأما من حيث السند فإن من اطمأن الى سلسلة رواة هذا الحديث ، وأستوجب هذا الاطمئنان اطمئنانه الى صدوره عن رسول الله -ص- وجب عليه العمل بمقتضى ما استظهره من هذا الحديث ، لان الظواهر حجة . وأما من لم يحصل عنده الاطمئنان بالنسبة لهذا الحديث بسبب ضعف في بعض الرواة أو ما شابه ذلك ، ولم يحصل عنده الاطمئنان بصدور الخبر المذكور عن النبي -ص- فلا يكون الحديث حجة عليه .

وأما بخصوص ما استند اليه السرخسي من قوله -ص- (الكفر ملة واحدة) وقوله تعالى (لكم دينكم ولي ديني) ، فليس من المعلوم ، بل من البعيد أن يكون المراد بهما البيان من هذه الناحية ، أعني قبول شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مع اختلاف مللهم ، وإذا لم يتحقق أن كلاً من الحديث والآية ، هما في مقام البيان من هذه الناحية ، فلا يصح استنباط ما انتهى اليه السرخسي منهما ، نظراً الى أنهما ليسا في مقام البيان من هذه الجهة .

ومضافاً الى ذلك ، فالتا حتى لو سلمنا بأن كلاً من الحديث والآية هما في مقام البيان من هذه الناحية ، فإن اطلاقهما يقتضى قبول شهادة أهل الملل كلها بعضهم على بعض ، مع أن الفقهاء متفقون - بحسب الظاهر - على عدم قبول شهادة الكافر الحربي على المستأمن ، والمستأمن على الذمي ، مع أنهم جميعاً لا يخرجون عن اطلاق الحديث (الكفر ملة واحدة) .

* * *

المختار في المسألة :

ان أهم ما استند اليه المانعون من قبول شهادة الكافر على الكافر مطلقاً قوله تعالى : (وأشهدوا ذوي عدل منكم) وليس الكافر منا ، وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) والكافر ليس مرضياً عندنا ، ولذلك لا تقبل شهادته •

ويمكن الرد على هذا الاستدلال بالآيتين الكريمتين ، بأنهما في صدد بيان حكم الشهادة بين المسلمين ، والدليل على ذلك هو السياق الذي وردت فيه كل واحدة منهما ، كما سبق بيانه • ولهذا فلا يمكن التمسك بهما في مقام رد شهادة غير المسلم على مثله • ولذلك يبقى الحكم على اطلاقه فيما بينهم ، ما لم يثبت الحديث الذي استند اليه المفصلون ، فيتمين القول بالتفصيل بناء على أن الخبر الواحد يخصص الكتاب كما هو المشهور بين علماء الأصول •

الا اتنا يجب أن لا تنسى في المقام الرجوع الى الرواية الصحيحة التي رواها الحلبي عن الامام الصادق -ع- ، والتي مر ذكرها آنفاً ، والتي تحدد مرحلة خاصة من مراحل قبول شهادة الكفار فيما بينهم مع اختلاف مللهم ، وذلك في حالة عدم وجود شاهد من أهل ملتهم ، لأنه لا يصلح ذهاب حق أحد من الناس كما صرحت بذلك الرواية الشريفة •

وعليه فان القول المتجه في المسألة : هو قبول شهادة الكفار بعضهم على بعض مع اختلاف مللهم ، اذا لم يحصل شاهد من أهل ملتهم ، حفاظاً على حقوق الناس من الغدر والضياع •

الفصل الثالث

شهادة الكافر على المسلم

انتهينا في الفصل السابق من البحث في مسألة شهادة الكافر على الكافر ، وينبغي أن نتناول بالبحث الآن القسم الآخر من المسألة ، وهو شهادة الكافر على المسلم . وقبل أن ندخل في صميم البحث في هذه المسألة ، أود أن أشير هنا إلى أن من الشروط التي يقررها الفقهاء في شخصية الشاهد أن يكون مسلماً ، وقد مر البحث في هذا الجانب من المسألة بما لا يحتاج إلى المزيد عليه في هذا المقام . غير أن الأمر المهم الذي نريد أن نبيّنه الآن ، هو البحث في حدود التمسك بهذا الشرط ، فهل هو جارٍ في جميع الموارد والحالات ، أم أن هناك بعض الموارد التي استثنيت من هذا الحكم الكلي العام ؟ .

والجواب أنه قد وقع الخلاف بينهم في ذلك ، فمن الفقهاء من لم يثبت عنده أي دليل يدل على تخصيص هذا الحكم في مورد ما ، وبقي متمسكاً بهذا الشرط في كل شهادة تعرض على القضاء الاسلامي . وهذا هو مذهب فريق من الفقهاء والمفسرين منهم الشافعي والزمخشري والحسن والزهري وغيرهم^(١) . وذهب الآخرون وهم جمهور الفقهاء والمفسرين ، إلى أن هذا الحكم يجري على إطلاقه في غير الوصية ، أما فيها فإنه قبل شهادة غير المسلمين على المسلم أو غيره بشروط معينة ، سأعرض لها بعد الفراغ من البحث في هذه المسألة ، وذكر ابن القيم الجوزية عدداً من القائلين بهذا الرأي حيث قال : (فهؤلاء أئمة المسلمين : أبو موسى الأشعري وابن عباس ،

(١) التفسير الكبير : الفخر الرازي ج ١٢ ص ١١٥ .

وروي نحو ذلك عن علي (رض) * ذكر ذلك أبو محمد بن حزم وذكره أبو يعلى عن ابن مسعود ، ولا يخالف لهم من الصحابة ، ومن التابعين عمر ابن شرحيل ، وشريح وعبيدة والنخعي والشعبي ، والسعيدان ، وابن سيرين ، ويحيى بن يعمر ، ومن تابعي التابعين سفيان الثوري ويحيى بن حمزة والاوزاعي ، وبعد هؤلاء كأبي عبيدة وأحمد بن حنبل ، وجمهور أهل الحديث وهو قول جميع أهل الظاهر (٢) * ومن المفسرين الفخر الرازي (٣) ، وابن جرير الطبري (٤) ، والشيخ الطوسي (٥) ، والشيخ الطبرسي (٦) ، والفاضل المقداد (٧) ، والشيخ أحمد الجزائري (٨) ، والسيد محمد حسين الطباطبائي (٩) ، في تفاسيرهم وغيرهم .

ومن الفقهاء المحقق الحلبي (١٠) ، والعلامة الحلبي (١١) ، والشهيد الأول (١٢) ، والشهيد الثاني (١٣) ، والمولى التراقي (١٤) ، والمحقق

-
- (٢) الطرق الحكمية : ص ١٨٥-١٨٦ .
 (٣) التفسير الكبير - للفخر الرازي ج ١٢ ص ١١٤ .
 (٤) تفسير الطبري ج ٧ ص ١٠٣ .
 (٥) التبيان : للشيخ الطوسي ج ٤ ص ١٦ .
 (٦) مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٣ ص ٢٥٦ .
 (٧) كنز العرفان للفاضل المقداد ، ج ٢ ص ١٧٨ .
 (٨) آيات الاحكام للجزائري ج ٢ ص ٣٤٢ .
 (٩) تفسير الميزان : ج ٦ ص ٢١٠ .
 (١٠) شرائع الاسلام ص ٣٣٦ والمختصر النافع ص ٢٨٧ .
 (١١) تذكرة الفقهاء - كتاب الوصايا ج ٢ طبعة حجرية - وفي تحرير الاحكام ص ٣٠٥ ، وفي القواعد كتاب الوصايا طعة حجرية ، وفي التبصرة ص ٢٢٤ .
 (١٢) و (١٣) اللمعة وشرحها - ج ١ ص ٢٥٢ - ط . مصر .
 (١٤) مستند الاحكام للترقي - ج ٢ ص ٦١٠-٦١٤ .

النجفي^(١٥) ، والسيد محمد بحر العلوم^(١٦) ، وغيرهم من فقهاء الامامية ، ومن الفقهاء الأحناف برهان الدين المرغياني في الهداية^(١٧) ، والسمرقندي في تحفة الفقهاء^(١٨) ، والسرخسي في المبسوط^(١٩) ، والكاستاني في البدائع^(٢٠) ، ومؤلفا (مجمع الأنهر) و (ملتقى الأبحر)^(٢١) . ومن الحنابلة ذهب ابن القيم الجوزية في رسالته الطرق الحكيمة^(٢٢) ، ونسبه الى الشيخ ابن تيمية^(٢٣) ، وكذلك ذهب بهاء الدين المقدسي في كتابه العدة في شرح العمدة^(٢٤) ، والامام محب الدين أبو البركات في المحرر^(٢٥) ، وشرف الدين المقدسي في الاقناع^(٢٦) ، والشيخ تقي الدين ابن النجار في منتهى الارادات^(٢٧) ، ومن الظاهرية أبو محمد بن حزم في المحلى^(٢٨) ،

(١٥) جواهر الكلام - للمحقق الشيخ محمد حسن النجفي - كتاب الوصايا - طبعة حجرية .

(١٦) بلغة الفقيه - للسيد محمد بحر العلوم ص ٣٧٥ .

(١٧) الهدية ج ٣ ص ١٢٤ .

(١٨) تحفة الفقهاء - للسمرقندي ج ٣ ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(١٩) المبسوط - كتاب الوصايا .

(٢٠) البدائع - كتاب الوصايا .

(٢١) مجمع الأنهر - في شرح ملتقى الأبحر ج ٢ ص ٢٠١ .

(٢٢) الطرق الحكيمة ص ١٨٥ .

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٤) العدة في شرح العمدة ص ٦٤٨ .

(٢٥) المحرر في الفقه ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٢٦) الاقناع ج ٤ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢٧) منتهى الارادات ج ٢ ص ٦٥٨ .

(٢٨) المحلى ج ٩ ص ٤٩٥ - المجلد السادس .

ومن الزيدية القاضي النعمان بن محمد في دعائم الاسلام (٢٩) .

منشا الاختلاف :

ان منشأ هذا الاختلاف بين الفريقين من الفقهاء والمفسرين في هذه المسألة ، هو الاجمال الوارد في الآية الكريمة من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ، اثنان ذوا عدل منكم ، أو آخران من غيركم ، ان أنتم ضربتم في الأرض ، فأصابكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة ، فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمناً قليلاً ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكنتم شهادة الله انا اذن لمن الآمنين . فان عثر على أنهما استحقا اثماً ، فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ، فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا ، انا اذن لمن الظالمين . ذلك أدنى أن يأتيوا بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن تُردَّ أيمان بعد أيمانهم ، واتقوا الله واسمعوا ، والله لا يهدي القوم الفاسقين) (٣٠) .

وموضع الاجمال في الآية المباركة ، هو في قوله تعالى : (اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) . فالذين ذهبوا الى عدم قبول شهادة الكافر على المسلم مطلقاً لا في الوصية ولا في غيرها ، فسروا هذه الآية بأن المراد من قوله تعالى : (اثنان ذوا عدل منكم) أي من عشيرتكم أو أقاربكم - أي عشيرة وأقارب الموصي - وقوله تعالى : (أو آخران من غيركم) أي من غير عشيرتكم ولا من أقاربكم .

هذا في حين ذهب المجوزون الى أن المراد بقوله تعالى : (اثنان ذوا عدل منكم) أي من المسلمين وقوله تعالى : (أو آخران من غيركم) أي من غير المسلمين ، ولكل من الفريقين أدلة يستندون اليها ، وسأعرض فيما يلي

(٢٩) دعائم الاسلام الجزء الثاني ص ٥١١ .

(٣٠) سورة المائدة - (١٠٦ - ١٠٨) .

أهم الأدلة التي استند إليها كلا الفريقين ثم نخرج بالرأي المختار في المسألة بعد مناقشتها .

★ ★ ★

أدلة المانعين وردود المجوزين :

أولاً - الأدلة العامة المانعة من قبول شهادة الكافر على المسلم وغيره مطلقاً .
قال الشافعي في كتاب (الأم) : (ولا تجوز شهادة أحد خالف الأجرار البالغين المسلمين في شيء من الدنيا . لأن الله تبارك وتعالى قال : (ممن ترضون من الشهداء) ولا رضا في أحد خالف الاسلام ، وقال تبارك وتعالى : (وأشهدوا ذوي عدل منكم) ، ومنا المسلمون وليس منا من خالف الاسلام (٣١) .

ويضاف الى ما سبق من الردود والمناقشات على المستندين بهذه الآيات من المانعين ، أنه يمكن أن يقال بأنه لا مانع من الجمع بين هذه الشروط وجواز العمل بشهادة الكافر على المسلم عند الوصية وذلك لصلاحية الآية الكريمة أن تكون مخصصة لأدلة اشتراط الاسلام والعدالة في الشاهد فيما عدا الوصية ، خصوصاً وأن هذه الآية متأخرة في النزول ، فكان تقديم هذه الآية وتخصيصها لتلك الأدلة من الامور الراجحة لدى الفقهاء على ما هو محرر في علم الأصول .

ثانياً - الأدلة الخاصة المتعلقة بالآية الكريمة :

فقد ذهب المانعون من العمل بالآية في قبول شهادة غير المسلم في الوصية الى تخريج الآية على ثلاثة أوجه :

(٣١) كتاب الأم - للشافعي ج ٦ ص ٢٣٣ .

١ - ان المراد من قوله تعالى : (اثنان ذوا عدل مكم أو آخران من غيركم) .
أي عادلان من عشيرتكم أو آخران من غير عشيرتكم .

٢ - ان الآية منسوخة .

٣ - ان المراد بالشهادة في الآية : (ايمان الوصي) بالله تعالى للورثة ،
ولست الشهادة المعروفة (٣٢) . ويمكن ان يرد على هذه الوجوه عدة
ردود أهمها :

(١) ما يتعلق بالوجه الأول :

أ - ان الخطاب في الآية الكريمة موجه الى المؤمنين بقرينة قوله
تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ...) فيكون معنى قوله تعالى : (اثنان ذوا
عدل منكم) - أي من المؤمنين ، وقوله تعالى (أو آخران من غيركم) أي
من غير المؤمنين قطعاً .

ب - ان الآية صريحة في وجوب تحليف هذين الشاهدين ، عند
أدائهما للشهادة من بعد الصلاة ، ومما لا شك فيه أن الفقهاء أجمعوا على أن
الشاهد المسلم لا يجب عليه الحلف فلا بد أن يكون الشاهدان من غير
المسلمين (٣٣) .

ج - انه قد اشتهر بين أهل الحديث والتفسير في سبب نزول هذه
الآيات الكريمة أنه (خرج تميم الداري وابن بندي ، وابن أبي مارية
في سفر ، وكان تميم الداري مسلماً ، وابن بندي وابن أبي مارية نصرانيين ،
وكان مع تميم خرج له فيه متاع وآنية منقوشة بالذهب وقلادة ، أخرجها الى
بعض أسواق العرب للبيع ، فاعتل تميم الداري علة شديدة فلما حضره

(٣٢) الطرق الحكمية - لابن القيم الجوزية ص ١٨٣ .

(٣٣) المصدر السابق .

انزلت دفع ما كان معه الى ابن بندي وابن أبي مارية ، وأمرهما أن يوسلا
الى وريثه - وقيل أنه كتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه وألقاه فيما بين
الاقمشة ، ولم يخبر صاحبه - روات تميم ، وقدم صاحباه المدينة وقد أخذوا
من المتاع الآنية والقلادة ، ودفعوا الباقي الى وريثه ، فافتقدوا الآنية والقلادة ،
فقالوا لهما : هل مرض صاحبنا مرضاً شديداً أنفق فيه كثيراً ؟ قالوا : لا ،
ما مرض الا أياماً قلائل ، قالوا : فهل سرق منه شيء في سفره هذا ؟
قالوا : لا ، قالوا : فهل اتجر تجارة خسر فيها ؟ قالوا : لا ، قالوا : فقد افقدنا
أفضل شيء كان معه آنية منقوشة بالذهب مكلمة بالجوهر وقلادة ، فقالوا :
ما دفع اليها أدبناه اليكم ، فقدموهما الى رسول الله -ص- فأوجب رسول الله
-ص- عليهما اليمين فحلفا فخلا عنهما ، ثم ظهرت تلك الآنية والقلادة
عليهما ، فجاء أولياء تميم الى رسول الله -ص- فقالوا قد ظهر على ابن بندي
وابن أبي مارية ما ادعيناه عليهما ، فانتظر رسول الله -ص- الحكم من الله
تعالى في ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يا ايها الذين آمنوا شهداء بينكم
اذا حضر أحدكم الموت ... الخ الآية ...) (٣٤) .

وهذا السبب في نزول هذه الآية تذكره جل كتب التفسير ، ان لم
تكن كلها ، وهذا يلقي ضوءاً كافياً على أن المراد من قوله تعالى في الآية :
(من غيركم) أي من غير المسلمين .

(٢) وأما ما يتعلق بدعوى النسخ في الآية ، فإنها دعوى مردودة
وذلك : لأصالة عدم النسخ ومن يدعي النسخ يجب عليه إقامة الدليل ،
واني له بذلك وقد تواتر النقل بين المسلمين أن سورة المائدة هي آخر ما نزل

(٣٤) وسائل الشيعة الجزء الثالث - المجلد السادس ص ٣٩٤ ،
التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١١٤ .

من القرآن الكريم ، وأنه ليس فيها حكم منسوخ على ما هو المشهور . قال ابن القيم الجوزية : (قالت عائشة سورة المائدة آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها حراماً فحرموه)^(٣٥) . وقال أيضاً : (قال اسماعيل بن سعيد الشانجي : سألت أحمد فذكر هذا المعنى ، فقلت : فإن كان ذلك على وصية المسلمين هل تجوز شهادتهم ؟ قال نعم إذا كان على الضرورة ، قلت : أليس يقال هذه الآية منسوخة ؟ قال : من يقول وأنكر ذلك ، وقال وهل يقول ذلك الا ابراهيم)^(٣٦) .

وقال صاحب (جامع المقاصد) من فقهاء الامامية : (اذا عرفت ذلك فاعلم أن الآية محكمة عند أهل البيت -ع- . وقول بعضهم أنها منسوخة مردود بما روي عنهم -ع-)^(٣٧) .

(٣) وأما بخصوص الوجه الثالث : أي ان المراد بالشهادة ايمان الاوصياء للمورثة ، فحجبتهم قول الله تعالى : (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود الا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ، ويدرونها عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين)^(٣٨) .

وهذا الوجه مردود لعدة أمور :

١ - ان الله تعالى قال (اثنان) واليمين لا يختص بالاثنتين .

(٣٥) الطرق الحكيمة - ص ١٨٥ .

(٣٦) الطرق الحكيمة - ص ١٨٢ .

(٣٧) جامع المقاصد - في مرجح القواعد - للعلامة الحلي كتاب الوصايا طبع حجري .

(٣٨) سورة النور (٦ - ٧) .

- ٢ - انه تعالى قال (ذوا عدل منكم) واليمين لا يشترط فيها ذلك •
- ٣ - انه تعالى قال (أو آخران من غيركم) واليمين لا يشترط فيها شيء من ذلك •
- ٤ - ان الشاهدين في حلفهما بالله تعالى يقولان : (لا نكتم شهادة الله) ولو كان المراد بالشهادة اليمين لكان المعنى يحلفان بالله لأنكتم اليمين ، وهذا لا معنى له أبداً ، فان اليمين لا تكتم فكيف يصح أن يقال : أحلف بالله أنك لا تكتم حلفك •
- ٥ - ان المتعارف من لفظة (الشهادة) في القرآن الكريم والسنة الشريفة هو الشهادة المعروفة كقوله تعالى : (وأقيموا الشهادة لله ...) (وأشهدوا ذوي عدل منكم ...) وغيرهما من الآيات الكريمة ، وانما سُمِّيَ ايمان الزوج شهادة في آيتي الملاعة المار ذكرهما ، لأنها قائمة مقام البينة ، ولذلك ترجم المرأة اذا نكلت وسمي ايمانها شهادة لأنه في مقابلة شهادة الزوج (٣٩) •

* * *

الرأي الراجح :

ان من يتأمل في أدلة المجوزين لقبول شهادة غير المسلم في الوصية ، يجدها من القوة بحيث لا تقوى على مناهضتها أدلة المانعين ، ويكفي أن نقول : بأنه حتى لو سلمنا بصحة الادلة العامة التي تمنع من قبول شهادة غير المسلم ، فانه لا مانع من تخصيصها في غير الوصية بعد ثبوت المخصص كما قدمنا •

(٣٩) الطرق الحكيمة - لابن القيم - ص ١٨٧ - ١٨٨ •

الغاتمة - تفريع على الفصل الثالث

شروط قبول شهادة الكافر على المسلم في الوصية

ذكر الفقهاء لقبول شهادة الكافر على المسلم في الوصية عدة شروط ،
سأبينها بشيء من الايضاح مع تقديم أهمها وهي :

١ - أن لا يكون عند الموصي مسلم تقبل شهادته ، وادعي على هذا
الشرط الاجماع^(١) . كما يدل على هذا الشرط أيضاً ، رواية هشام بن
الحكم عن الامام الصادق -ع- (اذا كان الرجل في أرض غربة ، ولا يوجد
فيها مسلم جازت شهادة من ليس بمسلم)^(٢) . كما يشترط أن يكون فقد
المسلم حال تحمل الشهادة والاستشهاد ، فلا تقبل مع وجوده حيثن ، وان
فقد حال الأداء لما سبق .

٢ - أن يكون الكافران من أهل الكتاب أو شبهه ، وهذا موضع اتفاق بين
الفقهاء بحسب الظاهر . يدل على ذلك رواية عمران بن أعين عن الامام
الصادق -ع- قال (سئل -ع- عن قوله تعالى (ذوا عدل منكم) : فقال -ع-
(اللذان منكم) مسلمان ، (واللذان من غيركم) من أهل الكتاب ، ثم
قال -ع- انما ذلك اذا مات الرجل المسلم في أرض غربة وطلب رجلين
مسلمين ليشهدهما على وصيته ، فان لم يجد مسلمين ، فليشهد على وصيته
رجلين ذميين من أهل الكتاب مرضيين عند أصحابهما)^(٣) . ورواية أحمد
ابن عمر قال : قال الامام الصادق -ع- : (اللذان منكم) مسلمان ،

(١) وسائل الشيعة - الجزء الثالث من المجلد السادس - ص ٣٩١ -
طبع ايران .

(٢) المصدر السابق - الرواية ٧ - ص ٣٩٢ .

(واللذان من غيركم) من أهل الكتاب ، فإن لم تجدوا من أهل الكتاب فمن
المجوس ، لأن رسول الله -ص- قال سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب^(٣) .

هذا في حين نسب الفخر الرازي في تفسيره الكبير القول الى كل من
(ابن عباس وأبي موسى الأشعري ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ،
وشريح القاضي ، ومجاهد وابن سيرين ، وابن جريح أنهم قالوا : اذا كان
الانسان في الغربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ، جاز له أن يشهد
اليهودي أو النصراني أو المجوسي أو عابد الوثن ، أو أي كافر كان
وشهادتهم مقبولة)^(٤) . وقال صاحب الاقناع من الحنابلة : (ولو لم تكن
لهم ذمة)^(٥) .

٣ - أن يكون الشاهدان اثنين فأكثر وذلك لصريح الآية والأخبار
المقدمة والظاهر أنه اجماعي . وهل تقبل شهادة مسلم عدل وذمي عدل ،
أم يشترط الذميان في هذه الحالة ؟ الظاهر الأخير ، اقتصاراً فيما خالف
الأصل على مورد النص ، ودعوى الأولوية ممنوعة لعدم معلومية العلة .

٤ - ان يكون الشاهدان ذكرين للآية والأخبار المقدمة ، فلا تقبل
شهادة ذمي مع ذميتين ، فضلاً عن شهادة أربع ذميات ، للدليل الآنف
الذكر .

٥ - أن يكونا عادلين في مذهبيهما ، ذكره أكثر الفقهاء ، بل لم أجد
فيه خلافاً ، واستدل عليه بالآية نفسها حيث فسر قوله تعالى : (أو آخران
من غيركم) أي أثنان ذوا عدل من غيركم . ولقول الامام الصادق -ع-
(... فليشهد على وصيته رجلين ذميين من أهل الكتاب رضيين عند
أصحابهما) .

(٣) المصدر السابق الرواية ٦ - ص ٣٩١ .

(٤) التفسير الكبير ج ١٢ ص ١١٥ .

(٥) الاقناع ج ٤ ص ٤٣٦ .

٦ - ان أن يكون الموصي في السفر عرفاً ، أي في أرض غربة ، وقد وقع الخلاف في هذا الشرط بينهم ، فليشهور اشتراطه ، ومنهم من لم يشترطه كاشيخ المفيد على ما نسب اليه العلامة الحلبي في التذكرة قال :

(قال المفيد لا تقبل شهادة أهل الذمة في وصية انسان مات في بلاد الاسلام ، وانما تقبل مع الضرورة ، اذا لم يوجد شاهد من المسلمين ، لدلالة الآية والاحاديث على اشتراط الغربة ، ثم قال : (وليس المقصود بالذات الغربة من البلد ، فلو كان في بلد المسلمين ، ولم يتفق له اشهاد أحد منهم اما لامتناعهم ، أو لغير ذلك من الاسباب فالأولى قبول الشهود من أهل الذمة) (٦) . وقال المحقق الحلبي في الشرائع (ولا يشترط كون الموصي في غربة ، وباشتراطه رواية مطرحة) (٧) .

وانما لم يشترط هؤلاء الفقهاء رضوان الله عليهم الغربة أو السفر في قبول شهادة الذمي على وصية المسلم ، وذلك لما ورد في بعض الاخبار من التعليل بـ (أنه لا يصح ذهاب حق أحد) وهذا التعليل عام - كما هو ظاهر - ويقضي مراعاة الحق عن الذهاب في السفر وغيره .

٧ - أن يحلف الشاهدان الذميان بالكيفية التي بيثها الآية المباركة : (يا أيها الذين آمنوا شهداء بينكم ، اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ، اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ، ان أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصبة الموت ، تحسبونهما من بعد الصلاة ، فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمناً قليلاً ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكنم شهادة الله ، انا اذن

(٦) تذكرة الفقهاء - العلامة الحلبي - كتاب الوصايا - طبع حجري .

(٧) شرائع الاسلام - المحقق الحلبي - كتاب الوصايا - طبع

حجري .

لمن الآمين • فان عثر على أنهما استحقا اثماً ، فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ، فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وما اعتدنا إننا اذن لمن الظالمين • ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين) •

وقد اعتبر هذا الشرط - أعني شرط القسم - جل الفقهاء ، ان لم يكونوا كلهم • وانما يشترط اليمين عليهما ، اذا ارتابا ورثة الموصي بشهادتهما ، كما تنبئ الآية الكريمة بذلك ، وكيفية أداء القسم كما أوضحته الآية المباركة ، هو أن يؤخر الشاهدان الى ما بعد الصلاة ، واختلفوا في تعيين المراد بالصلاة المذكورة في الآية المباركة ، فمنهم من قال ، وهذا القول منسوب الى ابن عباس - من بعد صلاة أهل دينهما ، ومنهم من قال من بعد صلاة العصر وهو المروي عن الامام الصادق - ع - ^(٨) وقول عامة المفسرين ، وقيل من بعد صلاة الظهر ، أو بعد صلاة العصر ، وهو المنسوب الى الحسن ، وقيل من بعد أية صلاة تفرض ^(٩) •

وقال الرازي (قال أبو حنيفة ، يحلف من غير أن يختص الحلف بزمان أو مكان ، وهذا على خلاف الآية ، ولأن المقصود منه التحويل والتعظيم ، ثم قال الرازي ولا شك أن الذي ذكره الشافعي - يعني كون الحلف بعد الصلاة - هو الأقوى ^(٧)) •

- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين -

(٨) الوسائل الجزء الثالث المجلد السادس ص ٣٩٥ •

(٩) و (١٠) التفسير الكبير ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ •

مصادر البحث :

- ١ - القرآن الكريم •
- ٢ - تفسير الطبري ، الطبعة ٢ ، شركة الحلبي سنة ١٣٧٣ هـ •
- ٣ - الكشاف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة •
- ٤ - البيان للشيخ الطوسي ، نشر مكتبة الأمين في النجف الاشرف ، سنة ١٣٧٦ هـ •
- ٥ - مجمع البيان للشيخ الطبرسي ، المطبعة الاسلامية ، بطهران •
- ٦ - تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، دار الكتب الاسلامية ، طهران •
- ٧ - تفسير النسخي ، طبعة الباب الحلبي وشركاه •
- ٨ - التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، المطبعة البهية المصرية •
- ٩ - الكافي ، للكليني ، دار الكتب الاسلامية ، طهران •
- ١٠ - صحيح البخاري ، من مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ، بميدان الأزهر ، بمصر •
- ١١ - صحيح مسلم ، من مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ، بميدان الأزهر ، بمصر •
- ١٢ - جواهر الكلام ، للشيخ محمد حسن النجفي ، طبعة حجرية •
- ١٣ - تذكرة الفقهاء ، للعلامة الحلبي ، طبع حجري •
- ١٤ - تحرير الاحكام للعلامة الحلبي ، طبع حجري •
- ١٥ - القواعد ، للعلامة الحلبي ، طبع حجري •
- ١٦ - التبصرة ، للعلامة الحلبي ، مطبعة الانتان ، دمشق •

- ١٧- شرائع الاسلام ، للمحقق الحلبي ، طبع ايران .
- ١٨- المسالك ، حاشية على الشرائع ، للشهيد الثاني .
- ١٩- الروضة البهية واللمعة الدمشقية ، للشهيدين الاول والثاني ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
- ٢٠- مستند الأحكام ، للمولى النراقي .
- ٢١- بلغة الفقيه ، للسيد محمد بحر العلوم ، طبع حجري ، سنة ١٣٢٩ هـ .
- ٢٢- الخلاف ، للشيخ الطوسي ، شركة دائرة المعارف الاسلامية .
- ٢٣- منهاج الصالحين ، للسيد محسن الطباطبائي الحكيم ، النجف .
- ٢٤- المختصر النافع للمحقق الحلبي ، طبع النجف .
- ٢٥- دليل القضاء الشرعي ، للسيد محمد صادق بحر العلوم ، طبع النجف .
- ٢٦- كتاب القضاء ، للاشتياني ، طهران سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٢٧- كتاب القضاء ، ملا علي الكنتي ، طبع حجري سنة ١٣٠٤ هـ .
- ٢٨- العروة الوثقى ، للسيد اليزدي ، طبع الحيدري ، طهران .
- ٢٩- كنز العرفان ، للفاضل المقداد السيوري ، دار الاضواء ، النجف .
- ٣٠- آيات الاحكام للجزائري طبع دار الثقافة ، النجف .
- ٣١- المبسوط ، للسرخسي ، الطبعة الاولى ، مصر .
- ٣٢- بدائع الصنائع ، للكاساني ، الطبعة الاولى ، مصر .
- ٣٣- الهداية ، للمرغيناني ، ومع البداية ، مطبعة الحلبي .
- ٣٤- العدة في شرح العمدة ، المطبعة السلفية .
- ٣٥- تحفة الفقهاء للسمرقندي ، طبعة دار الفكر ، دمشق .
- ٣٦- مجمع الأنهر ، وملتقى الأبحر ، المطبعة الثمانية ، سنة ١٣٢٧ هـ .
- ٣٧- الحاوي للفناوي ، للسيوطي ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٨ هـ .

- ٣٨- كتاب الأم ، للشافعي ، طبعة شركة الطباعة الفنية .
- ٣٩- المحلى ، لابن حزم ، طبعة الامام .
- ٤٠- الإقناع ، للطبعة المصرية بالازهر .
- ٤١- منتهى الارادات ، مكتبة دار العروبة .
- ٤٢- المحرر في الفقه ، طبع السنة المحمدية في القاهرة .
- ٤٣- النكت والفوائد السنة لابن مفلح ، طبع السنة المحمدية .
- ٤٤- دعائم الاسلام ، للقاضي النعمان بن محمد ، طبع دار المعارف ببصر .
- ٤٥- الطرق الشرعية لابن القيم الجوزية ، طبع السنة المحمدية ، سنة ١٣٧٢ هـ .
- ٤٦- أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية ، طبع مطبعة جامعة دمشق .
- ٤٧- الموطأ للإمام مالك ، مطبعة المشرق الحسيني .
- ٤٨- القصاص في الفقه الاسلامي ، أحمد فتحي بهنسي ، الشركة العربية .
- ٤٩- نظرية الاثبات ، حسين مؤمن .
- ٥٠- مجمع البحرين ، للطريحي ، طبعة حجرية .
- ٥١- القاموس المحيط الفيروزبادي .

مظاهر السمول في تسريع الصلاة

بِنْتُ الْهَدَى

ان من مميزات العبادات الاسلامية ومن ادلة تكاملها وانسجامها التام مع طبيعة الانسان في حياته الدنيوية وشمولها لجميع خصائص كيانه ومقومات شخصيته في الوجود هو انفتاحها على مشاركة الروح والجسد في عملية الاداء وفسحها المجال لتفاعل الروح والجسد ايضا مع الروعة اللامتناهية في العطاء ، فلم تكن رسالة الاسلام لتفصل في عبادتها بين جهازين متلازمين يكمل احدهما الآخر ، ولم تكن ايضا تهمل احدهما على حساب الثاني أو لتحكم على احدهما بالضمور من اجل ان ينمو القسم الآخر ويزدهر في مجال التربية والاعداد ، فالانسان خليفة الله في الارض وخلافته هذه تؤهله لاستثمار جميع طاقات الكون الخيرة الصالحة ، ولهذا فان هذا الانسان في حاجة الى روح متبلورة خالصة يعيش بها في رحاب الله ويسبح بصفاتها في عظمة ملكوته عز وجل فتصبح انفاسه تهليلا ونظراته تكبيرا وخفقاته حمدا وشكرا ولكنه في حاجة ايضا الى جسم صالح يستجيب لما تمليه الروح ويساير ما ترسمه له معطياتها في الحياة ليتمكن من وراء ذلك ان يؤدي واجبه ويقوم بدور الخلافة في ارض المادة بشكل متكامل ، ولهذا فقد كان انسجام الروح والجسد في فرائض العبادات الاسلامية هو من خصائص شمول هذا الدين وصلاحيه تطبيقه في شتى المجالات ، ويبدو وضوح هذا الانسجام في عملية الصلاة ، هذه العبادة التي كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، انها تحكى بحكمة

التوقيت وطريقة الاداء ، تحكى قصة السمون بجميع خصائصها ، ففي الوقت الذي كان من الممكن فيه ان يجمع التشريع بين الصلوات الخمس في بداية النهار أو يحصرها في نهايته مثلا فيتختم على العبد أن يعيش ساعات نهاره من معطيات ساعة جمعت بين الفرائض ، نعم مع امكان هذا وزع التشريع الاسلامي الصلوات الخمس في اوقاتها رعاية لمتطلبات الروح والجسد ومواكبة منه لما تمليه طبيعة كل منهما ، ففي الصباح وبعد انقضاء ساعات النوم الطويل وفترة السبات العميق وعند انطلاق نسائم الفجر العذاب وتفتح صفحة الافق عن بسمة الصباح ينطلق الداء الالهي يهيب بالانسان ان يغسل عن روحه آثار الكسل وينفض عن جسمه غبار الخمول (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) اما من الناحية الروحية فنحن نلاحظ ان الانطباع الاول من مستهل اليقظة من كل يوم لها اعق الاثر في تأطير ساعات النهار ، فالانسان الذي يستقبل نهاره في روح مشرقه ونفس واثقة متفائلة هذا الانسان سوف يبقى يجتر معطيات الهناء هذه خلال ساعات النهار مع كل ما تحمل اليه تلك الساعات من مصاعب ومتاعب وآلام ، والصلاة بكلماتها ودعواتها هي المعين الذي لا ينضب من العطاء وحسب الانسان منها ايمانه بقوله (الرحمن الرحيم) وبقوله (اياك نعبد واياك نستعين) فالرحمة هي من اهم مقومات العدل والاحسان ولهذا فان اسمها لكفيل ببعث الامل الى النفوس وكيف بتلك الرحمة اذا كانت ربانية ؟ رحمة القادر المقتدر والرحمن الاوحد ، والانسان ايضا بطبيعته ضعيف وهو يستشعر بالحاجة الى من يسند ويمده باسباب العون ليطمئن الى وجود قوة تشد ازره وتحميه فان ايمان هذا الانسان بمعونة الله والركون الى كتفه لهو جدير في ان يمد به شحنة هائلة من الثقة والاطمئنان لشعوره بانه يركن الى

حصن منيع وحمل قوي مكين ، اما الناحية الصحية لهذا التوقيت فان اعصاب الانسان وخلايا جسمه تحتاج الى نوع من الحركة الرنيبة لتستعيد فترة نشاطها بعد فترة الركود ، وقد قال احد اساتذة التربية البدنية بانه ينصح الراغبين في التكامل الجسمي باتباع رياضة بدنية لمدة ربع ساعة عند الفجر من كل نهار ، ثم ان ما يسبق الصلاة من طهارة ووضوء لهو اروع تعقيم للمعين والانف والفم واهم مغذى لمسام البشرة ومنشط لجللة الجسم الخارجية ، افليس من المؤسف ان يخسر الانسان المسلم استغلال هذه النعمة فيقضي فترة الصباح في نوم ثقيل يعطل حركة حياته اليومية ويشمل بالتدريج حركة جسمه وروحه معا .

ثم نقف بعد هذا عند توقيت صلاة الظهر والعصر واثرها الروحي والجسمي في حياة الانسان فهو وبعد ساعات طوال من الجهد والعمل وخوض غمار الحياة بكل ما تزخر به حياته من الوان واشكال وما تطوى عليه من ازهار واشواك انه ليصبح في حاجة ماسة الى عودة نحو مطلع النور ومصدر الهدوء والامان ويصبح في حاجة ايضا الى يقظة جديدة تشده نحو واقع وجوده وتفهمه من جديد بانه خليفة الله في الارض وليس باداء ميكانيكية تعمل في المادة وتشقى من اجل المادة فهو مكون من جسم وروح ولكليهما عليه حق ، ولهذا فان فترة صلاة الظهر والعصر تعطى للانسان شحنة جديدة من القوى الروحية وتكون له بمثابة فترة استراحة جسمية اجبارية في الوقت نفسه في انها فترة تذكيرة ، تذكر الانسان بعبوديته المطلقة لله بكل ما تحمل تلك العبودية من معاني الانقياد الكامل والصهر الحقيقي في بوقه الايمان (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) ثم وفي نهاية

اليوم .. وعند استقبال الليل بظلمته وسكونه ، وعندما يودع الانسان حياة الصبح والنصب والاحذ والعطاء ليسكن الى دنيا الغيوبة في عالم السبات فيلقى قياده امام غلبة النوم ويركن الى استسلام عميق عند ذلك يصبح في حاجة الى طاقات جديدة يغالب بها فتور الجسد ويصارع بزخمها عطل الروح والفكر بعد ان خاضا غمار امواج الحياة طيلة نهار كامل ، انه في حاجة الى وقفة جديدة تحدد له الطريق وترسم له المعالم التي تجنبه الضياع فهو قد ينسى أو يتناسى ، وهو قد يجهل أو يتجاهل ، واستمرار ساعات النسيان وتعاقب فترات الجهل يشكلان خطرا كبيرا في حياة الانسان الديوية والآخرية (آتِلْ ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) ثم انه في حاجة ايضا الى شحنة من الاطمئنان النفسي تسلمه الى نومة هادئة واحلام سعيدة ، والصلاة هي من اهم العوامل التي تسبغ على صاحبها الامان والاطمئنان (والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) .

هذه هي بعض ملامح حكمة التوقيت ومراعاتها لمصلحة الروح والجسد ، ثم ان الصلاة باعمالها وواجباتها تشترك فيها الروح والجسد بشكل متلازم ولهذا فان الانسان عندما يتوجه بصلاته نحو الله يشعر ان كل ذرة في كيانه مندمجة مع عملية الصلاة ، مشاعره واحاسيسه ، اعضائه وجوارحه كل هذه مجتمعة في نقطة واحدة لتتطلق منها في رحاب الله .

اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن
الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا - ومن الليل
فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا



شمار الأعمال

لقد شاء الله تبارك وتعالى ان تكون هذه المسيرة الحياتية ذات خطين متعاكسين ، قد رسم الخط الاول بشكل مستقيم والخط الثاني بشكل منحني ولكن .. لكل من الخطين مميزات تجعلنا نفهم ومن ثم ندرك حقائق كل من هذين الشكلين المتناقضين .

ولنقف نحن الآن في نقطة الحياد ونفكر بكيفية تعاملنا مع كل منهما ، وينبغي ان يكون التعامل مع استجابات حية ومدرجات كلية ليس ان نتخذ فقط التجارب الجزئية والمعاني المجددة ثم ندخل في ميادين العمل والعمل يترتب عليه اثر كما نعرف ، ولسلامة الموقف العملي الذي نتخذه ازاء هذين الطريقين أو الخطين ولجعل آثار الاعمال ذات قيمة كبيرة وخالدة ينبغي علينا ان ندرك الحقائق ونعيها قبل التوغل والسير في احد هذين الدربين يمكننا هنا ان نعبّر عن الخط المستقيم بالسلوك الرحماني والخط المنحني بالسلوك الشيطاني ونقارن بين كل منهما ، وقبل كل شيء نقول اننا نحتاج في كل من السلوكين الى عمل وكدح ونصب ، واننا نبذل في كل منهما جهودا كبيرة وطاقات ضخمة لكي نحصل على نتائج وآثار لهذه الاعمال ولتلك الجهود المبذولة اي ان طبيعة الحياة الدنيا هو العمل والكدح ولكن باختلاف اشكاله واسبابه ، فالشخص الذي يذهب الى دور السينما أو الى محل تعليم الغناء أو التدريب عليه أو الى مكان من هذا القبيل لا يختلف في مقدار العمل وصرف الطاقة عن الذي يذهب الى بيت من بيوت الله لينهل منه علوما ربانية ، كذلك الذي يعمل تفكيره ويقضي وقته ليس

بالقليل في تأليف اغنية او نظم قصيدة غزلية أو تأليف قصة غرامية ليس
 بأقل من الجهد الفكري الذي يبذله ذلك الذي يشغل تفكيره في نظم قصيدة
 متوجها بها الى الله تعالى او في تأليف قصة دينية تعطى للروح اسمى ما تشده
 من الكمال الخلقي الرفيع او تحريك الفكر في سبيل التوصل الى فكرة
 حسنة لتصبح سلاحه في الدعوة الى الله ، وكذلك ايضا ان الذي يقرأ الكتب
 والقصص المأجنة والمجلات الخلاعية التي تبشر بافكار التهلكة والتحلل يحتاج
 الى قوة نظر ومثانة عصب كالذي يحتاجها ذلك الذي يقرأ الكتب الاسلامية
 التي تستند الى القرآن والسنة مع وجود فارق واضح الابعاد فان مثل هذه
 الكتب الاسلامية تجعل من الفرد انسانا مثاليا بكل معنى الكلمة وترتقى به
 الى قمة الكرامة والعزة والشموخ فيصبح ذا مركز ومكانة سامية بين قومه
 ومحيطه ويكون قدوة حسنة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
 والآن .. نعرف مما سبق ان العمل والجهد البشري لا بد منه في كل من
 السلوكين اي انهما يلتقيان في هذه النقطة بالتساوي وبدون اي اختلاف ،
 ولكن يا ترى هل ان الثمار التي يجنيها كل منهما تكون متساوية ايضا ؟
 ام يتحكم خط الاختلاف والفرق فيهما فيعطى لكل ذي حق حقه ويترك
 الباطل هو وشأنه تذرؤه الرياح حيث شاءت ، فالظاهر من قول امامنا امير
 المؤمنين (ع) ان هناك فرقا جدا بعيد بينهما في النتائج حيث نسمعه يقول
 « شتاف بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤوته ويبقى
 اجره » فكل من الذهاب الى السينما وتعلم الغناء وقراءة الكتب والمجلات
 المتحللة وامثال ذلك كل هذه تمتع النفس وتهبها اللذة وقتيا ولكنها في الحقيقة
 لا تحمل الا الشر والوبال والضياع وهي تسد امام صاحبها جميع مجالات
 الفائدة والعلم والثقافة والخير الجزيل تلك المجالات التي تميز صاحبها عن
 باقي الاحياء اذ ان مقياس التقدم والتأخر بالنسبة للانسان هو مدى استخدامه

للمزايا التي تفرد به عن الحيوان وصعوده في مجالات الوعي الصالح الذي خلق لأجله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبالإضافة الى آثار هذه الاعمال الضارة فان تبعاتها وتنتائجها سوف تبقى تلاحقه أينما اتجه وحيثما سار حيث ان هناك مراقبة الهية تسجل كل عمل صالح أو غير صالح لتكشفها امام الانسان في يوم توزيع النتائج وهو يوم العرض على الله ، ذلك اليوم الذي تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه فلما الذين ابيضت وجوههم ففي الجنة هم فيها خالدون واما الذين اسودت وجوههم ففي النار لهم فيها شهيق وزفير ، ثم ان العمل الصالح قد يستوجب بعض الجهد أو يستدعى الى التعرض لبعض التعب ولكنه في الحقيقة يكون في نتائجه الصالحة ثمين وكبير بشكل يمحو آثار التعب والنصب فهو يحمل لصاحبها الخير الوفير في الدنيا ومن بعدها في الآخرة يوم « يقول الانسان ابن المقر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر » فطوبى لمن عمل صالحا ليلقى الله بمؤهلات تخوله لنيل رضا الله ورضوانه وتنتهي في ذلك مسيرة حياته في حمى الله وجنة عفوه وغفرانه •

سعاد سعيد الشيخ



هل عرفت ان من خصائص النخلة مشابهتها للمؤمن حتى قيل عنها في الحديث الشريف - مثل المؤمن مثل النخلة ما اخذت منها من شيء نفعك وهل عرفت كثير ما تحاكيه بها من صفات ؟ نظرة واحدة الى ثباتها في مهب الرياح العاصفة والزوابع الصاخبة تمكس لنا صورة الانسان المؤمن وقصة صموده امام الاهواء ، فالنخلة تقف شامخة الرأس معتدلة العود ومن حولها عشرات وعشرات من الاشجار تميل تارة وتمتلد اخرى وعشرات وعشرات من الاشجار تميل وتميل حتى تحني نحو الارض غير قادرة على الاعتدال من جديد ، ولكن النخلة .. وهي منتصبه كالطود الراسخ تتحدى الاعاصير وتسخر بالعواصف والرعود حالها في ذلك حال الانسان المؤمن الصامد الذي يحس بالاشواك تحت قدميه كزهور عبقة نديه لما يحمله من ايمان ويحيل لواقع السوم التي تهب عليه الى نسيمات عذاب لعيق ما يستشعره من واقع التضحية والفداء ، وبعد البلايا التي تمر به او يمر بها كالليل من غار تروج هامة في مزيد من العزة والجلال فهو فخور بها حريص ان يعتدل لكي لا يعرضها للسقوط ، ثم ان هناك ظاهرة اخرى يشترك في مدلولها الانسان المؤمن مع النخلة ، وهي ان النخلة اذا حدث وان عجزت عن مصارعة قوى الطبيعة الغاضبة حينما تتظافر جميعها لتال من صمودها الجبار ، عند ذلك ماذا يكون موقف النخلة ؟ انها تنكسر .. نعم انها تنكسر ولا تحني ابدا .

ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين ، ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين

توكيد الفعل

وَأَوْجِهَ الْأَخْتِلَافُ فِيهِ

علي أحمد المحنة

اختلف النحاة الأقدمون في الاداة التي يتأكد الفعل بموجبها على

مذاهب •

المذهب الاول :

انه جعل لتوكيد الفعل نوناً واحدة مشددة ومخففة وسميت عندهم
نون التوكيد وعليه المذهب الكوفي ومن وافقهم^(١) •

المذهب الثاني :

انه جعل لتوكيد الفعل نونان احدهما ثقيلة والاخرى خفيفة وسميتا
نونى التوكيد وعليه المذهب البصري^(٢) •

المذهب البصري :

توكيد الفعل المضارع والامر •

قال نحاة البصرة • تلحق الفعل المضارع • والامر - نونان للتوكيد -

-
- (١) ابن الانباري - الانصاف في مسائل الخلاف - ج ٢ - ٣٨٢ •
() وافق الدكتور المخزومي الرأي الكوفي - كما قال - في مبحث
نون التوكيد - وهي مشددة ومخففة فاذا خففت فأتت مؤكدا واذا شددت
فأتت اشد توكيدا •• النحو العربي - قواعد وتطبيق ص ١٢٠ •
(٢) سيبويه - الكتاب - ج ٢ - ١٧٨ - الانصاف في مسائل الخلاف
- ابن الانباري - ج ٢ - ٣٨٢ •

يتأكد الفعل بهذين التونين - احدهما ثقيلة مفتوحة والاخرى خفيفة ساكنة .
ونونا التوكيد - الثقيلة والخفيفة - اعلان عندهم - وذلك لتخالف
بعض أحكامها كأختصاص الخفيفة بقلبها ألفاً وحذفها للساكنتين - والشديدة -
لوقوعها بعد الالف - الاثنين او الاثنين^(٣) .

توكيد الفعل الماضي :

(لا تلحق الفعل الماضي - نونا التوكيد - لان الحاصل في زمان الماضي
لا يحتمل التأكيد)^(٤) وجوز بعضهم توكيد الفعل الماضي واوردوا له
شرطاً بحيث قالوا - يجوز توكيد الفعل الماضي اذا كان ماضياً لفظاً مستقبلاً
معنى فقد يؤكد بها على قلّة^(٥) .

وقد اجتمعت نونا التوكيد في قوله تعالى - من سورة يوسف -
لِيُسْجَنَ وَيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ -
وكل من الفريقين اخذ له حكماً خاصاً في هذا الباب واختلفا في كثير من
الوجوه وتحتاجاً في كثير من المواطن .

ادلة المدرستين

دليل البصريين :

اعترض البصريون على الكوفيين بأن قالوا - والذي يدلنا على ان
الخفيفة ليست مخففة من الثقيلة بل كل واحد منهما اصل بنفسه غير مأخوذ
من صاحبه^(٦) فالنونان عند البصريين وان اشتركتا بالتأكيد فأنهما متغايرتان
في الحقيقة وكتاهما كتأكيد الفعل واخراجه عن الحال واخلاص الفعل
كذلك للاستقبال وقالوا ايضاً - والذي يدلنا كذلك انها تتغير في الوقف

(٣) الخفري - حاشية الخفري - ج ٢ ص ٩٤ .

(٤) خوشنويش - جامع المقدمات - ٩٠ .

(٥) جامع الدروس - مصطفى الغلايني - ج ١ ص ٨٧ .

(٦) ابن الانباري - الانصاف - ج ٢ - ٣٨٤ - .

ويوقف عليها بالالف^(٧) كما قال تعالى - لنسفنا بالناصية - .

دليل الكوفيين :

أما الكوفيون فقد اعتبروا ان نون التوكيد الخفيفة هي فرع " من نون التوكيد الثقيلة ولهذا عملت عمل نون التوكيد الثقيلة - واليه ذهب الدكتور المخزومي - (٨) .

تأثير النون على الفعل ومدرسة البصرة :

يتأثر الفعل - على رأي البصريين - في دخول هذين النونين - عليه لفظاً ومعنى^(٩) . فتأثيرهما على لفظه يخرجان الفعل من حالة الاعراب الى حالة البناء وذلك - اذا اتصلا به لفظاً وتقديراً - قال ابن هشام^(١٠) ما لزم البناء على الفتح المضارع الذي باشترته نون التوكيد ومثل بقوله تعالى : - لِيُسَبِّحَنَّ فِي الْحِطَّةِ^(١١) - فقد اتصلت نون التوكيد الثقيلة لفظاً في الآية الكريمة واما المقدرة ففي قوله تعالى - لَنُصِصَّعَنَّ^(١٢) - اذ الاصل لنسمعونن - فحذفت نون الرفع اشتغالا لاجتماع الامثال الثلاث - فالتقى ساكان هناك - الواو والنون المدغمة فحذفت الواو لالتقاء الساكنين^(١٣) .

(٧) نفس المصدر .

(٨) المخزومي - الدكتور مهدي - النحو العربي - ١٢٠ .

(٩) ابن عقيل - شرح ابن عقيل على الالفية - ج ٢ - ٦٥٤ .

(١٠) ابن هشام - جمال الدين عبدالله بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الانصاري المصري المولد ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨ هـ وتوفي سنة ٧٦١ - انظر ترجمته - الدرر الكامنة - ابن حجر ج ٧ - ٣٠٨ - بغية الوعاة ٩٢٩٣ شذرات الذهب ١٩١/٦ وغيرها .

(١١) سورة الهمة - آية - ٤ .

(١٢) ابن هشام - شذور الذهب في معرفة كلام العرب - ص ١٠٣ .

وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في - تعليقه على المقرب^(١٤) -
إذا اتصل بالفعل نون التوكيد ولم يكن معه ضمير بارز لفظاً ولا تقديرًا بني
مهما اجماعاً •

وجه الاختلاف :

الفعل - يبنى على رأي المدرستين - البصرة والكوفة • وذلك إذا اتصل
به نون التوكيد ولم يكن معه ضمير بارز لفظاً ولا تقديرًا لأن نحة الكوفة
يعتبرون الأصل في الأفعال الأعراب ونحة البصرة يعتبرون الأصل في الأفعال
البناء وما أعرب من الأفعال على رأي البصريين فلمنابته بالاسم • وعلى أية
حال فإن الفعل المتصل مع نون التوكيد يبنى معها نحو قولنا - هل تضربن -
للوأحد المخاطب - وهل تضربن^١ للواحدة الغائبة •

وأما الدكتور مهدي المخزومي اعتبر الفعل المضارع الذي باشرته نون
التوكيد منصوباً حيث قال : وينصب الفعل المضارع إذا اقترن به ما يخلص
به للمستقبل كنون التوكيد •

ومثل بقوله تعالى - تالله لا كين^٢ أصنامكم - فقد جعل الفعل مع نون
التوكيد منصوباً وليس مبنيًا^(١٤) - على حد قوله •

علة البناء:

اختلف علماء النحو في علة البناء في الفعل المتصل بنون التوكيد
- فمذهب سيويه^(١٥) • هو • أن الفعل ركب مع الحرف فبني كما بني

(١٣) السيوطي - الأشباه والنظائر - ج ٢ - ١٤٨ •

(١٤) المخزومي - الدكتور مهدي - النحو العربي قواعد وطببق
ص ٢٥ ط مصر - •

(١٥) سيويه - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ولد بقرية من

الاسم لما ركب مع الحرف في نحو / لا رجل - ومذهب غيره من النحاة ،
• ان النون لما اكدت الفعل قوت فيه معنى الفعلية فعاد الى اصله وهو البناء •
وقال السيوطي ^(١٦) :

ان سبب بناء الفعل المضارع من نون التوكيد المباشرة - هو لتركيبه مع
النون وصيرورته معه كالكلمة الواحدة كاسم - لا التبرئة - الا اذا اسند
للمضارع كالألف في يكتبان والواو في يكتبون والياء في تكتبين فإنه معرب لانها
تمنع تركيبه مع النون وذلك لفصلها بينها - ويكون حينئذ مقدراً •

الفعل المؤكد والاف الاثنين :

اختلف نحاة المدرستين - البصرة والكوفة - فيما اذا كان الفعل المؤكد
معرب ام مبني اذا اتصل به الف الاثنين او الاثنين او ضمير الجمع
وكذلك ضمير المخاطبة •

فبالخلاف وقع في هذه المسألة ومنبعه التعليل - فمن علل بالتركيب
هناك - قال هذا معرب وذلك لان العرب لا تتركب ثلاثة اشياء فتجعلها
كالشيء الواحد ويكون حذف النون التي كانت علامة للرفع - كراهية
اجتماع الامثال - وعليه مذهب سيويه •

أما الكوفيون فقد اعتبروا الفعل في هذه الحالة معرب لا مبني •



قري شيراز وفيها نشأ نشأته الاولى التحق بحلقات الدرس والفقهاء والمحدثين
ولد في ١٤٨هـ وتوفي ١٨٠هـ انظر ترجمته مراتب النحويين ٦٥ السيرالي -
٤٨ وانباه الرواة ج ٢ - ٣٤٦ - ونزهة الالباء ص ٦٠ ومجالس العلماء ٨ -
الفهرست ٨٢ وغيرها •

(١٦) السيوطي - البهجة المرضية في شرح الالفية - ص ٧ •

ومن علل تقوية معنى الفعل كان عنده مبنياً ويكون حذف النون هنا للبناء •

الفعل والاعراب :

قلنا ان الفعل المضارع يبنى اذا باشرته نون التوكيد وعلى العكس من هذا فإنه يعرب اذا لم تباشره ويعرب اذا كان الفعل المؤكد متصلاً بالف الاثنين أو الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة لان النون تكون غير مباشرة مع هذه الافعال كأن يفصل بين النون والفعل بواسطة هذه الضمائر •

الفعل المضارع ونون التوكيد :

قال الاشموني^(١٨) : انما يعرب الفعل المضارع ان عَرِيَ من نون التوكيد المباشرة فان لم يعر منها لم يعرب وذلك لمعارضته شبه الاسم بما هو من خصائص الافعال فرجع الى أصله وهو البناء فبني مع نون التوكيد لتركيبه معها تركيب خمسة عشر •

آراء النحاة :

وثمة طائفة من النحاة ذهبت الى البناء مطلقاً سواء باشرته ام لم تباشره ومنهم الأخفش وذهب آخرون الى انه معرب باعراب مقدر مقدر منع من ظهور ذلك الاعراب شبهه بالفعل الماضي في صيرورة النون جزءاً منه ومنهم ابن درستويه والسهيلي^(١٨) •

(١٧) الاشموني - شرح الاشموني على الالفية - ج ١ - ٣٤ •
(١٨) ابن درستويه - هو أبو أحمد عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان اللقوي الفارسي امام اللغة والنحو ولد سنة ٢٥٨ - وتوفي - ٣٤٧ - له مصنفات كثيرة انظر ترجمته في الفهرست ٩٣ وانباء الرواة/ ١١٣ وشذرات الذهب ٣٧٥/٢ وغيرها •
الهيلى - هو أبو القاسم محمد عبدالرحمن بن عبدالله الغرير صاحب كتاب الروض الانف في شرح السيرة الذوية المتوفي سنة ٥٨١ انظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٧١/٤ والبقية - ٢٩٨ ومرآة الجنان ٤٢٢/٣ وغيرها •

متى يؤكد الفعل المضارع :

جوازا :

تلتحق الفعل المضارع المتعين للاستقبال نونان للتوكيد - ولا يجوز
توكيد الفعل المضارع الا ان يقع بعده اداة من أدوات الطلب او الجزاء
- الشرط - او انفي أو بعد ما الزائدة او ان يقع بعد قسم وكذلك
العرض والتحضيض والترجي والتمني (١٩) .

وجوبا

يؤكد الفعل المضارع وجوبا اذا كان مثبتا واقعا في جواب القسم
بشرط أن يكون غير مفصول بلام الجواب بفاصل - نحو والله لاساعدنك -
ولكن اذا فصل بلام الجواب امتنع التأكيد نحو والله لسوف يندم
الظالمون .

ويمتنع التأكيد كذلك اذا كان جواب القسم منفيًا بـ « لن » - أو - ما
نحو/ والله لن ينجح المنافقون ، وحقق ما ينجح ' المنافق ' .
ففي هذه الحالات يمتنع المضارع من التأكيد لكونه مفصولا من
لام الجواب ومنفيًا .

مواقع مجيء النون

آ - بعد ألف الاثنين :

اختلف الفريقان - مدرسة البصرة والكوفة في جواز وقوع النون
الخفيفة بعد ضمير التثنية .

رأي الكوفيين :

ذهب الكوفيون الى جواز وقوع نون التوكيد الخفيفة على فصل

(١٩) ابن عقيل - شرح ابن عقيل على الالفية ج ٢ - ٦٥٤ .

الأتين واليه ذهب يونس بن حبيب البصري (٢٠) .

دلي البصريين :

وذهب البصريون الى انه لا يجوز ادخال النون الخفيفة على فعل الأتين . فقالوا - لا يقال مثلاً - لاندسن واحج الكوفون على ذلك ، وقالوا أنه يجوز ذلك - لأن هذه النون مخففة من الثقيلة واجعتنا على ان اثقيلة تدخل في هذين الموضعين فكذلك النون الخفيفة (٢١) .

واشار ابن الحاجب الى جوابه - ان الثقيلة هي الاصل والخفيفة مرعها واذا دخلت الالف مع الثقيلة فيلزم مع الخفيفة وان لم يجمع النونان لثلا يلزم مزية الفرع على الاصل .

ادلة البصريين واعترافهم :

لا يجوز لحقون نون التوكيد الخفيفة الفعل المسند للأتين عند البصريين - لانها ساكنة وليست مدغمة فلا يثبت مع الالف ولا يجوز حذف الالف فتلتبس بللواحد وذلك لان نون الأتين التي للاعراب تسقط اذا دخلت عليها نون التوكيد الخفيفة وذلك لان نون التوكيد اذا دخلت على الفعل المعرب اكدت فيه الفعلية فردته الى أصله وهو البناء - فقالوا - (اذا سقطت النون بقيت الالف فلو ادخل عليها نون التوكيد الخفيفة لم

(٢٠) صبح الهوامع - السيوطي - ج ٢ - ٧٩ - الكتاب - سيبويه - ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢١) يونس بن حبيب - وهو من موالى بني سبئة وقد لمححق ابن ابي اسحق وروي عنه ولد سنة ٩٤ هـ وكان ليونس مذاهب وافية تفرد بها . لوطي سم (١٨٣) - انظر في ترجمته - ابا الطيب اللغوي - ٢١ - والسيرافي ٣٣ وابن الجزري ج ٢ - ٤٠٦ - ابن الانباري - ٤٩ - ومعجم الادباء - ٦٤/٢٠ وشذرات الذهب ٣٠١/١ وبغية الوعاة ٤٢٦ .

يُحذفُ اما ان تحذف الالف او تكسر النون او تقرأ ساكنة - ولو حذفت
لالتبس فعل الاثنين بالواحد * ولو كسرت - لا يُعلم اهي نون الاعراب
أو نون التوكيد ولو بقيت ساكنة لاجتمع ساكنان وذلك لا يجوز (٢٢) *
وقال سيويه :

• اذا كان الفعل المسند لاتنين مرفوعاً وادخلت عليه النون الثقيلة
حذفت نون الاثنين لاجتماع الامثال - النونات الثلاث - ولم تحذف الالف
لسكون النون لان الالف تكون قبل الساكن المدغم ولو اذعننا لم يُعلم
- انك تريد الاثنين - ولم يحز عند البصريين دخول الخفيفة على الفعل
المسند للاتنين (٢٤) *

ومن هذا يتبين ان المسند لالف الاثنين يتعين توكيده بالنون الثقيلة
لان الالف ساكنة والنون الخفيفة ساكنة ولا يجوز عند العرب التقاء
الساكنين * ولكن مع الثقيلة يكون خلاف ذلك لان أول الساكنين على
مدحبه اليه نجاه البصرة حرف مد والثاني حرف مدغم في مثله فأغفر
اجتماع الساكنين (٢٥) *

ادلة الكوفيين :

رد الكوفيين على البصريين عندما قيل انه يؤدي الى اجتماع

(٢٢) الكتاب - سيويه - ج ٢ - ١٧٩ - ابن الانباري - الانصاف -
مسألة ٩٤٠ *

(٢٣) السيوطي - همع الهوامع - ج ٢ - ١٨٠ - ابن الانباري -
الانصاف ج ٢ - ٣٨٢ *

(٢٤) سيويه - الكتاب - ج ٢ - ١٨٠ *

(٢٥) الاشموني - شرح الاشموني على الالفية - ج ١ ص ٣٤ -
ابن الانباري الانصاف في مسائل الخلاف ج ٢ - ٣٨٢ *

الساكنين في لحوق النون الخفيفة لالف الانين - وقالوا - فهو مردود
 بوروده عن العرب - وقد استدلوا بقراءة نافع من وله تعالى : (ان صلاتي
 ونسكي ومحياي)^(٢٦) - وكذلك استدلوا بقراءة ابن عامر من قوله
 تعالى : - ولا تَتَّبِعَانِ - بنون التوكيد الخفيفة - مما يدل على جواز ذلك
 وصحة مذهبهم * والبصريون لا يجيزون ذلك لان عندهم قراءة ابن
 عامر انفرد بها عن باقي القراء وذهبوا الى تأويلها « فقالوا ان - لا - في
 هذه الآية الكريمة - نافية - والنون علامة رفع لا نون التوكيد »^(٢٧) -
 ومن هذا نرى ان الكوفيين فضلوا القياس على السماع وقيسون على
 الشاذ * فقال السيوطي^(٢٨) (اتفقوا على منهج ان البصريين اصبح قياساً لانهم
 لا يلتفتون الى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ) *

ب - بعد واو الجماعة وياء المخاطبة :

اجمع نحاة البصرة والكوفة بأن نون التوكيد الثقيلة تقع بعد واو
 الجماعة وياء المخاطبة وذلك لالتقاء الساكنين وتبقى الحركة على حالها
 - المضموم ما قبلها - او - ياء المخاطبة - المكسور ما قبلها تحذف واو
 الجماعة وياء المخاطبة وذلك لالتقاء الساكنين وتبقى ما قبلها الحركة على حالها
 نحو/ ادرسنَّ وادعنَّ - وادعنَّ - والاصل في هذه الافعال - ادرسونَّ
 - وادعونَّ وادعينَّ * .

وقال النحاة :

ثبت الواو - أو - الياء - في الفعلين - تخشونَّ - أو - اخشونَّ

(٢٦) سورة الانعام - آية ١٦٢ *

(٢٧) السيوطي - جمع الهوامع - ج ٢ - ٨٠ - عبدالرحمن السيد
 - مدرسة البصرة - ٤٤١ -

(٢٨) السيوطي - الاقتراح - ١٠٠ *

- او - ترضين - ارضين - وذلك لان ما قبل الواو والياء - مفتوح -
 ولكن عندها نظم واو الجماعة وتكسر ياء المخاطبة - وسبب تحريك الواو
 بالضمة والياء بالكسرة التخلّص من اجتماع الساكنين وهما الواو والياء
 - والنون الاولى من النون الثانية المشددة - لان النون المشددة عبارة عن
 نونين أولهما ساكن (٢٩) •

ج - بعد الافعال الخمسة :

اذا كان الفعل المضارع مرفوعا بثبات النون تُحذف نون الرفع أولاً
 من الفعل ثم تحذف الواو او الياء اذا كان دالا على المخاطبة وذلك لاجتماع
 الساكنين بعد حذف النون نحو - هل تدرسن - هل تُدرسن •
 والاصل في ذلك - تدرسون وتدرسين • فحذفت نون الرفع كراهية
 اجتماع ثلاث نونات (الامثال) ثم اجتمعت بعد حذف نون الرفع وواو
 الجماعة أو ياء المخاطبة والنون الاولى المدغمة فحذفت الواو أو الياء -
 حذر التقاء الساكنين •

د - بعد الفعل المتصل بنون الاناث :

حكم الفعل المتصل بنون الاناث مع نون التوكيد الثقيلة (لان نون
 التوكيد الحقيقة لا تلحق نون النسوة) ان يُفصل بين النون الدالة على
 الاناث ونون التوكيد - نحو - يدرسان وذلك كراهية توالي الامثال
 - وتكسر النون - نون التوكيد - في هذه الحالة وجوبا وذلك تشبيها لها
 بالنون التي بعد الف المثني - اي نون التثنية في الاسماء •

(٢٩) الرضي - شرح الرضي على الكافية ج ٢ - ٢٣١ - محي الدين
 عبد الحميد - دروس التعريف ٩٢ - شرح ابن عقيل على اللفية
 ج ٢ - ٦٥٤ •

هـ - بعد الفعل المضارع المجزوم بحذف الآخر :

يُردُّ الى الفعل الحرف المحذوف للجازم بعد دخول نون التوكيد عليه سواء كان واواً او ياءً ويكون مبنياً على الفتح وذلك لأن دخول النون المؤكدة يبنى الفعل معها على الفتح فنقول - ادنْ - ادعْ - ارمِ - ادنونْ - ادعونْ - ارمينْ وإذا كان الحرف المحذوف الفاً يقلب الى ياء - مثل - اخشْ - اخشينْ •

الوقف :

إذا وقف على نون التوكيد الخفيفة وكان ما قبلها مضموماً فالنحاة يوجبون حذف النون وإذا حذفت يجب رد المحذوف الذي هو نون الاعراب فيقال في الدرج - يحملُنْ على الاعداء • وفي الوقف - هل يحملوننْ - وذلك يرد نون الاعراب وإذا وقف عليها بعد فتحة فالنحاة يبدلون الفتحة المظنة نحو - يا قاضي انصفاً - والاصل انصفنْ •

من احكام نوني التوكيد :

- ١ -

لا تدخل نونا التوكيد على الحروف التي للامر وانتهي ولا يجوز دخولها على أسماء الافعال عند البصريين - لان الكوفيين يعتبرون أسماء الافعال أفعال حقيقية وذهب الى ذلك الدكتور مهدي المخزومي^(١) - لان أسماء الافعال عند العبريين تكون بلفظ واحد نحو - صه ومه ، فحيث انها تستعمل للمفرد والمتن والجمع ويلفظ واحد واجاز بنو تميم دخول نون التوكيد على هلم - لانها عندهم بمنزلة ردْ - ردوا - ردتي^(٢)

(١) المخزومي - قواعد وتطبيق - ٣٤ •

حكم نون التوكيد الخفيفة اذا كان الحرف الذي قبلها مفتوحاً فانها
يوقف عليها ويجعل مكان التنوين الفا - وقال الخليل - اذا كان ما قبل
النون الخفيفة مكسوراً أو مضموماً وقف عندها ولم تجعل مكانها ياءً ولا
واواً • وذلك عندما تقول اخشى - عندما نريد الخفيفة وللجميع ايضاً
عندما نريد الخفيفة اخشوا •

ويونس يقول - اخشي واخشوا - بزيادة الياء والواو - بدلا من
النون الخفيفة من اجل الضمة والكسرة وقد عارضه الخليل بذلك^(٣) •

كلمة اخيرة :

من المعلوم ان النحو يشغل حيزا كبيرا من المعارف العربية وانه في
بداية نشأته كان نتيجة تفكير الاقدمين في ايجاد ضوابط تعمل على صيانة
العربية من اللحن ولا سيما كتاب الله العزيز • فقام النحاة الاقدمون
يصححون القياس ويستخرجون مسائل النحو وتعليه ومن هذا المنطلق
الذي حدده النحاة وهو استخدامهم للقياس واستخراج مسائل النحو
وتعليه وهذا غير مقبول في المعالم اللغوية وذلك لتأثره بالمنهج الكلامي
والتماس العلة والتمسك بالقياس بين النحويين - البصريين
والكوفيين - لا يتلائم والطبيعة النحوية وكان عليهم ان يقتصروا على وضع
شيء هو حفظ اللسان من اللحن واكتفاء بالغرض الذي ندب الاولون
انفسهم لتحقيقه ومن بين المواضع التي ثار الجدل والخلاف عليها - نونا

٢ - سيبويه - الكتاب ج ٢ - ١٩٢ •

٣ - سيبويه - الكتاب ج ٢ - ١٨٠ •

التوكيد - توكيد الفعل - حيث كل من الفريقين - البصريين والكوفيين
أخذ يقيس ويعلل ويستنبط الأحكام التي لا توصل الى نتيجة حتمية فلا
أرى موجبا لأخذ بنظر الكوفيين والتكثير من المذاهب النحوية اذا عرفنا
ان اصحاب هذه المذاهب لا يؤلفون وحدة في التفكير والمنهج فعندما يرى
الفرءاء مثلا - وهو رأس المدرسة الكوفية - قد خالف كثيرا من مسائلهم
وشايع البصريين وكذلك المذهب البصري من شايع منهم الكوفيين وأخذ
بمذهبهم ويجب علينا ان نأخذ بمنهج جديد في فهم هذه المادة النحوية
جريا على ما يقتضيه العلم ونطرح المشاكل والمعوقات والاختلافات وغيرها
جانبا ونشق طريقا غير ذي عوج لبناء مسائل النحو .

وكذلك يجب ان تسير مثل هذه الموضوعات - بل النحو كله - اذا
كان على هذه الشاكلة من الاختلافات والمحن التي وقع بها تلاميذ
العربية ، يجب ان تسير في مدارج التطور حتى ينتهي الى وضعه الاخير -
والذي يعني ان العلم يجب ان تستكمل اسبابه وان ترسخ اسسه وتوضح
قواعده وان يضرب في مناكبه بعدما وصل الاقدمون الى الغاية منه وقد
فسحوا المجال لمن اتى بعدهم ينظم من مسائله ويحدد من شياعه واللغة
عندما تكلمت بها العرب واتخذتها وسيلة للتعبير عن أفكارها واداة للتفاهم
في شؤون حياتها والتي بها نزل القرآن الحكيم يجب ان تكون ذات واقع
ملفوس وملكة ثابتة وفرائن متظافرة ويجب ان نجد لها الادلة القاطعة
والحقائق الثابتة والخجج الدامغة التي تثبت زيف كل هذه الاختلافات التي
سار عليها نفر من الاقدمين والذي امست الحاجة اليه للمتطرق في هذا
الموضوع - توكيد الفعل - ذلك لمقتضى وصف الظواهر النحوية
والاختلافات التي سار عليها الاقدمون ومن هذا يتسنى لنا معرفة رأي كل

فريق وكل نحوي وبعد تستطيع ان تتيّن من هذه الآراء ايها اكثر قبولاً
واقوى حجة وبذلك يتم لنا ما نتوق اليه من ايجاد انجع انسبل في تحقيق
المبادئ والاسس التي يركز عليها علم النحو وتطبيقها تم الاخذ بها
ولعل ما قام به عدد من الدارسين المجددين كابن مضاء القرطبي الاندلسي
والاستاذ ابراهيم مصطفى ومن المعاصرين الدكتور ابراهيم السامرائي
والدكتور مهدي المخزومي خير مشجع للاستمرار في البحث اللغوي العلمي
الذي تحتمه طبيعة لغة القرآن التي كتبت لنفسها الخلود .

للبحث صلة



رقم الايداع في المكتبة الوطنية بغداد ٢٩٥ لسنة ١٩٧٢
١٩٧٢/٩/٧/٢٠٠٠/١٤